الجامعة الدولية المفتوحة
قسم اللغة العربية

خطة رسالة الماجستير أو الأطروحة تحت عنوان

تشابه اللفظي في سورتي البقرة وآل عمران، دراسة بلاغية نحوية تحليلية

(وفق ترتيب ابن جماعة في كتابه كشف المعاني في المتشابه من المثاني)

Verbal similarity in two Surahs: “Al-Baqarah - The Caw” and and ، Grammatical، Rhetorical،“Ali ’Imran - Family of Imran” Analytical Study

(The similarities have been collected and organized according to Ibn-Jama’a’s book “Revealing the meanings in similarity from repeated words”)

خطة مقترحة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية

مقدمة الخطة:

شيماء فؤاد محمد عبد الحميد صيام

تحت إشراف:

الدكتور/ إبراهيم عبد الحفيظ أبو ضاوي

السنة الدراسية

1446هـ / 2025م

شكر وعرفان

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تتيسر الأمور، وبتوفيقه يتحقق الإنجاز، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ، خير من علَّم وتعلم، وعلى آله وصحبه أجمعين.

يسرّني في هذا المقام أن أتقدّم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان لكل من كان له فضل في إنجاز هذه الرسالة، التي تمثل ثمرة سنتين من السعي والاجتهاد والدعم المتبادل.

وأخصّ بالشكر والتقدير مشرفي الفاضل الأستاذ الدكتور/ **إبراهيم عبد الحفيظ أبو ضاوي**، الذي كان لي نعم الموجه والداعم، فلم يبخل عليّ بخبرته وعلمه وتوجيهاته الثمينة، وصبره على متابعتي وتصحيح مسيرتي البحثية بكل سعة صدر، فله مني أصدق عبارات الشكر والدعاء.

ولا يفوتني أن أتوجّه بالشكر لكل أستاذٍ تعلمت منه في مراحل دراستي المختلفة في الجامعة الدولية المفتوحة، ولكل من أثرى معرفتي وألهمني بحبه للعلم والبحث.

كما أرفع أسمى معاني الحب والوفاء إلى أسرتي العزيزة وبالأخص زوجي الحبيب **د/عمرو عبد العليم شفيق**، الذي كان الداعم الأول لي بعد الله سبحانه وتعالىٰ في مسيرتي العلمية، وصبره عليَّ وتوجيهه إليَّ، وأشكر والديّ الداعمين لي بصلاتهما ودعائهما، وصبرهما وتشجيعهما المتواصل، وإلى إخوتي وأخواتي الذين أحاطوني بالمحبة والدعم، فلكم جميعًا مني خالص الامتنان.

وختامًا، أسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، نافعًا في ميدانه، وأن يجزي كل من قدّم لي معروفًا خير الجزاء.

ملخص البحث

يعد علم التشـــابه اللفظي القرآني من الحقول الخصـــبة للدراســـة النحوية والبلاغية التي لاتزال بحاجة إلى تعمق وبحث دؤوب وذلك لخدمة كتاب الله – عز وجل – مســـاعدة للقائمين على حفظ كتاب الله في صـــدورهم وعقولهم. تكمن دوافع هذا الموضـــوع في أهميته، حيث إن تكرار الألفاظ وتشـــابهها في القرآن الكريم ليس خاليا من الفوائد، إنما جاء لمطابقة الكلام لمقتضىـ الحال وبفصـاحة بالغة لتوصـيل المعنى الذي يريده الله، عزَّ وجلَّ؛ وندرة الدراســات المقدمة التي ت في المتشــابه اللفظي في القرآن الكريم؛ يتميز هذا الموضـوع بالربط الكامل بين الدراســة النحوية والدراســة البلاغية في تراكيب الجمل والنظم القرآني في سـورتي البقرة وآل عمران؛ وكما أن العديد من الأبحاث التي تناولت المتشـابه اللفظي في سـورتي البقرة وآل عمران لم تدرس كل المتشابهات مع مثيلتها من باقي سور القرآن، ولكن تكتفي بذكر بعض الآيات المتشابهة كأمثلة تطبيقية دون التطرق لبقية الآيات الأخريات.

ويشتمل هذا البحث على ثلاثة أهدافٍ رئيسةٍ:

- توجيه المتشـابه اللفظي في سـورتي البقرة وآل عمران عبر تجميع مسـائل الآيات المتشـابهات مع الاستعانة بـكتاب "كشف المعاني في المتشابه من المثاني" لشيخ الإسلام بدر الدين بن جماعة (ت 733هـ) واسـتقراء هاتين السـورتين لجمع كل الآيات المتشـابهات الخاصـة بهما، وذلك لتوضـيح الغاية الدلالية والفرق بين الموضعين المتشابهين.
- تقديم الآية المتشابه على هيئة مسألة افتراضية والإجابة عنها.
- منهج الجواب يحتوي خمسة عناصر:
  1. النقل
  2. اللغة
  3. التدبر وإمعان النظر
  4. دراســة نحوية إعرابية للآية في ســورتي البقرة وآل عمران ومتشــابهاتها في الســور الأخرى بالاستعانة بكتاب "معاني القرآن وإعرابه" لأبي إسحاق الزجاج (ت: 311هـ)
  5. دراسـة بلاغية للآية في سـورتي البقرة وآل عمران ومتشـابهاتها في السـور الأخرى بالاسـتعانة بكتاب "تفسير الكشاف " للزمخشري (ت: 538هـ)

الكلمات المفتاحية: المتشابه اللفظي – سورة البقرة – سورة آل عمران – ابن جماعة.

Abstract

The Quranic verbal similarity is a rich field for the grammatical and rhetorical studies that requires deep research to serve the book of Allah (Azza Wa Jall) in order to aid the memorizers of this holy book in their hearts and minds. The aim of this research is its importance since there are many similar words and statements in the holy Quran full of the benefits to match the speech and the status eloquently to concise meaning; there is lack in research especially combining the grammatical and rhetorical studies in the combination of similar phrases in Surat Al-Baqarah and Surat Ali-'Imran; many studies that have conducted on Surat Al-Baqarah and Ali-'Imran did not cover all the similarities with the rest of the Quran's Surahs; however، they have presented the rhetorical analysis for some examples. This research has three main goals:

1. The verbal similarity in Surat Al-Baqarah and Surat Ali-'Imran will be collected according to the book of "Revealing the meanings in similarity from repeated words" for Ibn-Jama'a، Badru-eddeen (died in 733 H)، and listing all the verses and their similarities.
2. Presenting the similar verse as a hypothetical problem and answering it.
3. The answer will involve five elements:
    a. The quoting
    b. The language analysis
    c. The meaning and contemplation
    d. Conducting a grammatical study for the two Surahs' Al-Bakarah and Ali-'Imran and their similarities according to "The Meanings of Qur'an and its Parsing" by Az-Zajjaj، Abi Ishaq (died 311 H)، and
    e. Conducting a rhetorical study for the two Surahs' Al-Bakarah and Ali-'Imran and their similarities according to "Interpretation of the scout" By Al-Zamakhshari (died 538 H).

Keywords: Verbal similarity; Surat Al-Baqarah; Surat Ali-'Imran; Ibn Jama'a.

الفهرس

شكر وعرفان ..... **ب**

ملخص البحث ..... **ت**

Abstract ..... **ث**

المقدمة **1**

أهمية الموضوع 1

دوافع اختيار الموضوع 1

أهداف البحث 2

مشكلة البحث 3

إشكالية البحث وأسئلته 3

الدراسات السابقة 4

حدود البحث 6

منهج البحث: 6

مصطلحات البحث 6

خطة البحث 7

هيكل البحث 7

الفصل الأول: معنى المتشابه اللفظي وأهميته **9**

المبحث الأول: المتشابه في اللغة 9

أولًا: تعريف المتشابه اللفظي في اللغة 9

ثانيًا: تعريف المتشابه اللفظي في الاصطلاح 11

المبحث الثاني: المتشابه في القرآن الكريم 14

أولًا: معاني "شَبَهَ" في القرآن الكريم 14

ثانيًا: أنواع "التشابه" في القرآن الكريم 18

المبحث الثالث: تراث أهل العلم في توجيه المتشابه 20

المطلب الأول: الخطيب الإسكافي 20

المطلب الثاني: الكرماني 22

المطلب الثالث: ابن زبير الغرناطي 24

المطلب الرابع: بدر الدين بن جماعة 27

المطلب الخامس: أبو يحيى زكريا الأنصاري 29

الفصل الثاني: نبذة عن حياة الزجاج والزمخشري وابن جماعة **32**

المبحث الأول: السيرة الذاتية للزجاج 32
أولًا: التعريف به..... 32
ثانيًا: مولده ونشأته..... 32
ثالثًا: طلبه للعلم وشيوخه 33
رابعًا: تلاميذه..... 34
خامسًا: أقوال العلماء عنه 34
سادسًا: مؤلفاته 35
سابعًا: وفاته 36
المبحث الثاني: السيرة الذاتية للزمخشري 37
أولًا: التعريف به..... 37
ثانيًا: مولده ونشأته..... 37
ثالثًا: طلبه للعلم..... 38
رابعًا: تلاميذه..... 38
خامسًا: أقوال العلماء عنه 39
سادسًا: مؤلفاته 40
سابعًا: وفاته 41
المبحث الثالث: السيرة الذاتية لابن جماعة 42
أولًا: التعريف به..... 42
ثانيًا: مولده ونشأته..... 42
ثالثًا: طلبه للعلم..... 42
رابعًا: تلاميذه..... 43
خامسًا: أقوال العلماء عنه 46
سادسًا: مؤلفاته 46
سابعًا: وفاته 48
الفصل الثالث: أهمية الكتب الثلاث: كشف المعاني وتفسير الكشاف ومعاني القرآن وإعرابه 49
المبحث الأول: أهمية كتاب كشف المعاني لابن جماعة..... 49
أولًا: منهج الكتاب 49
ثانيًا: تأثره بالسابقين..... 51
ثالثًا: تأثيره فيمن بعده 54
المبحث الثاني: أهمية كتاب تفسير الكشاف للزمخشري..... 56
أولًا: منهج الكتاب 56
ثانيًا: تأثره بالسابقين..... 62
ثالثًا: تأثيره فيمن بعده..... 62

المبحث الثالث: أهمية كتاب معاني القرآن وإعرابه للزجاج 67
أولًا: منهج الكتاب 67
ثانيًا: تأثره بالسابقين 68
ثالثًا: تأثيره فيمن بعده 69
الفصل الرابع: دراسة متشابهات سورة البقرة 71
المبحث الأول: فضائل سورة البقرة 71
المبحث الثاني: تتبع الآيات المتشابهة في سورة البقرة 73
المبحث الثالث: المسائل الافتراضية في سورة البقرة 74
المسألة رقم 1: 74
المسألة رقم 2: 94
المسألة رقم 3: 112
المسألة رقم 4: 116
المسألة رقم 5: 125
المسألة رقم 6: 142
المسألة رقم 7: 150
المسألة رقم 8: 161
المسألة رقم 9: 162
المسألة رقم 10: 167
المسألة رقم 11: 174
المسألة رقم 12: 178
المسألة رقم 13: 181
المسألة رقم 14: 184
المسألة رقم 15: 190
المسألة رقم 16: 197
المسألة رقم 17: 201
المسألة رقم 18: 204
المسألة رقم 19: 207
المسألة رقم 20: 225
المسألة رقم 21: 228
المسألة رقم 22: 232
المسألة رقم 23: 238
المسألة رقم 24: 241
المسألة رقم 25: 252

المسألة رقم 26: 257
المسألة رقم 27: 261
المسألة رقم 28: 265
الفصل الخامس: دراسة متشابهات سورة آل عمران..... 274
المبحث الأول: فضائل سورة آل عمران..... 274
المبحث الثاني: تتبع الآيات المتشابهة في سورة آل عمران..... 275
المبحث الثالث: المسائل الافتراضية في سورة آل عمران 276
المسألة رقم 1: 276
المسألة رقم 2: 282
المسألة رقم 3: 289
المسألة رقم 4: 294
المسألة رقم 5: 299
المسألة رقم 6: 303
المسألة رقم 7: 311
المسألة رقم 8: 314
المسألة رقم 9: 318
المسألة رقم 10: 324
المسألة رقم 11: 333
المسألة رقم 12: 337
المسألة رقم 13: 342
المسألة رقم 14: 346
الخاتمة..... 353
قائمة المصادر والمراجع 355

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحدٌ، ثم الصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

وبعد،

أهمية الموضوع

يعد علم التشابه اللفظي القرآني من الحقول الخصبة للدراسة البلاغية والنحوية التي لاتزال بحاجة إلى تعمق وبحث دؤوب وذلك لخدمة كتاب الله، عزَّ، وجلَّ، مساعدةً للقائمين على حفظ كتاب الله في صدورهم وعقولهم، ومن العلماء الذين اهتموا بإلمام المتشابهات وجمعها في القرآن الكريم: محمود بن حمزة بن نصر الكرماني (ت 505هـ) الذي ألف كتابين هما "البرهان في توجيه متشابه القرآن" و "أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان"، الخطيب الإسكافي (ت 420هـ) صاحب كتاب "درة التنزيل وغرة التأويل"، ابن الزبير الغرناطي (ت 708هـ) والذي كتب "ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل"، شيخ الإسلام بدر الدين بن جماعة (ت 733هـ) والذي ألف "كشف المعاني في المتشابه من المثاني" وشيخ الإسلام أبي يحيى زكريا الأنصاري (ت 926هـ) صاحب كتاب "فتح الرحمن بكشف ما يلتمس في القرآن".

دوافع اختيار الموضوع

تبرز دوافع اختيار هذا الموضوع في النقاط التالية:

أولًا- أهمية الموضوع: إن تكرار الألفاظ وتشابهها في القرآن الكريم ليس خاليا من الفوائد، إنما جاء لمطابقة الكلام لمقتضى الحال وبفصاحة بالغة لتوصيل المعنى الذي يريده الله، عزَّ، وجلَّ. يقول الإسكافي: "إذا أورد الحكيم – تقدست أسماؤه- آية على لفظة مخصوصة، ثم أعادها في موضع آخر من القرآن، وقد

غيَّر لفظة عما كانت عليه في الأولى فلا بد من حكمة هناك تُطلب، إن أدركتموها فقد ظفرتم، وإن لم تدركوها فليس لأنه لا حكمة هناك، بل جهلتم"[1].

ثانيًا – ندرة الدراسات التي تجمع بين الدراسة البلاغية والدراسة النحوية في المتشابه اللفظي في القرآن الكريم. لذلك اعتنيت بتوجيه المتشابه اللفظي من جانبين: الجانب البلاغي والجانب النحوي من خلال الترتيب الذي أخرجه بن جماعة في كتابه "كشف المعاني في المتشابه من المثاني"، حيث إنه انفرد بفكرة تنظيمه الفريدة في تتبع الآيات المتشابهة في غالب سور القرآن ووضع كل متشابه على هيئة مسألة وجوابها وكل مسألة يستوفي كل الآيات المتشابهة ويخضع الجواب ثلاث نواحٍ: النقل واللغة والتدبر وإمعان النظر [2]. ولكن هذه المتشابهات تم دراستها من الناحية البلاغية فقط دون الناحية النحوية والإعرابية مع ملاك التأويل ودرة التنزيل بأبحاث عدة، والتي سنشير إليها في الدراسات السابقة.

ثالثًا – يتميز هذا الموضوع بالربط الكامل بين الدراسة النحوية والدراسة البلاغية في تراكيب الجمل والنظم القرآني في سورتي البقرة وآل عمران.

رابعًا – العديد من الأبحاث التي تناولت المتشابه اللفظي في سورتي البقرة وآل عمران لم تدرس كل المتشابهات مع مثيلتها من باقي سور القرآن، ولكن تكتفي بذكر بعض الآيات المتشابهة كأمثلة تطبيقية دون التطرق لبقية الآيات الأخريات.

أهداف البحث

هذا البحث المقدم يشتمل على ثلاثة أهدافٍ رئيسةٍ:

1. توجيه المتشابه اللفظي في سورتي البقرة وآل عمران عبر تجميع مسائل الآيات المتشابهات مستعينًا بكتاب "كشف المعاني في المتشابه من المثاني" واستقراء هاتين السورتين لجمع كل الآيات المتشابهات الخاصة بهما، والذي قام بهذا العمل كثير من العلماء السابقين في القرآن الكريم كله أو في بعض سوره، ونزيد علي ما قاموا به من استخراج بعض الآيات التي سقطت سهوًا من الكتب المتشابهات خاصً في سورتي البقرة وآل عمران.
2. تقديم الآية المتشابه على هيئة مسألة افتراضية والإجابة عنها.

[1] الخطيب الإسكافي، *درة التنزيل وغرة التأويل*، ص 10.
[2] بن جماعة، *كشف المعاني*، ص 63-64.

3. منهج الجواب يحتوي خمسة عناصر:
   أ. النقل
   ب. اللغة
   ت. التدبر وإمعان النظر
   ث. دراسة نحوية إعرابية للآية في سورتي البقرة وآل عمران ومتشابهاتها في السور الأُخر الاستعانة بكتاب "معاني القرآن وإعرابه" لأبي إسحاق الزجاج (ت: 311هـ)
   ج. دراسة بلاغية للآية في سورتي البقرة وآل عمران ومتشابهاتها في السور الأخرى بالاستعانة بكتاب "تفسير الكشاف – ومعه الانتصاف ومشاهد الإنصاف والكافي الشافي" للزمخشري (ت: 538هـ)

هذه النقاط الثلاث الأولى موجودة بالفعل في كتاب "كشف المعاني في المتشابه من المثاني"، وسنزيد عليه ما جاء في النقل واللغة والتدبر في الكتابين الأخيرين للزجاج والزمخشري.

مشكلة البحث

قد يواجه الباحث بعض المشاكل خلال البحث والتي تتمثل في هذه النقاط الآتية:

- الإلمام بالخمسة عناصر في منهج الجواب قد يطول البحث من حيث عدد الكلمات المحددة لرسالة الماجستير وزيادة سعة الملف الالكتروني في تحميل الرسالة في موقع الجامعة.
- صعوبة فهم بعض العبارات وتحليلها في الكتب التراثية باعتبار اللغة العربية لغة دقيقة وعميقة.
- كثرة القضايا النحوية التي اعتمد عليها الزجاج والمسائل البلاغية التي استخدمها الزمخشري وتداخلهما يحتاج إلى حذر شديد وزهن صاف لاستخلاص المعلومة المفيدة في البحث المقدم.

إشكالية البحث وأسئلته

توجد بعض الأسئلة يريد هذا البحث الإجابة عنها، وهي كالتالي:

- من هم بن جماعة والزمخشـــي والزجاج؟ وما أهم أعمالهم؟ وماذا قال أهل العلم عنهم؟ وكيف تأثروا بالعلماء السابقين؟ وما تأثيرهم على العلماء اللاحقين؟

- ما أهمية الكتب الثلاث كشـف المعاني لابن جماعة وتفسـير الكشـاف للزمخشـري ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج في علوم القرآن الكريم وكيف استفادة الأمة الإسلامية منهم؟
- ما الحكمة من تشابه بعض الآيات في سورتي البقرة وآل عمران مع غيرها؟
- ما المقصود بالمتشابه اللفظي في القرآن الكريم، وأين يكمن سر الإعجاز البلاغي والنحوي في التشابه والاختلاف في آيات سورتي البقرة وآل عمران؟

الدراسات السابقة

تعددت الدراسات السابقة في التشابه اللفظي في القرآن الكريم بشكل ملحوظ لأهمية هذا المبحث لمعرفة مراد الله - عز وجل - من تكرار الألفاظ القرآنية، ويمكن تقسيم الدراسات السابقة إلى ثلاثة محاور:

أولًا: المتشابه اللفظي في القرآن الكريم

1. توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم بين تفسير الرازي وتفسير الألوسي (دراسة مقارنة) - ريم عبد الفتاح مصطفى البحيري -2020م [1]
2. المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وتوجيهه دراسة موضوعية - محمد بن راشد البركة – 1425هـ [2]
3. توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين، أحمد الغرناطي وفاضل السامرائي - دراسة مقارنة - محمد رجائي أحمد الجبالي – 2012م [3]
4. توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم - دراسة مقارنة بين الزمخشري وعبد الله بن فوزي - آدم بللو – 2014م [4]
5. توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم عند ابن الزبير الغرناطي (ت: 708هـ) وابن جماعة الدمشقي (ت: 733هـ) - دراسة مقارنة من سورة الدخان إلى سورة الناس - ريم بنت سكران بن فيض الرويلي – 1437هـ [5]
6. المتشابه اللفظي في القرآن الكريم تصنيفه وعلله - باسم حسين أحمد الذنيبات – 2004م [6]

ثانيًا: دراسة بلاغية لمتشابهات القرآن

---

[1] البحيري، "توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم بين تفسير الرازي والألوسي - دراسة مقارنة."
[2] البركة، "المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وتوجيهه - دراسة موضوعية."
[3] الجبالي، "توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين، أحمد الغرناطي وفاضل السامرائي - دراسة مقارنة."
[4] بللو، "توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم - دراسة مقارنة بين الزمخشري وعبد الله بن فوزي."
[5] الرويلي، "توجيه المتشـابه اللفظي في القرآن الكريم عند ابن الزبير الغرناطي (ت: 708هـ) وابن جماعة الدمشـقي (ت: 733هـ) - دراسـة مقارنة من سورة الدخان إلى سورة الناس."
[6] الذنيبات، "المتشابه اللفظي في القرآن الكريم تصنيفه وعلله."

1. البلاغة القرآنية في الآيات المتشابهات من خلال كتاب (ملاك التأويل) لابن الزبير الغرناطي - إبراهيم بن عبد العزيز الزيد – 1993م [1]
2. المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية - صالح بن عبد الله الشثري - 2001م [2]
3. المتشابه اللفظي في القرآن الكريم دراسة نقدية بلاغية - مشهور موسى مشهور مشاهرة - 2009م [3]
4. بلاغة التشابه اللفظي في سورة آل عمران - منى بنت فهد أحمد النصر – 2017م [4]

ثالثًا: دراسة دلالية نحوية في متشابهات القرآن

1. التقديم والتأخير في آيات القرآن المتشابهة لفظًا-دراسة لغوية دلالية - سرمد طه حميد - 2012م [5]
2. تحول البنى النحوية بين التذكير والتأنيث في الآيات المتشابهة في القرآن الكريم - أرياف غازي جمال خليفة – 2011م [6]
3. المتشابهات في القرآن الكريم - دراسة دلالية - سورة البقرة أنموذجًا - هاجر بوزيان وخولة بن قاوقاو– 2022م [7]

كما نرى من هذه المحاور، أن توجيه التشابه اللفظي في القرآن الكريم تمت في دراسات مقارنة بين ابن الزبير الغرناطي وابن جماعة وفاضل السامرائي وبين كتب التفاسير مثل الكشاف للزمخشري وتفسير الرازي وتفسير الألوسي والتي كانت تركز على الانتقاء في الغالب مع تقديم بعض النماذج كأمثلة تطبيقية مع التحليل البلاغي أو الدلالي أو النحوي. لم أقف – بحسب ما تيسّر لي من مراجعة المصادر والدراسات السابقة – على دراسة علمية متكاملة تناولت المتشابهات بين سورتي البقرة وآل عمران من زاويتَي التحليل البلاغي والنحوي في آنٍ واحد؛ إذ إنّ أغلب الدراسات المتوفرة تقتصر على أحد الجانبين دون الآخر، فإما أن تُعنى بالتحليل البلاغي دون التعمق في البنية النحوية، أو تركز على الجوانب النحوية دون استحضار الأبعاد البلاغية.

[1] الزيد، "البلاغة القرآنية في الآيات المتشابهات."
[2] الشثري، "المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية."
[3] مشاهرة، "المتشابه اللفظي في القرآن الكريم - دراسة نقدية بلاغية."
[4] النصر، "بلاغة التشابه اللفظي في سورة آل عمران.
[5] حميد، "التقديم والتأخير في آيات القرآن المتشابهة لفظًا - دراسة لغوية دلالية."
[6] خليفة، "تحول البنى النحوية بين التذكير والتأنيث في الآيات المتشابهة في القرآن الكريم."
[7] بوزيان و بن قاوقاو، "المتشابهات في القرآن الكريم دراسة دلالية- سورة البقرة أنموذجًا."

حدود البحث

سيكون حدود البحث في دراسة متشابهات سورتي البقرة وآل عمران، حيث نبدأ بسورة البقرة واستخراج المتشابهات منها مع سورة آل عمران وباقي وسور القرآن، ثم ندرس متشابهات سورة آل عمران مع سورة البقرة أولًا دون تكرار ما ذكرت في متشابهات سورة البقرة ثم مع السورة نفسها، ثم باقي سور القرآن، ونحرص في ذلك على ترتيب السور حسب ما جاء في القرآن الكريم.

منهج البحث:

تعتمد منهجية البحث على المنهج التحليلي المعتمد على تراث علماء المتشابه وبالأخص ابن جماعة في إنشاء مسائل فرضية لتستوفي كل الآيات المتشابهة التي جاءت في كتابه كشف المعاني، ودراسة تلك الآيات المتشابهات من حيث التدبر والدراسة البلاغية والدراسة النحوية مستعينًا بتفسير الكشاف للزمخشري ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج.

مصطلحات البحث

يعتبر التشـــابه اللفظي أحد أهم وجوه الإعجاز القرآني، ويعرف بأنه اتفاق آيات القرآن الكريم من حيث الألفاظ واختلافها من حيث المعنى والدلالة، وسنعرض بعض المفاهيم الخاصة بالبحث فيما يلي:

أ. المفهوم اللغوي للمتشابه:

ورد في مقاييس اللغة أصل المتشابه من (شبه) "الشِّينُ وَالْبَاءُ وَالْهَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى تَشَابُهِ الشَّيْءِ وَتَشَاكُلِهِ لَوْنًا وَوَصْفًا. يُقَالُ شِبْهٌ وَشَبَهٌ وَشَبِيهٌ.وَالشَّبَهُ مِنَ الْجَوَاهِرِ :الَّذِي يُشْبِهُ الذَّهَبَ .وَالْمُشَبِّهَاتُ مِنَ الْأُمُورِ :الْمُشْكِلَاتُ. وَاشْتَبَهَ الْأَمْرَانِ، إِذَا أَشْكَلَا"[1]. وفي لسان العرب ذُكر الشبه أنه "الشُّبْهُ والشَّبَهُ والشَّبِيهُ وهو المِثْلُ، والجمع أَشْبَاهٌ. وأَشْبَهَ الشيءُ الشيءَ: ماثَلَه. وفي المَثَلِ: من أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَم" [2]. كما ذُكِر أيضًا "وشَبَّهه إِياه وشَبَّهَه بِهِ مَثَّلَهُ .والمُشْتَبِهاتُ مِنَ الأُمور :المُشْكِلاتُ .والمُتَشابِهاتُ :المُتَماثِلاتُ. وتَشَبَّهَ فلانٌ بِكَذَا .والتَّشْبِيهُ :التَّمْثِيلُ " [3]

[1] أبي الحسين، *معجم مقاييس اللغة*، جـ 3، ص 243.
[2] ابن منظور، *لسان العرب*، جـ 13، ص 503.
[3] ابن منظور، *لسان العرب*، جـ 13، ص 503.

ب. المفهوم الاصطلاحي للمتشابه:

عرفه الزركشي في البرهان في علوم القرآن بأن المتشابه هو ما يكثر في إيراد القصص والأنباء، وحكمته التصرف في الكلام، وإتيانه على ضروب ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك مبتدأً به ومتكررًا [1]. وعرفه الكرماني بأن المتشابه اللفظي هو "الآيات المتشابهات التي تكررت في القرآن وألفاظها متفقة، ولكن وقع في بعضها زيادة أو نقصان، أو تقديم أو تأخير أو إبدال حرف مكان حرف، أو غير ذلك مما يوجب اختلافًا بين الآيتين أو الآيات التي تكررت" [2].

خطة البحث

قد قسم البحث إلى خمسة فصول، وتحت كل منها مباحث، يسبقها تمهيد ومقدمة وينتهي بالخاتمة وقائمة المصادر والمراجع.

هيكل البحث

الفصل الأول: معنى المتشابه اللفظي وأهميته.

المبحث الأول: المتشابه في اللغة.

المبحث الثاني: المتشابه في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: تراث أهل العلم في توجيه المتشابه.

الفصل الثاني: نبذة عن حياة الزجاج والزمخشري وابن جماعة.

المبحث الأول: السيرة الذاتية للزجاج.

المبحث الثاني: السيرة الذاتية للزمخشري.

المبحث الثالث: السيرة الذاتية لابن جماعة.

الفصل الثالث: أهمية الكتب الثلاث معاني القرآن وإعرابه وتفسير الكشاف وكشف المعاني.

المبحث الأول: (معاني القرآن وإعرابه) للزجاج، تأثره بالسابقين وتأثيره على بعض المؤلفات.

المبحث الثاني: (تفسير الكشاف) للزمخشري، تأثره بالسابقين وتأثيره على بعض المؤلفات.

---

[1] الزركشي، *البرهان*، جـ 1، ص 112.

[2] الكرماني، *البرهان*، ص 19-20.

المبحث الثالث: (كشف المعاني) لابن جماعة، تأثره بالسابقين وتأثيره على بعض المؤلفات.

الفصل الرابع: دراسة متشابهات سورة البقرة.

المبحث الأول: فضائل سورة البقرة.

المبحث الثاني: تتبع الآيات المتشابهة في سورة البقرة.

المبحث الثالث: المسائل الافتراضية في سورة البقرة.

الفصل الخامس: دراسة متشابهات سورة آل عمران.

المبحث الأول: فضائل سورة آل عمران.

المبحث الثاني: تتبع الآيات المتشابهة في سورة آل عمران.

المبحث الثالث: المسائل الافتراضية في سورة آل عمران.

الخاتمة: وفيها ما انتهى إليه البحث من النتائج.

الفصل الأول: معنى المتشابه اللفظي وأهميته

في هذا الفصل سنتعرض إلى معنى التشابه اللفظي وأهميته من خلال ثلاثة مباحث رئيسة: المبحث الأول والذي سيعرض المتشابه في اللغة، والمبحث الثاني والذي سيناول المتشابه في القرآن الكريم، والمبحث الثالث الذي سيعرض تراث أهل العلم في توجيه المتشابه.

المبحث الأول: المتشابه في اللغة

في هذا المبحث سنتعرف على المتشابه في اللغة وذلك من خلال تعريف المتشابه اللفظي في اللغة وفي الاصطلاح كما هو مبين كالآتي:

أولًا: تعريف المتشابه اللفظي في اللغة

مصطلح "المتشابه اللفظي" يتكون من كلمتين المتشابه واللفظي ويحتاج إلى تعريف كل منهما كما يأتي:

أولًا - المتشابه:

جاء في القاموس المحيط أنَّ الشَّبْه أي المِثْل وجمعها أشباهٌ، وشابهه وأشبهه أي ماثَلَه، وتشابها واشتبها أي أشبه كل منهما الآخر حتى التبسا. وشبهه إياه وبه تشبيهًا أي مثّلَه. وأمور مُشتْبَهة ومُشَبَّهَةٌ كمعظمة أي مشكلة. والشُّبهة (بالضم) أي الالتباس والمِثْل. وشُبِّه عليه الأمر تشبيهًا أي لُبِّس عليه [1]. كما ورد في لسان العرب أنَّ الشَبَه والتي تشمل الأحرف الثلاث وهي الشين والباء والهاء تتمثل في الشَّبَه والشِّبْه والشَّبِيه ويعني المِثْل والجمع أشباه، وأَشْبَه الشيءُ الشيءَ يعني ماثَله. وفي المَثَل من أَشْبَه أباه فما ظلمه، وأشبه الرجلُ أمَّه إذا عَجَزَ وضَعُفَ. والمُشتبِهات من الأمور أي المشكلات. وشَبَّه عليه أي خلط عليه الأمر حتى اشتبه بغيره [2]. وهناك سبع تصريفات وردت في القرآن وهي تشمل: شُبِّه – مُشْتبهًا – تَشَابه – تَشَابَهَت – مُتَشَابه – مُتَشَابهًا – مُتَشَابهات [3].

---

[1] الفيروزآبادي، *القاموس المحيط*، ص 1247، "باب الهاء فصل الشين."
[2] ابن منظور، *لسان العرب*، ج 13، ص 503-504، "باب الهاء، فصل الشين المعجمة."
[3] مجمع اللغة العربية، *معجم ألفاظ القرآن الكريم*، ج 1، ص 617، "باب الشين."

روى أبو العباس عن ابن الأعرابي [1] أنه قال: شَبِّه الشيءُ: إذا أَشْكَل، وشَبَّه: إذا ساوى بين شيء وشيء. قال وسألته عن قوله: ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ [2]، فقال: ليس من الاشتباه المُشْكِل، إنما هو من التشابه الذي هو بمعنى الاشتباه.

وقد وافق هذا ما قاله ابن فارس في كتابه مقاييس اللغة، حيث إن (شبه) أصل واحدٌ يدل على تشابه الشيء وتشاكله لونًا ووصفًا. ويقال شبه وشبه وشبيه. والشبه من الجواهر الذي يشبه الذهب، والمشبهات من الأمور أي المشكلات واشتبه الأمران إذا أشكلا [3].

مما سبق ذكره من كلام أهل اللغة، فإن معاني التشابه تنحصر في معنيين: الأول وهو التماثل والتساوي، والثاني ويشمل الالتباس والخلط والإشكال.

وهناك فرق لغوي بين معاني الشبه والذي أشار إليه أبو هلال العسكري في كتابه معجم الفروق اللغوية [4]. هذه الفروق ملخصة كالآتي:

الفرق بين الشبه والشبيه: أن الشبه أعم من الشبيه، ويُستعمَل الشبه في كل شيء، وقلما يستعمل الشبيه إلا في المتجانسين، ومثال على ذلك: زيد يشبه الأسد، وزيد شبيه عمرو.

الفرق بين الشبه والشكل: أن الشبه يكون في الكيفية، وأن الشكل يكون في الهيئة والصورة والمساحة والقدر، والتساوي في الكمية فقط، والمثل عام في ذلك كله.

الفرق بين الشبه والمثل: أن الشبه يستعمل فيما يشاهد، فيقال السواد شبه السواد ولا يقال القدرة كما يقال مثلها. وليس في الكلام شيء يصلح في المماثلة إلا المثل والكاف، أما الشبه والنظير فهما من جنس المثل، كما في هذا المثال: قال الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [5]، فالكاف والمثل نفيا المماثلة الشبه عن نفسه، وذلك تأكيدٌ للنفي.

الفرق بين الشكل والمثل: أن الشكل هو الذي يشبه الشيء في أكثر صفاته حتى يشكل الفرق بينهما، ويجوز أن يقال إن اشتقاقه من الشكل وهو الشمال واحد الشمائل، فيقول شاكل الشيءُ الشيءَ أنه أشبهه في شمائله، ولا يستعمل الشكل إلا في الصور كما في هذا المثال: "هذا الطائر شكل هذا الطائر".

---

[1] الحموي، معجم *الأدباء*، ج 6، ص 2530.

[2] سورة البقرة: 25 (جزء من الآية)

[3] أبي الحسين، معجم *مقاييس اللغة*، ج 3، ص 324.

[4] ابو هلال العسكري، *الفروق في اللغة*، ص 292-294، 304.

[5] سورة الشورى: 11

ثانيًا - اللفظي:

اللفظي نسبة إلى اللفظ وهو بمعنى المفعول أي الملفوظ، كما أنه في الأصل مصدر؛ يقال: لَفَظَ، يَلْفِظُ، لَفْظًا. ولفظ الكلام وتلفظ به أي تكلم [1]. واللام والفاء والظاء كلمة صحيحة تدل على طَرْح الشيء وغالبًا ما يكون من الفم، فتقول: لَفَظَ بالكلام يَلْفِظُ لَفْظًا. ولَفَظْتُ الشيءَ من فمي. واللّافِظَة: الديك ويقال الرحى، والبحر[2]. وذكر في معجم ألفاظ القرآن الكريم أن معنى لفظ القول وبالقول أي نطق به [3] وذلك تفسيرًا للآية الكريمة: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[4].

ثانيًا: تعريف المتشابه اللفظي في الاصطلاح

بعض العلماء مثل الكرماني في كتابه البرهان في توجيه متشابه القرآن لم يذكر تعريف المتشابه اللفظي في القرآن الكريم صراحةً، ولكن أشار إليه بطريقة استنباطه لمتشابهات القرآن في مقدمة كتابه وهي كالتالي:

"الآيات المتشابهات التي تكررت في القرآن وألفاظها متفقة، ولكن وقع في بعضها زيادة أو نقصان، أو تقديم أو تأخير، أو إبدال حرف مكان حرف، أو غير ذلك مما يوجب اختلافًا بين الآيتين أو الآيات التي تكررت من غير زيادة ولا نقصان." [5]

وكذلك لم يعرف الإسكافي المتشابه اللفظي، ولكنه أشار إليه في مقدمة كتابه بالآيات المتكررة بالكلمات المتفقة والمختلفة، وحروفها المتشابهة المنغلقة والمنحرفة، ثم علل سبب النظر في هذه المتشابهات وذلك طلبًا لعلامات ترفع لبس إشكالها، وتخص الكلمة بآيتها دون أشكالها [6].

أما في كتاب المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية، فقد عرف الشيخ صالح بن عبد العزيز علم التشابه - في كلمة الكتاب – "بأنه علم يبحث في الآيات الكريمة التي تكررت في موضوع معين من موضوعات الكتاب العزيز، بيد أنها وردت بألفاظ متشابهة وأساليب متنوعة في التقديم والتأخير، والذكر والحذف، والتعريف والتنكير، والإفراد والجمع، والإيجاز والإطناب؛ وذلك لغرض بلاغي منشود أو معنى دقيق يراد

---

[1] ابن منظور، *لسان العرب*، ج 7، ص 461.

[2] أبو الحسين، معجم *مقاييس اللغة*، ج 7، ص 259 ، "باب اللام والفاء وما يثلثهما."

[3] مجمع اللغة العربية، معجم *ألفاظ القرآن الكريم*، ج 1، ص 1013، "باب اللام."

[4] سورة ق: 18

[5] الكرماني، *البرهان*، ص 19.

[6] الخطيب الإسكافي، *درة التنزيل وغرة التأويل*، ص 12.

تقريره" [1]. أما مؤلف الكتاب نفسه فقد عرف المتشابه اللفظي بأنه "الآيات التي تكررت في القرآن الكريم، في القصة الواحدة من قصص القرآن أو موضوعاته، في ألفاظ متشابهة، وصور متعددة، وفواصل شتى، وأساليب متنوعة، تقديمًا وتأخيرًا، وذكرًا وحذفًا، وتعريفًا وتنكيرًا، وإفرادًا وجمعًا، وإيجازًا وإطنابًا، وإبدال حرف بحرف آخر، أو كلمة بكلمة أخرى ونحو ذلك – مع اتفاق المعنى العام – لغرض بلاغي، أو لمعنى دقيق يراد تقريره، لا يدركه إلا من آتاه الله علمًا وفهمًا لأسرار كتابه، وهي بحق كنز من كنوز إعجازه، وسر من أسرار بيانه" [2].

وعرف الدكتور إبراهيم الزيد المتشابه اللفظي بطريقة مختصرة بأنه عبارة عن الآيات التي تكررت في القرآن وألفاظها متفقة في غالبها، لكن وقع في بعضها زيادة أو نقص، أو تقديم أو تأخير أو نحو ذلك [3].

أما كتاب كشف المعاني في المتشابه من المثاني، والذي أعتمد عليه في رسالتي فقد جاء تعريف المتشابه اللفظي بطريقتين مختلفتين:

1. من مؤلف الكتاب نفسه، وهو ابن جماعة، حيث إنه لم يعرفها صراحةً، ولكن استعان بخصائصها كالآتي: ألفاظ مختلفة ولها معانٍ مكررة، وعبارات متنوعة من خلال تقديم وتأخير، وزيادات ونقصان، وبديع وبيان، وبسط واختصار، وتعويض حروف بحروف أخرى [4].
2. ومن محقق الكتاب والذي عرفه بشكل مبسط: أن المتشابه اللفظي هو أن يتكرر مجيء الآيات في القصة الواحدة من قصص القرآن، أو موضوعاته في ألفاظ متشابهة وصور متعددة، وفواصل شتى، وأساليب متنوعة مع اتحاد المعنى لغرض بلاغي [5].

ويمكن تحليل المتشابه اللفظي في القرآن بأنه

1. آيات: أي في القرآن الكريم وخرج به ما تكرر في غير القرآن الكريم
2. مكررة: أي متشابهة ولها نظائر ويعد قيد أغلبي، ربما يقع التشابه مع عدم وجود نظير مثل حركات الكلمات

---

[1] الشثري، "المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية"، ص 6.

[2] الشثري، "المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية"، ص 12.

[3] الزيد، "البلاغة القرآنية في الآيات المتشابهات"، ص 34.

[4] ابن جماعة، *كشف المعاني*، ص 80.

[5] ابن جماعة، *كشف المعاني*، ص 45.

3. في اللفظ: أي في لفظ الكلمة وليس معناها، على أن تكون الكلمة مرتبة بنفس الحروف والألفاظ في نفس السورة أو في سور أخرى
4. لها صور متعددة: أي لها أساليب متعددة كالتي ذكرت من قبل، مثل: تقديم وتأخير، وزيادات ونقصان، وبديع وبيان، وبسط واختصار، وتعويض حروف بحروف أخرى.

المبحث الثاني: المتشابه في القرآن الكريم

هناك أنواع كثيرة تندرج من المتشابه الوارد في القرآن الكريم ويمكن تقسيمها إلى معاني "شَبَهَ" وتنويعات "التشابه" في القرآن الكريم.

أولًا: معاني "شَبَهَ" في القرآن الكريم

وردت مادة "شَبَهَ" في القرآن إحدى عشرة مرة في تسع آيات من ست سورٍ على سبع "صِيَغ"، وهي تحمل معانٍ مختلفة في طياتها على حسب السياق، كما هو موضح كالآتي:

1. قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: 25]

في موسوعة التفسير المأثور[1] ، أن ابن جرير[2] رجح أن التشابه في ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ يكون في اللون والمرآة والمنظر، أما ويختلف الطعم والذوق. وقالا يحيى بن سعيد[3] عن ابن أبي نجيح[4] أنَّ التشابه يكون في اللون والطعم.

وقال قتادة [5] من طريقين مختلفين: أنّ كله خِيارٌ لا رَذْلَ فيه بمعنى أنّ ثمارَ الدنيا يُنتَقَى منها ويُرْذَل منها، وثمارَ الجنة خِيار كله لا يرذل منه شيء (طريق سعيد)، وأن التشابه يعني يشبه ثمار الدنيا، غير أنّ ثمر الجنة أطيب (طريق مَعْمَر).

---

[1] السيوطي، *الدر المنثور*، جـ 2، ص 173.

[2] هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري أبو جعفر، الإمام المجتهد، صاحب التصانيف، إمام المفسرين والمؤرخين، من أهل آمُل طبرستان، ولد سنة 224هـ. استوطن بغداد وتوفي بها سنة 311هـ، ومن أشهر كتبه: "جامع البيان في تأويل آي القرآن". انظر: الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، جـ 14، ص 267.

[3] هو يحيى بن سعيد بن قيس بن فهد، أبو سعيد الأنصاري، الخزرجي، النجاري، المدني، القاضي. مولده قبل السبعين، زمن ابن الزبير. وهو الإمام العلامة المجود، عالم المدينة في زمانه وشيخ عالم المدينة وتلميذ الفقهاء السبعة. توفي بالهاشمية وكان قاضيًا لأبي جعفر. انظر: الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، جـ 5، ص 468.

[4] هو عبد الله بن أبي نجيح يسار أبو يسار الثقفي المكي، الإمام، الثقة، المفسر. حدث عن مجاهد وطاووس وعطاء ونحوهم، وحدث عنه شعبة والثوري، وعبد الوارث، وسفيان بن عيينة، آخرون. انظر: الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، جـ 6، ص 125.

[5] هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي، البصري، الأكمه الضرير. وسَدُوس هو ابن شيبان بن ذُهْل بن ثعلبة من بكر بن وائل. ولد سنة 60هـ. كان من أوعية العلم وممن يضرب به المثل في قوة الحفظ، وهو رأس في الحديث والتفسير والخلاف، وعداده من صغار التابعين. انظر: الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، جـ 6، ص 269.

2. قوله تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 70]

قال أبو جعفر ابن جرير الطبري بأن تأويل (تشابه علينا)، فإنه يعني، التبس علينا[1].

3. قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: 118]

قال الطبرسي[2] في تفسير ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي أشبه بعضها بعضًا في الكفر والقسوة والاعتراض على الأنبياء من غير حجة والتعنت والعناد، كقول اليهود لموسى أنا الله جهرة وقول النصارى للمسيح ابن مريم أنزل علينا مائدة من السماء وقول العرب لنبينا محمد ﷺ حوّل لنا الصفا ذهبًا. وفسره السمعاني [3] بأن القلوب تشبه بعضها بعضًا في القسوة وطلب المحال.

4. قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: 7]

ذكر في موسوعة التفسير المأثور اختلاف أهل التأويل في ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ والتي تم تلخيصها في النقاط الآتية [4]:

1. المنسوخ الذي لا يُعْمَل به ويُؤْمَن به أي ما نُسِخَ وتُرِكَ يُتْلَى
2. المنسوخات التي لا يُدان بهن
3. المتشابه حروف التهجي في أوائل السور
4. آيات متشابهات في الصدق، لهن تصريف، وتحريف، وتأويل، ابتلى الله فيهن العباد كما ابتلاهم في الحلال والحرام، لا يُصْرَفْنَ إلى الباطل، ولا يُحَرَّفْنَ عن الحق
5. هي آيات منسوخة، ومقدمة، ومؤخرة، وأمثاله، وأقسامه، وما يُؤْمَن به ولا يُعْمَل به

---

[1] الطبري، *تفسير الطبري*، ج 2، ص 210.

[2] الطبرسي، *مجمع البيان*، ج 2، ص 310.

[3] نخبة من كبار العلماء، *المتخصر في التفسير*، ص 132.

[4] السيوطي، *الدر المنثور*، ج 5، ص 29-31.

6. آيات في القرآن يتشابهن على الناس إذا قرأوهن، ومن أجل ذلك يَضِلُّ من ضَلَّ، فكل فرقة يقرءون آية من القرآن يزعمون أنها لهم.
7. يُصَدِّق بعضه بعضًا.
8. لم يُفَصَّل فيهن القول كفصله في المحكمات، تتشابه في عقول الرجال ويتخالَجُها التأويل، فابتلى الله فيها العباد كابتلائهم في الحلال والحرام.
9. المتشابهات هي هؤلاء الكلمات الأربع (الم، المص، المر، الر) شُبّه على اليهود كم تملك هذه الأمة من السنين.

5. قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: 157]

﴿وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ أي أُلقي عليه شَبَهُ عيسى أي تحول في صورة عيسى بعد الذي كان من صورة نفسه[1].

6. قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۗ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: 99]

تفسير ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ باختلاف التأويل ملخصة كالآتي [2]:

أ. متشابهًا في ورقه، مختلفًا ثمرُه

ب. متشبهًا ورقها في المنظر، يشبه ورق الزيتون وورق الرمان وغير متشابه في اللون ومختلف في الطعم.

ت. أي متشابه في طعمه ولونه وغير متشابه.

7. قوله تعالى: ﴿۞ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۚ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ۖ وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: 141]

---

[1] السيوطي، *الدر المنثور*، ج 3، ص 210.

[2] مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي.، *موسوعة التفسير المأثور*، ج 7، ص 232.

تفسير ﴿مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ يماثل تفسير الآية السابقة والتي تختصر في [1]: متشابهًا ورقها في النظير، يشبه ورق الزيتون وورق الرمان وغير متشابه ثمرها وطعمها، وهما متشابهان في اللون مختلفان في الطعم.

8. قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: 16]

جاء تفسير ﴿فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ [2] أي تشابه ما خلقت الآلهة والأصنام، وما خلق الله عليهم، فإنهم لا يقدرون أن يخلقوا، فكيف يعبدون ما لا يخلق شيئًا، ولا يملك، ولا يفعل كفعل الله ﷻ.

9. قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: 23]

جاء تفسير ﴿كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ﴾ كالآتي [3] باختصار باختلاف التأويل:

أ. القرآن يُشبِهُ بعضه بعضًا، ويَرُدّ بعضه إلى بعضٍ.

ب. متشابهًا أي يفسّر بعضه بعضًا، ويدل بعضه على بعضٍ.

ت. متشابهُ حلاله وحرامه، لا يختلف شيء منه، الآية تشبه الآية، والحرف يشبه الحرف.

ث. المتشابه يشبه بعضه بعضًا.

ويمكن تلخيص معاني مادة "شَبَهَ" في القرآن إلى معنيين: التماثل أو التشابه الخفيف، والالتباس أو الإشكال أو التشابه الشديد. حيث إن الأول يكون التماثل في حالة مع الاختلاف في غيرها من الأحوال من جهة الكيفية كاللون والطعم وكالعدالة والظلم، والكفر والقسوة، والغي والجهالة، والثاني وهو ما أشكل تفسيره لمشابهته بغيره؛ إما من حيث اللفظ أو من حيث المعنى فحصل الالتباس لشدة الشبه والتماثل.

[1] مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي.، *موسوعة التفسير المأثور*، جـ 8، ص 538.
[2] مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي.، *موسوعة التفسير المأثور*، جـ 12، ص 83.
[3] مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي.، *موسوعة التفسير المأثور*، جـ 15، ص 212-213.

ثانيًا: أنواع "التشابه" في القرآن الكريم

تعدد أنواع التشابه في القرآن بشكل لافت، ويمكن تصنيفها إلى أربع مصنفات:

المصنف الأول: من حيث كونه وصفًا لجميع القرآن أو بعضه

وهذا التشابه ينقسم إلى تشابه عام، وتشابه خاص. فالتشابه العام هو الذي يصح وصف القرآن بجميعه، كما جاء في قول الله تعالى ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ...﴾ [الزمر: 23]؛ فوصف القرآن جميعه بالمتشابه الذي عمّ به جميع القرآن. وبذلك المراد من هذا السياق التماثل ونفي الاختلاف والتضاد عنه. أما التشابه الخاص هو الذي يختص به بعض القرآن دون بعض، فيشمل المحكم والمتشابه، كما في قول الله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ...﴾ [آل عمران: 7].

المصنف الثاني: أنواع التشابه في القرآن اصطلاحًا

اتفق بعض الباحثين – الذي ذكروه في مقدمة بحثهم [1] – على تقسيم مصطلح "المتشابه في القرآن" إلى المتشابه اللفظي والمتشابه المعنوي. فالنوع الأول هو الذي يبحث في تشابه ألفاظ القرآن الكريم والذي هو مقصد البحث. والنوع الثاني هو الذي يقابل المحكم ويتواجد بكثرة في القرآن الكريم أكثر من المتشابه اللفظي.

المصنف الثالث: أضرب التشابه في مفردات القرآن

المتشابه في مفردات القرآن [2] تنقسم إلى ثلاثة أضرب:

1. متشابه من جهة اللفظ فقط، منها نوعان: (أ) ما يرجع إلى الألفاظ المفردة: وينقسم إلى نوعين: ألفاظ تعود إلى الغرابة، وألفاظ تعود إلى الاشتراك. (ب) خاص بجملة الكلام المركّب سواء لاختصار الكلام، وبسطه، ونظمه.

---

[1] انظر: الشثري، "المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية"، ص 3-5; الزيد، "البلاغة القرآنية في الآيات المتشابهات"، ص 34-35; البركة، "المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وتوجيهه - دراسة موضوعية"، ص 28-29.

[2] الراغب الأصفهاني، *مفردات ألفاظ القرآن*، ص 359-361.

2. متشابه من جهة المعنى فقط.
3. متشابه من جهتهما، ولها خمسة أنواع: (أ) من جهة الكمية كالعموم والخصوص، (ب) من جهة الكيفية كالوجوب والندب، (ت) من جهة الزمان كالناسخ والمنسوخ، (ث) من جهة المكان والأمور التي نزلت فيها كمعرفة عادات الجاهلية، (ج) من جهة الشروط التي يصح بها الفعل ويفسد كشروط الصلاة والنكاح.

المصنف الرابع: أضرب التشابه من حيث إمكان العلم به

ويمكن تقسيم المتشابه إلى ثلاثة أضرب [1]:

1. المتشابه الحقيقي: ما لا سبيل للوقوف عليه؛ كوقت الساعة ونحوه من المغيبات.
2. المتشابه النسبي أو الإضافي: ما للإنسان إلى معرفته سبيل؛ كالألفاظ الغريبة والأحكام الغَلِقة.
3. المتشابه الخفي: متردد بين الأمرين؛ يجوز أن يختص بمعرفة حقيقته بعض الراسخين في العلم ويخفى على من دونهم.

إشارة إلى كون هذا التنوع مبنيًّا على قول السلف في معنى "التأويل" في قول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: 7] .اتفق أهل العلم بإدخال الثالث في الثاني؛ إذ لا وجه ظاهر لفصله.

[1] الراغب الأصفهاني، *مفردات ألفاظ القرآن*، ص 361.

المبحث الثالث: تراث أهل العلم في توجيه المتشابه

في هذا المبحث، سنعرض أهل العلم السابقين في هذا المجال ألا وهو المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، والذي هو مجال البحث، وسنعرض نبذة مختصرة عن حياتهم وقضاياهم في مطلب منفردٍ لكل منهم، وهم كالآتي:

1. الخطيب الإسكافي (ت 420هـ) صاحب كتاب "درة التنزيل وغرة التأويل".
2. محمود بن حمزة بن نصر الكرماني (ت 505هـ) الذي ألف كتابين هما "البرهان في توجيه متشابه القرآن" و "أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان".
3. ابن الزبير الغرناطي (ت 708هـ) والذي كتب "ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل".
4. شيخ الإسلام بدر الدين بن جماعة (ت 733هـ) والذي ألف "كشف المعاني في المتشابه من المثاني".
5. شيخ الإسلام أبي يحيى زكريا الأنصاري (ت 926هـ) هو صاحب كتاب "فتح الرحمن بكشف ما يلتمس في القرآن".

المطلب الأول: الخطيب الإسكافي

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي الرازي [1] ، من أهل أصبهان ولُقِّب بالأصبهاني وبالرازي نسبة إلى موطنه الأصلي أصبهان والري والتي تولى فيها الخطابة، وكان إسكافًا (أي صانع الأحذية ومصلحها)[2]، عالم بالأدب واللغة كما وصفه السيوطي (ت 911هـ) بالأديب اللغوي، حبب إليه العلم، فكان معاصرًا للصاحب بن عباد (ت 385هـ) [3] ومن أصحابه، وكان يحب العزلة.

أ. آثاره العلمية

له مؤلفات متنوعة بعضها في اللغة والأدب وبعضها في التفسير وعلوم القرآن، مثل:

1. غلط كتاب العين
2. كتاب الغرة في غلط أهل الأدب

---

[1] كحالة، *معجم المؤلفين*، جـ 10، ص 212; نويهض، *معجم المفسرين: من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر*، جـ 2، ص 558.

[2] ابن منظور، *لسان العرب*، جـ 3، ص 217.

[3] عبد اللطيف، *موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي*، 96:جـ 10، ص 234.

3. نقد الشعر
4. شواهد كتاب سيبويه
5. مبادئ اللغة ويشمل ذكر السماء والكواكب، أسماء الأبراج والأزمنة، وصفة الحر والبرد، وأسماء الرعد والبرق، وغيرها ...
6. درة التنزيل وغرة التأويل
7. لطف التدبير في سياسة الملوك ويشمل أخبار الملوك والأمراء السابقين وسياستهم في حكم بلاد المسلمين.

أما كتاب "درة التنزيل وغرة التأويل"، فقد حصر الإسكافي الآيات المتشابهة في القرآن الكريم تشابهًا لفظيًا، ومعرفة الاختلافات الدقيقة فيما بينها، مع تعليل هذه الاختلافات، وتخريجها بالنظر إلى مواقعها في سور القرآن، أو سياق الآيات ونظم السور. وكان سبب تأليفه رفع اللبس في الآيات المتشابهة، وبيان أسرار الاختلاف، والبحث عن الحكمة من الاختلاف الوارد، وكما أنه لم يقم العلماء المتقدمون بحث هذا الموضوع بمثل ما أخرجه في كتاب الدرة، وذلك كما قال الإسكافي في مقدمة هذا الكتاب: "... عزمت عليها بعد أن تأملت أكثر كتب المتقدمين والمتأخرين، وفتشت على أسرارها معاني المتأولين المحققين المتبحرين، فما وجدت أحدًا من أهلها بلغ غاية كنهها، كيف ولم يقرع بابها ولم يفتر لهم عن نابها، ولم يسفر عن وجهها" [1]

ب. منهج المؤلف

يعد كتاب الدرة أهم الكتب في المتشابه اللفظي وأحد مصادره، وقد نهج المؤلف في كتابه نهج المفسرين، فرتّب كتابه على ترتيب السور والآيات في المصحف الشريف، بداية من سورة البقرة ثم آل عمران وهكذا، حيث إنه يبدأ بالآية الأم التي تكون البداية للمتشابهات ثم يلحق بها ما يشابهها من الآيات من السورة نفسها، ثم باقي السور بشكل مرتب وبطريقة استقرائية دقيقة، وإذا فاته الحديث عن الآية في موضعها حسب ترتيب المصحف؛ ذكره في الموضع الثاني وينبه على أن مكان هذه الآية كان في سورة كذا.

اعتمد الإسكافي في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم على القرآن الكريم وعلومه من خلال تفسير بعض الآيات ببعضها مما يظهر مدلول الآية ويوضحها وتوجيه الآيات على سياق السور والآيات، وكان رحمه الله يستشهد الحديث الشريف والأثر في مواضع قليلة، كما اعتمد الخطيب الإسكافي في بعض مسائله

[1] الخطيب الإسكافي، *درة التنزيل وغرة التأويل*، ص 3.

على القراءات واختلاف القراء ليظهر جوانب الاختلاف بين الآيات المتشابهة، واعتمد أيضًا على أقوال المفسرين من الصحابة والتابعين كالحسن وقتادة والسدي وابن عباس[1] ، وأخيرًا استفاد من اللغة والنحو في توجيه الألفاظ القرآنية وملأ كتابه بالمباحث النحوية التي تدعم رأيه وتوجيهه كما استعان بمصادر أخرى ككتاب العين للخليل بن أحمد (ت 170هـ) والكتاب لسيبويه (ت 180هـ).

ت. أثره فيمن بعده

أثر كتاب "درة التنزيل وغرة التأويل" على من تبعه من ناحيتين: كونه أول كتاب أُلّف في هذا المجال، وقد استفاد من هم بعده في كابن الزبير الغرناطي (ت 709هـ) في "ملاك التأويل" وغيرهم، وكونه ثروة علمية مفيدة، بها فوائد نادرة، مبينًا الإعجاز الذي تفرد بها القرآن الكريم، موضحًا حكمًا ودقائق في المعنى والمبنى. أثر الكتاب في كتب التفسير التي تُعنى بالإعجاز القرآني ولها اهتمام بتوجيه الآيات المتشابهة، مثل الكشاف للزمخشري (ت 538هـ)، والتفسير الكبير للفخر الرازي (ت 604هـ)، والبحر المحيط لأبي حيان (ت 754هـ)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (ت 1393هـ).

اهتم الخطيب الإسكافي بالبحث عن الدلالة المعنوية في توجيه الآيات المتشابهة، مثل التعبير بصيغة المضارع والماضي، التعريف والتنكير، والفصل والوصل، والتذكير والتأنيث، والذكر والحذف؛ ليحاول إيضاح السر والعلة من وراء الاختلاف، مما ساهم في فتح ميدان البحث عند علماء البلاغة ونشر كتب البلاغة.

المطلب الثاني: الكرماني

هو محمود بن حمزة بن نَصْر الكَرْمَاني، النحوي، تاج القراء، وأحد العلماء الفقهاء النبلاء، صاحب التصانيف والفضل، كان حسن الاستنباط، آية في الفهم، لم يفارق وطنه كرمان[2]، وقيل إنه سافر إلى بلاد فارس وخراسان والجبال، وأخذ العلم عن علماء هذه البلدان [3] .

[1] الخطيب الإسكافي، *درة التنزيل وغرة التأويل*، ص 49، 51-52، 66، 101.
[2] كرمان بفتح الكاف وسكون الراء، وجاءت أيضًا بكسر الكاف، لكن الفتح أشهر، وهي ولاية من ولايات المشرق في العصر العباسي، وتقع شرق ولاية فارس، انظر: الحموي، *معجم البلدان*، جـ 4، ص 454-456.
[3] الكرماني، *البرهان*، ص 29-31.

أ. آثاره العلمية

التزم الكرماني منهج التخصص الدقيق في علوم القرآن الكريم والنحو لصلته الوثيقة بالقراءات، ومؤلفاته التي ذكرها المترجمون كالآتي[1]:

1. البرهان في متشابه القرآن
2. خط المصاحف
3. غرائب التفسير وعجائب التأويل
4. لباب التفاسير
5. الهداية في شرح غاية ابن مهران في القراءات
6. الإفادة في النحو
7. الإيجاز في النحو وهو مختصر لكتاب الإيضاح للفارسي
8. العنوان
9. النظامي في النحو وهو مختصر اللمع لابن جني

ب. منهج المؤلف

يعتبر كتابه عن التشابه في القرآن والذي يعنون بـ (البرهان في تشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان) امتدادًا للكتاب الذي ألفه الخطيب الإسكافي في هذا المجال؛ حيث إنه حصر الآيات المتشابهة في القرآن الكريم تشابهًا لفظيًا، وتحليل الاختلافات الدقيقة فيما بينها كالتقديم أو التأخير، أو الزيادة أو النقصان، أو الإبدال. وكان الدافع الذي ألح الكرماني على تأليف هذا الكتاب هو معرفة سبب الاختلاف بذكر العلل والتوضيح.

كان نهج الكرماني واضح ومنظم حيث رتب السور والآيات كمسلك المفسرين بدايةً من سورة الفاتحة حتى سورة الناس مراعيًا الترتيب، فكان – رحمه الله – يذكر آية آية ويتناول التشابه فيها حسب ترتيب التلاوة وينتقل من سورة إلى التي تليها حسب ترتيب السور بطريقة استقرائية. كان يسير – رحمه الله – على نهج الإسكافي في استخراج المتشابهات من القرآن، ولكنه دقق أكثر واستدرك كثيرًا من الآيات التي غفل عنها الإسكافي في كتابه، كما اعتمد الكرماني في كتابه على مصادر متعددة مثل:

[1] الحموي، معجم *الأدباء*، ج 8، ص 586-587.

1. كتب التفسير من أقوال المفسرين كالطبري، وابن عناس رضي الله عنه، ومجاهد، وغيرهم.
2. علم القراءات والذي كان الكرماني متخصص فيه، مما استعان بهذا العلم في الكشف عن بعد التشابه بين الآيات، فوضح الاختلاف متسعينًا بالقراءة المتعددة التي وُرِدت لهذه الآية.
3. علم النحو واللغة، وذلك باستشهاده بأقوال أئمة النحو كسيبويه والزجاج ويذكر رأي الكوفيين والبصريين في بعض المسائل، وكان يستشهد بأبيات شعرية إذا تطلب الأمر لذلك.
4. كتاب (لباب التفاسير) للكرماني والذي ألفه قبل كتاب البرهان ويحيل عليه كثيرًا.

ت. أثره فيمن بعده

لقد ذاع صيت هذا الكتاب في المشرق وأثر فيمن جاء بعده من العلماء الذين أفردوا بابًا أو كتابًا في المتشابه ضمن علوم القرآن، وسنذكر أربعة علماء للحصر فقط كما سيأتي:

1. الفيروزآبادي: فقد ألف كتبه الشهير (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز) في علوم القرآن؛ حيث تناول الناسخ والمنسوخ وفضائل القرآن في الجزء الأول، ثم تناول السور والآيات حسب ترتيب التلاوة، فيذكر أسباب النزول وعدد الحروف والكلمات والآيات، واختلاف القراء، ثم يذكر المتشابه من الآيات.
2. بدر الدين بن جماعة: ففي كتابه (كشف المعاني)، أخذ بن جماعة طريقة الكرماني ومنهجه في التأليف بطريقة موجزة في توجيه الآيات المتشابهة.
3. زكريا بن محمد الأنصاري: تأثر بكتاب البرهان تأثرًا كبيرًا في كتابته لـ (قتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن) من خلال التشابه بين الكتابين في المنهج والطريقة، ولكن بطريقة موجزة كما فعل بن جماعة.
4. الزركشي: ألف كتابه (البرهان في علوم القرآن) وأشار إلى كتاب البرهاني للكرماني في مقدمته عن المتشابه ونقل عنه في مواضع كثيرة في سور شتىً.

المطلب الثالث: ابن زبير الغرناطي

هو أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، يكنّى بأبي جعفر وبابن الزبير نسبة لأجداده، ينتمي إلى قبيلة ثقيف لذلك عرف بالثقفي، وعرف بالأندلسي نسبة إلى مولده ببلدة

جيّان بالأندلس عام 627 هـ، وانتقل وهو في سن البلوغ على غرناطة واستقر وترعرع وطلب العلم لذلك عرف بالغرناطي [1]، وتوفي – رحمه الله – بغرناطة سنة 708 هـ.

أخذ العلم عن عدد كبير من العلماء في غرناطة، فقد بلغ عدد شيوخه إلى ثلاثة وثلاثين شيخًا، وبلغ مكانة علمية رفيعة، حيث وصل إلى الرئاسة في علوم الشريعة واللغة العربية في الأندلس، كما سطع في علوم الحديث والقراءات والتفسير والنحو. فهو سني العقيدة، مالكي المذهب، كان شديدًا على أهل البدع والمعتزلة، والرافضة، والخوارج، وله أيضًا طلابٌ كثرٌ حيث كان مقصدًا لطلاب العلم وكثر المرتحلون إليه، منهم أبو حيان الأندلسي صاحب تفسير البحر المحيط [2].

أ. آثاره العلمية

خلف ابن الزبير الغرناطي آثارًا عظيمةً نفعت الناس بعده وخلدت ذكره، منها الآتي [3]:

1. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل.
2. البرهان في ترتيب سور القرآن.
3. إيضاح السبيل من حديث جبريل.
4. تعليق على كتاب سيبويه
5. الذيل على الصلة لابن بشكوال، وهو معروف بـ (صلة الصلة)
6. الزمان والمكان
7. السبيل الرشاد في فضل الجهاد
8. شرح الإشارة لأبي الوليد الباجي في الأصول

ب. منهج المؤلف

ألف – رحمه الله – كتابًا (ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل)، وهذا الكتاب يأتي في المرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد كتاب (درة التنزيل وغرة التأويل) للإسكافي، فيعد كتاب ملاك التأويل أوسع كتب التشابه وأضخمها، ففيه بيان وتوضيح لدقائق القرآن وبسط، مع أسلوب علمي مميز. هذا الكتاب برهان قاطع على أهل الإلحاد والتعطيل في تعلقهم بالآيات المتشابهة

[1] ابن العماد، *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، جـ 6، ص 16; كحالة، *معجم المؤلفين*، جـ 1، ص 138.
[2] أبو حيان الأندلسي، *البحر المحيط*، جـ 1، ص 6.
[3] أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي، *ملاك التأويل*، ص 91-97.

للطعن في كتاب الله والنيل منه، وبذلك خدم – رحمه الله – كتاب الله من ناحيتين: تبصير الأمة لتدبر نظمه وتوجيه ما اختلف فيه من الآيات المتشابهة وحماية كتاب الله من طعن الطاعنين وكيد الملحدين الذين يسعون إلى تضليل الأمة عن مسارها.

نهج ابن الزبير الغرناطي في كتابه (ملاك التأويل) نفس مهج الخطيب الإسكافي، فقد تتبع كل الآيات التي تدخل في المتشابه اللفظي مراعيًا ترتيب التلاوة والسور ببداية من سورة الفاتحة حتى سورة الناس، فقد كان يذكر الآية الأم في المتشابه ويتبعها بما يشبهها في السورة نفسها ثم في السور الأخرى مرتبة.

ولكن ابن الزبير لا يعيد ما تحدث عنه في الآيات الأخرى المتشابهة للآية الأم ولا يشير إليها، كما اعتمد ابن الزبير – رحمه الله - الآيات التي ذكرها الإسكافي في الدرة وانتبه على ما أغفله الإسكافي من الآيات المتشابهة بوضع حرف (غ) للدلالة على مغفلات كتاب الدرة والتي كانت تقارب 40% من أصل 273 آية التي تناولها الإسكافي.

اعتمد ابن الزبير في توجيه الآيات المتشابهة على حملة من المصادر كالآتي:

1. علوم القرآن الكريم: يفسر ابن الزبير الآيات ببعضها ببعض فيظهر مدلول الآية، ويعتمد على السياق في تعليل كثر من الآيات المتشابهة، لم يكن يهتم فقط بترتيب التلاوة والسور، ولكنه كان يهتم أيضًا بترتيب الآيات المكية والمدنية حسب أسباب النزول.
2. السنة والآثار: قد انعكس علم ابن الزبير في الحديث والرواية على استشهاده لبعض الأحاديث في توجيه اختلاف الآيات المتشابهة.
3. علم القراءات: استعان ابن الزبير بعلم القراءات على تحقيق توجيه المتشابهات وتوضيح الاختلاف بين المتشابهات وبعضها.
4. علم اللغة والنحو: استفاد ابن الزبير بعلم اللغة من حيث تحليل اللفظ المفرد من حيث اللغة والمراد في القرآن الكريم، وأيضًا استفاد بعلم النحو من خلال نقله عن الفراء وسيبويه والخليل ابن أحمد والمبرد لبعض القضايا النحوية في الكتاب.
5. أقوال المفسرين: اعتمد ابن الزبير على أقوال المفسرين لإيضاح الاختلاف بين الآيات المتشابهة كالزمخشري في كتاب (الكشاف)، ابن عطية في كتاب (المحرر الوجيز)، وفخر الرازي في كتاب (التفسير الكبير).

6. كتاب (درة التنزيل وغرة التأويل) للخطيب الإسكافي: فقد أشار الغرناطي إلى أهمية هذا الكتاب وأثنى على الخطيب وكتابه واعتمد نفس نهجه في تتبع الآيات المتشابهة كما ذكرنا سابقًا.

ت. أثره فيمن بعده

إن كتاب ملاك التأويل من أفضل ما كتب في المتشابه اللفظي بعد كتاب درة التنزيل، حيث إن ابن الزبير بسط وحلل وأحاط بالموضوع واستدرك ما فات، ولكنه لم يكن له تأثير كبير مثل درة التنزيل للإسكافي أو البرهان للكرماني، وسبب ذلك بعد ابن الزبير عن عواصم المشرق الإسلامي، فقد تركز علمه في الأندلس وغرناطة، كما عاصر ابن الزبير عصر الصراعات السياسية والحياة القاسية في بلاد الأندلس، ولذلك اثنان تأثرا تأثيرًا مباشرًا هما كالآتي:

1. بدر الدين بن جماعة: فقد استفاد من ملاك التأويل في عدد من التوجيهات وذلك في كتابه (كشف المعاني) ولكنه لم يشر إلى مصدرها، ولم يذكر أي إشارة لابن الزبير، ولكنه كان يذكر الكرماني ويشير لكتاب البرهان، رغم أن ابن الزبير وابن جماعة ليس لهما فاصل زماني كبير، ولكن بينهما بعد مكاني بين بلاد الأندلس وبلاد مصر والشام.
2. برهان الدين البقاعي: وذلك في كتاب (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) والذي لم يكن متخصصًا في توجيه المتشابهات، فقط أفصح البقاعي عن الإفادة من لابن الزبير الغرناطي في كتابه (البرهان) في مقدمة كتابه عن علم المناسبات، ولكنه لم يأخذ من كتاب (ملاك التأويل) ولم يحل عليه.

المطلب الرابع: بدر الدين بن جماعة

هو أبو عبد الله بدر الدين محمد إبراهيم بن سعد بن جماعة الكناني الحموي الشافعي [1]، عُرِفت أسرته ببني جماعة نسبة إلى ثالثة من الآباء والأجداد ينتهي نسبهم إلى مالك بن كنانة، وهم: جماعة، وهو الجد القريب له، وابن علي بن جماعة بن حازم بن صخر بن عبد الله بن جماعة [2]، أما الكناني فنسبه إلى مالك بن كنانة وهو الجد العاشر من سلسلة نسب الرسول ﷺ.

[1] العسقلاني، *الدرر الكامنة*، جـ 3، ص 376; ابن العماد، *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، جـ 6، ص 105; كحالة، *معجم المؤلفين*، جـ 2، ص 558.

[2] ابن جماعة، *كشف المعاني*، ص 5.

ولد ابن جماعة سنة 639 هـ في حماة، إحدى مدن الشام، نشأ في أسرة عرفت بالعلم والدين ونبغ منهم كثير من العلماء عُرِفوا بابن جماعة لدرجة وقوع خطأ بين المترجمين والمؤرخين في نسب كتب بعضهم إلى بعضٍ. تلقى ابن جماعة العلم في صغره وعمره أحد عشر عامًا على يد علماء أجلاء منهم والده الشيخ أبو إسحاق بن سعد بن سعد الله (ت 675 هـ) الذي يعد من أفاضل علماء الشافعية، وعرف عن ابن جماعة الروع والزهد، كما درس على يد الشيخ عبد العزيز الأنصاري.

أ. آثاره العلمية

عرف ابن جماعة كثرة التأليف في فنون كثيرة، وله مصنفات في التفسير والحديث والفقه واللغة وغيرها، وسيتم عرض بعض ما ألفه – رحمه الله – كالآتي [1]:

1. في التفسير وعلومه:
   أ. التبيان في مبهمات القرآن
   ب. غرر التبيان
   ت. كشف المعاني الفوائد اللائحة في سورة الفاتحة
2. في الحديث:
   أ. المنهل الروي في علوم الحديث النبوي
   ب. الفوائد الغزيرة المستنبطة من حديث بريرة
3. في الفقه:
   أ. العمدة في الأحكام
   ب. كشف الغمة في أحكام أهل الذمة
4. في العقيدة:
   أ. إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل
5. في النحو:
   أ. شرح كافية ابن الحاجب
   ب. الضياء الكامل

ب. منهج المؤلف

ألف ابن جماعة كتاب (كشف المعني) والذي اعتمد في تأليفه على كتب السابقين للإسكافي وابن الزبير والكرماني، وسبب تأليفه لهذا الكتاب الأسئلة التي تراوده عن سبب الاختلاف بين الآيات المتشابهة في

[1] كحالة، معجم *المؤلفين*، جـ 2، ص 558.

دروسه الت عقدها، فجاء بهذا الكتاب لتوضيح سبب الاختلاف وإزالة الإبهام على بعض المسائل التي لم يوضحها المؤلفون السابقون في كتبهم.

سلك ابن جماعة في كتابه كشف المعاني مسلك الإمام الكرماني – رحمه الله – حيث رتب الآيات حسب التلاوة وبدأ بسورة الفاتحة وانتهى بسورة الناس، ويتناول الآيات المتشابهة بحسب ترتيب السور في المصحف، وإن تكررت الآية في السور السابقة يشير إليها بـ (سبق في سورة كذا) أو (تقدم في سورة كذا) وأحيانًا يؤجل الحديث عنها حتى يصل إلى السورة التي فيها الآية الأخرى المشابهة، كما اعتمد ابن جماعة على أسلوب الإيجاز والاختصار في توجيه الآيات المتشابهة.

ومصادر كتاب (كشف المعاني) مصادر مختلفة من خلال تمكنه من علوم كثيرة، وأهم مصادره هما:

1. علوم القرآن الكريم: ويشمل كتاب الله – عز وجل – بتفسير بعض الآيات ببعضها من خلال سياق الآيات والسور وأسباب النزول.
2. كتب المتشابه اللفظي: وهو أكثر ما أخذ من كتاب (البرهان) للكرماني بتصريح وبدون تصريح، وذ1لك واضح في الشبه الكبير بين الكتابين (البرهان) و(كشف المعاني)، ثم يأتي الترتيب كتاب (ملاك التأويل) لابن الزبير الغرناطي ثم كتاب (درة التنزيل وغرة التأويل) للخطيب الإسكافي.

ت. أثره فيمن بعده

لم يكن تأثير ابن جماعة على من بعده كتأثير العلماء السابقين، حيث إن كتاب (كشف المعاني) عبارة عن تلخيص الكتب السابقة في مجال التشابه اللفظي، ولكن كتابه بها وقفات حسنة وتأملات انفرد بها عن سابقيه، وظهر تأثير كتابه في كتاب (فتح الرحمن) لأبي يحيى الأنصاري (ت 926 هـ)، هاذان الكتابان متشابهان إلى حد كبير يصل إلى درجة النقل المباشر، ولكن الأنصاري لم يحل إلى كتاب (كشف المعاني) كما فعل سابقوه.

المطلب الخامس: أبو يحيى زكريا الأنصاري

هو شيخ الإسلام أبو يحيى زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري السُّنَيكي المصري الشافعي، والسُّنَيكي نسبةً إلى بلد سُنَيكة التي ولد بها سنة 825 هـ، وهي من أعمال الشرقية بمصر [1]، وقد نشأ فقيرًا

[1] الزركلي، *الأعلام*، جـ 3، ص 46.

معدمًا، حفظ القرآن الكريم وبعض المختصرات الفقهية على يد محمد بن ربيع و الفاقوسي البلبيسي، ثم ذهب إلى القاهرة سنة 841 هـ ، ولزم الأزهر وتعلم العلوم ، وأخذ عن علماء كثر، فدرس الفقه واللغة والنحو والأصول والتفسير والفرائض والحساب والجبر، وقد تجاوزت مؤلفاته أربعين مصنفًا، وقد تولى التدريس في مقام الإمام الشافعي والتي تعد أرفع المناصب في مصر ذاك الوقت، وتولى منصب القضاة بعد امتناع وتعفف واستمر قاضيًا مدة ولاية السلطان الجركسي، وفقد بصره في آخر حياته فاعتزل القضاة ولازم التدريس والتصنيف والإفتاء [1]، وتوفي في الرابع من ذي الحجة سنة 925 هـ، وقيل سنة 926 هـ، بعد مضي ما يقارب مئة عام في طلب العلم وتعليمه.

أ. آثاره العلمية

جاءت مؤلفات أي يحيى الأنصاري متنوعة في التفسير والفقه واللغة والأصول والمنطق والتي نذكر منها الآتي [2]:

1. فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن - في المتشابه اللفظي
2. تحفة الباري على صحيح البخاري
3. شرح الشافية لابن الحاجب
4. تعليق على تفسير البيضاوي
5. شرح ألفية العراقي
6. شرح شذور الذهب
7. غاية الأصول
8. الدقائق المحكمة - قي القراءات
9. تحفة نجباء العصر في التجويد.

ب. منهج المؤلف

يعد كتاب (فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن) من المتأخرين بالنسبة لعلماء المتشابه اللفظي، ولذلك اعتمد الإمام الأنصاري على كتاب (البرهان) للإمام الكرماني اعتمادٍا كليًا، يصل إلى درجة نقل نص بأكمله، كما استفاد من ابن جماعة في مواضع كثيرة؛ فسبب كتابة هذا الكتاب هو الاختصار في ذكر الآيات المتشابهات والمختلفة بزيادة أو تقديم، أو إبدال حرف آخر مع بيان سبب تكراره.

---

[1] الأنصاري، *فتح الرحمن*، ص 10-15.

[2] الزركلي، *الأعلام*، جـ 3، ص 46.

سلك أبو يحيى الأنصاري نهج الإمام الكرماني والإمام ابن جماعة في كتابهما (البرهان) و(كشف المعاني)، حيث إنه رتب الآيات حسب ترتيب التلاوة بدايةً من سورة الفاتحة إلى سورة الناس، متناولًا الآيات حسب ترتيب المصحف، ولم يقتصر على المتشابه اللفظي فحسب، ولكنه كان يتحدث كثيرًا عن الآيات التي ليست من المتشابه، كما اعتمد الإمام الأنصاري – رحمه الله – على الإيجاز والاختصار في آيات كثيرة [1].

ت. أثره فيمن بعده

إن كتاب (فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن) يعتبر مجرد اختصار لما قاله لعماء التشابه، فنقل من كتاب (البرهان) للكرماني نصوصًا كثيرة دون أن يشير إلى صاحبه، وأخذ الإمام الأنصاري – رحمه الله - منهج ابن جماعة، ولكنه أعاد ترتيب المسائل، فبعض الآيات المتشابهة فيها أكثر من موضع كتقديم وتأخير، وتعريف وتنكير وغيرها، فنجده – رحمه الله – يضعها في عدة مسائل لتنظيمها وترتيبها، وأثر هذا الكتاب في مساعدة حفاظ القرآن الكريم على تتبع المتشابهات في دور الحفظ، وكل ما آتى بعده من العلماء يتبعون نفس نهجه من التكرار والتنظيم من جهة أو دراسة ما جاءوا به من جهة أخرى من حيث الأسلوب اللغوي والتحليلي.

[1] الشثري، "المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية"، ص 115-123.

الفصل الثاني: نبذة عن حياة الزجاج والزمخشري وابن جماعة

في هذا الفصل سنتعرض إلى نبذة عن حياة ثلاث علماء من خلال ثلاثة مباحث رئيسة: المبحث الأول والذي سيعرض السيرة الذاتية للزجاج، والمبحث الثاني والذي سيناول السيرة الذاتية للزمخشري، والمبحث الثالث الذي سيعرض السيرة الذاتية لابن جماعة.

المبحث الأول: السيرة الذاتية للزجاج

في هذا المبحث سنتعرف على سيرة الزجاج وذلك من خلال التعريف به، مولده ونشأته، طلبه للعلم وشيوخه، تلاميذه، وأقوال العلماء عنه، وملفاته، جوانب القدوة في شخصيته، وأخيرًا وفاته.

أولًا: التعريف به

هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السُّرَى بن سهل الزجاج النحوي [1]، كان من أهل العلم بالأدب والدين، حسن الاعتقاد، وله مؤلفات حسان في الأدب.

ثانيًا: مولده ونشأته

وُلِد أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السُّرَى بن سهل الزجاج المحوي في مدينة بغداد عام 241 هـ وقد توفي فيها، وقد عاش الزجاج في القرن الثالث الهجري، وفترة من أول القرن الرابع، حيث إنه من أخصب العصور الفكرية في التاريخ العربي في مختلف العلوم، وكانت العلوم الأجنبية تُرجِمَت إلى اللسان العربي ودُرِسَت وتفاعلت مع الثقافة العربية، وانقسم فكر العلماء إلى مدرستين مختلفتين: إحداهما التي درست علوم اليونان وثقافتهم عن طريق مباشر واتصل بها نتاجهم الفكري وموضوعات أبحاثهم وهم رجال الفرق والكلام، والأخرى مدرسة العرب الخُلَّصِ الذين كانوا يقفون جهدهم العلمي ودرسهم على اللغة العربية وما يتصل بدرسها من قواعد النحو والتصريف، وأشعار العرب وحكمهم وأمثالهم وتفسير القرآن الكريم وما تحويه آياته من غوامض اللغة ودقيق مسائل الإعراب.

[1] ابن خَلّكان، *وفيات الأعيان*، 49/1; أبو بكر، *طبقات النحويين واللغويين*، 50/1; الحموي، *معجم الأدباء*، 51/1-63.

ثالثًا: طلبه للعلم وشيوخه

كان يخرط الزجاج، فاشـــتهى النحو، فلزم المُبَرَّد لتعلمه، وكان لا يعلّم مجانًا ولا يعلّم بأجرة إلا على قدرها [1]، حيث كان كســـبه في كل يوم درهمًا ودانقين، أو درهمًا ونصـــفًا، فيعطي للمُبَرَّد عن كل يوم لتعليمه درهمًا بشرط العطية الأبدة حتى الموت، وكان يخدم المُبَرَّد في أموره فينصحه في العلم، وفي يوم، جاء كتاب بعض بني مارمة من الصراة يلتمسون معلمًا نحويًا لأولادهم فاسمه المُبَرَّد لهم يعلمهم، ثم أصبح مؤدبًا لولد عبيد الله بن سليمان والذي كان اسمه القاسم، فأصبح غنيًا بسبب تعلّم القاسم على يديه، فيعطي المُبَرَّد ذلك الدرهم كل يوم إلى أن مات، رحمه الله، وكان يتفقده بشكل مستمر ما وسعه وقته وطاقته.

حدثني أبو عبد الله محمد بن أحمد الأسـواريّ، حدثني أبو الحسـن محمد بن عليّ بن بسـطام قال: حدثني أبو إسـحاق إبراهيم بن السَّرِيِّ الزجاج أن أبا القاسـم عبيد الله بن سـليمان بن وهب سـلَّم إليه ابنه القاسـم ليعلمه النحو؛ وكان يتشـاغل عنه باللعب والعبث، فذكر ذلك لعبيد الله، فاسـتحضره وقال له: ما منعك أن تُقبِلَ على ما شرُف به آباؤك؟ فقال له: شـغلتني بأشـياء. وقال لي: الزمه، وأخذت بيده وخلت إلى موضع انفردتُ به معه، فوردت عليه رقعة من أبيه فيها:

أبـوك كلّـفـك الشِّـــأْوَ الـبـعـيـد كـمـا ... قِـدْمًـا تـكـلَّـفَـه وهـب أبـو حَسَـــنِ

ولســـت تُـحـمَـد إن أدركـت غـايـتَـه ... ولســـتَ تُـعـذَرُ مســـبـوقًـا فـلا تَـهِـنِ

قال: حدثني بعض أصـــحابنا أن الزجاج النحوي قال: لازمت خدمة عبيد الله بن ســـليمان الوزير ملازمة قطعتني عن أبي العباس المبرّد وعن بِرِّه وعن إجرائي عليه ما كان تعوَّده منِّي؛ ثم مضـــيت إليه يومًا فقال: هل يقع حسـدُ الإنسـان إلا من نفسـه؟ فقلت: لا، قال: فما معنى قول الله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَـــدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِـــهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُواْ وَٱصْـــفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [2] ؟ فلم أدر ما وجهُ ذلك؛ فقال: ينبغي أن تعلم أن هاهنا أشياء كثيرة قد بقيت عليك؛ فاعتذرت ووعدتُه بالرجوع إلى ما تعوَّده منِّي.

ولم يذكر عن المبرّد فيها جوابًا، وســألني عنه فقلت: الجواب – والله أعلم – أنه يقع الحســد من نفس الإنســان، ومن أجل غيره بأن يبعثه عليه، ويزيِّنَهُ له. فمعنى قول الله ســبحانه وتعالى: عسى- أن هذه

---

[1] القِفطي، *إنباه الرواة على أنباه النحاة*، 1/ 159-166.

[2] *القرآن الكريم*، سورة البقرة.(109)

الطائفة لم تدخل عليه الحســدُ من خارج؛ وإنما هو شيءٌ من عند أنفســهم، فقامت الفائدة، وحســن أن يقال: ﴿مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم﴾؛ لئلا يدخل الضرب الآخر فيه؛ والله أعلم.

رابعًا: تلاميذه

هناك العديد من الأشخاص الذين تتلمذوا على يد النحوي أبو إسحاق الزجاج، وكان لهم العديد من الكتب والمؤلفات التي اشتهروا بها أيضًا، ومن أبرزهم ما يأتي:

1. أبو بكر محمد بن السري بن سهل المعروف بابن السراج صاحب كتاب الأصول في النحو.[1]
2. أبو العباس بن ولاّد التميمي صاحب كتاب الانتصار لسيبويه على المبرد.
3. أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المعروف بالنحاس صاحب كتاب إعراب القرآن وكتاب معاني القرآن. [2]
4. إسماعيل بن القاسم بن سليمان بن أيوب بن عيدون القالي البغدادي الشهير بأبي عليٍّ القالي صاحب كتاب الأمالي. [3]
5. أبو القاسم عبد الرحمن الزجاجي صاحب كتاب الجمل وكتاب مجالس العلماء. [4]
6. أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي صاحب كتاب الموازنة بين الطائيين. [5]
7. أبو علي الفارسي -الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الفسوي- الذي يعد من أشهر النحاة وأغزرهم في التأليف.
8. أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي النحوي المعروف بالرمّاني الذي شرح كتاب سيبويه.[6]

خامسًا: أقوال العلماء عنه

يوصـف الزجاج في كتب التراجم بأنه كان من أهل الدين والفضـل حسـن الاعتقاد جميل المذهب، وكان من أتباع أحمد بن حنبل مؤثرًا لمذهبه حتى كان آخر ما قاله وهو على فراش الموت: "اللهم احشُرــني

---

[1] الحموي، معجم *الأدباء*، ج 6، ص 2534-2536.
[2] الحموي، معجم *الأدباء*، ج 2، ص 469.
[3] الحموي، معجم *الأدباء*، ج 2، ص 730.
[4] الحموي، معجم *الأدباء*، ج 1، ص 92.
[5] الحموي، معجم *الأدباء*، ج 2، ص 847-851.
[6] الحموي، معجم *الأدباء*، 1827/3.

على مذهب أحمد بن حنبل" [1]. ودليلًا على حسن خلقه أنه اختصم مرة مع رجل يُدعَى مسينيد أو مسيند فشتمه الزجاج وسبه، فكتب إليه مسينيد بهذه الأبيات:

أبى الزجاج إلا شتْمَ عِرْضِي ... لينفعه فأثَّمة وضرَّه

وأقسم صادقًا ما كان حرٌّ ... ليطلق لفظه في شتم حُرَّة

ولو أني كررت لفَرَّ مني ... ولكن للمنُونِ عليَّ كرَّه

فأصبح قد وقاه الله شَري ... ليوم لا وقاهُ اللهُ شَرَّه

فلما اتصل هذا الشعر بالزجاج قصده راجلًا واعتذر إليه وسأله أن يعفو عنه ويسامحه.

هذا الحدث يدل على خلق مسينيد أكثر مما يدل على حسن أخلاق الزجاج، مبيِّنًا أن الزجاج شتمه وشتم أمه، ولكن مسينيد رفض أن يعاقبه بالمثل خشية من الله ويدع صاحبه ليوم الحساب حيث يعاقبه الله تعالى على فعلته، فأثر هذا الشعر على نفس الزجاج وأيقظ عاطفة الخوف من الله والحياء من الناس.

ويؤخذ على الزجاج شرهه المادي وقبوله المال من طريق غير شريفة فوساطته للناس في قضاء حاجاتهم لم تكن إلّا نوعًا من الرّشوة، وتواطأً عليها هو والوزير عبيد الله بن سليمان، وشجعه الوزير عليها سواء كانت حقًا أو باطلًا، وقد جمع منها مبلغًا كبيرًا واستمرَ عليها حتى بعد أن أثرى.

سادسًا: مؤلفاته

ألَّفَ أبو إسحاق الزجاج بكتب كثيرة، والتي من أشهرها كتاب معاني القرآن، وإعرابه؛ حيث إنه من أوائل النحاة الذين دعوا إلى الربط بين المعنى، والإعراب في القرآن الكريم، وقد قال في مقدمة كتابه "معاني القرآن وإعرابه" <<وإنما نذكر مع الإعراب المعنى والتفسير لأنَّ كتاب الله يجب أن يتبين، ألا ترى أن الله تعالى يقول: ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ فَحُضضنا على التدبر والنظر، ولكن لا ينبغي لأخدٍ أن يتكلم إلا على مذهب اللغة أو ما يوافق نقله أهل العلم>> [2]، وقد استغرق تأليف هذا الكتاب ستة عشر- عامًا حيث بدأ بتأليفه في عام 285 هـ، وانتهى منه في عام 301 هـ. قد واتبع أبو إسحاق في كتابة هذا الكتاب منهجًا مميزًا فكان يقوم بإيراد الآية ثم يقوم بشرح بعض الألفاظ من حيث اللغة، والإعراب، وكان يقوم بذكر الحجج والشواهد سواء أكانت شعرًا أم نثرًا، وهناك العديد من الكتب الأخرى التي اشتهر بها، ومنها ما يأتي [3] :

---

[1] الزجاج، *معاني القرآن وإعرابه*، 8/1.

[2] الزجاج، *معاني القرآن وإعرابه*، 12/1.

[3] الحموي، *معجم الأدباء*، 63/1.

- كتاب ما فسر من جامع المنطق.
- تفسر أسماء الله الحسنى.
- كتاب الاشتقاق.
- كتاب العروض.
- كتاب القوافي.
- كتاب الفرق.
- كتاب خلق الإنسان.
- كتاب خلق الفرس.
- كتاب مختصر في النحو.
- كتاب فَعَلْتُ، وأَفعَلْتُ.
- كتاب ما ينصرف، وما لا ينصرف.
- كتاب شرح أبيات سيبويه.
- كتاب النوادر.

سابعًا: وفاته

قال أبو الفتح عبيد الله بن أحمد النحوىّ :توفّى أبو إسحاق إبراهيم بن السرىّ الزجّاج النحوىّ فى جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة. وقال غيره مات يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة بقيت من الشهر، وقيل :توفى ببغداد فى سنة ست عشرة وثلاثمائة، وقد أناف على الثمانين [1].

[1] أبو بكر، *طبقات النحويين واللغويين*، 112.

المبحث الثاني: السيرة الذاتية للزمخشري

في هذا المبحث سنتعرف على سيرة الزمخشري وذلك من خلال التعريف به، مولده ونشأته، طلبه للعلم وشيوخه، تلاميذه، وأقوال العلماء عنه، وملفاته، جوانب القدوة في شخصيته، وأخيرًا وفاته.

أولًا: التعريف به

هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشري، الخوارزمي، جار الله، "فخر خوارزم"، ولقبه الأشهر "جار الله"؛ حيث غلب عليه؛ لمجاروته بمكة زمانًا طويلًا.[1]

ثانيًا: مولده ونشأته

وُلِدَ الزمخشري بزمخشر، إحدى قرى خوارزم، وذلك يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر رجب، سنة 467هـ. نشأ الزمخشري في بيت متدين يتدثر بدثار الصلاح؛ فالوالد رجل فاضل، شفوق بأبنائه، حبسه مؤيد المُلك، فتوسل إليه الزمخشري أن يفك أسره، بقوله هذه الأبيات:

أَكْفَى الكُفَاةِ مؤيِّدَ المُلْكِ الذي ... خضع الزمانُ لعزه وجلاله

إرحمْ أبي لشبابه ولفضله ... وارحمه للضعفاءِ من أطفاله

إرحمْ أسيرًا لو رآه من العِدَا ... أقْسَاهُم قلبًا لَرَقَّ لحاله

ويقول راثيًا له بعد موته:

فقدته فاضلًا فاضت مآثرُهُ ... العلمُ والأدبُ المأثورُ والوَرَعُ

صامَ النهارَ وقامَ الليلَ وهو شَجٍ ... من خشية الله كابي اللون مُمْتَقِعُ

كانت أم الزمخشري عطوفة، رقيقة القلب، مجابة الدعاء، ويروي الزمخشري في ذلك فيقول: "كنت في صباي أمسكت عصفورًا وربطته بخيطٍ في رجلِه، فأفلت من يدي فأدركته وقد دخل في خرق، فجذبته فانقطعت رجله في الخيط، فتألمت والدتي، وقالت: قطع الله رجلك كما قطعت رجله"، وقُطِعَت رجلُ الزمخشري عندما سقط عن دابته.[2]

---

[1] القِفطي، *إنباه الرواة على أنباه النحاة*، 265/3.

[2] القِفطي، *إنباه الرواة على أنباه النحاة*، 268/3.

ثالثًا: طلبه للعلم

نشأ الزمخشري في أسرةٍ فقيرةٍ، فدفع أبوه به إلى خياطٍ ليعلمه الخياطة، ولكن الزمخشري له رغبة في طلب العلم، فستعطف أباه قائلًا له: "احملني إلى البلد واتركني بها". ورحل الزمخشري إلى "بخارى" في طلب العلم، حيث كانت "بخارى" آنذاك كعبة العلماء، فأخذ من علمائها وتلمذ لجهابذتها. ثم زار الزمخشري مدينة مرو ولقي بها الإمام السمعاني المتوفي سنة 562هـ، وتنقل بين خوارزم وخرسان محصِّلًا للعلم، فحصل أصول الفقه، والحديث، والتفسير، والكلام، وعلوم العربية.

دخل الزمخشري مكة فجاور به، وكانت أولى رحلاته إليها سنة 502هـ، واتصل بشريفها علي بن حمزة بن وهاس وكان أديبًا، فقويت علاقتهما، ولكن الزمخشري يخرج من مكة راحلًا إلى وطنه الأول، ولكن ما لبث أن عاودته الحنين إليها، حتى صور ذلك في قوله:

بكاء على أيام مكة إنَّ بِـــــي إليها حنينَ النِّيبِ فاقِدَةَ البَكْر

تذكرت أيامي بها فكأنني قد اختلفت زُرْقُ الأَسِنَّةِ في صَدْرِي

وأخيرًا عاد صاحبنا المعتزلي إلى مكة نحو عام 518هـ، وفي عودته مر بالشام، ومدح صاحب دمشق تاج الدين (ت 526هـ).

رابعًا: تلاميذه

تلمذ لجار الله الزمخشري طائفة كبيرة من طلاب العلم، حتى تخرجوا به فصاروا أئمة في اللغة وآدابها وعلوم الشرع، وكان من برز في علوم كثيرة، ونذكر أشهرهم:

1. علي بن عيسى بن حمزة بن وهاس العلوي
2. علي بن محمد العمراني، الخوارزمي، أبو الحسن الأديب، الملقب بحجة الأفاضل وفخر المشايخ
3. أبو الفضل البقالي الخوارزمي الآدمي، محمد بن أبي القاسم بايجول، الملقب بزين المشايخ
4. أبو يوسف يعقوب بن علي بن محمد بن جعفر البلخي، كان أحد أئمة النحو والأدب

وقد أجاز الزمخشري لكثير من طلبة العلم في عصره، والذين صاروا أئمة أعلام منهم أبو طاهر الخشوعي، والأديب الوطواط.

خامسًا: أقوال العلماء عنه

لقد حبى الله الزمخشري بصفات طيبة، أبرزها شدة تواضعه وأدبه الجم، وهذا العهد بأهل اللغة، حيث إن تلميذه رشيد الدين الوطواط كان يحكي عن أستاذه بأنه كان يرجع فيها إلى كلام تلميذه وينزل على قضيته وأحكامه. فكان يصبر على مرارة الحق وحرارة الصدق، فهو على الحق ولو على نفسه.

وكان الزمخشري كثيرًا ما يصرح بما يدل على هضمه نفسه، ويتضح ذلك في جوابه للحافظ السلفي حينما استجازه، يقول: "... لا يغرنكم قول فلان فيّ؛ فإن ذلك اغترار منهم بالظاهر المموه، وجهل بالباطن المشوه، ولعل الذين غرهم مني ما رأوا من حسن النصح للمسلمين، وتبليغ السفقة على المستفيدين، وقطع المطامع عنهم، وإفادة المبار والصنائع عليهم، وعزة النفس والربء بها عن السفاسف الدنيات، والإقبال على خويصتي، والإعراض عما يعنيني؛ فجللت في عيونهم، وغلطوا فيّ، ونسبوا إليّ ما لست منه في قبيل ولا دبير، وما أنا فيما أقول بهاضمٍ لنفسي ..."[1]

كان الزمخشري ديِّنًا ورعًا، صالحًا، متدثرًا بدثار العلم والفضل؛ حيث نقل القفطي عن الإمام أبي اليمن زيد بن الحسن الكندي قوله: "كان الزمخشري أعلم فضلاء العجم بالعربية في زمانه، وأكثرهم اكتسابًا واطلاعًا على كتبها، وبه ختم فضلاؤهم" [2]، وقال عنه القفطي أنه كان يضرب به المثل في العلم والأدب والنحو واللغة وله تصانيف في التفسير وغريب الحديث والنحو وغيرها من العلوم.

ومدحه هبة الله بن الشجري لما التقى به في بغداد قائلًا:[3]

كانت مساءلةُ البركانِ تُخْبِرُنِي عن أحمد بن دُوَادٍ أطيَبَ الخبرِ

حتى التقينا فلا واللهِ ما سَمِعَتْ أُذْني بأحسن مما قد رأىٰ بَصَرِي

وأخبرنا السيوطي بأن الزمخشري كان واسعَ العلم، كثيرَ الفضل، غاية في الذكاء وجودة القريحة ومتفننًا في كل علمٍ. ولكن الزمخشري لم يغمط عليه غير مذهبه في الاعتزال، حيث قال بان حجر عنه: "إنه صالح لكنه داعية إلى الاعتزال"[4]

---

[1] ابن خَلَّكان، *وفيات الأعيان*، 171/5.
[2] القِفطي، *إنباه الرواة على أنباه النحاة*، 270/3.
[3] الزمخشري، *الكشاف*، 18/1.
[4] الزمخشري، *الكشاف*، 18/1.

سادسًا: مؤلفاته

ترك الزمخشري تُراثًا هائلًا من التصانيف، في مختلف فنون العلم، ونذكر بعضًا منها كالآتي [1]:

- أساس البلاغة
- أطواق الذهب، أو النصائح الصغار (في الوعظ والرقائق)
- أعجب العجائب في شرح لامية العرب
- الأمالي في كل فن
- الأمكنة والجبال والمياه والبقاع المشهورة في أشعار العرب
- الأنموذج (مختصر من المفصل في النحو)
- تسلية الضرير
- تعليم المبتدي وإرشاد المهتدي (جمل في العربية وترجمتها بالفارسية للناشئين)
- جواهر اللغة
- خصائص اللغة
- خصائص العشرة الكرام البررة
- ديوان التمثيل
- ديوان الرسائل
- ديوان الزمخشري
- الرسائل الناصحة
- شرح أبيات كتاب سيبويه
- شرح مقامات الزمخشري (النصائح الكبار)
- شقائق النعمان في حقائق النعمان (في مناقب أبي حنيفة)
- صميم العربية
- القسطاس
- القصيدة البعوضية

[1] ابن خَلّكان، *وفيات الأعيان*، 5/168-169.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل
- الكشف في القراءات
- متشابه أسامي الرواة
- المحاجاة في الأحاجي والأغلوطات
- مسألة في حكمة الشهادة
- معجم الحدود
- المنهاج (في أصول الفقه)
- نزهة المستأنس
- نكت الأعراب في غريب الإعراب
- نوابع الكلم (حكم وأقوال)

سابعًا: وفاته

عاد الزمخشـــري من مكة المكرمة وكأنه أحس بقرب أجله، فأخام بخوارزم إلى أن جاءته المنية وتوفاه الله تعالى، وذلك ليلة عرفة من سنة 538هـ بجرجانية، وقد أوصى بكتابة هذه الأبيات على قبره:[1]

يـا مـن يـرىٰ مـدَّ الـبَـعُـوضِ جـنـاحَـهَـا ... في ظـلـمـةِ الـلـيـلِ الـبَـهـيـمِ الألـيـلِ

ويـرىٰ عـروقَ نِـيَـاطِـهـا في نَـحْـرِهـا ... والـمُـخَّ في تـلـك الـعِـظـامِ الـنُّـحَّـلَ

إغـفـرْ لـعـبـدٍ تـابَ مِـنْ فَـرَطَـاتِـهِ ... مـا كـان مِـنْـهُ في الـزمـانِ الأوَّلِ

[1] ابن خَلّكان، *وفيات الأعيان*، 173/5.

المبحث الثالث: السيرة الذاتية لابن جماعة

في هذا المبحث سنتعرف على سيرة ابن جماعة وذلك من خلال التعريف به، مولده ونشأته، طلبه للعلم وشيوخه، تلاميذه، وأقوال العلماء عنه، ومؤلفاته، وأخيرًا وفاته.

أولًا: التعريف به

هو أبو عبد الله بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي.[1]

ثانيًا: مولده ونشأته

وُلِدَ القاضي بدر الدين بن جماعة ليلة السبت الرابع من ربيع الآخر سنة 639هـ، وامتد به العمر أربعةً وتسعين عامًا في كنف أسرة حموية عريقة في بيت علمٍ ومهابةٍ.

عُرفَت أسرته ببني جماعة نسبة إلى ثلاثة من الآباء والأجداد ينتهي نسبهم جميعًا إلى "مالك بن كنانة"، ف "جماعة" هو الجد القريب للقاضي بدر الدين وهو "جماعة بن علي بن جماعة بن حازم بن صخر بن عبد الله بن جماعة" من ولد "مالك بن كنانة" والذي هو الجد العاشر في سلسلة نسب رسول الله ﷺ.[2]

ثالثًا: طلبه للعلم

تلقى الشيخ بدر الدين بن جماعة أول لعلومه في حماة، مَهَاجِرَ أسرته قبل الفتح الإسلامي. وكانت حماة واحدة من أشهر مدن الشام وأنزهها، وتقع على نهر العاصي الذي يروي بساتينها العديدة بواسطة نواعيرها الشهيرة الضخمة، وقد وصفها ياقوت الحموي بأنها مدينة كبيرة عظيمة كثيرة الخيرات، رخيصة الأسعار، واسعة الرقعة، والأسواق مسورة بسور محكم[3].

تلقى السيخ بدر الدين في بداية حياته العلم على يد والده الشيخ الجليل "برهان الدين إبراهيم بن سعد الله بن جماعة" المتوفي سنة 675هـ، وكان من أفاضل علماء الشافعية، وليَ التدريس في بيت المقدس، وكان خطيبًا في حماة واشتهر بالزهد والروع. ثم تابع العلم على مشاهير علماء عصره في شتى الفنون وتنقل من أجل ذلك في العديد من بلاد الشام ومصر.

---

[1] ابن جماعة، *كشف المعاني*، 6.
[2] ابن جماعة، *كشف المعاني*، 6.
[3] الحموي، معجم *البلدان*، 300/2.

كان من أشهر شيوخه: شيخ الشيوخ عبد العزيز الأنصاري في حماة، والعلامة جمال الدين محمد بن مالك – صاحب الألفية – في حلب، وشيخ الإسلام تقي الدين بن رزين في القاهرة، وشيخ الإسلام مجد الدين بن دقيق العيد في مدينة قوص بصعيد مصر.[1]

رابعًا: تلاميذه

ابن جماعة من أكثر علماء الأمة الإسلامية صدارة للعديد من مدارس عصره في مصر والشام، فقد بلغ عدد المدارس التي تولى هو صدارتها والتدريس بها ثلاث عشرة مدرسةً، منها خمس مدارس في دمشق، وثماني مدارس في القاهرة، تعد كلها من أمهات المدارس الجامعية في عصر، وهي: [2]

أ. مدارس دمشق:

1. المدرسة القيمرية: وكانت في سوق الحريميين عند مئذنة فيروز وتنسب إلى الأمير ناصر الدين أبو المعالي حسين بن عبد العزيز القيمري مقدم الجيوش الذ توفى مرابطًا سنة 665هـ، وتولى الشيخ ابن جماعة صدارتها في سنة 681هـ إلى 687هـ، ثم في سنة 693هـ.
2. المدارس العادلية الكبرى: داخل دمشق شمالي الجامع بغرب وشرقي الخانقاه الشهابية تجاه باب الظاهرية، أنشأها نور الدين زنكي سنة 568هـ ودرس بها ابن جماعة وألف فيها كتابه "شرح كافية ابن الحاجب" سنة 670هـ، وولد ابنه القاضي عز الدين في سكنه بهذه المدرسة سنة 696هـ.
3. المدرسة الشامية البرَّانية: كانت بمحلة العوينية بدمشق أنشأتها هي والمدرسة الشامية الجوانية ست الشام ابنة نجم الدين أيوب أخت السلطان صلاح الدين المعروفة بأم الصالح، وهي من أكبر المدارس وأعظمها وأكثرها فقهاء، وأول من درس بها العلامة تقي الدين بن الصلاح، صاحب كتاب "المقدمة" في علم الحديث، وتولى ابن جماعة التدريس بها في ذي الحجة سنة 693هـ.
4. المدرسة الناصرية الجوانية: داخل باب الفراديس شمالي الجامع الأموي والرواحية أنشأها الملك الناصر يوسف بن صلاح الدين سنة 653هـ وتولى ابن جماعة التدريس بها في ذي الحجة سنة 693هـ، وكان من مدرسيها أيضًا تقي الدين السبكي، وألف فيها النعيمي كتابه "الدارس في تاريخ المدارس".

---

[1] بن جماعة، *كشف المعاني*، 9.

[2] بن جماعة، *كشف المعاني*، 26–30; النعيمي، *الدارس في تاريخ المدارس*، 1/270-425.

5. المدرسة الغزالية: وكانت في إحدى زوايا المسجد الأموي، ونسبت إلى الإمام الغزالي رحمه الله تعالى لأنه استقر فيها بعد دخوله دمشق، وكان من مدرسيها العز بن عبد السلام، ودرس فيها ابن جماعة سنة 685هـ، ثم تركها وعاد إليها مرة أخرى في سنة 699هـ.

ب. مدارس القاهرة:

1. المدرسة الصالحية: كانت جزءًا من القصر الفطمي الكبير في خطٍ بين القصرين، أعمرها الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة 641هـ ورتب فيها قاعات لتدريس فقه المذاهب الأربعة، تولى ابن جماعة التدريس بها في رمضان سنة 690هـ إلى ذي الحجة سنة 693هـ، ثم في ربيع الأول سنة 711هـ إلى رجب سنة 727هـ، وكانت جلسات قضاء ابن جماعة في هذه المدرسة على ما ذكره المقريزي.
2. المدرسة الناصرية: مكانها مصر بجوار قبة الإمام الشافعي رضي الله عنه، أنشأها السلطان صلاح الدين الأيوبي لتدريس فقه الشافعية، وتولى تدريسها ابن جماعة في صفر سنة 693هـ، وبقي فيها حتى سنة 727هـ.
3. المدرسة الكاملية: بالشيخونية، أنشأها السلطان الكامل محمد بن أيوب بخط بين القصرين سنة 622هـ، وهي ثاني دار أُنشِئَت لتدريس الحديث النبوي بعد المدرسة التي بناها في دمشق الملكُ العادلُ نور الدين زنكي، وتولى ابن جماعة التدريس بها سنة 711هـ حتى سنة 747هـ.
4. مدرسة جامع ابن طولون: بناها الأمير أبو العباس أحمد بن طولون سنة 263هـ في جبل يشكر بالقاهرة وهو مكان مشهور بإجابة الدعاء، قيل: إن موسى عليه السلام ناجى ربه عليه بكلمات، عَمَّرَها الملكُ المنصورُ لاجين، وتولى ابن جماعة رئاستها في ربيع الآخر سنة 711هـ.
5. جامع الحاكم: أسسه الخليفة العزيز بالله الفاطمي خارج باب الفتوح أحد أبواب القاهرة، ويعرف بالجامع الأنور، وجدده بيبرس الجاشنكير سنة 702هـ، وجعل فيه علماء على المذاهب الأربعة، ودرس حديث ونحو وقراءات، فكانت حلقة دروس الشافعية للقاضي بدر الدين بن جماعة.
6. زاوية الإمام الشافعي: بالجامع العتيق، وسميت باسم الشافعي رضي الله عنه لأنه كان يدرس فيها فعرفت باسمه، ودرس فيها ابن جماعة سنة 721هـ، عوضًا عن شهاب الدين الأنصاري لسوء تصرفه، وبقي يدرس بهذه الزاوية حتى توفي رحمه الله تعالى سنة 733هـ.

7. المشهد الحسيني: وهي مدرسة أنشأها السلطان صلاح الدين الأيوبي عند المحراب الذي خلف المشهد الموجود في رحلة ابن جبير المعروف بحَيِ الأزهر، وقد ورد ذكر هذه المدرسة في رحلة ابن جبير سنة 578هـ، ودرس ابن جماعة في هذه المدرسة في المدرسة في صفر سنة 693هـ مع غيرها من المدارس.
8. المدرسة الخشابية: وهي داخل المسجد العتيق (جامع عمرو بن العاص) في مصر القديمة، وتعرف باسم الزاوية الصلاحية، وكانت من جملة المدارس التي أضيف لابن جماعة التدريس فيها سنة 693هـ.

وقد تخرج على يديه مشاهير علماء عصره، بل مشاهير الأمة في كل العصور، ومن هؤلاء:[1]

1. الإمام أثير الدين أبو حيان صاحب البحر المحيط في التفسير
2. العلامة تاج الدين عبد الوهاب السبكي صاحب طبقات الشافعية الكبرى
3. المؤرخ الكبير صلاح الدين الصفدي صاحب كتاب الوافي بالوفيات ونكت الهيمان
4. الإمام المحدث نور الدين علي بن جابر الهاشمي شيخ الحديث بالمدرسة المنصورية
5. الفقيه الكبير قطب الدين السنباطي صاحب كتاب التعجيز وأحكام المبعض
6. العلامة شهاب الدين الهكاري
7. الإمام شمس الدين بن القمَّاح الفقيه المحدث الحافظ المؤرخ
8. الإمام شمس الدين الذهبي صاحب المؤلفات الجمة
9. قاضي القضاة عز الدين بن جماعة وهو الابن الثالث للشيخ بدر الدين ولي قضاء القضاة بعد أبيه وكان من تلاميذه ابن كثير وابن حجر العسقلاني.

ومن صلب العلامة قاضي القضاة "بدر الدين بن جماعة" خمسة عشر عالمًا وعالمةً، هم أولاده وأحفاده، منهم أربع نساء عالمات فاضلات سبقن نعض الرجال في علم الحديث وهن شَهدة بنت جماعة، زوجة قاضي القضاة تاج الدين المناوي، وزينب بنت جماعة، وعائشة بنت جماعة، وسارة بنت جماعة.

[1] ابن جماعة، *كشف المعاني*، 31–33.

خامسًا: أقوال العلماء عنه

كان خُلُقُ بدر الدين بن جماعة طيب أجمل مما كان عليه في هيئته وحسن طلعته، فقد وُصِفَ بالورع والصيانة وكف الأذى عن الناس، ولين الجانب لهم، مع حسن الخلق والتودد لمعارفه وطلابه وغيرهم. وكان مع كثرة أمواله مسعود الحظ في وظائفه، حيث تقلد أهم وظائف الدولة في عصره، ومع كل إقبال الدنيا عليه بشتى ألوانها، فإنه أمسك نفسه عن الالتفات إليه، فأخذ نفسه بالتقشف والاقتصاد في جميع أغراض حياته من مأكل وملبس وغيرها، فجعل العفاف حليته، والكفاف غايته والعبادة مسلكه.

فقد قال عنه ابن حجر أنه واقر العقل، حسن الهدى، متين الديانة ذا تعبد وأوراد، وكان يترك الأخذ على القضاء عِفَةً. وقال عنه القطب أنه من بيت علمٍ وزهادةٍ، وكانت فيه رياسة وتودد، ولين وحسن الخلق، ومحاضرة حسنة، وقوة نفس في الحق. [1]

يقول عنه تلميذه السبكي في طبقات الشافعية: " مُتَحَلٍ بالعفاف، مُتَخَلٍّ إلا عن مقدار الكفاف، ذو عقلٍ لا يقوم أساطين الحكماء بما جمع فيه"، ويقول القاضي مجير الدين الحنبلي عنه: "كان حسن السيرة له الجلالة والخُلُقُ الرضي".

سادسًا: مؤلفاته

كان ابن جماعة من المصنفين، بل ومن المكثرين في التأليف والتصنيف، حيث كان غزير التاليف وافر الإنتاج، وسنقسم مصنفاته حسب العلوم كما يأتي:[2]

أ. التفسير وعلومه:

1. التبيان في مبهمات القرآن: ذكره حاجي خليفة، وإسماعيل باشا، ولا وجود له مطبوعًا.
2. غرر التبيان فيمن لم يسم في القرآن
3. كشف المعاني عن المتشابه من المثاني
4. الفوائد اللائحة من سورة الفاتحة: ذكره مجير الدين الحنبلي.
5. المقتص في فوائد القصص: ذكره حاجي خليفة، وإسماعيل باشا.

ب. الحديث الشريف وعلومه:

1. المنهل الروي في علوم الحديث النبوي، وهو شرح لكتاب "مقدمة ابن الصلاح"
2. الفوائد الغزيرة المستنبطة من حديث بريرة.
3. مختصر في مناسبات تراجم البخاري لأحاديث الأبواب

---

[1] العسقلاني، *الدرر الكامنة*، 282/3.

[2] بن جماعة، *كشف المعاني*، 35–44.

4. مختصر أقصى الأمل والشوق في علوم حديث الرسول
5. الأربعون التساعية الإسناد

ت. علم الفقه:
1. العمدة في الأحكام
2. كشف الغمة في أحكام أهل الذمة
3. الطاعة في فضيلة صلاة الجماعة
4. المسالك في علم المناسك
5. تنقيح المناظرة في تحقيق المخابرة

ث. علم الكلام:
1. الرد على المشبهة في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[1].
2. التنزيه في إبطال حجج الشبيه
3. إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل

ج. علم السياسة الشرعية:
1. تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام
2. حجة السلوك إلى مهاداة الملوك

ح. علم التاريخ:
1. المختصر الكبير في السيرة
2. نور الروض

خ. علم النحو:
1. شرح كافية ابن الحاجب
2. الضياء الكامل في شرح الشامل

د. العلوم الحربية:
1. تجنيد الأجناد وجهات الجهاد
2. مستند الأجناد في آلات الجهاد
3. مختصر في فضل الجهاد

ذ. علم الفلك:
1. رسالة في الأصطرلاب

ر. التربية والتعليم وتنظيم المدارس:
1. تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم

ز. الأدب
1. ديوان خطب

---

[1] *القرآن الكريم*، سورة طه: 5.

2. أرجوزة في الخلفاء
3. أرجوزة في قضاة الشام

سابعًا: وفاته

توفي القاضي بدر الدين بن جماعة ليلة الإثنين الحادي والعشرين من جمادىٰ الأول سنة سبعمائة وثلاثًا وثلاثين، وقد امتد به العمر أربعًا وتسعين سنةً حافلةً بالعطاء والعلم الوافر مع التواضع والزهد.

الفصل الثالث: أهمية الكتب الثلاث: كشف المعاني وتفسير الكشاف ومعاني القرآن وإعرابه

في هذا الفصل سنتعرض إلى أهمية الكتب الثلاث التي ستعتمد عليها الرسالة في بحث المتشابهات في القرآن الكريم، ذلك من خلال ثلاثة مباحث رئيسة: المبحث الأول والذي سيعرض (كشف المعاني) لابن جماعة، تأثره بالسابقين وتأثيره على بعض المؤلفات، والمبحث الثاني والذي سيناول (تفسير الكشاف) للزمخشري، تأثره بالسابقين وتأثيره على بعض المؤلفات، والمبحث الثالث الذي سيعرض (معاني القرآن وإعرابه) للزجاج، تأثره بالسابقين وتأثيره على بعض المؤلفات.

المبحث الأول: أهمية كتاب كشف المعاني لابن جماعة

في هذا المبحث سنتعرف على كتاب كشف المعاني لابن جماعة وذلك من خلال منهج ابن جماعة في تفسير المتشابهات ومعنى المتشابه الذي أفرد له في كتابه، تأثره بالسابقين، وأخيرًا، تأثيره على من بعده.

أولًا: منهج الكتاب

لقد برع ابن جماعة في كتابه "كشف المعاني في المتشابه من المثاني" في توجيه المتشابهات بين آيات القرآن وألفاظه، ويُحِسُّ القارئ من بداية صفحات الكتاب أنه في رحاب عالم غزير العلم، منفرد الفكرة، لا يكل نفسه إلى مجرد النقل عمن سبقه، وإنما يمعن النظر، ويشحذ الفكر، ويأتي في البحث بما هو جديد طريف.

ويمكن بيان أسلوب الشيخ ابن جماعة في كتابه في النقاط الآتية:[1]

1. تتبع ابن جماعة الآيات المتشابهة، فشملت غالب سور القرآن الكريم، ووضع كل متشابهٍ على هيئة مسائل مفترضة، ثم يقوم هو بالجواب عنها.
2. تدل مسائله الافتراضية التي تتبعها في كل سور القرآن على استيفائه لكل الآيات المتشابهة، ولهذا جاء كتابه وافيًا بمسائل هذا الفن مستوعبًا لمفرداته.
3. أخضع منهج الجواب إلى مصادر ثلاثة:

[1] بن جماعة، *كشف المعاني*، 62–64.

أ. النقل

ب. اللغة

ت. التدبر وإمعان النظر

4. إذا تكررت الآيات المتشابهة في سور مختلفة فإنه يحيل الجواب إلى الموضع المذكور مسبقًا، ولم ينس – رحمه الله – أن يذكر إلا في مسألتين أو ثلاث وذلك جاء على ذكر محقق الكتاب.
5. في بعض المسائل يكرر أجوبتها بطرق مختلفة إن وردت في عدة مواضع.

وكان أكثر إجاباته عن التشـــابه اللفظي راجع إلى الاســـتنباط اللغوي والبلاغي مما لم يذكر أكثره في كتب السابقين، وقد ذكره الشيخ ابن جماعة ذلك في مقدمة كتابه حيث قال:

"أما بعد: فلما مَنَّ الله تعالىٰ بالقرآن العزيز وحفظه وتحصـــيله، والوقوف على ما قدَّر من تفســـيره وتأويله، واتفق إلقاء دروس التفسير في المدارس، وما يظهر في بحوثها من النفائس، ربما لهج بعض فضـلاء الحاضرين بمسـائل حسـنة غريبة، وسـأل عن مناسـبات ألفاظها لمعانيها العجيبة، مما لم يذكر بعضـه أو أكثره في كتب التفسـير المشـهورة، ولا ألمت به في أسـفارها المسـطورة، من اختلاف ألفاظ معان مكررة، وتنويع عبارات فنونه المحررة، ومن تقديم وتأخير، وزيادات ونقصـــان، وبديع وبيان، وبسـط واختصـار، وتعويض حروف بحروف أغيار، فتحل تلك الأسـولة بما يفتح الله تعالىٰ به إما منقول أو غير منقول.

وقد اســـتخرت الله تعالىٰ في ذكر أجوبة ما على الخاطر منه، باختصـــار لا غنىٰ لفهمه، وسميت: (كشف المعاني في المتشابه من المثاني)

وقد علم أن القرآن نزل بأفصـــح لغات العرب وكلامها، وتضـــمن فنون أنواع فصـــاحتهم وأقسـامها، توسـيعًا لمجالهم في معارضـة شيء منه إن قدروا، وبيانًا لعجزهم عن الإتيان بمثل ذراه ولو تســـوروا، فلذلك تنوعت موارده، وتشـــعبت مقاصـــده، وعمت فوائده، وناســـبت ألفاظه مواضعها، وصادقت فصاحته مواقعها.

وسـأذكر – إن شـاء الله تعالى – بعض ما يظهر به ما خفي من ذلك، سـالكًا في إيراده أقرب المسالك"[1]

[1] بن جماعة، *كشف المعاني*، 79–81. "مقدمة المخطوطة"

ثانيًا: تأثره بالسابقين

يعتبر أبو الفرج ابن النديم المتوفي سنة 385هـ من أقدم كُتَّاب الفهرس وكَشَّافِي الفنون والمصنفات الذين تحدثوا بصورة إجمالية عن مصنفي تفسير القرآن الكريم، وإن كان قد أورد أسماء المصنفين دون أن يذكر أسماء المصنفات؛ ولكن بدر الدين الزركشي المتوفي سنة 794هـ، أشهر من قدَّم لنا كشفًا بأسماء مصنفي هذا اللون من ألوان التفسير، وإن فاته أن يذكر مصنفات بعضهم كما فاته أن يذكر هذا المصنف للشيخ ابن جماعة مع قرب عهده به، وشيوع ذكره في تراجم تلاميذه كتاج الدين السبكي الذي نقل إلينا أكثر من صفحة من كتاب كشف المعاني عند ترجمته لشيخه ابن جماعة.

وربما فات الزركشي ذكر ابن جماعة ومصنفه "كشف المعاني في المتشابه من المثاني" لظهور الكتاب وشيوعه بعد وفاة الزركشي نفسه. غير أنه من حسن الحظ أن جلال الدين السيوطي المتوفي سنة 911هـ والذي استفاد من كتاب "البرهان" للزركشي قد استدرك على الزركشي ما فاته ذكره، ومن جملة ذلك كتاب "كشف المعاني لابن جماعة".

ومن كُتَّاب الفهارس الذين نقلوا لنا ما أورده الزركشي والسيوطي "طاش كبرى زاده" صاحب كتاب "مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم"، غير أنّه لم يَذكُر لنا ما إذا كان قد صُنِّف في هذا الفن بعد عصر السوطي أم لا.

قد أفاد ابن جماعة من عدد من التوجيهات التي ذكرها ابن الزبير الغرناطي في كتابه "ملاك التأويل"، ولكنه لم يشر إلى مصدرها، بل لم يذكر ابن الزبير بأي إشارة، وإن أكثر ما في الكتاب مأخوذ من البرهان للكرماني، ومع ذلك لم يشر إلى أخذه من الكرماني، بل لم يذكر اسمه في المقدمة، بل إنه ذكر كلامًا يشعر بأنه قد أنشأ الكتاب مما سوح به خاطره، بينما يؤيد أخذه معظم مادة كتابه من البرهان للكرماني، ولعل الكثير ذلك ظهر في أثناء هذا البحث.

ولذا فإن إغفال اسم ابن الزبير في كتاب ابن جماعة غير مستغربٍ، خصوصًا أن ذلك يؤيده أمران: أحدهما المكان؛ فابن الزبير في بلاد الأندلس وابن جماعة في الشام ومصر، والآخر الزمان؛ فليس بينهما فاصل زمني كبير مما يدفعه إلى أخذ كلام ابن الزبير وعدم الإشارة إليه لندرة من سيطلع على الكتاب الأصل في هذه الفترة، أما الكرماني فهو ليس بعيدًا في المكان، وبالنسبة للزمان؛ فقد توفي الكرماني قبل ابن جماعة بما يقرب من قرنين من الزمان وقد نال كتابه نصيبًا من الشهرة في شرق العالم الإسلامي، ومع ذلك فلم يذكره ابن جماعة.

سأذكر ما وجدت من إفادة ابن جماعة من ابن الزبير، نذكر بعضها في النقاط الآتية:

- توجيه للوصف بمعلوم في قوله: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ [سورة المعارج: 24] وحذف له في آية الذاريات ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [سورة الذاريات: 19] [1].
- ربطه لآيتي سورة الملك في قوله تعالى: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (16) أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (17)﴾ [سورة الملك: 16-17] بآية سورة الأنعام: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [سورة الأنعام: 65]، حيث لم يرد هذا الربط في كلام الكرماني، وإنما عند ابن الزبير [2].
- توجيه وصف الغلام بالحلم في الصافات: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [سورة الصافات: 101]، وفي الذاريات بالعلم كما في قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [سورة الذاريات: 28] [3].
- من التوجيهات التي تبع فيها ابن الزبير أيضًا توجيهه لزيادة "منهم" في آية الفتح كما في قول الله تعالى: ﴿... وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة الفتح: 29] [4].
- توجيهه لاختيار الجمع بصيغة جمع الكثرة "خطايا" في آية سورة البقرة: ﴿... نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 58]، وكذلك توجيهه للوصل في الآية نفسها، وذلك في مقابلة الفصل في قوله تعالى: ﴿... نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة الأعراف: 161] [5].
- توجيه جمع آيات في قوله تعالى: ﴿... فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة العنكبوت: 24] في مقابلة إفرادها في الآية بعدها: ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة العنكبوت: 44] [6].

---

[1] انظر: أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، *ملاك التأويل*، 450; ابن جماعة، *كشف المعاني*، 364.
[2] انظر: أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، *ملاك التأويل*، 479; ابن جماعة، *كشف المعاني*، 361.
[3] انظر: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي، *ملاك التأويل*، 725/2; ابن جماعة، *كشف المعاني*، 308.
[4] انظر: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي، *ملاك التأويل*، 374/1; ابن جماعة، *كشف المعاني*، 146.
[5] انظر: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي، *ملاك التأويل*، 202/1; ابن جماعة، *كشف المعاني*، 97.
[6] انظر: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي، *ملاك التأويل*، 917/2; ابن جماعة، *كشف المعاني*، 289.

- وكذلك توجيهه لاختلاف حرف العطف "الواو" في قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا ...﴾ [سورة هود: 58]، إلى الفاء في قصتي صالح ولوط خاصة في نفس السورة: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [سورة هود: 66] و ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ﴾ [سورة هود: 82] [1].
- وكذلك توجيهه لتقديم اسم الإشارة "هذا" في قوله تعالى في سورة النمل: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [سورة النمل: 68] في مقابلة قوله في المؤمنين: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [سورة المؤمنون: 83] [2].
- وكذلك ذكره أن القصد من التكرار في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: 144]، الدلالة على التوكيد باستقبال الكعبة [3].
- ومن توجيه الفصل في آية يونس: ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة يونس: 33]، وتوجيه الوصل في شبيهتها في غافر: ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [سورة غافر: 6] [4].
- وكذلك توجيه ختم الآية بوصف العزة والحكمة في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [سورة الفتح: 7] في مقابل أختها في نفس السورة: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [سورة الفتح: 4] [5].
- بيان سر التعبير بالمضارع يضل في آية الأنعام: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة الأنعام: 117] في مقابلة الماضي في آيات أخرى [6].

---

[1] انظر: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي، *ملاك التأويل*، 656/2; ابن جماعة، *كشف المعاني*، 289.
[2] انظر: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي، *ملاك التأويل*، 880/2; ابن جماعة، *كشف المعاني*، 268.
[3] انظر: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي، *ملاك التأويل*، 240/1; ابن جماعة، *كشف المعاني*، 109.
[4] انظر: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي، *ملاك التأويل*، 614/1; ابن جماعة، *كشف المعاني*، 203.
[5] انظر: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي، *ملاك التأويل*، 1025/2; ابن جماعة، *كشف المعاني*، 340.
[6] انظر: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي، *ملاك التأويل*، 472/1; ابن جماعة، *كشف المعاني*، 166.

- ومن ذلك الإشارة إلى تضمن آية الأنبياء: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [سورة الأنبياء: 2] لمعنى التأنيس والتلطيف [1].
- ومن ذلك التنبيه على التعبير بالإرسال في قوله تعالى: ﴿... فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [سورة الأعراف: 162] أشد من التعبير بالإنزال في قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [سورة البقرة: 59] [2].
- توجيه سبب إيراد لفظ "الطامة" في سورة النازعات في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾ [سورة النازعات: 34] ومناسبة ذلك لسياق السورة [3].
- توجيهه لتقديم الإشارة إلى النفع على الضر في آية الفرقان: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ [سورة الفرقان: 55] [4].

هذه نماذج المواضع التي أفاد منها الشيخ ابن جماعة في كتابه "كشف المعاني" من الشيخ ابن الزبير الغرناطي في كتابه "ملاك التأويل"، وهناك مواضع أخرى لا تكون الإفادة فيها واضحة، بحيث يصعب الجزم بأخذها من ملاك التأويل، أو يكون أصل التخريج موجودًا عند غير ابن الزبير، لكنه يوافق ابن الزبير في جزء منه لا يوجد عند غيره.

ثالثًا: تأثيره فيمن بعده

هناك بعض المؤلفات التي اعتمدت على كتاب كشف المعاني بشكل قليل وبشكل متفيض، كما سنذكر بعضها كالآتي:

- بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي – رحمه الله – هو احد كبار العلماء في القرن الثامن الهجري، واشتهر بعلمه الواسع في الفقه وأصوله، والتفسير، والحديث، حيث إنه وُلِدَ سنة 745هـ، وتُوُفِيَ سنة 794هـ؛ أي عاصر الشيخ بن جماعة فترة من حياته، حيث إنه تُوُفِيَ سنة 733هـ. وقد ذكره الزركشي في كتابه "البرهان في علوم القرآن" [5] في مقدمة النوع الخامس في علم المتشابه، حيث إنه ذكر من

[1] انظر: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي، *ملاك التأويل*، 734/2; بن جماعة، *كشف المعاني*، 254.
[2] انظر: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي، *ملاك التأويل*، 209/1; بن جماعة، *كشف المعاني*، 98.
[3] انظر: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي، *ملاك التأويل*، 1135/2; بن جماعة، *كشف المعاني*، 373.
[4] انظر: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي، *ملاك التأويل*، 613/1; بن جماعة، *كشف المعاني*، 202.
[5] الزركشي، *البرهان*، 87.

صنف في علم المتشابه مثل ابن جماعة في كتاب "كشف المعاني عن متشابه المثاني"، وصنف في توجيهه الكرماني في كتابه "البرهان في توجيه متشابه القرآن" [1]، الإسكافي في كتابه "درة التنزيل وغرة التأويل" [2]. وقد قسم علم المتشابه إلى خمسة عشر فصلًا، بداية من الفصل الأول وهو تحت عنوان المتشابه باعتبار الأفراد، ثم الفصل الثاني والذي يحمل عنوانًا باسم ما جاء على حرفين، وجاء الفصول من الفصل الثالث إلى الفصل الخامس عشر على هذا النحو: ما جاء على ثلاثة أحرف، وعلى أربعة حرف، وعلى خمسة أحرف، وستة حرف، وسبعة أحرف، وعلى ثمانية أحرف، وعلى تسعة أحرف، وعلى عشرة أحرف، وعلى أحد عشر حرفًا، وعلى خمسة عشر حرفًا، وعلى ثمانية عشر حرفًا، وعلى عشرين حرفًا، وعلى ثلاثة وعشرين حرفًا. أُفردت هذه الفصول على أربع وعشرين صفحةٍ [3].

- عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي والمعروف بجلال الدين السيوطي هو أحد أعلام العلماء في القرن التاسع الهجري، وكان إمامًا في التفسير، والحديث، والفقه، واللغة، والتاريخ، وله أكثر من 600 مصنف. وُلِدَ السيوطي سنة 849هـ في القاهرة، وتُوُفِيَ سنة 911هـ في القاهرة أيضًا. استفاد جلال الدين السيوطي من كتاب "البرهان" للزركشي ومن كتاب " كشف المعاني عن متشابه المثاني" لابن جماعة.

- أبو يحيى زكريا الأنصاري هو الإمام زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري السُنَيْكِي الخزرجي الأنصاري، من كبار علماء الإسلام، ومن أبرز فقهاء وقضاة القرن التاسع الهجري، وُلِدَ سنة 823هـ في قرية سُنَيْكَة التابعة لمحافظة الشرقية بمصر، وتُوُفِيَ سنة 926هـ في القاهرة عن عمر ناهز المائة والثلاثة عام. كتب أبو يحيى الأنصاري في هذا الفن، أي المتشابهات في القرآن الكريم، كتابًا اسمه "فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن" [4]. فكان ينقل في كتابه عن ابن جماعة من كتابه "كشف المعاني" وتأثر بطريقة عرضه للمسألة الافتراضية، حيث يذكر الآية الكريمة مع ذكر السورة، ثم يذكر الآية المتشابهة ويوضح معنى كلاهما من الاختلاف أو الاتفاق في المعنى.

---

[1] الكرماني، *البرهان*.
[2] الخطيب الإسكافي، *درة التنزيل وغرة التأويل*.
[3] الزركشي، *البرهان*، 87–111.
[4] الأنصاري، *فتح الرحمن*.

المبحث الثاني: أهمية كتاب تفسير الكشاف للزمخشري

في هذا المبحث سنتعرف على كتاب الكشاف للزمخشري وذلك من خلال منهجه في تفسير الآيات واستخراج الصور البلاغية منها، تأثره بالسابقين، وأخيرًا، تأثيره على من بعده.

أولًا: منهج الكتاب

كان الزمخشري معتزلي الاعتقاد متظاهرًا به، حتى نُقِلَ عنه أنه كان إذا قصد صاحبًا له واستأذن عليه في الدخول يقول لمن يأخذ الإذن له: قل له أبو القاسم المعتزلي بالباب، وأول ما صنف كتاب "الكشاف" كتب استفتاح الخطبة: "الحمد لله الذي خلق القرآن"، فيقال إنه قيل له: متى تركته على هذه الهيئة هجره الناس ولا يرغب أحدٌ فيه، والبحث في هذا يطول، ورأيت في كثير من النسخ "الحمد لله الذي أنزل القرآن كلامًا مؤلفًا منظمًا" [1]، وهذا إصلاح الناس لا إصلاح المصنف [2].

ذكر الزمخشري في فاتحة الكتاب ما دعاه إلى تقييده، فبيَّن أن بعض إخوانه في الدين – يعني في مذهب الاعتزال – اجتمعوا إليه وسألوه أن يُملِي عليهم الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، واستشفعوا عليه بكل عظيمٍ، إلى أنْ رحل إلى مكة، وهو مع كل هذا يستعفي، حتى قابل الأمير، الشريف أبا الحسن بن وهاس، فصادف منه رغبةً كرغبةِ من سأله الإقدام، فلم يملك إلا الإذعان وتلبية أمر الإمام. ولقد أنهى تفسيره في مقدار مدة خلافة أبي بكرٍ الصديقِ رضي الله عنه، وكان يقدر تمامه في أكثر من ثلاثين سنة [3].

كان الزمخشري ينتصر لمذهبه بكل ما استطاع من حجاج، حتى لو اضطره ذلك إلى تأويلها على غير لسان العرب، حيث يفسر الآية، وتكون بعيدة جدًا عن معتقده، إلا أنه يزيف ويزين التأويل لتمكنه من فنون القول، وبراعته في الكلام، حتى يدخله على قلوب كثيرٍ من الناس، مما دفع سراج الدين البلقيني حيث ألَّف كتابًا اسمه "حواشي الكشاف" لاستخراج أفكار المعتزلة من بين كلامه [4].

لقد سلك الزمخشري في مناهج تنوعت إلى ما يلي:

أ. تأويله للفظ القرآني بما يتفق مع مذهبه: كأن يتعرض لتفسير آية فيكون لفظها على ظاهره لا يساعد مذهبه، فيذهب به إلى معنى آخر، ومثال على ذلك تفسيره لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (22) إِلَىٰ رَبِّهَا

---

[1] الزمخشري، *الكشاف*، 102.
[2] ابن خَلّكان، *وفيات الأعيان*، 170/5.
[3] الزمخشري، *الكشاف*، 19.
[4] السيوطي، *حسن المحاضرة*، 329/2.

نَاظِرَةٌ (23)﴾ [سـورة القيامة:22 -23]، هذه الآية تثبت رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة، وهذا مردود عند المعتزلة، فيذهب الزمخشري إلى أن معنى "ناظرة" منتظرة؛ "فاختصاصه بنظرهم إليه لو كان منظورًا إليه محال، فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص، والذي يصح معه، أن يكون من قول الناس: أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي" [1].

ب. إيغاله في التأويل بالتمثيل والتخييل: كان الزمخشري إذا حاصره النص القرآني حاول حمله على التخييل، فنراه عند تعرضه لقوله تعالى: ﴿... وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ...﴾ [سورة البقرة: 255] يذكر أربعة أوجه في معنى "الكرسي"، يقول في أولها: إن كرسيه لم يضق عن السماوات والأرض لبسطته وسعته، وما هو إلا تصوير لعظمته وتخييل فقط، ولا كرسي ثمة، ولا قعود، ولا قاعد؛ كقوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة الزمر: 67]، من غير تصور قبضة وطيٍّ ويمين، وإنما هو تخييل لعظمة شأنه، وتمثيل حسن[2].

وطبيعي ألا يرتضي ابن المنير كلام الزمخشري؛ فتعقبه قائلًا: "قوله في الوجه الأول: إن ذلك تخييل للعظمة، وسوء أدبٍ في الإطلاق، وبعد في الإصرار؛ فإن التخييل إنما يستعمل في الأباطيل وما ليست له حقيقة صدق، فإن يكن معنى ما قاله صحيحًا، فقد أخطأ في التعبير عنه بعبارة موهمة لا مدخل لها في الأدب الشرعي" [3].

بل إن الزمخشري يتوسع في تخييله وتمثيله حتى ولو عضد مفهوم الآية حديث أو أثر؛ ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿... وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: 36]، فيقول: "ما يروون من الحديث: ما من مولود إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخًا من مس الشيطان إياه إلا مريم وابنها؛ فإنهما كانا معصومين، وكذلك كل من كان في صفتهما؛ كقوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ(83)﴾ [سورة ص: 82-83]، واستهلاله صارخًا من مسه: تخييل وتصوير لطعمه فيه، كأنه يمسه ويضرب بيده عليه، ويقول: هذا ممن أغويه. ونحوه من التخييل – قول ابن الرومي:

لِمَا تُؤذِنُ الدنيا به من صُرُوفِها يكون بكاء الطفل ساعةَ يُولَدُ

[1] الزمخشري، *الكشاف*، 3441.
[2] الزمخشري، *الكشاف*، 2827.
[3] الزمخشري، *الكشاف*، 28.

وأما حقيقة المس والنخس كما يتوهم أهل الحشـو فكلا، ولو سـلط إبليس على الناس بنخسـهم لامتلأت الدنيا صراخًا وعياطًا مما يبلونا به نخسه" [1].

ما كان لن المنير أن يترك مثل هذا الكلام حتىٰ يتعقبه، فنراه يقول ردًا عليه: "أما الحديث المذكور فمذكور في الصحاح متفق علىٰ صحته، فلا محيص له إذن من تعطيل كلامه عليه السلام بتحميله؛ جنوحًا إلى اعتزال منتزع، في فلسـفة منتزعة، في إلحادٍ، ظلمات بعضـها فوق بعض ... ثم تنظيره بتخييل ابن الرومي في شـعره جرأة وسـوء أدب، ولو كان معنىٰ ما قاله صـحيحًا لكانت هذه العبارة واجبًا أن تجتنب، ولو كان الصراخ غير واقع من المولود لأمكن على بعد أن يكون تمثيلًا، أما وهو واقع مشـاهد، فلا وجه لحمله على التخييل إلا الاعتقاد الضئيل وارتكاب الهوىٰ والوبيل"[2].

إن الفطن اللبيب ليعلم يقينًا لأن ابذي جر المعتزلة – والزمخشـري منهم – إلىٰ هذا التحايل والتمثيل إنما هو تقديسهم للعقل مطلقًا، فقاسوا به الغائب على الشاهد، وجعلوه حكمهم ونبراسهم، يقول الزمخشـري في كتابه "أطواق الذهب في المواعظ والخطب" في ذم التقليد الأعمىٰ في المقالة السـابعة والثلاثين، حيث لقب العقل بالسـلطان: "امشِ في دينك تحت راية السـلطان، ولا تقنع بالرواية عن فلان وفلان؛ فما الأسـد المحتجب في عرينه، أعز من الرجل المحتج على قرينه، وما العَنْزُ الجرباء تحت الشـمأل البليل، أذل من المقلد عن صحب الدليل"[3].

ت. حمله للآيات المتشـابهات علىٰ المحكمات إذا تصـادمت مع مذهبه: ومن ذلك قول الله تعالىٰ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (22) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (23)﴾ [سـورة القيامة:22 -23] حيث حمله علىٰ قوله تعالىٰ ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَـارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَـارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 103]، وابن المنير يغضـب على الزمخشـري لصنيعه تلك، فيقول: "هذا كما قدمته عنه من تكلفه لتنزيل الآي على وفق ما يعتقده، وأعوذ بالله من جعل القرآن تبعًا للرأي؛ وذلك أن معتقده إحالة رؤية الله تعالىٰ؛ بناء علىٰ زعم القدرية من أن الرؤية تسـتلزم الجسـيمة والجهة، فإذا ورد عليهم النص القاطع الدال على وقوع الرؤية كقوله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (23)﴾ [سـورة القيامة: 22] مالوا إلىٰ جعله من المتشـابه حتىٰ يردوه – بزعمهم – إلى الآية التي يدعون أن

[1] الزمخشري، *الكشاف*، 522/1.
[2] الزمخشري، *الكشاف*، 28.
[3] الزمخشري، *أطواق الذهب*، 110.

ظاهرها يوافق رأيهم" [1]. على أن الزمخشري كان ينتصر لمعتقداته من خلال تفسيره للآيات، فهو يرى – كغيره من المعتزلة – أن صاحب الكبيرة مخلد في نار جهنم، واحتج بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء: 93]، يقول: فإن قلت هل فيها دليل على خلود من لم يتب من أهل الكبائر؟ قلت: ما أبْيَنَ الدليل، وهو تناول قوله: "ومن يقتل" أي قاتل كان من مسلمٍ أو كافرٍ، تائبٍ أو غير تائبٍ، إلا أن التائب أخرجه الدليل، فمن ادعى إخراج المسلم غير التائب فليأت بدليل مثله"[2].

ومن ذلك انتصاره لمذهب شيعته في السحر؛ فإنهم لا يقولون به، ولا يعتقدون في السحرة، كما في تفسير سورة الفلق التي فلقت معتقدهم في السحر، يحاول التملص من مفهومها، فيفسر قوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفلق: 4]، بأن المقصود النساء أو النفوس، أو الجماعات السواحر اللاتي يعقدن عقدًا في الخيوط، وينفثن عليها ويرقين، ثم يقول: ولا تأثير لذلك، اللهم إلا إذا كان ثم إطعام شيءٍ ضارٍ، أو سقيه، أو إشمامه، أو مباشرة المسحور به على بعض الوجوه، ولكن الله عز وجل قد يفعل عند ذلك فعلًا على الامتحان الذي يميز به الثبات على الحق، من الحشوية والجهلة من العوام، فينسبه الحشو والرعاع إليهن وإلى نفثهن، والثابتون بالقول الثابت لا يلتفتون إلى ذلك ولا يعبئون به ... قال: ويجوز أن يراد بهن النساء الكيَّادات من قوله: ﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: 28] تشبيهًا لكيدهن بالسحر والنفث في العقد، أو اللاتي يفتنَّ الرجال بتعرضهن لهم وعرضهن محاسنهن، كأنهن يسحرن بذلك" [3]

ولقد تعرض له ابن المنير حاكمًا عليه بأنه: "استفزه الهوى حتى أنكر ما عرف، وما به إلا أن يتبع اعتزاله، ويغطي بكفه وجه الغزالة"[4].

ومن انتصاره لمذهبه صولته وجولته في مسألة الإرادة وخلق الأفعال – وذلك في كثير من الآيات التي تصرح بأن للعباد مشيئة تحت مشيئة ربهم وخالقهم، فتراه يرد إرادة الله تعالى إلى معنى اللطف والتوفيق، فهو في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة:

---

[1] الزمخشري، *الكشاف*، 29/1.
[2] الزمخشري، *الكشاف*، 29/1.
[3] الزمخشري، *الكشاف*، 465/6-466.
[4] الزمخشري، *الكشاف*، 23/1.

272] تذرع بلفظ "اللطف"، فتعقبه المنير قائلًا: "المعتقد الصحيح أن الله هو الذي يخلق الهدىٰ لمن يشاء هداه، وذلك هو اللطف، لا كما يزعم الزمخشري أن الهدىٰ ليس خلق الله وإنما العبد يخلقه نفسه، وإن أطلق الله تعالىٰ إضافة الهدىٰ إليه كما في هذه الآية فهو مأوَّل على زعم الزمخشري بـ "لطف الله" الحامل للعبد علىٰ أن يخلق هواه. إن هذا إلا اختلاق. وهذه النزعة من توابع معتقدهم السيء في خلق الأفعال، وليس علينا هداهم، ولكن الله يهدي من يشاء، وهو المسؤول ألا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا" [1].

ومن انتصاراته لمعتقده إقراره وحجاجه عن مبدأ الحسن والقبح العقليين، ولما كان لا يستقيم له هذا المبدأ إلا بإزاحة ما قد يعترضه من عقبات، لجأ إلىٰ اللف والتحايل حول آيتين من كتاب الله: الأولىٰ قوله تعالىٰ: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [سورة النساء: 165]، والثانية: قوله تعالىٰ: ﴿... وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [سورة الإسراء: 15]؛ فالزمخشري في الأولىٰ يعلم أنها تعارض مبدأه، فمن ثم سأل هذا السؤال: "كيف يكون للناس علىٰ الله حجة قبل الرسل وهم محجوبون بما نصبه الله من الأدلة التي النظر فيها موصل إلى المعرفة، والرسل في أنفسهم لم يتوصلوا إلى المعرفة إلا بالنظر في تلك الأدلة، ولا عرف أنهم رسل الله إلا بالنظر فيها؟[2].

ثم يجيب فيقول: قلت: الرسل منبهون عن الغفلة، وباعثون علىٰ النظر، كما ترىٰ علماء أهل العدل والتوحيد مع تبليغ ما حملوه من تفصيل أمور الدين، وبيان أحوال التكليف وتعليم الشرائع، فكان إرسالهم إزاحة للعلة، وتتميمًا لإلزام الحجة؛ لئلا يقولوا: لولا أرسلت إلينا رسولًا فيوقظنا من سنة الغفلة، وينبهنا لما وجب الانتباه به" [3].

ثم عندما يتكلم عن الآية الثانية يحس بالتساؤل نفسه، ويجيب بمثل إجابته تلك؛ فيقول: "فإن قلت: الحجة لازمة قبل بعثة الرسل؛ لأن معهم أدلة العقل التي بها يعرف الله، وقد أغفلوا النظر وهم متمكنون منه، واستيجابهم العذاب لإغفالهم النظر فيما معهم، وكفرهم لذلك، لا لإغفال الشرائع التي لا سبيل إليها إلا بالتوقيف، والعمل بها لا يصح إلا بعد الإيمان. قلت: بعثة الرسل من جملة التنبيه على النظر والإيقاظ من رقدة الغفلة؛ لئلا يقولوا: كنا غافلين، فلولا بعثت إلينا رسولًا ينبهنا على النظر في أدلة العقل" [4].

---

[1] الزمخشري، *الكشاف*، 23/1.
[2] الزمخشري، *الكشاف*، 180/2.
[3] الزمخشري، *الكشاف*، 179/2-180.
[4] الزمخشري، *الكشاف*، 499/3-500.

ومن مميزات تفسير الكشاف الآتي:

1. خلوه من الحشو التطويل.
2. سلامته من القصص الإسرائيلي غالبًا، وإذا ذكر بعضه فإنه قد يفنده، كما فعل في قصة داوود وسليمان، ولكن وجدت فيه بعض الموضوعات التي لا تدرك بالعقل، وإنما يعلمها أئمة الحديث ونقاده. وذلك مثل الحديث الطويل المرويِّ في فضائل السور، سورة سورة، وكذلك ما روي في قصة السيدة زينب بنت جحش وحاول تبريره، وقد يذكر بعض الإسرائيليات، ولا يفنِّدها، مثل ما ذكره في قصة يأجوج ومأجوج، بل ذكر حديثًا موضوعًا على النبي ﷺ.
3. اعتماد في بيان المعاني على لغة العرب وأساليبهم في الخطاب
4. عنايته الفائقة بالإبانة عن أسرار الإعجاز القرآني فنية قائمة على الذوق الأدبي.
5. اتباعه طريقة السؤال: (إِنْ قُلْتَ – بفتح التاء) ويقول في الجواب: (قُلْتُ: بضم التاء) وهي طريقة من طرق التشويق، في التعليم وترسيخ المعاني في النفس.

إنَّ تفسير الكشاف من خير كتب التفسير العلمية وأجلها، ولولا نزعته الاعتزالية في بعض الآيات القرآنية لما تناوله المعترضـون بالنقد، ولما شَـنَأَهُ بعض الناس، ويحسـب هذا الكتاب فضـلًا ومنزلةً أن كل من جاء بعد الزمخشري عالة عليه، فيما يذكره فيه من أسرار الإعجاز، والغوص على المعاني البلاغية الدقيقة.

ولبراعته في الكلام، وتمكنه من فنون القول، وبُعْدِ غوره، يدس بعض آرائه في أثناء تفسـيره، وتروج على خلق كثير من أهل السـنة، ولا قال البلقيني: اسـتخرجت من الكشـاف اعتزالًا بالمناقيش من قول الله تعالى في تفسير ﴿... فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [سورة آل عمران: 185]، وأيّ فوزٍ أعظم من دخول الجنة! إشـار به إلى عدم الرؤية [1]، وقال ابن تيمية أثناء الكلام عن تفاسير المعتزلة: زمن هؤلاء من يكون حسن العبارة، يدُسُّ البِدَعَ في كلامه، وأكثر الناس لا يعلمون؛ كصاحب الكشاف ونحوه، حتى إنه يَرُوجُ على خَلْقٍ كثيرٍ من أهل السنة، كثيرٌ من تفاسيرهم الباطلة [2].

[1] السيوطي، *الإتقان*، 213/4.
[2] ابن تيمية، *مقدمة في أصول التفسير*، 35–36.

ثانيًا: تأثره بالسابقين

لقد تأثر جار الله الزمخشري بأفكار شيوخه، حيث قيل قديمًا: "من دخل في العلم وحده خرج وحده"، ومعنى ذلك أن من لم يكن له شيخ لا يُفْلِح. فقد عاصر الزمخشري عصر أشياخ علم وأساطين فنون، فقد كان يتلمذ لكثير منهم، ومن أبرزهم[1]:

1. أبو مضر، محمود بن جرير الضبي، الأصفهاني، المتوفي سنة 507هـ، وهو مدخل مذهب الاعتزال إلى خوارزم، وأخذ عليه النحو والأدب، ورثاه الزمخشري قائلًا [2]:

وقَائِلَةٍ مَا هذه الدُّرَرُ التي تَسَاقَطُهَا عَيْنَاك سِمْطَيْنِ سِمْطَيْنِ

فقُلْتُ: هو الدُّرُ الذي قد حَشَا بِهِ أَبُو مُضَرٍ أُذْنِي تَسَاقَطُ مِنْ عَيْنِي

2. أبو الحسن علي بن المظفر النيسابوري، الضرير
3. السديد الخياطي، وأخذ عنه الفقه.
4. أبو السعد الجشمي: المحسن بن محمد بن كرام، البيهقي، المتوفي 494هـ.
5. ركن الدين محمد الأصولي، وأخذ عنه الأصول
6. أبو منصور نصر الحارث، وأخذ عنه الحديث
7. أبو الحسين، أحمد بن علي الدامغاني، المتوفي 540هـ.
8. أبو منصور الجواليقي، موهوب بن أبي طاهر، المتوفي 539هـ.

ثالثًا: تأثيره فيمن بعده

حملات الرد على فكر الاعتزالية في تفسير الكشاف لتنقيحه من هذه الأفكار:

1. حملة ابن المنير:

قَيَّضَ الله لهذا الكتاب من نَبَّهَ إلى ما في من اعتزاليات، زبين ما فيه من انحراف، وميل باللفظ القرآني إلى مذهب أهل الاعتزال، وهو الإمام أبو العباس أحمد بن محمد بن المنير الإسكندري، والذي وُلِدَ سنة 620هـ وتُوُفِيَ سنة 683هـ، عالم الإسكندرية وقاضيها، وخطيبها، فألف كتابه: "الانتصاف من الكشاف" من أشهر

[1] الزمخشري، *الكشاف*، 14.
[2] ابن خَلّكان، *وفيات الأعيان*، 172/5.

كتبه، وقد رد فيه بأسلوب علمي وبلاغي على الجوانب الاعتزالية في تفسير الكشاف للزمخشري، دون أن ينكر قيمته البلاغية

2. حملة ابن القيم:

ثار ابن القيم على الزمخشري من أجل تفسيره الاعتزالي فنراه يذكر ما فسر به الزمخشري قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ ...﴾ [سورة الأعراف: 176]، ثم يقول: "فهذا منه شِنْشِنَةٌ نعرفها من قدري ناف للمشيئة العامة، مُبْعِدِ للنُّجعة جعل كلام الله معتزليًّا قدريًّا"[1].

3. حملة ابن السبكي:

وفي مقالة التاج السبكي: "واعلم أن الكشاف كتاب عظيم في بابه، ومنصفه إمام في فنه، إلا أنه رجل مبتدع متجاهر ببدعته، يضع من قدر النبوة كثيرًا، ويسيء أدبه على أهل السنة والجماعة، والواجب كشط ما في الكشاف من ذلك كله، ولقد كان الشيخ الإمام – يعني والده التقي السبكي – يُقْرِئُهُ فإذا انتهى إلى كلامه في قوله تعالى في سورة التكوير: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [سورة الحاقة: 40] أعرض عنه صفحًا، وكتب ورقة حسبة سماها: "سبب الانكفاف عن إقراء الكشاف"، وكلامه في سورة التحريم وغير ذلك من الأماكن التي أساء أدبه فيها على خير خلق الله تعالى؛ سيدنا رسول الله ﷺ، فأعرضت عن إقراء كتابه حياءً من النبي ﷺ، مع ما من كتابه من الفوائد والنكت البديعة" [2].

وألف تقي الدين السبكي كتابًا سماه "الانكفاف عن إقراء الكشاف" ذكر فيه أنه عقد التوبة من إقرائه وتاب إلى الله، فلا ينظر فيه ولا يقرأه أبدًا [3].

4. حملة أبي حيان:

صنف أبو حيان الأندلسي تفسيره "البحر المحيط"، وقد تعقب فيه الزمخشري في كثير من آرائه النحوية مما دفعه – ذات مرة – إلى أن يقول عنه: "وهذا الرجل كثير التبجح بكتاب سيبويه، وكم من نص في كتاب سيبويه عمي بصره وبصيرته عنه، حتى إنَّ الإمام أبا الحجاج يوسف بن معزوز صنف كتابًا يذكر فيه ما غلط فيه الزمخشري وما جهله من نصوص كتاب سيبويه"[4].

---

[1] ابن قيم الجوزية، *أعلام الموقعين عن رب العالمين*، 341/1.
[2] السبكي، *معيد النعم*، 80–81.
[3] السيوطي، *تحفة الأديب*، 400/1.
[4] أبو حيان الأندلسي، *البحر المحيط*، 109/7-110.

وقد نظم أبو حيان قصيدةً في انشغال المرء بكتاب الله ومدح الزمخشري كتابه، فذكر محاسنه وانتبه على ما فيه ليتجنبه وينتبه على ما يتضمنه من القبائح [1]:

ولـكـنَّـهُ فِـيـهِ مَـجَـالٌ لـنَـاقِـدِ ... وزَلَّاتُ سُـوءٍ قَـدْ أخـذْنَ الـمَـخَـانِـقَـا

فَيُثْتِبُ موضـوعَ الأحـاديـثِ جـاهِلًا ... ويغـزو إلىٰ الـمعصـوم مـا لـيس لائقَـا

ويَشْـتُـمُ أَعْـلامَ الأئِـمـةِ ضَـلَّـةً ... ولا سِـيَّـمَـا إِنْ أَوْلَـجُـوهُ الـمَضَـايِـقَـا

ويسـهـب في الـمـعـنى الـوجـيز دلالـة ... بتكثير ألفـاظٍ تُسَـمَّى الشَّـقَـاشِـقَـا

يـقـول فـيـهـا الله مـا لـيس قـائـلًا ... وكـان مـحـبًّـا في الـخَـطَـابَـة وَامِـقًـا

ويُـخْـطِيءُ في تـركِـيـبِـهِ لِـكَـلامِـهِ ... فـلـيسَ لِـمَـا قَـدْ رَكَّـبُـوهُ مُـوَافِـقَـا

ويَـنْسُـبُ إِبْـدَاءَ الـمَـعَـانِي لِـنَـفْسِـهِ ... لِـيُـوهِـمَ أَغْـمَـارًا وإِنْ كَـانَ سَـارِقَـا

ويُـخْـطِيءُ في فـهـمِ الـقُـرآنِ لأَنَّـهُ ... يُـجَـوِّزُ إِعْـرَابًـا أَبَىٰ أَنْ يُـطَـابِـقَـا

وكَمْ بَيْنَ مَنْ يُؤْتَى البَيَانَ سَـلِيقَةً ... وآخَـرَ عَـانَـاهُ فَـمَـا هُـوَ لاحِـقَـا

ويَـحْـتَـالُ لَـلألـفـاظِ حَـتَّىٰ يُـدِيـرَهَـا ... لِمَـذْهَـبِ سُـوءٍ فِـيـهِ أَصـبَحَ مَـارِقَـا

فَـيَـا خُسْرَهُ شَـيْخٌ تَـخَـرَّقَ صِـيـتُـهُ ... مَـغَـارِبَ تَـخْـزِيـقِ الصَّـبَـا وَمَشَـارِقَـا

لَـئِنْ لَـمْ تَـدَارَكْـهُ مِـنَ اللهِ رَحْـمِـةٌ ... لَسَـوْفَ يُـرَى لِـلـكَـافِـريـنَ مُـرافِـقَـا

5. حملة ابن خلدون:

عقد ابن خلدون في مقدمته فصلًا في علوم القرآن من التفسير والقراءات وذكر فيه كلامًا في تفسير كتاب الله، وكان من قوله: "ومن أحسن ما اشتمل عليه هذا الفن من التفاسير كتاب الكشاف للزمخشري من أهل خوارزم العراق، إلا أنَّ مؤلفه من أهل الاعتزال في العقائد، فيأتي بالحجاج علىٰ مذاهبهم الفاسدة حيث تعرض في آي القرآن من طرق البلاغة، فصار ذلك للمحققين من أهل السنة انحراف عنه، وتحذير للجمهور من مكامنه ..." [2].

6. حملة الجلال السيوطي:

---

[1] أبو حيان الأندلسي، *البحر المحيط*، 110/7.

[2] ابن خلدون، *تاريخ ابن خلدون*، 555/1.

من الكتب التي صنفها السيوطي كتاب "التحبير في علم التفسير"، ذكر فيه من يجوز لمثله أن يقحم نفسه في كتاب الله يفسره ويستخرج دُرره، كما ذكر من يقبل منه ومن لا، فقال: "وممن لا يقبل تفسيره: المبتدع، خصوصًا الزمخشري في "كشافه"؛ فقد أكثر فيه من إخراج الآيات عن وجهها إلى معتقده الفاسد، بحيث يسرق الإنسان من حيث لا يشعر، وأساء فيه الأدب على سيد المرسلين ﷺ في مواضع عديدة فضلًا عن الصحابة وأهل السنة" [1].

وقد استشار أهل المدينة المنورة أن يشتري من تقي الدين السبكي نسخة "الكشاف" ويحملها إلى المدينة، فأشار جلال الدين السيوطي بألا يفعل، حياءً من النبي ﷺ أن ينقل إلى بلد هو فيها كتابٌ فيه ما يتعلق بجنابه ﷺ، رغم أن هذا الكتاب آية في بيان أنواع البلاغة والإعجاز [2].

أثر الكشاف على كتب التفسير:

حيث تأثر كتب التفسير من القيمة البلاغية العالية من تفسير الكشاف للزمخشري، مع مراعاة عدم أخذ أفكار المعتزلة أو الخوض فيها، وهناك تفسير قائم على النقد وكش مواطن الفكر الاعتزالي، ومن هذه التفاسير كالآتي:

1. البيضاوي (ت. 685هـ) في تفسيره "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" [3]:

   اعتمد كثيرًا على الكشاف ونقَّحه من المسائل الاعتزالية، حيث احتفظ البيضاوي بجمال العبارة والتحليل البلاغي، وأصبح تفسير البيضاوي المدرسة الوسطى التي جمعت بين بلاغة الزمخشري وسلامة المعتقد عند أهل السنة.

2. النسفي (ت. 701هـ) في "مدارك التنزيل وحقائق التأويل" [4]:

   تأثر بلغة الكشاف واختصره دون الخوض في المسائل الكلامية.

3. ابن المنير الإسكندري (ت. 683هـ) [5]:

   ألف "الانتصاف لما في الكشاف من الاعتزال"، فكان أول ناقد منهجي للكشَّاف، إذ كشف مواطن الانحراف العقدي، وأبقى على التفسير البلاغي اللغوي.

---

[1] السيوطي، *التحبير*، 330.
[2] السيوطي، *التحبير*، 331.
[3] البيضاوي، *أنوار التنزيل*.
[4] النسفي، *مدارك التنزيل*.
[5] ابن المنير، "الانتصاف من الكشاف."

4. السيوطي (ت. 911هـ) في "الدر المنثور" [1] و"الإتقان" [2]:
   كثيرًا ما ينقل عن الكشَّاف، خاصة في البلاغي واللغوي.
5. الشنقيطي (ت. 1393هـ) في "تفسير أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" [3]:
   رغم بعد الزمان، يظهر أثر الكشاف في أسلوب الربط بين اللغة والبلاغة والتفسير.

[1] السيوطي، *الدر المنثور*.
[2] السيوطي، *الإتقان*.
[3] الشنقيطي، *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*.

المبحث الثالث: أهمية كتاب معاني القرآن وإعرابه للزجاج

في هذا المبحث ســـنتعرف على كتاب معاني القرآن وإعرابه للزجاج وذلك من خلال منهجه الذي اتخذه في تفسير القرآن، تأثره بالسابقين، وأخيرًا، تأثيره على من بعده.

أولًا: منهج الكتاب

استغرق الزَّجاج في تأليف كتاب "معان القرآن وإعرابه" نحو ستة عشر عامًا، بدأ يمليه سنة 285هـ وانتهى منه في سنة 301هـ، أي قبل وفاته بنحو عشرة أعوام. أملاه وهو في القمة من نضجه الفكري وتمكنه اللغوي، ولم تُذْكَر رواية للكتاب ولا ســـبب لتأليفه، ولعله ذلك قُرْبَى إلى الله تعالى أو إجابة لرغبة بعض تلاميذه، ويبدو أنه درســـه غير مرةٍ، لأننا نجد تباينًا جوهريًا بين النســـخ في تقديم بعض العناصر أو الآيات، مما يدل على اختلاف كتابة النسخ ونسخ أخريات مشحونة بالتعليقات والتفسيرات التي تم الحصول عليها من المعهد البريطاني [1].

منهج الزَّجاج في تفسيره كالآتي [2]:

1. أن يبدأ عقب ذكر الآية القرآنية، باختيار ألفاظ منها ليحللها على طريقة الاشتقاق اللغوي، فيذكر أصل الكلمة والمعنى اللغوي الذي تدل عليه، ثم يورد الكلمات التي تشاركها في حروفها أو بعضها ليردها جميعًا إلى أصل واحد، ويستشهد على رأيه بما يؤيده من كلام العرب شعرًا أو غير شعرٍ، وقد يستطرد فيشرح الأمثلة التي يستشهد بها.
2. يعرب الآية إن كان فيها ما يحتاج إلى إعرابٍ، فيناقش النحويين الآخرين فيرد رأيهم أو ربما يؤيده.
3. يورد قراءات اللغويين، وهي غالبًا قراءات شاذة مما وراء العشرة، كما يورد القراءات المشهورة ليبين المعنى على هذه القراءات فيقبله أو يرده.
4. قد يقف عند حرف من حروف اللغة مثل "لن" أو "بل" أو "لا"، فيشرحها شرحًا نحويًا حتى تستوفيه ثم يقول: فهذا جميع ما قال النحويون في هذا.
5. يعني الزجاج بتفسير القرآن بالقرآن، فيستشهد على المعنى الذي يشرحه في آية بما يذكر في آية أخرى قد أصرح وأبين مما تدل عليه الآية التي يشرحها، وهو هذا الصدد قوي بارع واستشهاداته قوية في دلالتها على ما يريد.

---

[1] الزجاج، *معاني القرآن وإعرابه*، 23.
[2] الزجاج، *معاني القرآن وإعرابه*، 20–23.

6. لا يلتفت كثيرًا إلى ذكر أسباب نزول الآيات، ولكنه لا يغفله عندما يدعو الأمر إلى ذلك، كما يستعين أيضًا بالأحاديث ووقائع التاريخ، ولكن هذه مكملات ثانوية بجانب المقصد الأهم وهو الشرح اللغوي.

والزجاج بغداديٌ أدنى إلى مذهب البصريين؛ لأنَّه تلميذ المبرد، فهو في شرحه يجري غالبًا على مذهب أهل البصرة، ولكن في بعض الأحيان يُؤْثِر مذهب الكوفيين ويجري عليه، ثم له هو مذهبه الخاص الذي كثيرًا ما يكون مرفوضًا من الآخرين، وعلى أي حال هو معتمد على نفسه كل الاعتماد فيما يتعلق باللغويات والأعاريب، أما ذكر المعنى الذي لا يتوقف على شرح لغوي فيرجع فيه إلى المفسرين، وكثيرًا ما يُلْجَأُ إلى القرآن نفسه فيستعين بآية على شرح أخرى.

والزجاج يؤكد أن القرآن معجزة، ووجهة إعجازه عنده أن النبي تحدَّى به الكتابيين وأنبأهم بما كتبهم مع أنَّه أُمِّيٌّ لم يكن يقرأ كتب السابقين ولم يجلس إلى معلم يستفيد منه هذه المعلومات، فذلك إذن وحي من الله تعالى. كرَّرَ الزجاج هذا في غير موضع من هذا الكتاب، ولكنه لم يلتفت إلى بلاغة التعبير وما في الآيات القرآنية من تركيب فني خاص يعجز البشر أن يعملوا مثله، ولا بأس عليه في هذا لأنه رجل نحوٍ لا رجل بلاغةٍ. أو هو معلم لا كاتب.

في غير موضع من الكتاب يشير إلى قيمة الأساس اللغوي والنحوي في فهم نصوص القرآن، فالتفسير الذي لا يعتمد على فهم اللغة لا قيمة له – أو بعبارة أخرى لا يمكن فهم الآية إلا بعد فهم تركيبها اللغوي والتَّهدِّي إلى إعرابها، ومعرفة ما لها من معانٍ واستعمالات في اللسان العربي.

ثانيًا: تأثره بالسابقين

إن كتاب "معاني القرآن وإعرابه" راجع المفسرين السابقين من المحويين واللغويين وأشار إلى قراءاتهم وما يتجه عليها من معانٍ قرآنيةٍ، وكان من هؤلاء اللغويين قبل الزجاج قد كبتوا عددًا من الكتب مختلفة المنهج والطريقة في التفسير وكل منها يسمى "معاني القرآن"[1]، وكلٌّ أَعْرَبَ الآيات وفقًا لمذهبه النحوي والمدرسة التي ينتمي إليها وحلل الكلمات تحليلًا لغويًّا وفقًا لمعلوماته الخاصة، وبعض هؤلاء همه أن يوضح الآيات التي تبدو بينها تضارب في المعنى، وبعضٌ همُّه أن يشرح المعاني المجازية وهكذا، وقد أشار الزَّجَّاج إلى هؤلاء وناقش آراءهم عندما دعا الأمر إلى ذلك، ونظرًا لما لكتاب سيبويه وآرائه من أهمية

[1] أمين، *ضحى الإسلام*، 494/1.

لدي النحويين واللغويين في عصر الزَّجَّاج، عُنِيَ بعرض هذه الآراء كما عُنِيَ بآراء الخليل بن أحمد، لأنه أستاذ سيبويه، ولأن الزَّجَّاج متأثر بكتاب "العين" [1] وجار على منهجه. ومن المهم أيضًا أنه أورد أقوالًا لسيبويه لم يتضمنها كتابه، كما أن الزجاج نفسه أورد شروحًا لغويةً ليست مذكورة في كتب النحويين. وهذا مما يزيد قيمة الكتاب من الوجهة النحوية. أما هذه الخلاصة اللغوية التي جاءت في هذا التفسير فإنَّها قيمة حقًا، ولا يحصل عليها بكل سهولة وبكل الوفاء من الكتب الأخرىٰ.

استفاد الكتاب من مجاز أبي عبيدة، وأخذ كثيرًا من شواهده، ولكنه على أي حال له منهجه الخاص وطريقته التي تميزه عن سائر المفسرين واللغويين. وابن جرير الطبري – شيخ المفسرين – مستفيدٌ بدوره منهما معًا ومن غيرهما من مفسري هذه المدرسة، غير أنه ناقش أبا عبيدة كثيرًا وسفَّهه، وغن كان الطبري عادة لا يذكر أسماء من يناقشهم.

إذا كان الزَّجَّاج قد جعل همَّه الأول هو الناحية اللغوية متحملًا وحده مسؤوليتها، وألقىٰ على المفسرين مسؤولية التفسير النقلي: فإنه لم يتخل عن الدفاع عن الإسلام وشرح بعض مسائله بإطالة كلما سنحت فرصة أو وُجِدَ داعٍ، فهو أفاض في شرح مسائل من الميراث، ودافع ضد الرافضة والشيعة دفاعًا يستحق التقدير، إذ لم يدع فيه لهما منفذًا ولا وجهة نظرٍ يؤيدان بها أراءهما. ولكنه حتى في هذا الدفاع معتمد على اللغة واستخراج دقائقها، حيث إنّ قدرته على إفحام هؤلاء ترتكز على أسس من اللغة أكثر مما تعتمد على أي شيءٍ آخرٍ[2].

ثالثًا: تأثيره فيمن بعده

إن كتاب "معاني القرآن وإعرابه" كان متداولًا بكثرة، في حياة الزجاج وبعد موته وكان ممن تلقاه عنه من تلاميذه أبو علي الفارسي، وقد وُلِدَ الفارسي سنة 290هـ، أي أن عمره عندما أتم الزَّجَّاج كتابه كان نحو عشرة أعوامٍ، ويدل هذا على أن الزَّجَّاج ظل يقرأ كتابه حتى أواخر أيام حياته، حيث تُوُفِيَ سنة 311هـ، وأنَّ الطلاب يحرصون على قراءته من وقتٍ مبكرٍ من عمرهم.

---

[1] الفراهيدي، *كتاب العين*.
[2] الزجاج، *معاني القرآن وإعرابه*، 1/20-26.

قيمة الكتاب اللغوية هي التي اجتذبت إليه الأنظار، وقد قرر الزمخشـري في كشـافه أنه اعتمد على الزَّجَّاج في دراســته اللغوية، وفي بعض الأحيان ينقل منه نقلًا كاملًا غير أنَّه عادةً يُغْضِيــ عن الناحية الاشتقاقية، فيحصر الشرح اللغوي، واتكاؤُه على الزَّجَّاج ظاهرٌ في إعرابه وفواتح السور [1].

ومن المفسـرين المتأخرين اللذين اعتمدوا عليه البغوي ومحمد بن الخازن، فكلٌ منهما كان يرجع إلى رأيه لا في اللغة فقط، بل في جوانب أخرى من التفسير. والبغدادي – مؤلف "خزانة الأدب"[2] – يذكر في مقدمة كتابه أنَّه اتخذ معاني القرآن للزجاج أصلًا من الأصول التي يرجع إليها، وابن منظور في لسان العرب يورد دائمًا رأي الزَّجَّاج، ونقوله عنه مأخوذة من معاني القرآن وهو لا ينقل عنه اللغة فقط، بل ينقل الرأي والشواهد الشعرية أيضًا[3].

الزَّجَّاج عالمٌ لغويٌّ كبيرٌ، وكتابُه أثرٌ جيدٌ له، ومن الذين عُنُوا بهذا الكتاب تلميذا الزَّجَّاج في مصر: أبو جعفر النحاس [4] وابن الراوندي [5]، وكل منهما درسه واستفاد منه، وكانت نسخة "ابن الراوندي" مرجعًا تصحح عليه نسخ الناسخين، فالكتاب قُرِئَ وتُدُووِل، على أيدي هذين العالمين المصريين، وهو أثر آخر للزَّجَّاج في ثقافة المصريين[6].

---

[1] الزمخشري، *الكشاف*، 124.

[2] البغدادي، *خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب*.

[3] البغدادي، *خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب*، 1/28-29.

[4] القِفطي، *إنباه الرواة على أنباه النحاة*، 136. هو أحمد بن محمد بن إسماعيل النحّاس المصري، ويُعرف بـــ أبي جعفر النحّاس، وُلِدَ في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري وتُوُفِيَ سنة 338هـ، وهو من كبار علماء مصر في اللغة والتفسير والنحو.

[5] الزركلي، الأعلام، 1/267. هو أحمد بن يحيى بن إسـحاق، أبو الحسـين الراونديّ، أو ابن الراونديّ: فيلسـوف مجاهر بالإلحاد. من سـكان بغداد. نسـبته إلى (راوند) من قرى أصـبهان، له مجالس ومناظرات مع جماعة من علماء الكلام، وقد انفرد بمذاهب نقلوها عنه في كتبهم، وهو أحد مشـاهير الزنادقة.

[6] الزجاج، *معاني القرآن وإعرابه*، 1/26.

الفصل الرابع: دراسة متشابهات سورة البقرة

في هذا الفصل سنتعرض إلى دراسة متشابهات سورة البقرة، وذلك من خلال ثلاثة مباحث رئيسة: سيُعرض في المبحث الأول فضائل سورة البقرة من القرآن والسنة، و في المبحث الثاني سنتتبع الآيات المتشابهة في سورة البقرة، وفي المبحث الثالث سنعرض المسائل الافتراضية في سورة البقرة.

المبحث الأول: فضائل سورة البقرة

في هذا المبحث سنتعرف عل فضائل سورة البقرة من خلال القرآن والأحاديث النبوية. فلا شك أن القرآن الكريم شفاء وعلاج لما يجده المسلم من أمراض نفسية أو جسدية. وهو كذلك وقاية مما يخافه... كما قال الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الإسراء:82]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يونس:57].

إنَّ سورة البقرة تطرد الشياطين وتبطل السحر بإذن الله تعالى، وهي سبب للشفاء من العين خصوصاً الآيتين الأخيرتين منها، والقرآن كله شفاء للأبدان والعقول، وقد ورد في فضلها أحاديث كثيرة أذكر لك بعضها. فقد صح ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم، كما في صحيح مسلم وغيره، قال النبي ﷺ: "لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة". وقال ﷺ: "اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرؤوا الزهراوين: البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما. اقرؤوا البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة السحرة". (رواه مسلم).

في صحيح ابن حبان والحاكم وغيرهما أن رسول الله ﷺ قال: "إن لكل شيء سنامًا وإن سنام القرآن سورة البقرة، من قرأها في بيته ليلاً لم يدخل الشيطان بيته ثلاث ليالٍ". (صححه الحاكم وحسنه الألباني)، وعن أبي مسعود رضي الله عنه قال: قال ﷺ: "من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه". (رواه البخاري).

قال رسول الله ﷺ: "من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت". (رواه النسائي وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير).

وعن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال: " إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي عام أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة، ولا يقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان". (رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير). وليس هناك دليل خاص يفيد كونها تزيد في الرزق أو تباركه، ولكن ورد - على سبيل العموم- أن أخذها بركة، وذلك في قوله ﷺ: "اقرءوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة".

المبحث الثاني: تتبع الآيات المتشابهة في سورة البقرة

عند تتبع الآيات المتشابهة في سورة البقرة، وجدنا إحدىٰ وخمسين آية من سورة البقرة متشابهة مع باقي سور القرآن؛ من هذه الآيات تتشابه مع كلمة واحدة ومنها ما تتشابه مع أكثر من كلمة أو جملة، ولكننا سنركز على ثمان وعشرين آية التي بها أكثر من كلمة متشابهة، وسنوضح هذا التشابه بشكلٍ مفصلٍ في المبحث الذي يليه.

المبحث الثالث: المسائل الافتراضية في سورة البقرة

في هذا المبحث، سنذكر الآية الكريمة من سورة البقرة مرتبة حسب المسائل الافتراضية، بداية من المسألة الأولي إلى المسألة الثمانية والعشرين، وكل مسألة يُعرض في رأسها الآية من سورة البقرة وتفسيرها ثم نذكر وجه التشابه، مع عرض متشابهاتها في باقي سور القرآن الكريم وشرح معاني هذه الآيات، ثم ندرس إعراب هذه الآيات، وبعد ذلك ندرس البلاغة، ومن ثم ندرس مواطن التشابه أو الاختلاف من الناحية البلاغية، وذلك لكل آية متشابهة.

المسألة رقم 1:

﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[1] [سورة البقرة: 2]

معنى الآية:

ذلك القرآن هو الكتاب العظيم الذي لا شَكَّ أنه من عند الله، فلا يصح أن يرتاب فيه أحد لوضوحه، ينتفع به المتقون بالعلم النافع والعمل الصالح وهم الذين يخافون الله، ويتبعون أحكامه.

النحو:

﴿ذَلِكَ﴾: "ذا" اسم إشارة مبنيّ على السكون في محلّ رفع مبتدأ أو في محلّ رفع خبر لمبتدأ محذوف بتقدير: هذا ذلك. واللام للبعد، و"الكاف" للخطاب.

﴿الْكِتَابُ﴾: صفة أو بدل من "ذلك" مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿لَا﴾: حرف نفي للجنس، ﴿رَيْبَ﴾: اسم "لا" مبنيّ على الفتح في محلّ نصب.

﴿فِيهِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بخبر "لا" المحذوف في محلّ رفع ويجوز أن يعرب شبه الجملة "فيه" خبرًا مقدمًا و"هدي" مبتدأ مؤخرًا، والجملة في محلّ نصب حال.

﴿هُدًى﴾: خبر للمبتدأ "ذلك" مرفوع بالضمة المقدرة على الألف للتعذر.

﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"هدي" أو بصفة محذوفة من "هدي" وعلامة جرّ الاسم المجرور الياء؛ لأنَّه جمع مذكر سالم.

[1] ذلك الكتاب: القرآن العظيم؛ لاريب فيه: لا شك في أنه حقّ من عند الله؛ هدى: هادٍ من الضلالة؛ للمتقين: الذين تجنبوا المعاصي وأدّوا الفرائض فوقوا أنفسهم العذاب

البلاغة:

{الكتاب}: التعريف تعريف الجنس، فتفيد الجملة قصر حقيقة الكتاب على القرآن بسبب تعريف الجُزءين فهو إذن قصر ادِّعائي، ومعناه ذلك هو الكتاب الجامع لصفات الكمال في جنس الكتب بناء على أن غيره من الكتب إذا نسبت إليه كانت كالمفقود منها وصفُ الكتاب لعدم استكمالها جميع كمالات الكتب ، وهذا التعريف قد يعبر عنه النحاة في تعداد معاني لام التعريف بمعنى الدلالة على الكمال فلا يرد أنه كيف يحصر الكتاب في أنه الم أو في السورة أو نحو ذلك إذ ليس المقام مقام الحصر وإنما هو مقام التعريف لا غير، ففائدة التعريف والإشارة ظاهرية وليس شيء من ذلك لغواً بحال وإن سبق لبعض الأوهام على بعض احتمال.

و{الكتاب} على وزن فِعال بمعنى المكتوب إما مصدر كاتَب المصوغ للمبالغة في الكتابة، فإن المصدر يجيء بمعنى المفعول كالخَلق، وإما فعال بمعنى مَفعول كلِباس بمعنى ملبوس وعِماد بمعنى مَعمود به، وجملة {ذلك الكتاب} تنويه بشأنه وأنه بالغ حد الكمال في أحوال الكتب، فذلك موجه إلى الخاصة من العقلاء أن يقول لهم هذا كتاب مؤلف من حروف كلامكم، وهو بالغ حد الكمال من بين الكتب.

وجملةُ {لا ريب} إن كان الوقف على قوله: {لا ريب} تعريضٌ بكل المرتابين فيه من المشركين وأهل الكتاب أي إن الارتياب في هذا الكتاب نشأ عن المكابرة، والوقف على قوله {فيه} فيه معنى نفي وقوع الريب في الكتاب على هذا الوجه نفي الشك في أنه منزل من الله تعالى لأن المقصود خطاب المرتابين في صدق نسبته إلى الله تعالى.

جزء التشابه: لا ريب فيه

1. [سورة آل عمران: 9] ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾

معني الآية:

يا ربنا إنا نُقِرُّ ونشهد بأنك ستجمع الناس في يوم لا شَكَّ فيه، وهو يوم القيامة، إنَّك لا تُخلف ما وعَدْتَ به عبادك.

النحو:

﴿رَبَّنَا﴾: رب: منادى مضاف محذوف منه حرف النداء منصوب بالفتحة، و "نا": ضمير متّصل مبنيّ في محلّ جرّ مضاف إليه.

﴿إِنَّكَ﴾: إنّ: حرف توكيد ونصب مشبّه بالفعل، و "الكاف" ضمير متصل مبنيّ في محلّ نصب اسم "إنّ".

﴿جَامِعُ﴾: خبر "إنّ" مرفوع وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره.

﴿النَّاسِ﴾: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿لِيَوْمٍ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان باسم الفاعل "جامع".

﴿لَا﴾: نافية للجنس، ﴿رَيْبَ﴾: اسم "لا" مبنيّ على الفتح في محلّ نصب.

﴿فِيهِ﴾: في: حرف جرّ والهاء: ضمير متّصل مبنيّ في محلّ جرّ متعلّق بمحذوف خبر "لا".

﴿إِنَّ﴾: حرف توكيد مشبّه بالفعل، ﴿اللَّهَ﴾: لفظ الجلالة اسم "إن" منصوب بالفتحة.

﴿لَا﴾: نافية، ﴿يُخْلِفُ﴾: فعل مضارع مرفوع، والفاعل ضمير مستتر فيه تقديره: هو.

﴿الْمِيعَادَ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

وجملة "ربنا" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها اعتراضية، وجملة "إنك جامع الناس" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها جواب النداء، وجملة "لا ريب فيه" في محلّ جرّ نعت لِـ "يوم"، وجملة "إن الله لا يخلف الميعاد" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافيّة، وجملة "لا يخلف" في محلّ رفع خبر "إنّ".

البلاغة:

وقوله {ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه} استحضروا عند طلب الرحمة أحْوجَ ما يكونون إليها، وهو يومُ تكونُ الرحمة سبباً للفوز الأبدي، فأعقبوا بذكر هذا اليوم دعاءَهم على سبيل الإيجاز.

ونفي الريب في وقوعه. ونفوه على طريقه نفي الجنس لعدم الاعتداد بارتياب المرتابين، وجملة {إن الله لا يخلف الميعاد} تعليل لنفي الريب أي لأنّ الله وعد بجمع الناس له، فلا يخلف ذلك، والمعنى: إنّ الله لا يُخلف خبرَه، والميعاد هنا اسم مكان.

2. [سورة آل عمران: 25] ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

معنى الآية:

فكيف يكون حالهم إذا جمعهم الله ليحاسَبوا في يوم لا شك في وقوعه -وهو يوم القيامة-، وأخذ كل واحد جزاءَ ما اكتسب، وهم لا يظلمون شيئا؟

النحو:

﴿فَكَيْفَ﴾: الفاء: استئنافية، كيف: اسم استفهام مبنيّ على الفتح في محلّ رفع خبر مقدم لمبتدأ محذوف تقديره: صُنْعهم، أو حالهم.

﴿إِذَا﴾: ظرف مبنيّ في محلّ نصب مفعول به متعلّق بالمبتدأ المقدَّر، لأنّه بتقدير مصدر.

﴿جَمَعْنَاهُمْ﴾: جمعنا: فعل ماض مبنيّ على السكون، لاتصاله بضمير رفع متحرّك، و "نا": فاعل، و "هم": ضمير مبني في محل نصب مفعول به.

﴿لِيَوْمٍ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"جمعناهم".

﴿لَا﴾: نافية للجنس، ﴿رَيْبَ﴾: اسم "لا" مبنيّ على الفتح في محلّ نصب.

﴿فِيهِ﴾: في: حرف جرّ، والهاء: ضمير متصل مبنيّ في محلّ جرّ بحرف الجرّ، والجارّ والمجرور متعلّقان بمحذوف خبر "لا".

﴿وَوُفِّيَتْ﴾: الواو: حرف عطف، وفيت: فعل ماض مبنيّ للمجهول، والتاء للتأنيث.

﴿كُلُّ﴾: نائب فاعل مرفوع بالضمّة، وهو مضاف.

﴿نَفْسٍ﴾: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿مَا﴾: اسم موصول في محلّ نصب مفعول به.

﴿كَسَبَتْ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هي.

﴿وَهُمْ﴾: الواو: حالية، "هم": ضمير منفصل مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ.

﴿لَا﴾: نافية، ﴿يُظْلَمُونَ﴾: فعل مضارع مبنيّ للمجهول، مرفوع ثبوت النون، و "الواو" ضمير متصل في محل رفع نائب فاعل.

وجملة "كيف" حالهم لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافيّة، وجملة "جمعناهم" في محلّ جرّ مضاف إليه، وجملة "لا ريب فيه" في محلّ جرّ نعت لـ"يوم"، وجملة "وفيت كل نفس" في محلّ جرّ معطوفة على جملة "لا ريب فيه"، وجملة "كسبت" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها صلة الموصول، والعائد محذوف، أي: كسبته، وجملة "هم لا يظلمون" في محلّ نصب حال، وجملة "لا يظلمون" في محلّ رفع خبر المبتدأ "هم".

3. [سورة النساء: 87] ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾

معنى الآية:

الله وحده المتفرد بالألوهية لجميع الخلق، ليجمعنكم يوم القيامة، الذي لا شك فيه، للحساب والجزاء. ولا أحد أصدق من الله حديثًا فيما أخبر به.

النحو:

﴿اللَّهُ﴾: لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿لَا﴾: حرف نفي للجنس، تعمل عمل "إنّ"، ﴿إِلَهَ﴾: اسم "لا" مبنيّ على الفتح في محلّ نصب.

﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء، ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبنيّ في محلّ رفع بدل من الضمير المستكن في الخبر المحذوف، وتقديره: موجود.

﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾: اللام: لام القسم لقسم مقدر، يجمعن: فعل مضارع مبنيّ على الفتح في محلّ رفع، والنون: نون التوكيد، و"كم": ضمير مفعول به، الفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿إِلَى يَوْمِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ "يجمعنكم".

﴿الْقِيَامَةِ﴾: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿لَا رَيْبَ﴾: مثل "لا إله"، ﴿فِيهِ﴾: جارّ ومجرور متعلقان بخبر "لا".

﴿وَمَنْ﴾: الواو: حرف استئناف، من: اسم استفهام مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ.

﴿أَصْدَقُ﴾: خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة، ولم ينوَّن، لأنه ممنوع من الصرف للوصفيّة ووزن أفعل.

﴿مِنَ اللَّهِ﴾: جارّ ومجرور متعلقان بـ "أصدق".

﴿حَدِيثًا﴾: تمييز منصوب بالفتحة.

وجملة "الله لا إله إلا هو "لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافية.

وجملة "لا إله إلا هو في محلّ رفع خبر المبتدأ "الله".

البلاغة:

أسلوب إنشائي نوعه الاستفهام غرضه التعجيب والتفظيع مجازاً.

4. [سورة الأنعام: 12] ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

معنى الآية:

كتب: قضى وأوجب، تفضّلًا وإحسانًا؛ خسروا أنفسهم: أهلكوها وغبنوها بالكفر.

تفسير الآية: قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: لمن مُلكُ السماوات والأرض وما فيهن؟ قل: هو لله كما تقرون بذلك وتعلمونه، فاعبدوه وحده. كتب الله على نفسه الرحمة فلا يعجل على عباده بالعقوبة. ليجمعنكم إلى يوم القيامة الذي لا شك فيه للحساب والجزاء. الذين أشركوا بالله أهلكوا أنفسهم، فهم لا يوحدون الله، ولا يصدقون بوعده ووعيده، ولا يقرون بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

النحو:

﴿قُلْ﴾: فعل أمر مبنيّ على السكون، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره: أنت.

﴿لِمَنْ﴾: اللام: حرف جرّ مبنيّ على الكسر "من": اسم استفهام للتوبيخ الإنكاري مبنيّ على السكون في محلّ جرّ بحرف الجرّ، الجارّ والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم.

﴿مَا﴾: اسم موصول مبنيّ على السّكون في محل رفع خبر مؤخر، والجملة في محل نصب "مقول القول".

﴿فِي﴾: حرف جرّ مبنيّ على السكون.

﴿السَّمَاوَاتِ﴾: اسم مجرور بـ "في" وعلامة جرّه الكسرة والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة.

﴿وَالْأَرْضِ﴾: الواو: حرف عطف، الأرض: اسم معطوف على "السماوات" مجرور بالكسرة الظاهرة، وجملة "قل" و"الأرض" صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.

﴿قُلْ﴾: فعل أمر مبنيّ على السكون والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره: أنت.

﴿لِلَّهِ﴾: اللام: حرف جرّ مبنيّ على الكسر، واللَّهِ: لفظ الجلالة اسم مجرور باللام وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة، والجارّ والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، أي: هو الله، وجملة "قل لله" في محل نصب "مقول القول".

﴿كَتَبَ﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿عَلَى﴾: حرف جرّ مبنيّ على السكون.

﴿نَفْسِهِ﴾: "نفس": اسم مجرور بـ "على" وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة، وهو مضاف، والهاء: ضمير متّصل مبنيّ على الكسر في محل جرّ بالإضافة، والجارّ والمجرور متعلقان بالفعل "كتب".

﴿الرَّحْمَةَ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظّاهرة على آخره، وجملة "كتب على نفسه الرحمة" استئنافيّة لا محل لها من الإعراب.

﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾: اللام: جواب القسم، "يجمع": فعل مضارع مبنيّ على الفتح لاتصاله بنون التوكيد، ونون التوكيد حرف مبنيّ على الفتح، "كم": ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محل نصب مفعول به، وجملة "يجمعنكم" لا محل لها من الإعراب، لأنها جواب القسم.

﴿إِلَى﴾: حرف جرّ مبنيّ على السكون.

﴿يَوْمِ﴾: اسم مجرور بـ "إلى" وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة، وهو مضاف، والجارّ والمجرور متعلقان بالفعل "يجمع".

﴿الْقِيَامَةِ﴾: مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة على آخره.

﴿لَا﴾: النافية للجنس مبنية على السكون.

﴿رَيْبَ﴾: اسم "لا" مبنيّ على الفتح.

﴿فِيهِ﴾: "في": حرف جرّ مبنيّ على السكون والهاء: ضمير متّصل مبنيّ على الكسر في محلّ جرّ بحرف الجرّ، والجارّ والمجرور متعلقان بمحذوف خبر "لا"، وجملة "لا ريب فيه" في محل نصب حال.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبنيّ على الفتح في محلّ رفع مبتدأ.

﴿خَسِرُوا﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على السكون في محل رفع فاعل.

﴿أَنْفُسَهُمْ﴾: "أنفس": مفعول به منصوب بالفتحة الظاهرة، وهو مضاف "هم": ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ جرّ بالإضافة، وجملة "خسروا أنفسهم" صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب.

﴿فَهُمْ﴾: الفاء: حرف عطف مبنيّ على الفتح، "هم": ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محل رفع مبتدأ.

﴿لَا﴾: حرف نفي مبنيّ على السكون.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النّون، لأنه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محل رفع فاعل، وجملة "لا يؤمنون" في محل رفع خبر للمبتدأ "هم"، وجملة "فهم لا يؤمنون" في محل رفع خبر للمبتدأ "الذين".

البلاغة:

جملة {قل لمن ما في السماوات والأرض} تكرير في مقام الاستدلال، فإنّ هذا الاستدلال تضمّن استفهاماً تقريرياً، والتقرير من مقتضيان التكرير، لذلك لم تعطف الجملة. ويجوز أن يجعل تصدير هذا الكلام بالأمر بأن يقوله مقصوداً به الاهتمام بما بعد فعل الأمر بالقول.

والاستفهام مستعمل مجازاً في التقرير. والتقرير هنا مراد به لازم معناه، وهو تبكيت المشركين وإلجاؤهم إلى الإقرار بما يفضي إلى إبطال معتقدهم الشركَ، فهو مستعمل في معناه الكنائي مع معناه الصريح، والمقصود هو المعنى الكنائي.

وقوله: {لله} خبر مبتدأ محذوف دلّ عليه {ما في السماوات}، ويقدّر المبتدأ مؤخّراً عن الخبر على وزان السؤال لأنّ المقصود إفادة الحصر.

واللام في قوله: {لله} للملك؛ دلّت على عبودية الناس لله دون غيره، وتستلزم أنّ العبد صائر إلى مالكه لا محالة، وفي ذلك تقرير لدليل البعث السابق المبني على إثبات العبودية بحقّ الخلق. ولا سبب للعبوديّة أحقّ وأعظم من الخالقية، ويستتبع هذا الاستدلالُ الإنذار بغضبه على من أشرك معه.

وجملة: {كتب على نفسه الرحمة} معترضة، وهي من المقول الذي أمر الرسول بأن يقوله. وفي هذا الاعتراض معان:

أحدها: أنّ ما بعده لمّا كان مشعراً بإنذار بوعيد قُدّم له التذكير بأنّه رحيم بعبيده عساهم يتوبون ويقلعون عن عنادهم، والشرك بالله أعظم سوءٍ وأشدّ تلبّساً بجهالة؛ والثاني: أنّ الإخبار بأنّ لله ما في السماوات وما في الأرض يثير سؤال سائل عن عدم تعجيل أخذهم على شركهم بمن هم مِلكه. فالكافر يقول: لو كان ما تقولون صدقاً لعجّل لنا العذاب، والمؤمن يستبطىء تأخير عقابهم، فكان قوله: {كتب على نفسه الرحمة} جواباً لكلا الفريقين بأنّه تفضّل بالرحمة، فمنها رحمة كاملة: وهذه رحمته بعباده الصالحين، ومنها رحمة موقّتة وهي رحمة الإمهال والإملاء للعصاة والضّالّين؛ والثالث: أنّ ما في قوله: {قل لمن ما في السماوات والأرض قل لله} من التمهيد لما في جملة {ليجمعنّكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه} من الوعيد والوعد، ذُكرت رحمة الله تعريضاً ببشارة المؤمنين وبتهديد المشركين؛ الرابع: أنّ فيه إيماء إلى أنّ الله قد نجّى أمّة الدعوة المحمدية من عذاب الاستئصال الذي عذّب به الأمم المكذّبةَ رسلها من قبل، وذلك ببركة النبي محمد ﷺ إذ جعله رحمة للعالمين في سائر أحواله.

لام القسم ونون التوكيد في قوله: {ليجمعنّكم} أفادا تحقيق الوعيد، والمراد بالجمع استقصاء متفرّق جميع الناس أفراداً وأجزاءً تفرّقة، وتعديته بـ {إلى} لتضمينه معنى السوق، وضمير الخطاب في قوله: {ليجمعنّكم} مراد به خصوص المحجوجين من المشركين، لأنّهم المقصود من هذا القول من أوله؛ فيكون نِذارة لهم وتهديداً وجواباً.

أشرب الموصول في قوله: {الذين خسروا أنفسهم} معنى الشرط ليفيد شموله كلّ من اتّصف بمضمون الصلة، ويفيد تعليق حصول مضمون جملة الخبر المنزّل منزلة جواب الشرط على حصول مضمون الصلة المنزّلة منزلة جملة الشرط، فيفيد أنّ ذلك مستمرّ الارتباط والتعليل في جميع أزمنة المستقبل التي يتحقّق فيها معنى الصلة. فقد حصل في هذه الجملة من الخصوصيات البلاغية ما لا يوجد مثله في غير الكلام المعجز.

5. [سورة يونس: 37] ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

معنى الآية:

وما كان يتهيَّأ لأحد أن يأتي بهذا القرآن مِن عند غير الله، لأنه لا يقدر على ذلك أحد من الخلق، ولكن الله أنزله مصدِّقا للكتب التي أنزلها على أنبيائه؛ لأن دين الله واحد، وفي هذا القرآن بيان وتفصيل لما شرعه الله لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، لا شك في أن هذا القرآن موحىً من رب العالمين.

النحو:

﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف، ما حرف نفي.

﴿كَانَ﴾: فعل ماضٍ ناقص.

﴿هَذَا﴾: ها: حرف تنبيه، ذا: اسم إشارة مبنيّ في محلّ رفع اسم "كان".

﴿الْقُرْآنُ﴾: بدل من "ذا" أو عطف بيان له مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿أَنْ﴾: حرف مصدريّ ونصب.

﴿يُفْتَرَى﴾: فعل مضارع للمجهول منصوب، وعلامة النصب الفتحة المقدرة على الألف، ونائب الفاعل ضمير مبنيّ مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿مِنْ دُونِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف حال من الضمير نائب الفاعل في "يفتري".

﴿اللَّهِ﴾: لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿وَلَكِنْ﴾: الواو: حرف عطف، لكن: حرف استدراك.

﴿تَصْدِيقَ﴾: خبر "كان" المحذوفة، أي: ولكن كان تصديق أو حال بتقدير: ولكن الله أنزل له تصديقًا لما تقدّم من الكتب السماوية.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول مبنيّ على السكون في محلّ جرّ مضاف إليه.

﴿بَيْنَ﴾: ظرف منصوب متعلّق بمحذوف صلة الموصول.

﴿يَدَيْهِ﴾: يدي: مضاف إليه مجرور، وعلامة الجرّ الياء، و "الهاء": ضمير مبني في محل جر مضاف إليه، والمصدر المؤول من "أن يفتري" في محلّ نصب خبر "كان".

﴿وَتَفْصِيلَ﴾: الواو: حرف عطف، تفصيل: اسم معطوف على "تصديق" بالفتحة.

﴿الْكِتَابِ﴾: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿لَا﴾: حرف نفي للجنس.

﴿رَيْبَ﴾: اسم "لا" مبنيّ على الفتح في محلّ نصب.

﴿فِيهِ﴾: في: جارّ ومجرور متعلّقان بخبر "لا".

﴿مِنْ رَبِّ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"تصديق" أو بـ"تفصيل".

﴿الْعَالَمِينَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة الجرّ الياء.

وجملة "ما كان هذا القرآن" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافيّة.

وجملة "يفتري" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها صلة الموصول الحرفي "أن".

وجملة "لا ريب فيه" في محلّ نصب حال من الكتاب.

البلاغة:

لما كان الغرض الأول في هذه السورة إبطال تعجب المشركين من الإيحاء بالقرآن إلى النبي صلى الله عليه وسلم وتبيين عدم اهتدائهم إلى آياته البينات الدالة على أنه من عند الله، وكيف لم ينظروا في أحوال الرسول الدالة على أن ما جاء به وحي من الله، وكيف سألوه مع ذلك أن يأتي بقرآن غيره أو يبدل آياته بما يوافق أهواءهم.

فجملة: {وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله} يجوز أن تكون معطوفة على جملة: {وما يتبع أكثرهم إلا ظنًا} [سورة يونس: 36] بمناسبة اتباعهم الظن في الأمرين: شؤون الإلهية وفي شؤون النبوءة، ويجوز أن تكون معطوفة على مجموع ما تقدم عطف الغرض على الغرض والقصة على القصة، وهو مفيد تفصيل ما أجمله ذكر الحروف المقطعة في أول السورة والجمل الثلاث التي بعد تلك الحروف. ويجوز أن تكون الجملة معطوفة على جملة: {قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي} [سورة يونس: 15] تكملة للجواب عن قولهم {ائت بقرآن غير هذا أو بدله} [سورة يونس: 15] وهذا الكلام مسوق للتحدي بإعجاز القرآن، وهي مفيدة للمبالغة في نفي أن يكون مفترى من غير الله، أي منسوباً إلى الله كذباً وهو آتتٍ من غيره.

إن قوله: {ما كان هذا القرآن أن يفترى} أبلغ من أن يقال: ما هو بمفترى، لما يدل عليه فعل الكون من الوجود، أي ما وجد أن يفترى، أي وجوده مناف لافترائه، فدلالة ذاته كافية في أنه غير مفترى، إنما عدل عن الإتيان بلام الجحود بأن يقال: ما كان هذا القرآن ليفترى، لأن الغالب أن لام الجحود تقع في نفي كون عن فاعل لا عن مفعول بما تدل عليه اللام من معنى الملك.

(من) في قوله: {من دون الله} للابتداء المجازي متعلقة بـ {يفترى} أي أن يفتريه على الله مفترٍ. فقوله: {من دون الله} حال من ضمير {يفترى} وهي في قوة الوصف الكاشف.

والتفصيل: التبيين بأنواعه. والظاهر أن تعريف {الكتاب} تعريف الجنس فيستغرق الكتب كلها. ومعنى كون القرآن تفصيلًا لها أنه مبين لما جاء مجملاً في الكتب السالفة، وناسخ لما لا مصلحة للناس في دوام حكمه، ودافع للمتشابهات التي ضل بها أهل الكتاب، فكل ذلك داخل في معنى التفصيل.

6. [سورة الإسراء: 99] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾

معنى الآية:

أَغَفَل هؤلاء المشركون، فلم يتبصروا ويعلموا أن الله الذي خلق السماوات والأرض وما فيهن من المخلوقات على غير مثال سابق، قادر على أن يخلق أمثالهم بعد فنائهم؟ وقد جعل الله لهؤلاء المشركين وقتًا محددًا لموتهم وعذابهم، لا شك أنه آتيهم، ومع وضوح الحق ودلائله أبى الكافرون إلا جحودًا لدين الله عزَّ وجلَّ.

النحو:

﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة: حرف للاستفهام، الواو: حرف استئناف، لم: حرف نفي وجزم.

﴿يَرَوْا﴾: فعل مضارع مجزوم، وعلامة الجزم حذف النون، و"الواو" ضمير فاعل.

﴿أَنَّ﴾: حرف توكيد مشبّه بالفعل.

﴿اللَّهَ﴾: لفظ الجلالة اسم "أنّ" منصوب بالفتحة.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول مبنيّ على السكون في محلّ نصب نعت للفظ الجلالة.

﴿خَلَقَ﴾: فعل ماضٍ، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿السَّمَاوَاتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة النصب الكسرة.

﴿وَالْأَرْضَ﴾: معطوف على "السماوات" بالواو منصوب بالفتحة.

﴿قَادِرٌ﴾: خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿عَلَى﴾: حرف جرّ.

﴿أَنَّ﴾: حرف مصدريّ ونصب.

﴿يَخْلُقَ﴾: فعل مضارع منصوب، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿مِثْلَهُمْ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، و"هم": ضمير مبني في محل جر مضاف إليه، والمصدر المؤول من "أن الله قادر" في محلّ نصب سدّ مسدّ مفعولي "يروا"، والمصدر المؤول من "أن يخلق" في محلّ جرّ بـ"علي"، والجار والمجرور متعلّقان بـ"قادر".

﴿وَجَعَلَ﴾: الواو: حرف عطف، جعل: فعل ماضٍ، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿لَهُمْ﴾: اللام: حرف جرّ، و"هم": ضمير مبنيّ في محلّ جرّ، والجار والمجرور متعلّقان بمحذوف مفعول به ثان.

﴿أَجَلًا﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

﴿لَا﴾: حرف نفي للجنس.

﴿رَيْبَ﴾: اسم "لا" مبنيّ على الفتح في محلّ نصب.

﴿فِيهِ﴾: في: حرف جرّ، و"الهاء": ضمير مبنيّ في محلّ جرّ، والجار والمجرور متعلّقان بمحذوف خبر "لا".

﴿فَأَبَى﴾: الفاء: حرف عطف، أبي: فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح المقدر.

﴿الظَّالِمُونَ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة الرفع الواو.

﴿إِلَّا﴾: حرف للحصر.

﴿كُفُورًا﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

وجملة "لم يروا" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافيّة، وجملة "خلق" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها صلة الموصول (الذي)، وجملة "يخلق" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها صلة الموصول الحرفي "أن"، وجملة "جعل" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها معطوفة على الجملة الاستئنافيّة، وجملة "لا ريب" في محلّ نصب نعت لـ"أجلًا"، وجملة "أبى الظالمون" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها معطوفة على جملة "جعل".

البلاغة:

بدأت الآية بأسلوب الاستفهام في {أولم يروا} إنكاري مشوب بتعجيب من انتفاء علمهم، لأنهم لما جرت عقائدهم على استبعاد البعث كانوا بحال من لم تظهر له دلائل قدرة الله تعالى، فيؤول الكلام إلى إثبات أنهم

علموا ذلك في نفس الأمر، والرؤية مستعملة في الاعتقاد لأنها عديت إلى كون الله قادراً، وذلك ليس من المبصرات. والمعنى: أو لم يعلموا أن الله قادر على أن يخلق مثلهم.

ووصف اسم الجلالة بالموصول للإيماء إلى وجه بناء الخبر، وهو الإنكار عليهم، لأن خلق السماوات والأرض أمر مشاهد معلوم، وكونه من فعل الله لا ينازعون فيه.

وجملة {وجعل لهم أجلاً لا ريب فيه} معطوفة على جملة {أو لم يروا} لتأويلها بمعنى قد رأوا ذلك لو كان لهم عقول، أي تحققوا أن الله قادر على إعادة الخلق وقد جعل لهم أجلاً لا ريب فيه.

وجملة {فأبى الظالمون إلا كفورًا} تفريع على الجملتين باعتبار ما تضمنتاه من الإنكار والتعجيب، أي علموا أن الذي خلق السماوات والأرض قادر على إعادة الأجسام ومع علمهم أبوا إلا كفورًا. فالتفريع من تمام الإنكار عليهم والتعجيب من حالهم. واستثناء الكفور من الإباية تأكيد للشيء بما يشبه ضده، والكفور: جحود النعمة، واختير «الكفور» هنا تنبيهاً على أنهم كفروا بما يجب اعتقاده، وكفروا نعمة المنعم عليهم فعبدوا غير المنعم.

7. [سورة الكهف: 21] ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾[1]

معنى الآية:

وكما أنمناهم سنين كثيرة، وأيقظناهم بعدها، أطْلَعنا عليهم أهل ذلك الزمان، بعد أن كشف البائع نوع الدراهم التي جاء بها مبعوثهم؛ ليعلم الناس أنَّ وَعْدَ الله بالبعث حق، وأن القيامة آتية لا شك فيها، إذ يتنازع المطَّلِعون على أصحاب الكهف في أمر القيامة: فمِن مُثْبِتٍ لها ومِن مُنْكِر، فجعل الله إطلاعهم على أصحاب الكهف حجة للمؤمنين على الكافرين. وبعد أن انكشف أمرهم، وماتوا قال فريق من المطَّلِعين عليهم: ابنوا على باب الكهف بناءً يحجبهم، واتركوهم وشأنهم، ربهم أعلم بحالهم، وقال أصحاب الكلمة والنفوذ فيهم: لنتخذنَّ على مكانهم مسجدًا للعبادة. وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد، ولعن مَن فَعَلَ ذلك في آخر وصاياه لأمته، كما أنه نهى عن البناء على القبور مطلقًا، وعن تجصيصها والكتابة عليها؛ لأن ذلك من الغلو الذي قد يؤدي إلى عبادة مَن فيها.

[1] أعثرنا عليهم: أي أطلَعنا النّاس عليهم

النحو:

﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا﴾: الواو: حرف استئناف، كذلك أعثرنا: "الكاف": حرف جر.

﴿ذلك﴾: ذا: اسم إشارة مبنيّ في محلّ جرّ.

والجارّ والمجرور متعلّقان بمحذوف مفعول مطلق عامله بـ "أعثرنا"، و "اللام": حرف للبعد، و "الكاف": حرف للخطاب.

﴿أَعْثَرْنَا﴾: فعل ماض مبنيّ على السكون، و "نا": ضمير فاعل، ﴿عَلَيْهِمْ﴾: على: حرف جرّ، و "هم": ضمير مبنيّ في محلّ جرّ، والجارّ والمجرور متعلّقان بـ "أعثرنا".

﴿لِيَعْلَمُوا﴾: اللام: لام التعليل حرف جر، يتساءلوا: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، وعلامة النصب حذف النون، و "الواو" ضمير فاعل».

﴿أَنَّ﴾: حرف توكيد مشبّه بالفعل، ﴿وَعْدَ﴾: اسم "أن" منصوب بالفتحة.

﴿اللَّهِ﴾: لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿حَقٌّ﴾: خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ﴾: الواو: حرف عطف، أن الساعة: مثل "أن وعد".

﴿لَا﴾: حرف نفي للجنس، ﴿رَيْبَ﴾: اسم "لا" مبنيّ على الفتح في محلّ نصب.

﴿فِيهَا﴾: في: حرف جرّ، و "ها": ضمير مبنيّ في محلّ جرّ، والجارّ والمجرور متعلّقان بخبر "لا".

﴿إِذْ﴾: ظرف للزمن الماضي مبنيّ في محلّ نصب متعلق بـ" أعثرنا" يَتَنَازَعُونَ: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، و "الواو" ضمير فاعل.

﴿بَيْنَهُمْ﴾: ظرف منصوب متعلق بحال من "أمرهم"، و "هم": ضمير مبني في محل جر مضاف إليه.

﴿أَمْرَهُمْ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، و "هم": ضمير مبني في محل جر مضاف إليه.

والمصدر المؤول من "أن يعلموا" في محلّ جرّ باللام، والجارّ والمجرور متعلّقان بـ "أعثرنا"، والمصدر المؤول من "أن وعد الله حق" في محلّ نصب سدّ مسدّ مفعولي "يعلموا"، والمصدر المؤول من "أن الساعة" في محلّ جرّ معطوف على المصدر المؤول من "أن وعد".

﴿فَقَالُوا﴾: الفاء: حرف عطف، قالوا: فعل ماض مبنيّ على الضم، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل.

﴿ابْنُوا﴾: فعل أمر مبنيّ على حذف النون، و "الواو" ضمير فاعل.

﴿عَلَيْهِمْ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"بنوا".

﴿بُنْيَانًا﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

﴿رَبُّهُمْ﴾: مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة، و "هم": ضمير مبني في محل جر مضاف إليه.

﴿أَعْلَمُ﴾: خبر المبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿بِهِمْ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"أعلم".

﴿قال﴾: فعل ماض، ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبنيّ على السكون في محلّ رفع فاعل.

﴿غَلَبُوا﴾: مثل "قالوا".

﴿عَلَى أَمْرِهِمْ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ "غلبوا"، و "هم": ضمير مبني في محل جر مضاف إليه.

﴿لَنَتَّخِذَنَّ﴾: اللام: لام القسم لقسم مقدر، نتخذن: فعل مضارع مبنيّ على الفتح، و "النون": حرف للتوكيد، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره: نحن، ﴿عَلَيْهِمْ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف مفعول به ثان.

﴿مَسْجِدًا﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

وجملة "أعثرنا" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافية، وجملة "يعلموا" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها صلة الموصول الحرفي "أن" المضمر، وجملة "لا ريب فيها" في محلّ رفع خبر "أن" (الثاني)، وجملة "يتنازعون" في محلّ جرّ مضاف إليه، وجملة "قالوا" في محلّ جرّ معطوفة على جملة "يتنازعون"، وجملة "ابنوا" في محلّ نصب "مقول القول"، وجملة "ربهم أعلم" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافية، وجملة "قال الذين" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافية، وجملة "غلبوا" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها صلة الموصول "الذين"، وجملة "نتخذن" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها جواب القسم المقدر، وجملة القسم المقدرة في محلّ نصب "مقول القول".

البلاغة:

الآية الكريمة جملة خبرية فائدة الخبر لأن الله يعلم بقصة أصحاب الكهف، حيث إن الله أنامهم وبعثهم، وأطلع الناس على حالهم بعد ثلاثمائة سنة.

وقوله: {ليعلموا} تعليل لما قبله وذبلك ليعلم الذين أطلعه الله على حالهم {أن وعد الله حق}، وهو أسلوب مؤكد بـ {أنَّ} لأن المخاطب مترددٌ أو شاكٌ في الحكم، ويحتاج إلى أن يتيقن ويتأكد أن الأجساد تبعث حية حساسة فيها أرواحها كما كانت قبل الموت.

وزاد التأكيد بزيادة جملتين مؤكدتين وهي: {وأنَّ الساعة لا ريب فيها} و{لنتخذن عليهم مسجدًا} وذلك باستخدام إنَّ الناسخة ونون التوكيد مع لام القسم في {لنتخذن}.

8. [سورة الحج: 7] ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾

معنى الآية:

وأن ساعة البعث آتية، لا شك في ذلك، وأن الله يبعث الموتى مِن قبورهم لحسابهم وجزائهم.

النحو:

هذه الآية الكريمة معطوفة على الآية الكريمة السابقة، وهو: «وَأَنَّ: حرف مشبه بالفعل السَّاعَةَ: منصوب بالفتحة اسم أن آتِيَةٌ: خبر أن مرفوع بالضمة» ﴿لَا﴾: نافية للجنس تعمل عمل "إنّ".

﴿رَيْبَ﴾: اسم "لا" مبنيّ على الفتح في محلّ نصب، وجملة "لا ريب فيها" في محلّ رفع خبر ثانٍ، لـ"أنّ".

﴿فِيهَا﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بخبر "لا" المحذوف وجوبًا.

﴿وَأَنَّ﴾: الواو: حرف عطف، وأن: حرف توكيد مشبّه بالفعل تدخل على المبتدأ والخبرُ تنصب الأول اسمها ترفع الثاني خبرها.

﴿اللَّهَ﴾: لفظ الجلالة، منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظّاهرة على آخره.

﴿يَبْعَثُ﴾: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو، والجملة في محلّ رفع خبر "إن".

﴿مَنْ﴾: اسم موصول مبنيّ على السكون في محلّ نصب مفعول به.

﴿فِي الْقُبُورِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بصلة الموصول المحذوفة، وجملة "وأنّ الساعة ..." استئنافية لا محلّ لها من الإعراب، وجملة "لا ريب فيها" في محلّ رفع خبر ثانٍ لـ "أنّ".

البلاغة:

أسلوب خبري مؤكدٌ مرتين: صيغة نفي الجنس على سبيل التنصيص صيغة تأكيد، لأن (لاَ) النافية للجنس في مقام النفي بمنزلة (إنّ) في مقام الإثبات ولذلك حملت عليها في العمل، وأسلوب التأكيد بـ {أنَّ} الناسخة في قوله تعالى: {وأن الساعة آتية}، وكما في قوله تعالى: {وأنَّ اللهَ يبعثُ من في القبور} باستخدام {أنَّ}، وتقديم الفاعل من حيث المعنى.

9. [سورة السجدة: 2] ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

معنى الآية:

هذا القرآن الذي جاء به محمد ﷺ لا شك أنه منزل من عند الله، رب الخلائق أجمعين.

النحو:

﴿تَنْزِيلُ﴾: مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿الْكِتَابِ﴾: مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة على آخره.

﴿لَا﴾: نافية للجنس حرف مبنيّ على السكون لا محلّ له من الإعراب.

﴿رَيْبَ﴾: اسم "لا" مبنيّ على الفتح في محلّ نصب.

﴿فِيهِ﴾: "في": حرف جرّ مبنيّ على السكون، و "الهاء": ضمير متّصل مبنيّ على الكسر في محلّ جرّ بـ "في". والجارّ والمجرور متعلّقان بمحذوف خبر "لا"، والجملة "لا ريب فيه" من "لا" ومعموليها في محلّ نصب حالّ من "الكتاب".

﴿مِنْ﴾: حرف جرّ مبنيّ على السّكون.

﴿رَبِّ﴾: اسم مجرور بـ "من" وعلامة جرّه الكسرة الظّاهرة، والجارّ والمجرور متعلّقان بمحذوف خبر "تنزيل"، والجملة من المبتدأ وخبره استئنافية لا محلّ لها من الإعراب.

﴿الْعَالَمِينَ﴾: مضاف إليه مجرور بالياء، لأنه جمع مذكر سالم.

البلاغة:

في قوله تعالى: {تنزيل الكتاب} جيء بالمسند إليه معرفاً بالإضافة لإطالته ليحصل بتطويله ثم تعقيبه بالجملة المعترضة التشويقُ إلى معرفة الخبر وهو قوله {من رب العالمين}.

ووقعت جملة {لا ريب فيه} بأسلوب المعلوم المقرّر فلم تجعل خبراً ثانياً عن المبتدأ لزيادة التشويق إلى الخبر ليقرر كونه من رب العالمين، كما أن صيغة نفي الجنس على سبيل التنصيص صيغة تأكيد.

واستحضار الجلالة بطريق الإضافة بوصف {رب العالمين} دون الاسم العلَم وغيره من طرق التعريف لما فيه من الإيماء إلى عموم الشريعة وكون كتابها منزّلاً للناس كلهم بخلاف ما سبق من الكتب الإلهية.

10. [سورة غافر: 59] ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

معنى الآية:

إن الساعة لآتية لا شك فيها، فأيقنوا بمجيئها، كما أخبرتْ بذلك الرسل، ولكن أكثر الناس لا يُصَدِّقون بمجيئها، ولا يعملون لها.

النحو:

﴿إِنَّ﴾: حرف توكيد مشبّه بالفعل.

﴿السَّاعَةَ﴾: اسمها منصوب بالفتحة.

﴿لَآتِيَةٌ﴾: اللام: حرف للتأكيد، و{آتية}: خبر "إنّ" مرفوع وعلامة رفعه الضمة، والثانية للتنوين.

﴿لَا﴾: حرف نفي للجنس تعمل عمل "إنّ".

﴿رَيْبَ﴾: اسم "لا" مبنيّ على الفتح في محلّ نصب، وخبرها محذوف.

﴿فِيهَا﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بخبر "لا".

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿وَلَكِنَّ﴾: الواو: حرف عطف، لكن: حرف مشبّه بالفعل.

﴿أَكْثَرَ﴾: اسمها منصوب بالفتحة.

﴿النَّاسِ﴾: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿لَا﴾: حرف نفي لا عمل له.

﴿يَعْلَمُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، "والواو": ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل».

وجملة "إن الساعة الآتية" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافيّة، وجملة "لا ريب فيها" في محلّ رفع خبر ثان لـ "إن"، وجملة "لكن أكثر" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها معطوفة على جملة "إن الساعة لآتية"، وجملة "لا يؤمنون" في محلّ رفع خبر "لكن".

البلاغة:

وتأكيد الخبر ب (إنَّ) ولام الابتداء لزيادة التحقيق، وللإشارة إلى أن الخبر تحقق بالأدلة السابقة. وذلك أن الكلام موجه للذين أنكروا البعث.

ولقد جيء باسم الفاعل في {آتية} الذي هو حقيقة في الحال، للإيماء إلى أنها لما تحققت فقد صارت كالشيء الحاضر المشاهد. والمراد تحقيق وقوعها لا الإخبار عن وقوعها.

وجملة {لَّا رَيْبَ فِيهَا} مؤكدة لجملة {إِنَّ السَّاعة لأتِيَةٌ} ونُفِي الريب عن نفس الساعة، والمراد نفيه عن إتيانها لدلالة قوله: {آتية} على ذلك، ومعنى نفي الريب في وقوعها: أن دلائلها واضحة بحيث لا يُعتد بريب المرتابين فيها لأنهم ارتابوا فيها لعدم الرِويَّةِ والتفكر.

وموقع الاستدراك الذي في قوله: {ولكن أكثر الناس لا يؤمنون} هو ما يثيره نفي الريب عن وقوعها من أن يتساءل متسائل كيف ينفي الريب عنها والريب حاصل لكثير من الناس، هذا الاستدراك استئناف بياني، ولولا أن (لكنَّ) يكثر أن تقع بعد واو العطف لكانت الجملة جديرة بالفصل دون عطف، فهذا العطف تحلية لفظية.

11. [سورة الجاثية: 32] ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾

معنى الآية:

وإذا قيل لكم: إن وعد الله ببعث الناس من قبورهم حق، والساعة لا شك فيها، قلتم: ما ندري ما الساعة؟ وما نتوقع وقوعها إلا توهمًا، وما نحن بمتحققين أن الساعة آتية.

النحو:

﴿وَإِذَا﴾: الواو: حرف استئناف، إذا: ظرفٌ لما يستقبل من الزمن مبنيّ على السكون في محلّ نصب مفعول فيه.

﴿قِيلَ﴾: فعل ماض للمجهول مبنيّ على الفتح.

﴿إِنَّ﴾: حرف توكيد مشبّه بالفعل، ﴿وَعْدَ﴾: اسم "إن" منصوب الفتحة.

﴿اللَّهِ﴾: لفظ الجلالة: مضافٌ إليه مخفوض بالكسرة.

﴿حَقٌّ﴾: خبر "إن" مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿وَالسَّاعَةُ﴾: الواو: حرف عطف أو استئناف، الساعة: مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿لَا﴾: نافية للجنس تعمل عمل "أنّ".

﴿رَيْبَ﴾: اسم "لا" مبنيّ على الفتح في محلّ نصب وخبرها محذوف وجوبا.

﴿فِيهَا﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بحبر "لا".

﴿قُلْتُمْ﴾: فعل ماض مبنيّ على السكون لاتصاله بضمير الرفع المتحرك، و"التاء": ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ رفع فاعل، و "الميم": للجماعة.

﴿مَا﴾: حرف نفي، ﴿نَدْرِي﴾: فعل مضارع مرفوع بالضمة المقدرة على الياء للثقل والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره: نحن.

﴿مَا﴾: اسم استفهام مبنيّ على السكون في محلّ رفع مبتدأ.

﴿السَّاعَةُ﴾: خبر "ما" مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿إِنْ﴾: مخففة مهملة بمعنى "ما" النافية.

﴿نَظُنُّ﴾: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿إِلَّا﴾: حرف حصر، ﴿ظَنًّا﴾: مفعول مطلق منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف، ما: حرف نفي بلغة بني تميم وبمنزلة "ليس" عند أهل الحجاز.

﴿نَحْنُ﴾: ضمير منفصل مبنيّ على الضم في محلّ رفع مبتدأ على اللغة الأولى اسم "ما" على اللغة الثانية.

الباء: حرف جرّ زائد.

﴿بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾: اسم مجرور لفظا بالياء، لأَنَّهُ جمع مذكر سالم، مرفوع محلا على أَنَّهُ خبر "نحن" على اللغة الأولى ومنصوب محلًا على أَنَّهُ خبر "ما" على اللغة الثانية.

وجملة "قيل" في محلّ جرّ مضافٌ إليه، وجملة "إن وعد الله حق" في محلّ رفع نائب الفاعل هي "مقول القول" أصلًا، وجملة "الساعة لا ريب فيها" في محلّ رفع نائب الفاعل هي "مقول القول" أصلًا، وجملة "الساعة لا ريب فيها" في محلّ رفع معطوفة على جملة نائب الفاعل، وجملة "لا ريب فيها" في محلّ رفع خبر المبتدأ "الساعة"، وجملة "قلتم" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها جواب الشَّرط غير الجازم، وجملة "ما ندري" في محلّ نصب "مقول القول"، وجملة "ما الساعة" في محلّ نصب سدت مَسَدَّ مفعولي ندري المعلق بـ"ما"، وجملة "إن نظن إلا ظنًا" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافيّة في حيز القول، وجملة "ما نحن بمستيقنين" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها معطوفة على جملة "إن تظن".

البلاغة:

في قوله تعالى: {إن نظن إلا ظنًّا} ففيه إشكال: من جهة موقعه ومعناه فلأن القائلين موقنون بانتفاء وقوع الساعة؛ وأن هناك فريقين: فريق تأوله، وفريق من كان شاكاً متحيراً فيه وهم الذين أراد الله بهذه الآية؛ والوجه عندي في تأويله: إما يكون هذا حكاية لاستهزائهم بخبر البعث فإذا قيل لهم: {الساعة لا ريب فيها} قالوا استهزاء {ما نظنّ إلاّ ظنّاً}، ويدل عليه قوله عقبه {وحاقَ بهم ما كانوا به يستهزئون} [سورة الجاثية: 33].

واستثناء الظن من نفسه في قوله: {إن نظن إلا ظناً}، فإن الاستثناء المفرغ لا يصح أنْ يكون مفرغاً للمفعول المطلق لانتفاء فائدة التفريـع، الاستثناء الظن من نفسه أن المسْتثنَى هو الظن الموصوفُ بما دل عليه تنكيره من التحقير المشعرِ به التنوينُ.

ومفعولا {نظن} محذوفان لدليل الكلام عليهما. والتقدير: إن نظن الساعةَ واقعة.

وقولهم: {وما نحن بمستيقنين} يفيد تأكيد قولهم {ما ندري ما الساعة إن نظن إلا ظنًّا}، وعطفه عطف مرادف، أي للتشريك في اللفظ. والسين والتاء في {بمستيقنين} للمبالغة في حصول الفعل.

المسألة رقم 2:

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [سورة البقرة: 3]

معنى الآية:

وهم الذين يُصَدِّقون بالغيب الذي لا تدركه حواسُّهم ولا عقولهم وحدها؛ لأنه لا يُعْرف إلا بوحي الله إلى رسله، مثل الإيمان بالملائكة، والجنة، والنار، وغير ذلك مما أخبر الله به أو أخبر به رسوله، والإيمان كلمة جامعة للإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وتصديق الإقرار بالقول والعمل بالقلب واللسان والجوارح، وهم مع تصديقهم بالغيب يحافظون على أداء الصلاة في مواقيتها أداءً صحيحًا وَفْق ما شرع الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، ومما أعطيناهم من المال يخرجون صدقة أموالهم الواجبة والمستحبة.

النحو:

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبنيّ على الفتح في محلّ جرّ صفة للمتقين أو في محلّ رفع خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هم الذين.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون لأنَّه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، وجملة "يؤمنون" لا محلّ لها من الإعراب لأنها صلة الموصول.

﴿بِالْغَيْبِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ "يؤمنون".

﴿وَيُقِيمُونَ﴾: معطوفة بالواو على "يؤمنون" وتعرب إعرابها.

﴿الصَّلَاةَ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

﴿وَمِمَّا﴾: الواو حرف استئناف بما: أصلها: من: حرف جرّ، و"ما" اسم موصول مبنيّ على السكون في محلّ جرّ بحرف الجرّ، والجارّ والمجرور متعلّقان بـ "ينفقون".

﴿رَزَقْنَاهُمْ﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على السكون لاتصاله بضمير الرفع، و"نا" ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ رفع فاعل، والهاء: ضمير متّصل مبنيّ في محلّ نصب مفعول به، و"الميم": علامة جمع الذكور، وجملة "رزقناهم" صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب.

﴿يُنْفِقُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون لأنَّه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل.

البلاغة:

وأصل القيام في اللغة هو الانتصاب المضاد للجلوس والاضطجاع، وإنما يقوم القائم لقصد عمل صعب لا يتأتى من قعو، وإقامة الصلاة استعارة تبعية شبهت المواظبة على الصلوات والعناية بها بجعل الشيء قائمًا، قد عبر بالمضارع كما وقع في قوله {يؤمنون}، وقد حصل من إفادة المضارع التجدد تأكيد ما دل عليه مادة الإقامة من المواظبة والتكرر، ليكون الثناء عليهم بالمواظبة على الصلاة أصرح، ومجيء صلة الموصول فعلًا مضارعًا لإفادة أن إيمانهم مستمر متجدد كما علمت آنفًا، أي لا يطرأ على إيمانهم شك ولا ريبة.

وفي إسناده فعل (رزقنا) إلى ضمير الله تعالى وجعْل مفعوله ضميرَ {الذين يؤمنون} تنبيه على أن ما يصير الرزق بسببه رزقاً لصاحبه هو حق خاص له خَوَّله اللَّهُ إياه بحكم الشريعة على حسب الأسباب والوسائل التي يتقرر بها ملك الناس للأموال والأرزاق، وهو الوسائل المعتبرة في الشريعة التي اقتضت استحقاق أصحابها واستئثارهم بها بسبب الجُهد مما عمله المرء بقوة بدنه التي لا مريَة في أنها حقه.

وتقديم المجرور المعمولِ على عامله وهو {ينفقون} لمجرد الاهتمام بالرزق في عرف الناس فيكون في التقديم إيذان بأنهم ينفقون مع ما للرزق من المعزَّة على النفس، وفي الإتيان بِمنْ التي هي للتبعيض إيماء إلى كون الإنفاق المطلوب شرعاً هو إنفاق بعض المال لأن الشريعة لم تكلف الناس حرجًا، وهذا البعض يقل ويتوفر بحسب أحوال المنفقين. فالواجب منه ما قَدرت الشريعة نُصُبَه ومقاديره من الزكاة وإنفاقِ الأزواج والأبناءِ والعبيدِ، وما زاد على الواجب لا ينضبط تحديده وما زاد فهو خير، ولم يشرع الإسلامُ وجوب تسليم المسلم ما ارتزقه واكتسبه إلى يد غيره.

جزء التشابه: بالغيب

1. [سورة المائدة: 94] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

معنى الآية:

ليبلونكم الله أي: ليختبرنكم ويمتحنّنكم، وتفسير هذه الآية: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، ليبلونكم الله بشيء من الصيد يقترب منكم على غير المعتاد حيث تستطيعون أَخْذَ صغاره بغير سلاح وأخذ

كباره بالسلاح؛ ليعلم الله علمًا ظاهرًا للخلق الذين يخافون ربهم بالغيب، ليقينهم بكمال علمه بهم، وذلك بإمساكهم عن الصيد، وهم محرمون. فمن تجاوز حَدَّه بعد هذا البيان فأقدم على الصيد -وهو مُحْرِم- فإنه يستحق العذاب الشديد.

النحو:

﴿يَاأَيُّهَا﴾: يا: حرف نداء، أي: منادى مبنيّ على الضم في محلّ نصب مفعول به لفعل النداء المحذوف، و"ها": للتنبيه.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبنيّ على الفتح في محلّ رفع بدل من "أي".

﴿آمَنُوا﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الضم، لاتصاله بواو الجماعة، والواو ضمير متصلّ في محلّ رفع فاعل، و"الألف": فارقة، والجملة "آمنوا" لا محلّ لها من الإعراب؛ لأنّها صلة الموصول.

﴿لَيَبْلُوَنَّكُمُ﴾: اللام: حرف رابط جواب قسم مقدر محذوف، يبلونكم: فعل مضارع مبنيّ على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، و"الكاف": ضمير متصلّ في محلّ نصب مفعول به مقدم، و"الميم": علامة جمع الذكور.

﴿اللَّهُ﴾: لفظ الجلالة فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿بِشَيْءٍ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"يبلونكم"، وجملة "يبلونكم" لا محلّ لها من الإعراب لأنها جواب قسم مقدّر.

﴿مِنَ الصَّيْدِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بصفة محذوفة من "شيء".

﴿تَنَالُهُ﴾: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة، والهاء: ضمير متصلّ في محلّ نصب مفعول به مقدم.

﴿أَيْدِيكُمْ﴾: فاعل مرفوع بالضمة المقدّرة على الياء للثقل، و"الكاف": ضمير متصلّ في محلّ جرّ بالإضافة، و"الميم": علامة جمع الذكور، وجملة "تناله أيديكم" في محلّ جرّ نعت "شيء".

﴿وَرِمَاحُكُمْ﴾: الواو: حرف عطف، رماحكم: اسم معطوف على "أيديكم" مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿لِيَعْلَمَ﴾: اللام للتعليل حرف جرّ، يعلم: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة النصب الفتحة.

﴿اللَّهُ﴾: لفظ الجلالة فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، والمصدر المؤول من "أن" المضمرة وما بعدها في محلّ جرّ بلام التعليل، والجارّ والمجرور متعلقان بالفعل "يبلون"، وجملة "يعلم الله" صلة "أن" المصدرية لا محلّ لها من الإعراب.

﴿مَنْ﴾: اسم موصول مبنيّ على السكون في محلّ نصب مفعول به للفعل "يعلم".

﴿يَخَافُهُ﴾: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو، والهاء: ضمير متصلّ في محلّ نصب مفعول به، وجملة "يخافه" لا محلّ لها من الإعراب لأنها صلة الموصول.

﴿بِالْغَيْبِ﴾: جارّ ومجرور متعلقان بـ "يخافه".

﴿فَمَنِ﴾: الفاء: حرف استئناف، من: اسم شرط جازم مبنيّ على السكون في محلّ رفع مبتدأ.

﴿اعْتَدَى﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الفتحة المقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر في محلّ جزم لأنه فعل الشرط، والفاعل: ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿بَعْدَ﴾: ظرف مكان منصوب بالفتحة متعلّق بـ "اعتدى".

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة مبنيّ في محلّ جرّ بالإضافة، و"اللام": حرف للبعد، و"الكاف": حرف للخطاب، وجملتا فعل الشرط وجوابه: في محلّ رفع خبر المبتدأ "من".

﴿فَلَهُ﴾: الفاء: حرف رابط لجواب الشرط، له: جارّ ومجرور في محلّ رفع خبر مقدم.

﴿عَذَابٌ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿أَلِيمٌ﴾: نعت "عذاب" مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

والجملة "له عذاب" في محلّ جزم جواب الشرط.

البلاغة:

بدأت الآية الكريم بأسلوب نداء غرضه التنبيه، فخاطب الله المؤمنين بتنبيههم إلى حالة قد يسبق فيها حرصُهم، حذَرَهم وشهوتُهم تقواهم. وهي حالة ابتلاء وتمحيص، يَظهر بها في الوجود اختلاف تمسّكهم بوصايا الله تعالى. وقوله: {ليبلونّكم الله بشيء من الصيد} هو ابتلاء تكليف ونهي، كما دلّ عليه تعلّقه بأمر ممّا يفعل، فهو ليس كالابتلاء في قوله: {ولنبلونّكم بشيء من الخوف والجوع} [البقرة: 155] وإنّما أخبرهم بهذا على وجه التحذير. فالخبر مستعمل في معناه ولازم معناه، وهو التحذير،

وأشار بقوله: {تناله أيديكم ورماحكم} إلى أنواع الصيد صغيره وكبيره. وقد يقال: حذف ما هو بغير الأيدي وبغير الرماح للاستغناء بالطرفين عن الأوساط. وجملة {تناله أيديكم} صفة للصيد أو حال منه. والمقصود

منها استقصاء أنواع الصيد لئلاّ يتوهّم أنّ التحذير من الصيد الذي هو بجرح أو قتل دون القبض باليد أو التقاط البيض أو نحوه. وقوله: {لِيَعْلَمَ اللّهُ من يخافه بالغيب} علّة لقوله {ليبلونّكم} لأنّ الابتلاء اختبار، فِعلّته أن يعلم الله مِنه من يخافه.

وقوله: {فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم} تصريح بالتحذير الذي أومأ إليه بقوله {ليبلونّكم}، إذ قد أشعر قوله: {ليبلونّكم} أنّ في هذا الخبر تحذيراً من عمل قد تسبق النفس إليه. والإشارة بذلك إلى التحذير المستفاد من {ليبلونّكم}، أي بعدما قدّمناه إليكم وأعذرنا لكم فيه، فلذلك جاءت بعده فاء التفريع. والمراد بالاعتداء الاعتداء بالصيد، وسمّاه اعتداء لأنّه إقدام على محرّم وانتهاك لحرمة الإحرام أو الحرم.

2. [سورة يوسف: 52] ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾

معنى الآية:

ذلك القول الذي قلته في تنزيهه والإقرار على نفسي ليعلم زوجي أني لم أخنه بالكذب عليه، ولم تقع مني الفاحشة، وأنني راودته، واعترفت بذلك لإظهار براءتي وبراءته، وأن الله لا يوفق أهل الخيانة، ولا يرشدهم في خيانتهم.

النحو:

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة مبنيّ في محلّ نصب مفعول به لفعل محذوف تقديره: قلت، والمتكلم هي امرأة العزيز، و"اللّام": للبعد، و"الكاف": للخطاب.

﴿لِيَعْلَمَ﴾: اللّام: لام التعليل، يعلم: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة النصب الفتحة، والفاعل: هو، أي: يوسف، والمصدر المؤول من "أن يعلم" في محلّ جرّ باللام، والجارّ والمجرور متعلّقان بالفعل المقدّر.

﴿أَنِّي﴾: حرف توكيد مشبّه بالفعل، و"الياء": ضمير مبنيّ في محلّ نصب اسم "أن".

﴿لَمْ﴾: حرف نفي وجزم وقلب.

﴿أَخُنْهُ﴾: فعل مضارع مجزوم بالسكون، و"الهاء": مفعول به، والفاعل: أنا.

﴿بِالْغَيْبِ﴾: جارّ ومجرور حال من فاعل "أخنه" أو من مفعوله، والمصدر المؤول من "أني له أخنه" في محلّ نصب سدّ مسدّ مفعولي "يعلم".

﴿وَأَنَّ﴾: وأن: الواو: حرف عطف، أَنّ: حرف توكيد مشبّه بالفعل.

﴿اللَّهَ﴾: لفظ الجلالة اسم "أن" منصوب بالفتحة.

﴿لَا﴾: حرف نفي.

﴿يَهْدِي﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة الرفع الضمة المقدّرة على الياء، والفاعل: هو.

﴿كَيْدَ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

﴿الْخَائِنِينَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة الجر الياء.

والمصدر المؤول من "أن الله لا يهدي" في محلّ نصب معطوف على المصدر المؤول الأول.

وجملة "قلت ذلك" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئناف في حيز القول السابق لامرأة العزيز.

وجملة "يعلم" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها صلة الموصول الحرفي "أن" المضمر.

وجملة "لم أخنه" في محلّ رفع خبر "أن" (الأول)، وجملة "لا يهدي" في محلّ رفع خبر "أنّ" (الثاني).

البلاغة:

التعريف في {الغيب} تعريف الجنس. تمدحت بعدم الخيانة على أبلغ وجه إذ نَفت الخيانة في المغيب وهو حَائلٌ بينه وبين دفاعه عن نفسه، وحالة المغيب أمكن لمريد الخيانة أن يخون فيها من حالة الحضرة، لأن الحاضر قد يتفطن لقصد الخائن فيدفع خيانته بالحجة.

و {أنّ الله لا يهدي كيد الخائنين} عطف على {ليعلم} وهو علة ثانية لإصداعها بالحق، أي ولأن الله لا يهدي كيد الخائنين. والخبر مستعمل في لازم الفائدة وهو كون المتكلم عالماً بمضمون الكلام، لأن علة إقرارها هو علمها بأن الله لا يهدي كيد الخائنين.

3. [سورة مريم: 61] ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾[1]

معنى الآية:

جنات خلد وإقامة دائمة، وهي التي وعد الرحمن بها عباده بالغيب فآمَنوا بها ولم يروها، إن وعد الله لعباده بهذه الجنة آتٍ لا محالة.

النحو:

﴿جَنَّاتِ﴾: بدل من الجنة منصوب، وعلامة النصب الكسرة بدلًا من الفتحة، لأنه جمع مؤنث سالم.

﴿عَدْنٍ﴾: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

[1] مأتيًّا: آتيًا أو مُنجَزًا.

﴿الَّتِي﴾: اسم موصول في محلّ نصب نعت لـ"جنات".

﴿وَعَدَ﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح.

﴿الرَّحْمَنُ﴾: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿عِبَادَهُ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، و"الهاء": ضمير متّصل مبنيّ في محلّ مضاف إليه.

﴿بِالْغَيْبِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بحال من عباد، أي: مؤمنين بالغيب، أو من الضمير العائد المحذوف، أي: الجنة وهي غائبة عنهم.

﴿إِنَّهُ﴾: حرف توكيد مشبّه بالفعل، و"الهاء": ضمير مبنيّ في محلّ رفع اسم "إنّ".

﴿كَانَ﴾: فعل ماضٍ ناقص مبنيّ على الفتح.

﴿وَعْدُهُ﴾: اسم "كان" مرفوع وعلامة رفعه الضمة، و"الهاء": ضمير متّصل مبنيّ في محلّ مضاف إليه.

﴿مَأْتِيًّا﴾: خبر "كان" منصوب بالفتحة.

وجملة "وعد الرحمن" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها صلة الموصول "التي"، وجملة "إنه كان وعده" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئناف بياني، وجملة "كان وعده مأتيًا" في محلّ رفع خبر "إنّ".

البلاغة:

جيئت الجنة بصيغة جمع جنات مع أن المبدل منه مفرد لأنه يشتمل على جنات كثيرة، وهو بدل مطابق وليس بدل اشتمال، وعَدْن أي: الخلد والإقامة، أي جنات خلد ووصفها بالتي وعد الرحمان عباده لزيادة تشريفها وتحسينها. وفي ذلك إدماج لتبشير المؤمنين السابقين في أثناء وعد المدعوين إلى الإيمان.

والباء في بالغيب للظرفية، أي وعدها إياهم في الأزمنة الغائبة عنهم، أي في الأزل إذ خلقها لهم، وفيه تنبيه على أنها وإن كانت محجوبة عنهم في الدنيا فإنها مهيئة لهم.

جملة {إنه كان وعده مأتياً} تعليل لجملة {التي وعد الرحمن عباده بالغيب} أي يدخلون الجنة وعداً من الله واقعًا، وهذا تحقيق للبشارة.

والمأتِي: الذي يأتيه غيره. وقد استعير الإتيان لحصول المطلوب المترقب، تشبيهاً لمن يحصل الشيء بعد أن سعى لتحصيله بمن مشى إلى مكان حتى أتاه. وتشبيهاً للشيء المحصل بالمكان المقصود. ففي قوله {مأتِيّا} تمثيلية اقتصر من أجزائها على إحدى الهيئتين، وهي تستلزم الهيئة الأخرى لأنّ المأتي لا بد له من آت.

4. [سورة الأنبياء: 49] ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾[1]

معنى الآية:

ولقد آتينا موسى وهارون حجة ونصرًا على عدوهما، وكتابًا - وهو التوراة - فَرَقْنا به بين الحق والباطل، ونورًا يهتدي به المتقون الذين يخافون عقاب ربهم، وهم من الساعة التي تقوم فيها القيامة خائفون وجلون.

النحو:

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبنيّ على الفتح في محلّ جرّ نعت للمتقين.

﴿يَخْشَوْنَ﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النّون، لأنَّهُ من الأفعال الخمسة، و"الواو" ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ رفع فاعل، وجملة "يخشون" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها صلة الموصول.

﴿رَبَّهُمْ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، "هم": ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ جرّ بالإضافة.

﴿بِالْغَيْبِ﴾: الباء: حرف جرّ مبنيّ على الكسر، الغيب: اسم مجرور بالكسرة الظّاهرة، والجارّ والمجرور متعلّقان بـ"يخشون".

﴿وَهُمْ﴾: الواو: حالية أو عطف حرف مبنيّ على الفتح، "هم": ضمير منفصل مبنيّ على السكون في محلّ رفع مبتدأ.

﴿مِنْ﴾: حرف جرّ مبنيّ على السكون وقد حرّك بالفتح منعًا من التقاء الساكنين.

﴿السَّاعَةِ﴾: اسم مجرور بالكسرة الظّاهرة، والجار والمجرور متعلّقان بـ"مشفقون".

﴿مُشْفِقُونَ﴾: خبر "هم" مرفوع بالواو، لأنَّهُ جمع مذكر سالم، وجملة "هم مشفقون" في محلّ نصب حال أو معطوفة.

البلاغة:

الباء في قوله تعالى {بالغيب} بمعنى (في). والغيب أي: ما غاب عن عيون الناس، أي يخشون ربهم في خاصتهم لا يريدون بذلك رياء ولا لأجل خوف الزواجر الدنيوية والمذمة من الناس؛ والإشفاق: رجاء حادث مخوف. ومعنى الإشفاق من الساعة: الإشفاق من أهوالها، فهم يعدُّون لها عُدَّتها بالتقوى بقدر الاستطاعة، وفيه تعريض بالذين لم يهتدوا بكتاب الله تعالى بدلالة مفهوم المخالفة لقوله تعالى: {الذين يخشون ربهم

[1] مُشفقون: خائفون حذرون

بالغيب}. فمن لم يهتد بكتاب الله فليس هو من الذين يخشون ربهم بالغيب، وهؤلاء هم فرعون وقوم، وقد عقب هذا التعريض بذكر المقصود من سوق الكلام الناشيء هو عنه.

5. [سورة سبأ: 53] ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾[1]

معنى الآية:

وقد كفروا بالحق في الدنيا، وكذبوا الرسل، ويرمون بالظن من جهة بعيدة عن إصابة الحق، ليس لهم فيها مستند لظنهم الباطل، فلا سبيل لإصابتهم الحق، كما لا سبيل للرامي إلى إصابة الغرض من مكان بعيد.

النحو:

﴿وَقَدْ﴾: الواو: حالية، قد: حرف تحقيق.

﴿كَفَرُوا﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الضم، لاتصاله بواو الجماعة، و"الواو" ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، و"الألف": فارقة.

﴿بِهِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"كفروا".

﴿مِنْ﴾: حرف جر، ﴿قَبْلُ﴾: اسم مبنيّ على الضم في محلّ جرّ بـ"من"، والجارّ والمجرور متعلّقان بـ"كفروا".

﴿وَيَقْذِفُونَ﴾: الواو: حرف عطف، يقذفون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، و"الواو" ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل.

﴿بِالْغَيْبِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"يقذفون"، أو بحال من ضمير "يقذفون".

﴿مِنْ مَكَانٍ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"يقذفون"، ﴿بَعِيدٍ﴾: نعت لـ"مكان" مجرور بالكسرة.

وجملة "كفروا" في محلّ نصب حال من الضمير في "به"، أو من الفاعل في "قالوا"، وجملة "يقذفون" في محلّ نصب معطوفة على جملة "كفروا".

البلاغة:

{مكان بعيد} هنا مستعمل في حقيقته يعني من الدنيا، وهي مكان بعيد عن الآخرة للاستغناء عن استعارته لِما لا يشاهد منه بقوله: {بالغيب} فتعين للحقيقة لأنها الأصل.

[1] يقذفون بالغيْب: يرجمون بالظّنون.

6. [سورة فاطر: 18] ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾[1]

معنى الآية:

ولا تحمل نفس مذنبة ذنب نفس أخرى، وإن تَسْأل نفسٌ مثقَلَة بالخطايا مَن يحمل عنها من ذنوبها لم تجد من يَحمل عنها شيئًا، ولو كان الذي سألتْه ذا قرابة منها من أب أو أخ ونحوهما. إنما تحذِّر -أيها الرسول- الذين يخافون عذاب ربهم بالغيب، وأدَّوا الصلاة حق أدائها. ومن تطهر من الشرك وغيره من المعاصي فإنما يتطهر لنفسه. وإلى الله سبحانه مآل الخلائق ومصيرهم، فيجازي كلا بما يستحق.

النحو:

﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف، لا: حرف نفي لا عمل له.

﴿تَزِرُ﴾: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿وَازِرَةٌ﴾: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿وِزْرَ﴾ مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

﴿أُخْرَى﴾: مضاف إليه مجرور بالكسرة المقدرة على "الألف" للتعذر.

﴿وَإِنْ﴾: الواو: حرف استئناف، إن: حرف شرط جازم.

﴿تَدْعُ﴾: فعل مضارع مجزوم بإن، وعلامة جزمه حذف حرف العلّة.

﴿مُثْقَلَةٌ﴾: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿إِلَى حِمْلِهَا﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"تدع"، و "ها": ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ جرّ بالإضافة.

﴿لَا﴾: حرف نفي لا عمل له.

﴿يُحْمَلْ﴾: فعل مضارع للمجهول مجزوم بإن، وعلامة جزمه السكون.

﴿مِنْهُ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"يحمل".

﴿شَيْءٌ﴾: نائب فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿وَلَوْ﴾: الواو: حالية، لو: حرف مصدري.

﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص مبنيّ على الفتح، واسمها ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

[1] لا تزر وازرة: لا تحمل نفس آثمة؛ مُثقلة: نفس أثقلتها الذنوب؛ حِملها: ذوبها التي أثقلتها؛ تزكّى: تطهّر من الكفر والمعاصي.

﴿ذَا﴾: خبر "كان" منصوب بالألف، لأنه من الأسماء الخمسة، وهو مضاف.

﴿قُرْبَى﴾: مضاف إليه مجرور بالكسرة المقدرة على الألف للتعذر، و "لو" المصدرية وما بعدها بتأويل مصدر في محلّ نصب حال الإنسان المدعو.

﴿إِنَّمَا﴾: إن: حرف توكيد مشبه بالفعل، وما: حرف زائد كاف.

﴿تُنْذِرُ﴾: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره: أنت.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبنيّ على الفتح في محلّ نصب مفعول به.

﴿يَخْشَوْنَ﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، و "الواو" ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل.

﴿رَبَّهُمْ﴾: رب: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، و "الهاء": ضمير متّصل مبنيّ في محلّ جرّ بالإضافة، و "الميم": للجماعة.

﴿بِالْغَيْبِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بحال من ضمير يخشون.

﴿وَأَقَامُوا﴾: الواو: حرف عطف، أقاموا: فعل ماض مبنيّ على الضم، لاتصاله بواو الجماعة، و "الواو" ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، و "الألف": فارقة.

﴿الصَّلَاةَ﴾: مفعول به منصوب بالفتحة وَمَنْ: الواو حرف استئناف.

﴿تَزَكَّى﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح المقدر على الألف للتعذّر، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿فَإِنَّمَا﴾: الفاء: حرف واقع في جواب الشرط، إن: حرف توكيد بطل عمله، ما: حرف زائد كاف.

﴿يَتَزَكَّى﴾: فعل مضارع مرفوع بالضمة المقدرة على الألف للتعذر، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿لِنَفْسِهِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"يتزكي"، و "الهاء ضمير متّصل مبنيّ في محلّ جرّ بالإضافة.

﴿وَإِلَى اللَّهِ﴾: الواو: حرف استئناف، إلى الله: جارّ مجرور متعلّقان بخبر مقدم.

﴿الْمَصِيرُ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

وجملة "لا تزر وازرة" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها معطوفة على جملة "يشأ"، وجملة "تدع مثقلة" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها معطوفة على جملة "يشأ"، وجملة "لا يحمل منه شيء" لا محلّ لها جواب الشرط غير مقترنة بالفاء أو "إذا"، وجملة "كان ذا قربى" في محلّ نصب حال وجواب الشرط محذوف دل عليه ما

قبله، وجملة "إنما تنذر" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافية، وجملة يخشون" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها صلة الموصول "الذين"، وجملة "أقاموا" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها معطوفة على جملة الصلة.
وجملة "من تزكى" لا محلّ لها معطوفة على جملة "إنما تنذر"، وجملة "يتزكى" في محلّ جزم جواب الشرط.
وجملة "إلى الله المصير" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها معطوفة على جملة "من تزكي".

البلاغة:

غرض الآية الكريمة التهديد، وكان الخطاب للناس أريدت طمْأنة المسلمين من عواقب التهديد، وقد يكون وعداً بالإنجاء من عذاب الدنيا إذا نزل بالمهدَّدين الإذهابُ والإهلاكُ مثلما أهلك فريقَ الكفار يوم بدر وأنجى فريق المؤمنين. والوجه الأول أعم وأحسن.

وأصل الوِزر بكسر الواو: هو الوِقْر بوزنه ومعناه. وهو الحِمل بكسر الحاء، أي ما يحمل، ويقال: وَزَر إذا حمل.
فالمعنى: ولا تحمل حاملة حِمل أخرى، أي لا يحمل الله نفساً حملاً جعله لنفس أخرى عدلاً منه تعالى لأن الله يحب العدل وقد نفى عن شأنه الظلم وإن كان تصرفه إنما هو في مخلوقاته.

جرى وصف الوازرة على التأنيث لأنه أريد به النفس، ووجه اختيار الإسناد إلى المؤنث بتأويل النفس دون أن يجري الإضمار على التذكير بتأويل الشخص، لأن معنى النفس هو المتبادر للأذهان عند ذكر الاكتساب كما في قوله تعالى: {ولا تكسب كل نفس إلا عليها}

وإن تدع مثقلة أحداً إلى حِملها. فيصير التقدير: ولو كان المدعوّ ذَا قربى، فإن العموم الشمولي الذي اقتضته النكرة في سياق الشرط يصير في سياق الإثبات عموماً بَدَليًّا.

{ذَا قربى إِنَّمَا تُنذِرُ الذين يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بالغيب وَأَقَامُواْ الصلاة وَمَن تزكى فَإِنَّمَا يتزكى لِنَفْسِهِ وَإِلَى } .

استئناف بياني لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يخطر في نفسه التعجب من عدم تأثر أكثر المشركين بإنذاره فأجيب بإن إنذاره ينتفع به المؤمنون ومن تهيّأوا للإيمان.

المقصود من القصر أنه قصر قلب لأن المقصود التنبيه على أن لا يظُنّ النبي صلى الله عليه وسلم انتفاع الذين لا يؤمنون بنذارته، وإن كانت صيغة القصر صالحة لِمعنى القصر الحقيقي لكن اعتبار المقام يعين اعتبار القصر الإضافي

جملة {ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه} تذييل جار مجرى المثل. وذكر التذييل عقب المذيل يؤذن بأن ما تضمنه المذيَّل داخل في التذييل بادئ ذي بدء مثل دخول سبب العام في عمومه من أول وهلة دون أن يُخص العام

به، فالمعنى: أن الذين خَشُوا ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة هم ممّن تزكى فانتفعوا بتزكيتهم، فالمعنى: إنما ينتفع بالنذارة الذين يخشون ربهم بالغيب فأولئك تزكوا بها ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه.

وجملة {وإلى الله المصير} تكميل للتذييل، والتعريف في {المصير} للجنس، أي المصير كله إلى الله سواء فيه مصير المتزكّي ومصير غير المتزكي، أي وكل يُجازَى بما يناسبه.

وتقديم المجرور في قوله: {وإلى الله المصير} للاهتمام للتنبيه على أنه مصير إلى من اقتضى اسمه الجليل الصفات المناسبة لإقامة العدل وإفاضة الفضل مع الرعاية على الفاصلة.

7. [سورة يس: 11] ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾

معنى الآية:

إنما ينفع تحذيرك مَن آمن بالقرآن، واتبع ما فيه من أحكام الله، وخاف الرحمن، حيث لا يراه أحد إلا الله، فبشِّره بمغفرة من الله لذنوبه، وثواب منه في الآخرة على أعماله الصالحة، وهو دخوله الجنة.

النحو:

﴿إِنَّمَا﴾: إنّ: حرف توكيد بطل عمله، ما: حرف زائد وكافّ.

﴿تُنْذِرُ﴾: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره: أنت.

﴿مَنِ﴾: اسم موصول مبنيّ على السكون، وقد حرك بالكسر منعًا لالتقاء الساكنين في محلّ نصب مفعول به.

﴿اتَّبَعَ﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿الذِّكْرَ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ﴾: معطوفة بالواو على "اتبع الذكر"، وتعرب إعرابها.

﴿بِالْغَيْبِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بحال من الفاعل ضمير المستتر في "خشي".

﴿فَبَشِّرْهُ﴾: الفاء: حرف استئناف، بشره: فعل أمر مبنيّ على السكون، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره: أنت، و"الهاء": ضمير متّصل مبنيّ على الضم في محلّ نصب مفعول به.

﴿بِمَغْفِرَةٍ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ "بشره".

﴿وَأَجْرٍ﴾: معطوفة بالواو على "مغفرة"، وتعرب إعرابها.

﴿كَرِيمٍ﴾: صفة لـ "أجر" مجرورة وعلامة جرها الكسرة الظاهرة على آخرها.

وجملة "إنما تنذر" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافيّة، وجملة "اتبع" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها صلة الموصول "من"، وجملة "خشي" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها معطوفة على جملة "اتبع"، وجملة "بشره" جواب شرط مقدّر، أي: من اتبع الذكر، فبشره.

البلاغة:

التعبير بفعل المضيّ في {اتبع} للدلالة على تحقيق الاتّباع والخشية. والمراد: ابتداءً الاتّباع.

ثم فرع على هذا التنويه الأمر بتبشير هؤلاء بمغفرة ما كان منهم في زمن الجاهلية وما يقترفون من اللمم.

والجمع بين {تنذر} و «بشر» فيه محسن الطِباق، مع بيان أن أول أمرهم الإنذار وعاقبته التبشير.

والتعبير بوصف {الرحمان} دون اسم الجلالة لوجهين: أحدهما: أن المشركين كانوا ينكرون اسم الرحمان، والثاني: الإشارة إلى أن رحمته لا تقتضي عدم خشيته فالمؤمن يخشى الله مع علمه برحمته فهو يرجو الرحمة.

القصر المستفاد من قوله: {إنما تنذر من اتبع الذكر} وهو قصر الإنذار على التعلّق بـ {من اتبع الذكر} وخشِي الله هو بالتأويل الذي تُؤُوّل به معنى فعل {تنذر}، أي حصول فائدة الإنذار يكون قصرًا حقيقيًا، وإن أبيت إلا إبقاء فعل {تنذر} على ظاهر استعمال الأفعال وهو الدلالة على وقوع مصادرها فالقصر ادعائي بتنزيل إنذار الذين لم يتبعوا الذكر ولم يخشوا منزلة عدم الإنذار في انتفاء فائدته.

8. [سورة ق: 33] ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾[1]

معنى الآية:

يقال لهم: هذا الذي كنتم توعدون به - أيها المتقون - لكل تائب مِن ذنوبه، حافظ لكل ما قَرَّبه إلى ربه، من الفرائض والطاعات، مَن خاف الله في الدنيا ولقيه يوم القيامة بقلب تائب من ذنوبه.

النحو:

﴿مَنْ﴾: اسم موصول مبنيّ على السكون في محلّ جرّ بدل من "للمتقين".

﴿خَشِيَ﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿الرَّحْمَنَ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

﴿بِالْغَيْبِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بحال من "الرحمن ".

﴿وَجَاءَ﴾: معطوفة على "خشي" وتعرب إعرابها.

[1] بقلب منيب: مُخلص مُقبل على طاعة الله.

﴿بِقَلْبٍ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"جاء".

﴿مُنِيبٍ﴾: صفة لـ "قلب" مجرورة وعلامة جرها الكسرة الظاهرة على آخرها.

وجملة "خشي الرحمن "لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها صلة الموصول "من"، وجملة "جاء" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها معطوفة على جملة "خشي".

البلاغة:

والباء في {بالغيب} بمعنى "في الظرفية" لتنزيل الحال منزلة المكان، أي الحالة الغائبة وهي حالة عدم اطّلاع أحد عليه، فإن الخشية في تلك الحالة تدل على صدق الطاعة لله بحيث لا يرجو ثناء أحد ولا عقاب أحد فيتعلق المجرور بالتاء بفعل {خشي}.

ومعنى {وجاء بقلب منيب} أنه حضر يوم الحشر مصاحباً قلبَه المنيب إلى الله، أي مات موصوفاً بالإنابة ولم يُبطل عمله الصالح في آخر عمره.

وإيثار اسمه {الرحمن} في قوله: {من خشي الرحمن} دون اسم الجلالة للإشارة إلى أن هذا المتقي يخشى الله وهو يعلم أنه رحمان، ولقصد التعريض بالمشركين الذين أنكروا اسمه الرحمان.

ووصفُ قلب بمُنِيب على طريقة المجاز العقلي لأن القلب سبب الإنابة لأنه الباعث عليها.

9. [سورة الحديد: 25] ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[1]

معنى الآية:

لقد أرسلنا رسلنا بالحجج الواضحات، وأنزلنا معهم الكتاب بالأحكام والشرائع، وأنزلنا الميزان؛ ليتعامل الناس بينهم بالعدل، وأنزلنا لهم الحديد، فيه قوة شديدة، ومنافع للناس متعددة، وليعلم الله علمًا ظاهرًا للخلق من ينصر دينه ورسله بالغيب. إن الله قوي لا يُقْهَر، عزيز لا يغالَب.

النحو:

﴿لَقَدْ﴾: اللام: حرف واقع في جواب القسم، قد: حرف تحقيق.

﴿أَرْسَلْنَا﴾: أرسل: فعل ماضٍ مبنيّ على السكون لاتصاله بضمير الرفع المتحرك، و "نا": ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ رفع فاعل.

[1] الميزان: العَدْل أو الآلة المعروفة؛ وأنزلنا الحديد أي: خلقناه، أو هيّأناه للنّاس؛ بأس شديد أي: قوة شديدة.

﴿رُسُلَنَا﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، و "نا": ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ جرّ بالإضافة.

﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"أرسلنا".

﴿وَأَنْزَلْنَا﴾: معطوفة بالواو على "أرسلنا" وتعرب إعرابها.

﴿مَعَهُمُ﴾: مع: ظرف مكان منصوب بالفتحة متعلّق بـ"أنزل"، و "الهاء": ضمير متّصل مبنيّ في محلّ جرّ بالإضافة، و "الميم": للجماعة.

﴿الْكِتَابَ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

﴿وَالْمِيزَانَ﴾: معطوفة بالواو على "الكتاب" منصوبة بالفتحة.

﴿لِيَقُومَ﴾: اللام: حرف جرّ للتعليل، يقوم: فعل مضارع منصوب بـ "أن"، وعلامة نصبه الفتحة.

﴿النَّاسُ﴾: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، و"أن" المضمرة وما بعدها بتأويل مصدر في محلّ جرّ باللام، والجارّ والمجرور متعلّقان بـ"أنزلنا".

﴿بِالْقِسْطِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"يقوم".

﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾: معطوفة بالواو على "أنزلنا الكتاب"، وتعرب إعرابها.

﴿فِيهِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بخبر مقدم.

﴿بَأْسٌ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿شَدِيدٌ﴾: صفة لـ"بأس" مرفوعة بالضمة.

﴿وَمَنَافِعُ﴾: معطوفة بالواو على "بأس" مرفوعة بالضمة.

﴿لِلنَّاسِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بصفة محذوفة لـ"منافع".

﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾: الواو: حرف عطف، ليعلم الله: تعرب إعراب "ليقوم الناس".

﴿مَنْ﴾: اسم موصول مبنيّ على السكون في محلّ نصب مفعول به.

﴿يَنْصُرُهُ﴾: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره: هو، و"الهاء": ضمير متّصل مبنيّ على الضم في محلّ نصب مفعول به.

﴿وَرُسُلَهُ﴾: الواو: حرف عطف، رسله: معطوف على "الهاء" في ينصره منصوب بالفتحة، و "الهاء": ضمير متّصل مبنيّ على الضم في محلّ جرّ بالإضافة.

﴿بِالْغَيْبِ﴾: جارّ ومجرور في محلّ نصب حال، أي غائباً عنهم.

﴿إِنَّ﴾: حرف توكيد مشبّه بالفعل.

﴿اللَّهَ﴾: لفظ الجلالة: اسم "إن" منصوب بالفتحة.

﴿قَوِيٌّ﴾: خبرها "إن" مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿عَزِيزٌ﴾: صفة لـ"قوي" أو خبر ثانٍ لـ"إن" مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

وجملة "أرسلنا" لا محلّ لها من الإعراب؛ لأنّها جواب القسم المقدّر وجملة القسم المقدّرة استئنافيّة، وجملة "أنزلنا" لا محلّ لها معطوفة على جواب القسم، وجملة "يقوم الناس" لا محلّ لها من الإعراب؛ لأنّها صلة الموصول "أن" المضمر، وجملة "أنزلنا" (الثانية) لا محلّ لها من الإعراب؛ لأنّها معطوفة على جملة "أنزلنا" الأولى، وجملة "فيه بأس" في محلّ نصب حال من الحديد، وجملة "يعلم الله" لا محلّ لها من الإعراب؛ لأنّها صلة الموصول "أن" المضمر الثاني، والمصدر المؤول من "أن يعلم" في محلّ جرّ باللام متعلّق بـ"أنزلنا الحديد" وهو معطوف على مصدر مقدر أي ليستعملوه وليعلم، وجملة "ينصره" لا محلّ لها من الإعراب؛ لأنّها صلة الموصول "من"، وجملة "إن الله قوي" لا محلّ لها من الإعراب؛ لأنّها استئنافيّة.

البلاغة:

استئناف ابتدائي ناشيء عما تقدم من التحريض على الإنفاق في سبيل الله وعن ذكر الفتح وعن تذييل ذلك بقوله: ﴿ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد﴾ [سورة الحديد: 24]، وهو إعذار للمتولين من المنافقين ليتداركوا صلاحهم باتباع الرسول ﷺ والتدبر في هدي القرآن وإنذار لهم إن يرعووا وينصاعوا إلى الحجة الساطعة بأنه يكون تقويم عوجهم بالسيوف القاطعة.

وتأكيد الخبر بلام القسم وحرف التحقيق راجع إلى ما تضمنه الخبر من ذكر ما في إرسال رسل الله وكتبه من إقامة القسط للناس، ومن التعريض بحمل المعرضين على السيف إن استمروا على غلوائهم.

وجمع (الرسل) لإفادة أن ما جاء به محمد ﷺ ليس بدعاً من الرسل، وأن مكابرة المنافقين عماية عن سنة الله في خلقه فتأكيد ذلك مبني على تنزيل السامعين منزلة من ينكر أن الله أرسل رسلاً قبل محمد ﷺ لأن حالهم في التعجب من دعواه الرسالة كحال من ينكر أن الله أرسل رسلاً من قبل.

وتعريف {الكتاب} تعريف الجنس، أي وأنزلنا معهم كتبًا مثل القرآن.

وإنزال الكتاب: تبليغ بواسطة المَلك من السماء، وإنزال الميزان: تبليغ الأمر بالعدل بين الناس.

والقسط: العدل في جميع الأمور، فهو أعم من الميزان المذكور لاختصاصه بالعدل بين متنازعين، وأما القسط فهو إجراء أمور الناس على ما يقتضيه الحق فهو عدل عام بحيث يقدر صاحب الحق منازعاً لمن قد احتوى على حقه.

وقوله: {بالغيب} يتعلق ب {ينصره}، أي ينصره نصراً يدفعه إليه داعي نفسه دون خشية داع يدعوه إليه، أو رقيب يرقب صنيعه والمعنى: أنه يجاهد في سبيل الله والدفاع عن الدين بمحض الإخلاص، وجملة {إن الله قوي عزيز} تعليل لجملة {أرسلنا رسلنا بالبينات} إلى آخرها، أي لأن الله قوي عزيز في شؤونه القدسية، فكذلك يجب أن تكون رسله أقوياء أعزة، وأن تكون كتبه معظمة موقرة، وإنما يحصل ذلك في هذا العالم المنوطة أحداثه بالأسباب المجعولة بأن ينصره الرسل وأقوام مخلصون لله ويُعينوا على نشر دينه وشرائعه. والقوي العزيز: من أسمائه تعالى. فالقوي: المتصف بالقوة، والعزيز: المتصف بالعزة.

10. [سورة الملك: 12] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾

معنى الآية:

إن الذين يخافون ربهم، فيعبدونه، ولا يعصونه وهم غائبون عن أعين الناس، ويخشون العذاب في الآخرة قبل معاينته، لهم عفو من الله عن ذنوبهم، وثواب عظيم وهو الجنة.

النحو:

﴿إِنَّ﴾: حرف توكيد مشبه بالفعل.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبنيّ على الفتح في محلّ نصب اسم "إن".

﴿يَخْشَوْنَ﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، و "الواو" ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل.

﴿رَبَّهُمْ﴾: رب: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، و "الهاء": ضمير متّصل مبنيّ في محلّ جرّ بالإضافة، و"الميم": للجماعة.

﴿بِالْغَيْبِ﴾: جار ومجرور متعلّقان بحال من ضمير "يخشون".

﴿لَهُمْ﴾: حرف جر، و "الهاء": ضمير متّصل مبنيّ في محلّ جرّ باللام، والجارّ والمجرور متعلّقان بخبر مقدم، و "الميم": للجماعة.

﴿مَغْفِرَةٌ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿وَأَجْرٌ﴾: معطوفة بالواو على "مغفرة" مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿كَبِيرٌ﴾: صفة لـ "أجر" مرفوعة بالضمة.

وجملة "إن الذين يخشون" لا محلّ لها من الإعراب؛ لأنّها استئنافية، وجملة "يخشون" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها صلة الموصول "الذي"، وجملة "لهم مغفرة" في محلّ رفع خبر "إن".

البلاغة:

اعتراض يفيد استئنافاً بيانياً جاء على سنن أساليب القرآن من تعقيب الرهبة بالرغبة، فلما ذكر ما أعد للكافرين المعرضين عن خشية الله أعقبه بما أعد للذين يخشون ربهم بالغيب من المغفرة والثواب للعلم بأنهم يترقبون ما يميزهم عن أحوال المشركين.

وقدم المغفرة تطميناً لقلوبهم لأنهم يخشون المؤاخذة على ما فرط منهم من الكفر قبل الإسلام ومن اللمم ونحوه، ثم أعقبت بالبشارة بالأجر العظيم، فكان الكلام جارياً على قانون تقديم التخلية على التحْلية، أو تقديم دفع الضر على جلب النفع، والوصف بالكبير بمعنى العظيم، وتنكير {مغفرة} للتعظيم بقرينة مقارنته بـ {أجر كبير} وبقرينة التقديم، وتقديم المسند على المسند إليه في جملة {لهم مغفرة} ليتأتى تنكير المبتدأ، ولإفادة الاهتمام، وللرعاية على الفاصلة.

المسألة رقم 3:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة البقرة: 6]

معنى الآية:

إن الذين جحدوا ما أُنزل إليك من ربك استكبارًا وطغيانًا، لن يقع منهم الإيمان، سواء أخوَّفتهم وحذرتهم من عذاب الله، أم تركت ذلك؛ لإصرارهم على باطلهم.

النحو:

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبَّه بالفعل مبنيّ على الفتح.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبنيّ على الفتح في محلّ نصب اسم "إن".

﴿كَفَرُوا﴾: فعل ماض مبنيّ على الضمّ لاتصاله بواو الجماعة، والواو ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، والألف فارقة، وجملة "كفروا" صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب.

﴿سَوَاءٌ﴾: خبر مقدم مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿عَلَيْهِمْ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بسواء.

﴿أَأَنْذَرْتَهُمْ﴾: الهمزة: همزة التسوية، حرف مبنيّ على الفتح لا محلّ له من الإعراب، أنذرتهم: فعل ماض مبنيّ على السكون لاتصاله بضمير رفع متحرك، والتاء: ضمير متّصل مبنيّ على الفتح في محلّ رفع فاعل، والهاء: ضمير متّصل مبنيّ في محلّ نصب مفعول به، و"الميم": علامة الجمع، والمصدر المؤوّل من "أأنذرتهم"، أي: إنذارُك في محلّ رفع مبتدأ مؤخر.

﴿أَمْ﴾: حرف عطف للتسوية.

﴿لَمْ﴾: حرف جزم ونفي وقلب.

﴿تُنْذِرْهُمْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ"لم"، وعلامة جزمه السكون.

﴿وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره﴾: أنت، والهاء: ضمير متّصل مبنيّ في محلّ نصب مفعول به، والميم: علامة جمع الذكور.

﴿لَا﴾: حرف نفي.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون؛ لأنَّه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، والجملة الفعلية "لا يؤمنون" في محلّ رفع خبر "إنّ".

البلاغة:

تصدير الجملة بحرف التأكيد إما لمجرد الاهتمام بالخبر وغرابته دون رَدِّ الإنكار أو الشك؛ لأن الخطاب للنبيء صلى الله عليه وسلم وللأمة وهو خطاب أُنُف بحيث لم يسبق شك في وقوعه، ومجيء (إن) للاهتمام كثير في الكلام وهو في القرآن كثير.

وقد تكون (إن) هنا لرد الشك تخريجاً للكلام على خلاف مقتضى الظاهر؛ لأن حرص النبيء صلى الله عليه وسلم على هداية الكافرين تجعله لا يقطع الرجاء في نفع الإنذار لهم وحاله كحال من شك في نفع الإنذار.

وتأخير خبر إنَّ بعد الجملة الاعتراضية {سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم} لخروج الخبر عن مقتضى الظاهر وهو تنزيل غير المنكر منزلة المنكر.

جزء التشابه: سواء عليهم

1. [سورة يس: 10] ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

معنى الآية:

يستوي عند هؤلاء الكفار المعاندين تحذيرك لهم -أيها الرسول- وعدم تحذيرك، فهم لا يصدِّقون ولا يعملون.

النحو:

﴿وسَوَاءٌ﴾: "الواو": عاطفة، سَواءٌ: خبر مقدم مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿عَلَيْهِمْ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بسواء.

﴿أَأَنْذَرْتَهُمْ﴾: الهمزة: همزة التسوية، حرف مبنيّ على الفتح لا محلّ له من الإعراب، أنذرتهم: فعل ماض مبنيّ على السكون لاتصاله بضمير رفع متحرك، والتاء: ضمير متّصل مبنيّ على الفتح في محلّ رفع فاعل، والهاء: ضمير متّصل مبنيّ في محلّ نصب مفعول به، و"الميم": علامة الجمع، والمصدر المؤوّل من "أأنذرتهم"، أي: إنذارُك في محلّ رفع مبتدأ مؤخر.

﴿أَمْ﴾: حرف عطف للتسوية.

﴿لَمْ﴾: حرف جزم ونفي وقلب.

﴿تُنْذِرْهُمْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـــ"لم"، وعلامة جزمه السكون، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره: أنت، والهاء: ضمير متّصل مبنيّ في محلّ نصب مفعول به، والميم: علامة جمع الذكور.

﴿لَا﴾: حرف نفي.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون؛ لأنَّه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، والجملة الفعلية "لا يؤمنون" في محلّ رفع خبر "إنّ"».

البلاغة:

عطف على جملة {لا يبصرون} [سورة يس: 9]، أي إنذارَك وعدمه سواء بالنسبة إليهم، فحرف (على) معناه الاستعلاء المجازي وهو هنا الملابسة، متعلق ب {سواء} الدال على معنى (استوى).

وهمزة التسوية أصلها الاستفهام ثم استعملت في التسوية على سبيل المجاز المرسل، وشاع ذلك حتى عدّت التسوية من معاني الهمزة لكثرة استعمالها في ذلك مع كلمة سواء وهي تفيد المصدرية. ولما استعملت الهمزة في معنى التسوية استعملت {أم} في معنى الواو.

وجملة {لا يؤمنون} مبيّنة استواء الإنذار وعدمِه بالنسبة إليهم، وجيئت بصيغة الفعل المضارع لدلالة على الاستمرارية في عدم الإيمان بالله.

2. [سورة المنافقون: 6] ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾

معنى الآية:

سواء على هؤلاء المنافقين أطلبت لهم المغفرة من الله -أيها الرسول- أم لم تطلب لهم، إن الله لن يصفح عن ذنوبهم أبدًا؛ لإصرارهم على الفسق ورسوخهم في الكفر. إن الله لا يوفِّق للإيمان القوم الكافرين به، الخارجين عن طاعته.

النحو:

﴿سَوَاءٌ﴾: خبر مقدم مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿عَلَيْهِمْ﴾: على: حرف جر، و "الهاء": ضمير متصل مبني في محل جر بـ "على"، والجار والمجرور متعلقان بـ "سواء".

﴿أَسْتَغْفَرْتَ﴾: فعل ماضٍ مبني على السكون، لاتصاله بضمير الرفع المتحرك، و "التاء": ضمير متصل مبني على الفتح في محل رفع فاعل.

﴿لَهُمْ﴾: اللام: حرف جر، و "الهاء": ضمير متصل مبني في محل جر باللام، و "الميم": للجماعة، والجار والمجرور متعلقان بـ "استغفرت".

﴿أَمْ﴾: حرف عطف، ﴿لَمْ﴾: حرف نفي وجزم وقلب، ﴿تَسْتَغْفِرْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ "لم"، وعلامة جزمه السكون، والفاعل ضمير مستتر وجوبًا تقديره: أنت، ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ "تستغفر".

﴿لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾: لن: حرف نفي ونصب واستقبال.

﴿يغفر﴾: فعل مضارع منصوب بـ "لن"، وعلامة نصبه الفتحة، ﴿الله﴾: لفظ الجلالة: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿لهم﴾: جار ومجرور متعلقان بـ "يغفر".

﴿إِنَّ﴾: حرف توكيد مشبّه بالفعل، ﴿الله﴾: لفظ الجلالة: اسم إن منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، ﴿لَا﴾: حرف نفي لا عمل له.

﴿يَهْدِي﴾: فعل مضارع مرفوع بالضمة المقدرة على الياء للثقل، والفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره: هو.

﴿الْقَوْمَ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

﴿الْفَاسِقِينَ﴾: صفة لـ "القوم" منصوبة وعلامة نصبها الياء؛ لأنها جمع مذكر سالم.

وجملة "سواء عليهم" لا محل لها من الإعراب؛ لأنها استئنافية، وجملة "استغفرت" لا محل لها من الإعراب؛ لأنها صلة الموصول الحرفي، وجملة "لم تستغفر" لا محل لها من الإعراب؛ لأنها معطوفة على جملة

"استغفرت"، وجملة "لن يغفر" لا محل لها من الإعراب؛ لأنها استئنافية، وجملة "إن الله لا يهدي" لا محل لها من الإعراب؛ لأنها تعليلية، وجملة "لا يهدي" في محل رفع خبر "إن".

البلاغة:

{سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ} جملة معترضة بين حكاية أحوالهم نشأت لمناسبة قوله: {وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم} [سورة المنافقون: 5].

وتركيب سواء عليه أكذا أم كذا يلزم هذه الكلمات مع ما يناسبها من ضمائر المخبر عنه، ومدلوله استواء الأمرين لدى المجرور بحرف (على).

وهمزة {أستغفرت لهم} أصلها همزة استفهام بمعنى: سواء عندهم سُؤال السائل عن وقوع الاستغفار لهم وسؤالُ السائل عن عدم وقوعه. وهو استفهام مجازي مستعمل كناية عن قلة الاعتناء بكلا الحالين بقرينة لفظ سواء ولذلك يسمي النُحَاة هذه الهمزة التسوية.

وجملة {لن يغفر الله لهم} معترضة بين جملة {سواء عليهم} وجملة {هم الذين يقولون} [سورة المنافقون: 7] وهي وعيد لهم وجزاء على استخفافهم بالاستغفار من رسول الله ﷺ.

وجملة {إن الله لا يهدي القوم الفاسقين} أسلوب خيري مؤكد بإن لأن المخاطب متردد أو شك في الحكم، وجاءت تعليل لانتفاء مغفرة الله لهم بأن الله غضب عليهم فحرمهم اللطف والعناية.

المسألة رقم 4:

﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1] [سورة البقرة: 7]

معنى الآية:

طبع الله على قلوب هؤلاء وعلى سمعهم، وجعل على أبصارهم غطاء؛ بسبب كفرهم وعنادهم مِن بعد ما تبيَّن لهم الحق، فلم يوفقهم للهدى، ولهم عذاب شديد في نار جهنم.

النحو:

﴿خَتَمَ﴾: فعل ماض مبنيّ على الفتح.

﴿اللَّهُ﴾: لفظ الجلالة: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

[1] ختم الله: طبع الله؛ غشاوة: غطاء وستر.

﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـــ"ختم"، و"الهاء": في "قلوبهم": ضمير متّصل مبنيّ في محلّ جرّ بالإضافة، و"الميم": علامة جمع الذكور.

﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾: معطوفة بالواو على "على قلوبهم"، وتعرب إعرابها.

﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ﴾: الواو: حرف استئناف، على أبصارهم: تعرب إعراب "على قلوبهم"، و"على أبصارهم" في محلّ رفع خبر مقدم.

﴿غِشَاوَةٌ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿وَلَهُمْ﴾: الواو: حرف استئناف، لهم: جارّ ومجرور متعلّقان بخبر مقدم.

﴿عَذَابٌ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿عَظِيمٌ﴾: صفة لعذاب مرفوعة بالضمة.

البلاغة:

هذه الجملة جارية مجرى التعليل للحكم السابق في قوله تعالى: {سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون} [سورة البقرة: 6]، وبيان لسببه في الواقع ليدفع بذلك تعجب المتعجبين من استواء الإنذار وعدمه عندهم ومن عدم نفوذ الإيمان إلى نفوسهم مع وضوح دلائله، فإذا عَلم أن على قلوبهم ختماً وعلى أسماعهم وأن على أبصارهم غشاوة عَلِمَ سبب ذلك كله وبطل العجب، فالجملة استئناف بياني يفيد جواب سائل يسأل عن سبب كونهم لا يؤمنون.

وقوله تعالى: {ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم} استعارة بتشبيه عدم حصُول النفع المقصود منها بالختم والغشاوة ثم إطلاق لفظ خَتَم على وجه التبعية ولفظ الغشاوة على وجه الأصلية وكلتاهما استعارة تحقيقية إلا أن المشبه محقق عقلاً لا حسًا.

ويمكن أن نجعل الختم والغشاوة تمثيلاً بتشبيه هيئة وهمية متخيلة في قلوبهم أي إدراكهم من التصميم على الكفر وإمساكهم عن التأمل في الأدلة كما تقدم بهيئة الختم، وتشبيه هيئة متخيلة في أبصارهم من عدم التأمل في الوحدانية وصدق الرسول بهيئة الغشاوة وكل ذينك من تشبيه المعقول بالمحسوس، ولك أن تجعل الختم والغشاوة مجازاً مرسلاً بعلاقة اللزوم والمراد اتصافهم بلازم ذلك وهو أن لا تعقل ولا تحس، والختم في اصطلاح الشرع استمرار الضلالة في نفس الضال أو خلق الضلالة، ومثله الطبع والأكنة.

في تقديم السمع على البصر في مواقعه من القرآن دليل على أنه أفضل فائدة لصاحبه من البصر فإن التقديم مؤذن بأهمية المقدم وذلك لأن السمع آلة لتلقي المعارف التي بها كمال العقل، وهو وسيلة بلوغ دعوة الأنبياء

إلى أفهام الأمم على وجه أكمل من بلوغها بواسطة البصر لو فقد السمع، ولأن السمع ترد إليه الأصوات المسموعة من الجهات الست بدون توجه، بخلاف البصر فإنه يحتاج إلى التوجه بالالتفات إلى الجهات غير المقابلة.

ووصف العذاب بالعظيم دليل على أن تنكير عذاب للنوعية وذلك اهتمام بالتنصيص على عظمه لأن التنكير وإن كان صالحاً للدلالة على التعظيم إلا أنه ليس بنص فيه ولا يجوز أن يكون {عظيم} تأكيداً لما يفيده التنكير من التعظيم.

جزء التشابه: سمعهم وأبصارهم

1. [سورة البقرة: 20] ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]

معنى الآية:

يقارب البرق -من شدة لمعانه- أن يسلب أبصارهم، ومع ذلك فكلَّما أضاء لهم مشَوْا في ضوئه، وإذا ذهب أظلم الطريق عليهم فيقفون في أماكنهم. ولولا إمهال الله لهم لسلب سمعهم وأبصارهم، وهو قادر على ذلك في كل وقتٍ، إنه على كل شيء قدير.

النحو:

﴿يَكَادُ﴾: فعل مضارع ناقص مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿الْبَرْقُ﴾: اسمها مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿يَخْطَفُ﴾: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو، وجملة "يخطف" في محلّ نصب خبر "يكاد".

﴿أَبْصَارَهُمْ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، والهاء: ضمير متّصل مبنيّ في محلّ جرّ بالإضافة، و"الميم": علامة جمع الذكور.

﴿كُلَّمَا﴾: كلّ: اسم منصوب على نيابة الظرفية الزمانية، وهو مضاف، و"ما" مصدرية، وما بعدها بتأويل مصدر في محلّ جرّ بالإضافة.

﴿أَضَاءَ﴾: فعل ماض مبنيّ على الفتح، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

[1] يخطفُ أبصارهم: يستلِبُها أو يذهب بها بسرعة؛ قاموا: وقفوا وثبتوا في أماكنهم متحيِّرين.

﴿لَهُمْ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ "أضاء"، و"الميم": علامة جمع الذكور.

﴿مَشَوْا﴾: فعل ماض مبنيّ على الضمّ المقدر للتعذر على الألف المحذوفة، لاتصاله بواو الجماعة، والواو ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، والألف فارقة، وجملة "أضاء" مصدرية، وجملة "مشوا" لا محلّ لها لأنها جواب شرط غير جازم.

﴿فِيهِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ "مشوا".

﴿وَإِذَا﴾: الواو: حرف استئناف، إذا: ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطه منصوب بجوابه.

﴿أَظْلَمَ﴾: فعل ماض مبنيّ على الفتح، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو، وجملة "أظلم" في محلّ جرّ بالإضافة.

﴿عَلَيْهِمْ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ "أظلم".

﴿قَامُوا﴾: فعل ماض مبنيّ على الضمّ المقدر للتعذر على الألف المحذوفة، لاتصاله بواو الجماعة، والواو ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، والألف فارقة.

﴿وَلَوْ﴾: الواو: حرف استئناف.

﴿لو﴾: حرف امتناع لامتناع، وهو حرف شرط غير جازم.

﴿شَاءَ﴾: فعل ماض مبنيّ على الفتح.

﴿اللَّهُ﴾: لفظ الجلالة فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿لَذَهَبَ﴾: اللام: حرف توكيد وربط، ذهب: فعل ماض مبنيّ على الفتح والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو، عائد على لفظ الجلالة.

﴿بِسَمْعِهِمْ﴾: بسمع: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"ذهب"، و"هم" ضمير متّصل مبنيّ في محلّ جرّ بالإضافة.

﴿وَأَبْصَارِهِمْ﴾: معطوفة بالواو على "سمعهم" وتعرب إعرابها.

وهو «بسمع: جارّ ومجرور متعلّقان بـ "ذهب"، و"هم" ضمير متّصل مبنيّ في محلّ جرّ بالإضافة.

وحذف مفعول "شاء" لدلالة الجواب عليه، أي: لو شاء أن يذهب بسمعهم.

وجملة "شاء الله" استئنافية لا محلّ لها من الإعراب، وجملة "ذهب" لا محلّ لها من الإعراب لأنها جواب شرط غير جازم.

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبّه بالفعل، ﴿اللَّهَ﴾: لفظ الجلالة: اسم "إنّ" منصوب بالفتحة.

﴿عَلَى كُلِّ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"قدير"، ﴿شَيْءٍ﴾: مضاف إليه مجرور بالإضافة، وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره، ﴿قَدِيرٌ﴾: خبر "إنّ" مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

وجملة "إنّ الله على كل شيء قدير" استئنافية لا محلّ لها من الإعراب.

البلاغة:

وفي الآية تشبيه لجزع المنافقين من آيات الوعيد بما يعتري القائم تحت السماء حين الرعد والبرق والظلمات فهو يخشى استكاك سمعه ويخشى الصواعق حذر الموت ويعشيه البرق حين يلمع بإضاءة شديدة ويعمي عليه الطريق بعد انقطاع لمعانه.

والجعل والأصابع مستعملان في حقيقتهما على قول بعض المفسرين لأن الجعل هو هنا بمعنى النوط، والظرفية لا تقتضي الإحاطة فجعل بعض الإصبع في الأذن هو جعل للإصبع فتمثل بعض علماء البيان بهذه الآية للمجاز الذي علاقته الجزئية.

و(من) في قوله: {من الصواعق} للتعليل أي لأجل الصواعق إذ الصواعق هي علة جعل الأصابع في الآذان ولا ضير في كون الجعل لاتقائها حتى يقال يلزم تقدير مضاف نحو ترك واتقاء إذ لا داعي إليه.

وقوله تعالى: {والله محيط بالكافرين} اعتراض راجع للمنافقين إذ قد حق عليهم التمثل واتضح منه حالهم فآن أن ينبه على وعيدهم وتهديدهم وفي هذا رجوع إلى أصل الغرض، والإحاطة استعارة للقدرة الكاملة شبهت القدرة التي لا يفوتها المقدور بإحاطة المحيط بالمحاط على طريقة التبعية أو التمثيلية، وإن لم يذكر جميع ما يدل على جميع المركب الدال على الهيئة المشبهة بها، وقد استعمل هذا الخبر في لازمه وهو أنه لا يفلتهم وأنه يجازيهم على سوء صنعهم.

وقوله تعالى: (كلما) كلمة تفيد عموم مدخولها، و (ما) كافة لكل عن الإضافة أوهي مصدرية ظرفية أو نكرة موصوفة فالعموم فيها مستفاد من كلمة (كل).

وقوله: {إن الله على كل شيء قدير} تذييل، وفيه ترشيح للتوجيه المقصود للتهديد زيادة في تذكيرهم وإبلاغاً لهم وقطعاً لمعذرتهم في الدنيا والآخرة.

2. [سورة النحل: 108] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[1]

معنى الآية:

[1] طبع: ختم.

أولئك هم الذين ختم الله على قلوبهم بالكفر وإيثار الدنيا على الآخرة، فلا يصل إليها نور الهداية، وأصم سمعهم عن آيات الله فلا يسمعونها سماع تدبُّر، وأعمى أبصارهم، فلا يرون البراهين الدالة على ألوهية الله، وأولئك هم الغافلون عمَّا أعدَّ الله لهم من العذاب.

النحو:

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة مبنيّ على الكسر في محلّ رفع مبتدأ.

و "الكاف": حرف خطاب.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبنيّ على الفتح في محلّ رفع خبر "أولئك"، والجملة "هم الذين" في محلّ رفع خبر "أولئك"، ﴿طَبَعَ﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح، ﴿اللَّهُ﴾: لفظ الجلالة فاعل مرفوع للتعظيم بالضمة.

﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: على قلوب: جارّ ومجرور متعلّقان بـــ "طبع"، و "هم": ضمير الغائبين مبنيّ في محلّ جرّ بالإضافة، وجملة "طبع الله" صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب.

﴿وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾: معطوفتان بواوي العطف على قلوبهم وتعربان إعرابها.

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ﴾: معطوفة بالواو على "أولئك هم الذين" وتعرب إعرابها.

﴿الْغَافِلُونَ﴾: خبر "هم" مرفوع بالواو، لأنه جمع مذكر سالم.

البلاغة:

جملة مبيّنة لجملة {وأن الله لا يهدي القوم الكافرين} [سورة النحل: 107] بأن حرمانهم الهداية بحرمانهم الانتفاع بوسائلها: من النظر الصادق في دلائل الوحدانية، ومن الوعي لدعوة الرسول والقرآن المنزّل عليه، ومن ثبات القلب على حفظ ما داخله من الإيمان، حيث انسلخوا منه بعد أن تلبّسوا به.

وافتتاح الجملة باسم الإشارة لتمييزهم أكمل تمييز تبييناً لمعنى الصّلة المتقدمة، وهي اتصافهم بالارتداد إلى الكفر بعد الإيمان بالقول والاعتقاد، وأخبر عن اسم الإشارة بالموصول لما فيه من الإيماء إلى وجه بناء الحكم المبين بهذه الجملة. والطّبع: مستعار لمنع وصول الإيمان وأدِلّته، على طريقة تشبيه المعقول بالمحسوس. وقد تقدّم مفصّلاً عند قوله تعالى: {ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة} [سورة البقرة: 7]

وجملة {وأولئك هم الغافلون} تكملة للبيان، أي الغافلون الأكملون في الغفلة، لأن الغافل البالغ الغاية ينافي حالة الاهتداء، والقصر قصر موصوف على صفة، وهو حقيقي ادعائي يقصد به المبالغة، لعدم الاعتداد

بالغافلين غيرهم، لأنهم بلغوا الغاية في الغفلة حتى عُدّ كل غافلٍ غيرهم كمن ليس بغافل. ومن هنا جاء معنى الكمال في الغفلة لا من لام التّعريف.

3. [سورة فصلت: 20] ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

معنى الآية:

ويوم يُحشر أعداء الله إلى نار جهنم، تَرُدُّ زبانية العذاب أولَهم على آخرهم، حتى إذا ما جاؤوا النار، وأنكروا جرائمهم شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون في الدنيا من الذنوب والآثام.

النحو:

﴿حَتَّى﴾: حرف غاية وابتداء.

﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمن متضمن معنى الشرط خافض لشرطه متعلّق بجوابه مبنيّ على السكون.

﴿مَا﴾: حرف زائد للتأكيد.

﴿جَاءُوهَا﴾: جاؤوا: فعل ماضٍ مبنيّ على الضم، لاتصاله بواو الجماعة، و"الواو" ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، و"ها": ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ نصب مفعول به.

﴿شَهِدَ﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح.

﴿عَلَيْهِمْ﴾: على: حرف جر، و"الهاء": ضمير متّصل مبنيّ في محلّ جرّ بـ "على"، و"الميم": للجماعة، والجارّ والمجرور متعلّقان بـ "شهد".

﴿سَمْعُهُمْ﴾: سمع: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة، و"الهاء": ضمير متّصل مبنيّ في محلّ جرّ بالإضافة. و"الميم": للجماعة.

﴿وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ﴾: معطوفتان بواوي العطف على "سمعهم"، وتعربان إعرابها.

﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: ﴿بِمَا﴾: الباء: حرف جر، ما: اسم موصول مبنيّ على السكون في محلّ جرّ بالباء.

﴿كَانُوا﴾: فعل ماضٍ ناقص مبنيّ على الضم، لاتصاله بواو الجماعة، و"الواو" ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع اسم "كان"، و"الألف": فارقة.

﴿يَكْسِبُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، و"الواو" ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل».

وجملة "جاؤوها" في محلّ جرّ مضاف إليه، وجملة "شهد سمعهم" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها جواب شرط غير جازم، وجملة "كانوا يعملون" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها صلة الموصول "ما"، وجملة "يعملون" في محلّ نصب خبر "كانوا".

البلاغة:

في الآية الكريمة تشبيه بليغ حيث شبه السمع والأبصار والجلود بأشخاص تشهد على صاحب النفس من أفعالٍ وأعمال بعد إنكار صاحب العمل نفسه عن أعمالهم في الدنيا، وذلك التشبيه للعقل الإنساني الدنيوي المحدود، والذي لا يمكن للإنسان أن يتخيل أن جوارحه ستشهد عليه في الآخرة شهادة افتضاح وتكذيب.

وتخصيص السمع والأبصار والجلود بالشهادة على هؤلاء دون بقية الجوارح، لأن للسمع اختصاصاً بتلقي دعوة النبي ﷺ وتلقي آيات القرآن، فسمعهم يشهد عليهم بأنهم كانوا يصرفونه عن سماع ذلك وكأن في آذانهم وقر، ولأن للأبصار اختصاصاً بمشاهدة دلائل المصنوعات الدالة على انفراد الله تعالى بالخلق والتدبير فذلك دليل وحدانيته في إلهيته.

وشهادة الجلود لأن الجلد يحوي جميع الجسد لتكون شهادة الجلود عليهم شهادة على أنفسها فيظهر استحقاقها للحرق بالنار لبقية الأجساد دون اقتصار على حرق موضع السمع والبصر، ولذلك اقتصروا في توجيه الملامة على جلودهم لأنها حاوية لجميع الحواس والجوارح.

4. [سورة الأحقاف: 26] ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[1]

معنى الآية:

ولقد يسَّرنا لعاد أسباب التمكين في الدنيا على نحوٍ لم نمكنكم فيه معشر كفار قريش، وجعلنا لهم سمعًا يسمعون به، وأبصارًا يبصرون بها، وأفئدة يعقلون بها، فاستعملوها فيما يسخط الله عليهم، فلم تغن عنهم شيئًا إذ كانوا يكذِّبون بحجج الله، ونزل بهم من العذاب ما سخروا به واستعجلوه. وهذا وعيد من الله جل شأنه، وتحذير للكافرين.

النحو:

[1] مكّنّاهم: أقدرناهم وبسطنا لهم؛ فيما إن مكّنّاكم فيه: في الذي ما مكّنّاكم فيه؛ فما أغنى عنهم: فما دفع عنهم؛ حاق بهم: أحاط أو نزل بهم.

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: حرف استئناف، اللام: للابتداء، قد: حرف تحقيق.

﴿مَكَّنَّاهُمْ﴾: مكن: فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بضمير الرفع المتحرك، و "نا": ضمير متّصل مبني على السكون في محلّ رفع فاعل، و "الهاء": ضمير متّصل مبني في محلّ نصب مفعول به، والميم للجماعة.

﴿فِيمَا﴾: حرف جر، ما: اسم موصول مبنيّ على السكون في محلّ جرّ، والجارّ والمجرور متعلّقان بـ "مكن".

﴿إِنْ﴾: مخففة مهملة بمعنى "ما" النافية و "إن" صلة "ما" لا محلّ لها من الإعراب.

﴿مَكَّنَّاكُمْ﴾: مكنا: أعربت كما في السابق، "كم": ضمير متصل مبنيّ على السكون في محلّ نصب مفعول به.

﴿فِيهِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ "مكناكم".

﴿وَجَعَلْنَا﴾: معطوفة على "مكنا" الأولى، وتعرب إعرابها.

﴿لَهُمْ﴾: اللام: حرف جر، و"الهاء": ضمير متصل مبني في محلّ جرّ، والجارّ والمجرور متعلقان بـ "جعل".

﴿سَمْعًا﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

﴿وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً﴾: معطوفتان على "سمعًا" منصوبتان بالفتحة.

﴿فَمَا﴾: الفاء: حرف استئناف، ما: حرف نفي.

﴿أَغْنَى﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح المقدّر على الألف للتعذّر، ﴿عَنْهُمْ﴾: عن: حرف جر، و "الهاء": ضمير متّصل مبنيّ في محلّ جرّ بـ "عن"، و"الميم": للجماعة، والجارّ والمجرور متعلّقان بـ "أغني".

﴿سَمْعُهُمْ﴾: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، و "الهاء": ضمير متّصل مبني في محلّ جرّ بالإضافة، و "الميم": للجماعة.

﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف، لا: زائدة.

﴿أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ﴾: معطوفتان على "سمعهم" وتعربان إعرابها.

﴿مِنْ﴾: حرف جرّ زائد.

﴿شَيْءٍ﴾: اسم مجرور لفظًا منصوب محلًا على أنه مفعول به.

﴿إِذْ﴾: ظرف زمان مبنيّ على السكون في محلّ نصب مفعول فيه متعلّق بـ "أغني".

﴿كَانُوا﴾: فعل ماضٍ ناقص مبنيّ على الضم لاتصاله بواو الجماعة، و "الواو" ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع اسم "كان"، و "الألف": فارقة.

﴿يَجْحَدُونَ﴾: مضارع مرفوع بثبوت النون، و "الواو" ضمير متصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل.

﴿بِآيَاتِ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ "يجحدون".

﴿الله﴾: لفظ الجلالة: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾: الواو: حرف عطف، حاق: فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح الظاهر.

﴿بِهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ "حاق".

﴿مَا﴾: اسم موصول مبنيّ في محلّ رفع فاعل.

﴿كَانُوا﴾: فعل ماضٍ ناقص، مبنيّ على الضم، و "الواو" ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع اسم "كان".

﴿بِهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ "يستهزئون".

﴿يَسْتَهْزِئُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة الرفع ثبوت النون، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل.

وجملة "لقد مكناهم" لا محلّ لها من الإعراب، لأنها استئنافية، وجملة "مكناكم فيه" لا محل لها من الإعراب، لأنّها صلة الموصول "ما"، وجملة "جعلنا" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها معطوفة على جملة "مكناهم"، وجملة "ما أغنى عنهم سمعهم" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها معطوفة على جملة "جعلنا"، وجملة "كانوا" في محلّ جرّ مضاف إليه، وجملة "يجحدون" في محل نصب خبر "كانوا"، وجملة "حاق بهم ما" لا محل لها من الإعراب، لأنّها معطوفة على جملة "ما أغني"، وجملة "كانوا" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها صلة الموصول "ما" الثاني، وجملة "يستهزئون" في محلّ نصب خبر "كانوا" (الثاني).

البلاغة:

ابتداء الآية بـ{قد} تؤكد المعنى لأنها تفيد التحقيق، وتكرار لفظ التمكين تؤكد المعنى بإعطاء المكنة والقدرة، وفي قوله تعالى: {جعلنا لهم سمعًا وأبصارًا وأفئدةً} تفيد تعدد النعم التي أعطاها الله تعالى لهؤلاء القوم، ما النافية توكيد لفظي على عدم نفع هذه النعم عند تعرضهم لعذاب الله بسبب استهزائهم بآياته، و{من} في قوله: {من شيء} زائدة للتنصيص على انتفاء الجنس، وتكرار النفي في {ولا أبصارهم ولا أفئدتهم} فيه توكيد لفظي بعدم نفع قدرتهم على إنقاذهم من عذاب الله.

المسألة رقم 5:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة البقرة:8]

معنى الآية:

ومن الناس فريق يتردد متحيِّرًا بين المؤمنين والكافرين، وهم المنافقون الذين يقولون بألسنتهم: صدَّقْنَا بالله وباليوم الآخر، وهم في باطنهم كاذبون لم يؤمنوا.

النحو:

﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾: الواو: حرف استئناف، من الناس: جارّ ومجرور متعلّقان بخبر مقدم.

﴿مَنْ﴾: اسم موصول بمعنى "الذي" مبنيّ على السكون في محلّ رفع مبتدأ مؤخر.

﴿يَقُولُ﴾: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازًا، تقديره: هو، وجملة "يقول" صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب.

﴿آمَنَّا بِاللَّهِ﴾: فعل ماض مبنيّ على السكون لاتصاله بضمير رفع متحرّك و"نا" ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل وجملة "آمنا" في محلّ نصب مفعول به "مقول القول" بالله: الباء: حرف جرّ ولفظ الجلالة "الله": اسم مخفوض بالباء وعلامة خفضه الكسرة الظاهرة، والخافض والمخفوض متعلّقان بآمنا.

﴿وَبِالْيَوْمِ﴾: الواو: حرف عطف، باليوم: جارّ ومجرور متعلّقان بآمنا.

﴿الْآخِرِ﴾: نعت لليوم مجرورة، وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة.

﴿وَمَا﴾: الواو: حالية، و"ما": حرف نفي لا عمل لها عند بني تميم، وهي بمنزلة "ليس" عند الحجازيين.

﴿هُمْ﴾: ضمير رفع منفصل مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ، أو في محلّ رفع اسم "ما".

﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾: الباء حرف جرّ زائد لتأكيد معنى النفي، مؤمنين: اســم مجرور لفظًا، وعلامة جرّه الياء؛ لأنَّه جمع مذكر سـالم، منصـوب محلًّا على أنه خبر "ما"، والجملة الاسـمية "ما هم بمؤمنين" في محلّ نصـب حال.

البلاغة:

{وما هم بمؤمنين} جيء في نفي قولهم بالجُملة الاسمية ولم يجيء على وزان قولهم: {آمَنَّا} بأن يقال وما آمنوا لأنهم لما أثبتوا الإيمان لأنفسهم كان الإتيان بالماضي أشمل حالاً لاقتضائه تحقق الإيمان فيما مضى بالصراحة ودوامَه بالالتزام. ولما أريد نفي الإيمان عنهم كان نفيه في الماضي لا يستلزم عدم تحققه في الحال، بل الاستقبال فكان قوله: {وما هم بمؤمنين} دالاً على انتفائه عنهم في الحال، لأن اسم الفاعل حقيقة في زمن الحال وذلك النفي يستلزم انتفاءه في الماضي بالأولى.

لأن الجملة الفعلية تدل على الاهتمام بشأن الفعل دون الفاعل فلذلك حكى بها كلامهم لأنهم لما رأوا المسلمين يتطلبون معرفة حصول إيمانهم قالوا {آمنَّا}، والجملةُ الاسمية تدل على الاهتمام بشأن الفاعل أي إن القائلين {آمنا} لم يقع منهم إيمان فالاهتمام بهم في الفعل المنفي تسجيل لكذبهم وهذا من مواطن

الفروق بين الجملتين الفعلية والاسمية وهو مُصَدَّق بقاعدة إفادة التقديم الاهتمام مطلقاً وإن أهملوا التنبيه على جريان تلك القاعدة عندما ذكروا الفروق بين الجملة الفعلية والاسمية في كتب المعاني [1].

جزء التشابه: آمنا بالله

1. [سورة البقرة: 136] ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[2]

معنى الآية:

قولوا -أيها المؤمنون- لهؤلاء اليهود والنَّصارى: صدَّقنا بالله الواحد المعبود بحق، وبما أنزل إلينا من القرآن الذي أوحاه الله إلى نبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وما أنزل من الصحف إلى إبراهيم وابنيه إسماعيل وإسحاق، وإلى يعقوب والأسباط -وهم الأنبياء مِن ولد يعقوب الذين كانوا في قبائل بني إسرائيل الاثنتي عشرة- وما أُعطي موسى من التوراة، وعيسى من الإنجيل، وما أُعطي الأنبياء جميعًا من وحي ربهم، لا نفرق بين أحد منهم في الإيمان، ونحن خاضعون لله بالطاعة والعبادة.

النحو:

﴿قُولُوا﴾: فعل أمر مبنيّ على حذف النون لأنّ مضارعه من الأفعال الخمسة، و "الواو" ضمير متّصل مبني على السكون في محلّ رفع فاعل، والألف للتفريق.

﴿ءَامَنَّا﴾: آمن: فعل ماض مبنيّ على السكون لاتصاله بضمير رفع متحرك، و "نا" ضمير متّصل مبني على رفع فاعل، وجملة "آمنا" في محلّ نصب "مقول القول".

﴿بِاللَّهِ﴾: الباء: حرف جرّ مبنيّ على الكسر لا محلّ له من الإعراب، ولفظ الجلالة اسم مخفوض بالباء، وعلامة خفضه الكسرة الظاهرة، والخافض والمخفوض متعلّقان بالفعل "آمنا".

﴿وَمَا﴾: الواو حرف عطف مبنيّ على الفتح، ما: اسم موصول بمعنى الذي مبنيّ على السكون في محلّ جرّ معطوف على لفظ الجلالة "الله".

---

[1] الزمخشري، *الكشاف*، 1/170-171.

[2] الأسباط: أولاد يعقوب أو أحفاده.

﴿أُنزِلَ﴾: فعل ماض مبنيّ للمجهول مبنيّ على الفتح الظاهر على آخره، ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو، وجملة "أنزل" لا محلّ لها من الإعراب؛ لأنها صلة الموصول.

﴿إِلَينَا﴾: إلى: حرف جرّ مبنيّ على السكون لا محلّ له من الإعراب، و "نا": ضمير متّصل مبني على السكون في محلّ جرّ بـ(إلى)، والجارّ والمجرور متعلّقان بـ"أنزل".

﴿وَمَا﴾: الواو حرف عطف مبنيّ على الفتح لا محلّ له من الإعراب، ما: اسم موصول بمعنى الذي مبنيّ على السكون في محلّ جرّ معطوف على لفظ الجلالة "الله".

﴿أُنزِلَ﴾: فعل ماض مبنيّ على الفتح لا محلّ له من الإعراب، ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو، وجملة "أنزل على إبراهيم" صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب.

﴿إِلَى﴾: حرف جرّ مبنيّ على السكون لا محلّ له من الإعراب.

﴿إِبْرَاهِيمَ﴾: اسم مجرور بـ"إلى"، وعلامة جره الفتحة عوضًا من الكسرة؛ لأنَّه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة، والجارّ والمجرور متعلّقان بـ"أنزل".

﴿وَإِسْمَاعِيلَ﴾: الواو حرف عطف مبنيّ على الفتح لا محلّ له من الإعراب.

"إسماعيل" اسم معطوف على إبراهيم مجرور مثله، وعلامة جره الفتحة عوضًا من الكسرة؛ لأنَّه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة.

﴿وَإِسْحَاقَ﴾: الواو حرف عطف مبنيّ على الفتح لا محلّ له من الإعراب، "إسحاق" اسم معطوف على "إبراهيم" مجرور مثله، وعلامة جره الفتحة عوضًا من الكسرة لأنَّه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة.

﴿وَيَعْقُوبَ﴾: الواو حرف عطف مبنيّ على الفتح لا محلّ له من الإعراب، "يعقوب" اسم معطوف على "إبراهيم" مجرور مثله، وعلامة جره الفتحة عوضًا من الكسرة؛ لأنَّه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة.

﴿وَالْأَسْبَاطِ﴾: الواو حرف عطف مبني على الفتح لا محلّ له من الإعراب، "الأسباط" اسم معطوف على "إبراهيم" مجرور مثله، وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

﴿وَمَا﴾: الواو حرف عطف مبنيّ على السكون لا محلّ له من الإعراب، ما: اسم موصول بمعنى الذي مبنيّ على السكون في محلّ نصب مفعول به.

﴿أُوتِيَ﴾: فعل ماض مبنيّ للمجهول مبنيّ على الفتح الظاهر على آخره.

﴿مُوسَى﴾: نائب فاعل مرفوع بضمة مقدرة على الألف للتعذر، وجملة "أوتي موسى" صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب.

﴿وَعِيسَى﴾: الواو حرف عطف مبنيّ على الفتح لا محلّ له من الإعراب، "عيسى": اسم معطوف على "موسى" مرفوع مثله، وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الألف للتعذر.

﴿وَمَا﴾: الواو حرف عطف مبنيّ على السكون لا محلّ له من الإعراب، ما: اسم موصول بمعنى الذي مبنيّ على السكون في محلّ نصب مفعول به مقدّم.

﴿أُوتِيَ﴾: فعل ماض مبنيّ للمجهول مبنيّ على الفتح الظاهر على آخره.

﴿النَّبِيُّونَ﴾: نائب فاعل مرفوع وعلامة رفعه الواو؛ لأنَّه جمع مذكر سالم، وجملة "أوتي النبيون" لا محلّ لها من الإعراب؛ لأنها صلة الموصول.

﴿مِن﴾: حرف جرّ مبنيّ على السكون لا محلّ له من الإعراب.

﴿رَّبِّهِمْ﴾: اسم مجرور بمن، وعلامة خفضه الكسرة الظاهرة، والهاء: ضمير متّصل مبني على الكسر في محلّ جرّ مضاف إليه، و "الميم": علامة جمع الذكور، والجار والمجرور متعلّقان بالفعل "أوتي".

﴿لَا﴾: حرف نفي مبنيّ على السكون لا محلّ له من الإعراب.

﴿نُفَرِّقُ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره: نحن، وجملة "لا نفرق" استئنافية لا محلّ لها من الإعراب.

﴿بَيْنَ﴾: ظرف مكان منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة متعلّق بالفعل "نفرق"، وهو مضاف.

﴿أَحَدٍ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

﴿مِّنْهُمْ﴾: من: حرف جرّ مبنيّ على السكون لا محلّ له من الإعراب، و"الهاء": ضمير متّصل مبني على الضمّ في محلّ جرّ بمن، و "الميم": علامة جمع الذكور، والجارّ والمجرور متعلّقان بمحذوف صفة "أحد".

﴿وَنَحْنُ﴾: الواو واو الحال حرف مبنيّ على الفتح لا محلّ له من الإعراب، "نحن": ضمير منفصل مبنيّ على الضمّ في محلّ رفع مبتدأ.

﴿لَهُ﴾: اللام: حرف جرّ مبنيّ على الفتح لا محلّ له من الإعراب، و "الهاء": ضمير متّصل مبني على الضمّ في محلّ جرّ باللام، والجارّ والمجرور متعلّقان بالخبر "مسلمون".

﴿مُسْلِمُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو لأنَّه جمع مذكر سالم، وجملة "ونحن له مسلمون" في محلّ نصب حال من فاعل "نفرق" المستتر.

البلاغة:

أسلوب إنشائي أمر، والأمر بالقول أمر بما يتضمنه إذ لا اعتداد بالقول إلا لأنه يطابق الاعتقاد، إذ النسبة إنما وضعت للصدق لا للكذب، المقصود من الأمر بهذا القول الإعلان به والدعوة إليه لما يشتمل عليه من الفضيلة الظاهرة بحصول فضيلة سائر الأديان لأهل هذه الملة ولما فيه من الإنصاف وسلامة الطوية، ليرغب في ذلك الراغبون ويكمد عند سماعه المعاندون.

جمع الضمير ليشمل النبيء ﷺ والمسلمين، فهم مأمورون بأن يقولوا ذلك، وجعله بدلاً يدل على أن المراد من الأمر في قوله: {قل بل ملة إبراهيم حنيفًا} النبيء وأمته، وأفرد الضمير في {آمنا} و{وما أنزل إلينا} اللذين للنبيء فيهما مزيد اختصاص بمباشرة الرد على اليهود والنصارى لأنه مبعوث لإرشادهم وزجرهم، وقدم الإيمان بالله لأنه لا يختلف باختلاف الشرائع الحق، ثم عطف عليه الإيمان بما أنزل من الشرائع.

وجملة {لا نفرق بين أحد منهم} حال أو استئناف كأنه قيل كيف تؤمنون بجميعهم فإن الإيمان بحق بواحد منهم، وهذا السؤال المقدر ناشيء عن ضلالة وتعصب حيث يعتقدون أن الإيمان برسول لا يتم إلا مع الكفر بغيره وأن تزكية أحد لا تتم إلا بالطعن في غيره، وهذه زلة في الأديان والمذاهب والنحل والأحزاب والأخلاق كانت شائعة في الأمم والتلامذة فاقتلعها الإسلام.

واستعمال النكرة في النفي في قوله تعالىٰ {لا نفرق بين أحدٍ منهم} يفيد العموم كشأن النكرات كلها في حالة النفي، وقوله تعالىٰ {ونحن له مسلمون} جملة في موضع الحال من ضمير {لا نفرق}، أو معطوفة على جملة {لا نفرق}، جيء بها اسمية لإفادة ثبات الوصف لهم ودوامه بعد أن أفيد بالجملة الفعلية المعطوف عليها معنى التجدد والاستمرار.

2. [سورة آل عمران: 52] ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[1]

معنى الآية:

فلما استشعر عيسى منهم التصميم على الكفر نادى في أصحابه الخُلَّص: مَن يكون معي في نصرة دين الله؟ قال أصفياء عيسى: نحن أنصار دين الله والداعون إليه، صدَّقنا بالله واتبعناك، واشهد أنت يا عيسى بأنا مستسلمون لله بالتوحيد والطاعة.

النحو:

[1] أحسَّ: عَلِمَ بِلا شُبهةٍ؛ الحواريّون: أصدقاء عيسى وخواصُّه وأنصار.

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: استئنافيّة، لما: ظرف بمعنى "حين" متضمن معنى الشرط، متعلّق بـ"قال" في محلّ نصب مفعول فيه.

﴿أَحَسَّ﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح، ﴿عِيسَى﴾: فاعل مرفوع، وعلامة الرفع الضمة المقدرة على الألف للتعذّر، ﴿مِنْهُمُ﴾: من: حرف جرّ، و"هم": ضمير متّصل مبنيّ في محلّ جرّ بحرف الجرّ، والجارّ والمجرور متعلّقان بمحذوف حال من "الكفر".

﴿الْكُفْرَ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

﴿قَالَ﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿مَنْ﴾: اسم استفهام مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ.

﴿أَنْصَارِي﴾: أنصار: خبر مرفوع، وعلامة الرفع الضمة المقدرة على ما قبل الياء، منع من ظهورها اشتغال المحلّ بالحركة المناسبة للياء، والياء: ضمير متصل في محل جر مضاف إليه.

﴿إِلَى اللَّهِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف حال من ضمير المتكلم في "أنصاري"، أي: ملتجئًا إلى الله.

﴿قَالَ﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح.

﴿الْحَوَارِيُّونَ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة الرفع الواو، لأنّه جمع مذكّر سالم.

﴿نَحْنُ﴾: ضمير منفصل مبنيّ على الضمّ في محلّ رفع مبتدأ.

﴿أَنْصَارُ﴾: خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره، وهو مضاف.

﴿اللَّهِ﴾: لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿آمَنَّا﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على السكون، و"نا": ضمير فاعل.

﴿بِاللَّهِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"آمنا".

﴿وَاشْهَدْ﴾: الواو: حرف عطف، اشهد: فعل أمر مبنيّ على السكون، وفاعله ضمير مستتر جوازًا تقديره: هو.

﴿بِأَنَّا﴾: أنّ: حرف توكيد مشبّه بالفعل و"نا": ضمير في محلّ نصب اسم "أن".

﴿مُسْلِمُونَ﴾: خبر "أنّ" مرفوع، وعلامة الرفع الواو، لأنّه جمع مذكّر سالم.

والمصدر المؤول من "أنا مسلمون" في محلّ جرّ بالباء، والجارّ والمجرور متعلّقان بـ"أشهد"، وجملة "أحس عيسى" في محلّ جرّ مضاف إليه.

وجملة "قال" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها جواب شرط غير جازم، وجملة "من أنصاري إلى الله في محلّ نصب "مقول القول"، وجملة "قال الحواريون" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافيّة، وجملة "نحن

أنصار الله" في محلّ نصب "مقول القول"، وجملة "آمنا بالله" في محلّ نصب حال من "أنصار"، وجملة "أشهد" في محلّ نصب معطوفة على جملة "نحن أنصار".

البلاغة:

اختيار كملة {أحس} بدلًا من شَعَرَ أبلغ وأقوى، حيث إن عيسى – عليه السلام – علم منهم علمًا لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس.

وقوله تعالى: {من أنصاري إلى الله} أسلوب إنشائي استفهامي، غرضه التقرير بدلًا من السؤال عن العاقل وهو خروج عن المعنى الأصلي للسؤال بـ{من}، كان جواب الحواريين دالاّ على أنهم علموا أنّ نصر عيسى ليس لذاته، بل هو نصر لدين الله، وليس في قولهم: {نحن أنصار الله} ما يفيد حصراً لأنّ الإضافة اللفظية لا تفيد تعريفًا، فلم يحصل تعريف الجزأين، ولكنّ الحواريين بادروا إلى هذا الانتداب[1] .

3. [سورة آل عمران: 84] ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[2]

معنى الآية:

قل لهم -أيها الرسول-: صدَّقنا بالله وأطعنا، فلا رب لنا غيره، ولا معبود لنا سواه، وآمنَّا بالوحي الذي أنزله الله علينا، والذي أنزله على إبراهيم خليل الله، وابنيه إسماعبل وإسحاق، وابن ابنه يعقوب بن إسحاق، والذي أنزله على الأسباط -وهم الأنبياء الذين كانوا في قبائل بني إسرائيل الاثنتي عشرة مِن ولد يعقوب- وما أوتي موسى وعيسى من التوراة والإنجيل، وما أنزله الله على أنبيائه، نؤمن بذلك كله، ولا نفرق بين أحد منهم، ونحن لله وحده منقادون بالطاعة، مُقِرُّون له بالربوبية والألوهية والعبادة.

النحو:

﴿قُلْ﴾: فعل أمر، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره: أنت.

﴿آمَنَّا﴾: آمن: فعل ماضٍ مبنيّ على السكون، و "نا": ضمير متصل مبنيّ على السكون في محلّ رفع فاعل.

﴿بِاللَّهِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"آمنا".

﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف، ما: اسم موصول مبنيّ في محلّ جرّ معطوف على لفظ الجلالة.

---

[1] الزمخشري، *الكشاف*، 561/1.

[2] الأسباط: أولاد يعقوب أو أحفاده.

﴿أُنْزِلَ﴾: فعل ماضٍ مبنيّ للمجهول، ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿عَلَيْنَا﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"أنزل".

﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف، ما: اسم موصول مبنيّ في محلّ جرّ معطوف على لفظ الجلالة.

﴿أُنْزِلَ﴾: تقدّم إعرابها، ﴿عَلَى﴾: حرف جر.

﴿إِبْرَاهِيمَ﴾: اسم مجرور، وعلامة الجرّ الفتحة، لأنه ممنوع من الصرف، والجارّ والمجرور متعلّقان بـ"أنزل".

﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾: أسماء معطوفة على إبراهيم بحروف العطف مجرورة مثله بالفتحة (ما عدا "الأسباط" المجرورة بالكسرة).

﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف، ما: اسم موصول مبنيّ في محلّ جرّ معطوف على لفظ الجلالة.

﴿أُوتِيَ﴾: مثل "أنزل".

﴿مُوسَى﴾: نائب فاعل مرفوع، وعلامة الرفع الضمة المقدرة على الألف للتعذّر.

﴿وَعِيسَى﴾: الواو: حرف عطف، عيسى: اسم معطوف مرفوع بالضمة المقدرة على الألف للتعذّر.

﴿وَالنَّبِيُّونَ﴾: الواو: حرف عطف، النبيون: اسم معطوف مرفوع بالواو.

﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف حال من الضمير المقدر في "أوتي" أي: ما أوتيه موسى منزلًا من ربهم، وهم: ضمير مبني في محل جر مضاف إليه.

﴿لَا﴾: نافية، ﴿نُفَرِّقُ﴾: فعل مضارع مرفوع، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره: نحن.

﴿بَيْنَ﴾: ظرف مكان منصوب متعلّق بـ"نفرق".

﴿أَحَدٍ﴾: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿مِنْهُمْ﴾: من: حرف جرّ، و "هم": ضمير في محلّ جر بحرف الجرّ، والجارّ والمجرور متعلّقان بمحذوف نعت لأحد.

﴿وَنَحْنُ﴾: الواو: حرف عطف، نحن: ضمير منفصل مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ.

﴿لَهُ﴾: اللام: حرف جرّ، والهاء: ضمير في محلّ جرّ متعلّق بـ"مسلمون".

﴿مُسْلِمُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة الرفع الواو.

وجملة "قال" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافيّة، وجملة "آمنا بالله" في محلّ نصب "مقول القول". وجملة "أنزل علينا" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها صلة الموصول "ما" الأولى، وجملة "أنزل على إبراهيم" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها صلة الموصول "ما" الثانية، وجملة "أوتي موسى" لا محلّ لها من الإعراب،

لأنّها صلة الموصول "ما" الثالثة، وجملة "لا نفرق" في محلّ نصب حال، وجملة "نحن له مسلمون" في محلّ نصب معطوفة على جملة الحال.

البلاغة:

بدأت الآية بأسلوب انشائي أمر بأن يخبر النبي ﷺ عن نفسه وعمن معه بالإيمان، وذلك وحد الضمير في {قل} وجمع في {آمنَّا}، ويجوز أن يؤمر بأن يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك إجلالًا من الله لقدر نبيه، وفي قوله تعالىٰ: {وما أنزل علينا} أي أنزل عليّ لتبليغكم فجعل إنزاله على الرسول والأمة لاشتراكهم في وجوب العمل بما أنزل، وعدّى فعل (أنزل) هنا بحرف (على) باعتبار أنّ الإنزال يقتضي علوّاً فوصول الشيء المنزّل وصول استعلاء. والجملة اعتراض واستئناف: لتلقين النبي ﷺ والمسلمين كلامًا جامعًا لمعنى الإسلام ليدوموا عليه، ويعلن به للأمم.

واستعمال النكرة في النفي في قوله تعالىٰ {لا نفرق بين أحدٍ منهم} يفيد العموم كشأن النكرات كلها في حالة النفي، وقوله تعالىٰ {ونحن له مسلمون} جملة في موضع الحال من ضمير {لا نفرق}، أو معطوفة على جملة {لا نفرق}، جيء بها اسمية لإفادة ثبات الوصف لهم ودوامه بعد أن أفيد بالجملة الفعلية المعطوف عليها معنى التجدد والاستمرار[1].

4. [سورة المائدة: 59] ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾[2]

معنى الآية:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المستهزئين من أهل الكتاب: ما تَجِدُونه مطعنًا أو عيبًا هو محمدة لنا: من إيماننا بالله وكتبه المنزلة علينا، وعلى من كان قبلنا، وإيماننا بأن أكثركم خارجون عن الطريق المستقيم!

النحو:

﴿قُلْ﴾: فعل أمر مبنيّ على السكون، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره: أنت.

﴿يَأَهْلَ﴾: يا: حرف نداء، أهل: منادى منصوب بالفتحة.

﴿الْكِتَبِ﴾: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

---

[1] الزمخشري، *الكشاف*، 577/1.

[2] تنقمون: تكرهون أو تعيبون وتنكرون.

﴿هَلْ﴾: حرف استفهام، ﴿تَنقِمُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، و "الواو" فاعل.

﴿مِنَّا﴾: من: حرف جرّ، و "نا": ضمير مبنيّ في محلّ جرّ، والجارّ والمجرور متعلّقان بـ "تنقمون".

﴿إِلَّا﴾: حرف حصر أَنْ: حرف مصدريّ ونصب.

﴿آمَنَّا﴾: فعل ماض مبنيّ على السكون، و "نا": ضمير مبنيّ في محلّ رفع فاعل.

﴿بِاللَّهِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ "آمنا"، والمصدر المؤول من "أن آمنا" في محلّ نصب مفعول به، عامله تنقمون، أي: تنقمون منا إيماننا بالله.

﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف، ما: اسم موصول مبنيّ في محلّ جرّ اسم معطوف على لفظ الجلالة.

﴿أُنزِلَ﴾: فعل ماض مبنيّ للمجهول، ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿إِلَيْنَا﴾: إلى: حرف جرّ، و "نا": ضمير مبنيّ في محلّ جرّ، والجارّ والمجرور متعلّقان بـ "أنزل".

﴿وَمَا أُنزِلَ﴾: الواو: حرف عطف ما أنزل: تقدّم إعرابهما.

﴿مِن﴾: حرف جرّ، ﴿قَبْلُ﴾: اسم مبنيّ على الضم في محلّ جرّ متعلّق بـ "أنزل" الثاني.

﴿وَأَنَّ﴾: الواو: حرف عطف، أن: حرف توكيد مشبّه بالفعل.

﴿أَكْثَرَكُمْ﴾: أكثر: اسم "أنّ" منصوب بالفتحة، و "كم" ضمير في محلّ جرّ مضاف إليه.

﴿فَاسِقُونَ﴾: خبر "أن" مرفوع، وعلامة الرفع الواو، والمصدر المؤول من "أن أكثركم فاسقون" في محلّ جرّ معطوف على لفظ الجلالة، أي: تنقمون منا إيماننا بالله، وبأن أكثركم فاسقون.

وجملة "قل" لا محلّ لها من الإعراب، لأنها استئنافيّة، وجملة النداء "يا أهل الكتاب" في محلّ نصب "مقول القول"، وجملة "هل تنقمون" لا محلّ لها من الإعراب، لأنها جواب النداء، وجملة "آمنا" لا محلّ لها من الإعراب، لأنها صلة الموصول الحرفي "أن"، وجملة "أنزل إلينا" لا محلّ لها من الإعراب، لأنها صلة الموصول "ما" الأول، وجملة "أنزل من قبل" لا محلّ لها من الإعراب، لأنها صلة الموصول "ما" الثاني.

البلاغة:

أسلوب إنشائي استفهامي، والاستفهام غرضه الإنكار والتعجب، فالإنكار دلّ عليه الاستثناء، والتعجّبُ دلّ عليه أنّ مفعولات {تنقمون} كلّها محامد لا يَحقّ نَقْمُها، أي لا تجدون شيئاً تنقمونه غير ما ذكر. وكلّ ذلك ليس حقيقاً بأن يُنقم. فأمّا الإيمان بالله وما أنزل من قبلُ فظاهر أنّهم رَضُوه لأنفسهم فلا ينقمونه على من ماثَلَهم فيه، كما الإيمان بما أنزل إلى محمد ﷺ.

الّذي يظهر لي أن يكون قوله تعالى: {وأنّ أكثركم فاسقون} معطوفاً على {أنّ آمنّا بالله} على ما هو المتبادر ويكون الكلام تهكّمًا، أي تنقمون منّا أنّنا آمنّا كإيمانكم وصدّقنا رسلكم وكتبكم، وذلك نَقْمُهُ عجيب وأنّنا آمنّا بما أنزل إلينا وذلك لا يهمّكم. وتنقمون منّا أنّ أكثركم فاسقون، أي ونحنُ صالحون، أي هذا نَقْم حَسَد، أي ونحن لا نملك لكم أن تكونوا صالحين. فظهرت قرينة التهكّم فصار في الاستفهام إنكار فتعَجُّب فتهكُّم، تولَّد بعضُها عن بعض وكلّها متولّدة من استعمال الاستفهام في مجازاته أو في معان كنائية[1].

5. [سورة النور: 47] ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾

معنى الآية:

ويقول المنافقون: صَدَّقنا بالله وبما جاء به الرسول، وأطعنا أمرهما، ثم تُعْرِضُ طوائف منهم من بعد ذلك فلا تقبل حكم الرسول، وما أولئك بالمؤمنين.

النحو:

﴿وَيَقُولُونَ﴾: الواو: حرف استئناف، يقولون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون.

و"الواو" ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل.

﴿آمَنَّا﴾: آمن: فعل ماضٍ مبنيّ على السكون لاتصاله بضمير الرفع المتحرك، و"نا": ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ رفع فاعل، ﴿بِاللَّهِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"آمنا"، ﴿وَبِالرَّسُولِ﴾: معطوفة بالواو على "بالله" وتعرب إعرابها.

﴿وَأَطَعْنَا﴾: معطوفة بالواو على "آمنا" وتعرب إعرابها.

﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف، ﴿يَتَوَلَّى﴾: فعل مضارع مرفوع بالضم المقدر على الألف للتعذّر.

﴿فَرِيقٌ﴾: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿مِنْهُمْ﴾: من: حرف جر، و"هم": ضمير متّصل مبنيّ في محلّ جرّ بـ"من"، والجارّ والمجرور متعلّقان بنعت لـ"فريق".

﴿مِنْ بَعْدِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"يتولى".

﴿ذَلِكَ﴾: ذا: اسم إشارة مبنيّ على السكون في محلّ جرّ بالإضافة، "اللام": للبعد، و"الكاف": حرف للخطاب.

[1] الزمخشري، *الكشاف*، 2/260-261.

﴿وَمَا﴾: الواو: حالية، "ما": حرف نفي، ﴿أُولَئِكَ﴾: أولاء: اسم إشارة مبنيّ على الكسر في محلّ رفع اسم "ما" على اللغة الأولى، ومبتدأ على اللغة الثانية.

﴿بِالْمُؤْمِنِينَ﴾: الباء: حرف جرّ زائد، المؤمنين: اسم مجرور لفظًا بحرف الجرّ الزائد، وعلامة جره الياء، لأنه جمع مذكر سالم منصوب محلًا على أنه خبر "ما" ومرفوع محلًا على أنه خبر المبتدأ "أولئك" على اللغة الثانية.

وجملة يقولون" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافيّة، وجملة "آمنا" في محلّ نصب "مقول القول"، وجملة "أطعنا" في محلّ نصب معطوفة على جملة "مقول القول"، وجملة "يتولى فريق" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها معطوفة على جملة "يقولون".

البلاغة:

هذه الآية الكريمة معطوفة على الآية {والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم} [سورة النور: 46] لما تتضمنه جملة: {يهدي من يشاء} من هداية بعض الناس وحرمان بعضهم من الهداية، وضمير الجمع عائد إلى معروفين عند السامعين وهم المنافقون لأن ما ذكر بعده هو من أحوالهم، وعود الضمير إلى شيء غير مذكور كثير في القرآن، على أنهم قد تقدم ما يشير إليهم بطريق التعريض في قوله: {رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة} [سورة النور: 37].

وقد أشارت الآية إلى المنافقين عامة، ثم إلى فريق منهم أظهروا عدم الرضى بحكم الرسول ﷺ فكلا الفريقين موسوم بالنفاق، ولكن أحدهما استمر على النفاق والمواربة، وفريقاً لم يلبثوا أن أظهروا الرجوع إلى الكفر بمعصية الرسول علنًا، ففي قوله: {يقولون} إيماء إلى أن حظهم من الإيمان مجرد القول دون الاعتقاد، وعبر بالمضارع لإفادة تجدد ذلك منهم واستمرارهم عليه لما فيه من تكرر الكذب ونحوه من خصال النفاق التي بينتُها في سورة البقرة.

والإشارة في قوله: {وما أولئك} إلى ضمير {يقولون}، أي يقولون آمنّا وهم كاذبون في قولهم. وإنما يظهر كفرهم عندما تحل بهم النوازل والخصومات فلا يطمئنون بحكم رسول الله ﷺ ولا يصح جعله إشارة إلى {فريق} من قوله: {إذا فريق منهم معرضون} لأن إعراضهم كاف في الدلالة على عدم الإيمان.

6. [سورة العنكبوت: 10] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾[1]

معنى الآية:

ومن الناس من يقول: آمنا بالله، فإذا آذاه المشركون جزع من عذابهم وأذاهم، كما يجزع من عذاب الله ولا يصبر على الأذيَّة منه، فارتدَّ عن إيمانه، ولئن جاء نصر من ربك -أيها الرسول- لأهل الإيمان به ليقولَنَّ هؤلاء المرتدون عن إيمانهم: إنَّا كنا معكم -أيها المؤمنون- ننصركم على أعدائكم، أوليس الله بأعلم من كل أحد بما في صدور جميع خلقه؟

النحو:

﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾: الواو: حرف استئناف من الناس: جارّ ومجرور متعلّقان بخبر مقدم.

﴿مَنْ﴾: اسم موصول مبنيّ على السكون في محلّ رفع مبتدأ مؤخر.

﴿يَقُولُ﴾: فعل مضارع مرفوع بالضمة والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿آمَنَّا﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على السكون لاتصاله بضمير الرفع المتحرك، و "نا": ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ رفع فاعل.

﴿بِاللَّهِ﴾: جار ومجرور متعلّقان بـ"آمنا".

﴿فَإِذَا﴾: الفاء: حرف استئناف، إذا: ظرف لما يستقبل من الزمن متضمن معنى الشرط خافض لشرطه متعلّق بجوابه.

﴿أُوذِيَ﴾: فعل ماضٍ مبنيّ للمجهول على الفتح، ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿فِي اللَّهِ﴾: جار ومجرور متعلّقان بـ "أوذي".

﴿جَعَلَ﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿فِتْنَةَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة.

﴿النَّاسِ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الكسرة.

﴿كَعَذَابِ﴾: الكاف: اسم بمعنى "مثل" مبنيّ على الفتح في محلّ نصب مفعول به ثان، وهو مضاف.

عذاب: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الكسرة، وهو مضاف.

﴿اللَّهِ﴾: لفظ الجلالة: مضاف إليه وعلامة الخفض الكسرة.

---

[1] فتنة النّاس: ما يُصيبه من أذاهم وعذابهم.

﴿وَلَئِنْ﴾: الواو: حرف عطف، اللام: حرف موطئ للقسم، إن: حرف شرط جازم.

﴿جَاءَ﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح في محلّ جزم بـ"إن".

﴿نَصْرٌ﴾: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿مِنْ رَبِّكَ﴾: جار ومجرور متعلّقان بـ"جاء"، و "الكاف": ضمير متّصل مبنيّ على الفتح في محلّ جرّ بالإضافة.

﴿لَيَقُولُنَّ﴾: اللام: واقعة في جواب القسم المقدر، يقولن: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، لأنه من الأفعال الخمسة، وقد حذفت هذه النون، لتوالي النونات.

و "واو" الجماعة المحذوفة لالتقائها ساكنة مع نون التوكيد الثقيلة في محلّ رفع فاعل، ونون التوكيد لا محلّ لها من الإعراب.

﴿إِنَّا﴾: حرف توكيد مشبّه بالفعل، و "نا": ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ نصب اسم "إن".

﴿كُنَّا﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على السكون لاتصاله بضمير الرفع المتحرك، و "نا": ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ رفع اسم "كان".

﴿مَعَكُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بخبر "كان"، وهو مضاف، و "كم": ضمير متّصل مبنيّ على الضم في محلّ جرّ بالإضافة.

﴿أَوَلَيْسَ﴾: الهمزة: حرف استفهام، الواو: حرف استئناف، ليس: فعل ماضٍ ناقص مبنيّ على الفتح.

﴿اللَّهُ﴾: اسمها مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿بِأَعْلَمَ﴾: الباء: حرف جرّ زائد للتوكيد، أعلم: اسم مجرور لفظًا منصوب محلًا، لأنه خبر "ليس" وعلامة الجر الفتحة بدلًا من الكسرة، لأنه ممنوع من الصرف.

﴿بِمَا﴾: الباء: حرف جرّ، ما: اسم موصول مبنيّ على السكون في محلّ جرّ بالباء والجارّ والمجرور متعلّقان بـ"أعلم".

﴿فِي صُدُورِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف تقديره: استقر أو هو مستقر في صدور.

﴿الْعَالَمِينَ﴾: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الياء، لأنه ملحق بجمع المذكر السالم.

وجملة "من الناس من يقول" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافيّة، وجملة "يقول" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها صلة الموصول "من"، وجملة "آمنا" في محلّ نصب "مقول القول"، وجملة "أوذي" في محلّ جرّ مضاف إليه، وجملة "جعل" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها جواب شرط غير جازم، وجملة "إن جاء نصر" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها معطوفة على الجملة الاستئنافية، وجملة "يقولن" لا محلّ لها من الإعراب،

لأنّها جواب القسم وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب القسم، وجملة "إنا كنا" في محلّ نصب "مقول القول"، وجملة "كنا" معكم، في محلّ رفع خبر "إن"، وجملة "أو ليس الله بأعلم" لا محلّ لها من الإعراب، لأنها استئنافية، أو اعتراضية.

البلاغة:

حرف الظرفية من قوله {أوذي في الله} مستعمل في معنى التعليل كاللام، أي أوذي لأجل الله، أي لأجل اتباع ما دعاه الله إليه.

وقوله {جعل فتنة الناس كعذاب الله} يريد جعلها مساوية لعذاب الله كما هو مقتضى أصل التشبيه، فهؤلاء إن كانوا قد اعتقدوا البعث والجزاء فمعنى هذا الجعل: أنهم سووا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة كما هو ظاهر التشبيه فتوقوا فتنة الناس وأهملوا جانب عذاب الله فلم يكترثوا به إعمالاً لما هو عاجل ونبذاً للآجل وكان الأحق بهم أن يجعلوا عذاب الله أعظم من أذى الناس، وإن كانوا نبذوا اعتقاد البعث تبعاً لنبذهم الإيمان، فمعنى الجعل: أنهم جعلوه كعذاب الله عند المؤمنين الذين يؤمنون بالجزاء.

فالخبر من قوله {ومن الناس} إلى قوله {كعذاب الله} مكنى به عن الذم والاستحماق على كلا الاحتمالين وإن كان الذم متفاوتًا.

وتأكيد جملة الشرط في قوله {ولئن جاء نصر من ربك ليقولنّ} باللام الموطئة للقسم لتحقيق حصول الجواب عند حصول الشرط، وهو يقتضي تحقيق وقوع الأمرين.

وقوله {أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين} تذييل، والواو اعتراضية، والاستفهام إنكاري إنكاراً عليهم قولهم {ءامنا بالله} وقولهم {إنا كنا معكم}، لأنهم قالوا قولهم ذلك ظناً منهم أن يروج كذبهم ونفاقهم على رسول الله، فكان الإنكار عليهم متضمناً أنهم كاذبون في قوليهم المذكورين.

ويجوز أن يكون الاستفهام تقريرياً وجه الله به الخطاب للنبيء صلى الله عليه وسلم في صورة التقرير بما أنعم الله به عليه من إنبائه بأحوال الملتبسين بالنفاق. وهذا الأسلوب شائع في الاستفهام التقريري وكثيراً ما يلتبس بالإنكاري ولا يُفرق بينهما إلا المقام، أي فلا تصدق مقالهم.

والتفضيل في قوله {بأعلم} مراعى فيه علم بعض المسلمين ببعض ما في صدور هؤلاء المنافقين ممن أوتوا فراسة وصدق نظر. ولك أن تجعل اسم التفضيل مسلوب المفاضلة، أي أليس الله عالماً علماً تفصيلياً لا تخفى عليه خافية.

7. [سورة غافر: 84] ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾[1]

معنى الآية:

فلما رأوا عذابنا أقرُّوا حين لا ينفع الإقرار، وقالوا: آمنا بالله وحده، وكفرنا بما كنا به مشركين في عبادة الله.

النحو:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف، لما: اسم شرط غير جازم مبنيّ على السكون في محلّ نصب مفعول فيه.

﴿رَأَوا﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الضم المقدر على الألف المحذوفة للتعذّر، و "الواو" ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، و "الألف": فارقة.

﴿بَأْسَنَا﴾: بأس: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، و "نا": ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ جرّ بالإضافة.

﴿قَالُوا﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الضم، و "الواو" ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل.

﴿آمَنَّا﴾: آمن: فعل ماضٍ مبنيّ على السكون لاتصاله بضمير رفع متحرك، و "نا": ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ رفع فاعل.

﴿بِاللَّهِ﴾: جار ومجرور متعلّقان بـ "آمنّا".

﴿وَحْدَهُ﴾: حال منصوب بالفتحة، وهو مضاف، و"الهاء": ضمير متّصل مبنيّ في محلّ جرّ بالإضافة.

﴿وَكَفَرْنَا﴾: معطوفة بالواو على "آمنا"، وتعرب إعرابها.

﴿بِمَا﴾: الباء: حرف جر، و "ما": اسم موصول مبنيّ على السكون في محلّ جرّ بالباء، والجارّ والمجرور متعلّقان بـ "كفرنا".

﴿كُنَّا﴾: فعل ماضٍ ناقص مبنيّ على السكون، لاتصاله بضمير رفع متحرك، و "نا": ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ رفع اسم "كان"، ﴿بِهِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بخبر كنا".

﴿مُشْرِكِينَ﴾: خبر "كان" منصوب بالياء، لأنه جمع مذكر سالم.

وجملة "رأوا" في محلّ جرّ مضاف إليه، وجملة "قالوا" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها جواب شرط غير جازم، وجملة "آمنا" في محلّ نصب "مقول القول"، وجملة "كفرنا" في محلّ نصب معطوفة على جملة "آمنا"، وجملة "كنا" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها صلة الموصول "ما".

البلاغة:

[1] رَأَوْا بَأسنا: عاينوا شدة عذابنا في الدنيا.

إفادة (لمَّا) معنى التوقيت يثير معنى توقيتِ انتهاء ما قبلها، أي دام دُعاء الرسل إياهم ودام تكذيبهم واستهزَاؤهم إلى أن رَأوا بأسنا فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده.

واختيار كلمة البأس لإنه الشدة في المكروه، وهو جامع لأصناف العذاب، فالبأس هنا العذاب الخارق للعادة المنذِرُ بالفناء فإنهم لما رأوه علموا أنه العذاب الذي أُنذروه.

المسألة رقم 6:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [سورة البقرة: 16]

معنى الآية:

أولئك المنافقون باعوا أنفسهم في صفقة خاسرة، فأخذوا الكفر، وتركوا الإيمان، فما كسبوا شيئًا، بل خَسِروا الهداية. وهذا هو الخسران المبين.

النحو:

﴿أُولَئِكَ﴾: أولاء: اسم إشارة مبنيّ على الكسر في محلّ رفع مبتدأ، و"الكاف": حرف للخطاب.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبنيّ على الفتح في محلّ رفع صفة للمبتدأ، ويجوز أن يكون بدلًا من "أولئك"، أو خبر "أولئك".

﴿اشْتَرَوُا﴾: فعل ماض مبنيّ على الضمّ المقدر على الألف المحذوفة، لاتصاله بواو الجماعة، والواو ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، والألف فارقة، وجملة "اشتروا" صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب.

﴿الضَّلَالَةَ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

﴿بِالْهُدَى﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"اشتروا"، وعلامة جرّ الاسم الكسرة المقدَّرة على الألف للتعذُّر.

﴿فَمَا﴾: الفاء: حرف استئناف، و"ما" حرف نفي.

﴿رَبِحَتْ﴾: فعل ماض مبنيّ على الفتح، والتاء: تاء التأنيث الساكنة.

﴿تِجَارَتُهُمْ﴾: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، والهاء: ضمير متّصل مبنيّ في محلّ جرّ بالإضافة، والميم: علامة جمع الذكور.

﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف، و"ما": حرف نفي.

﴿كَانُوا﴾: فعل ماض ناقص مبنيّ على الضمّ لاتصاله بواو الجماعة، والواو ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع اسم "كان" و"الألف": فارقة.

﴿مُهْتَدِينَ﴾: خبر "كان" منصوب بالياء؛ لأنَّه جمع مذكر سالم.

البلاغة:

اسم الإشارة هنا غير مشار به إلى ذوات، ولكن إلى صنف اجتمعت فيهم الصفات الماضية فانكشفت أحوالهم حتى صاروا كالحاضرين تجاه السامع، بحيث يشار إليهم، وهذا استعمال كثير الورود في الكلام البليغ. وليس في هذه الإشارة إشعار ببعد أو قرب حتى تفيد تحقيراً ناشئاً عن البعد لأن هذا من أسماء الإشارة الغالبة في كلام العرب فلا عدول فيها حتى يكون العدول لمقصد.

استعارة مكنية في قوله تعالىٰ: {اشتروا الضلالة بالهدىٰ}، حيث شبه الضلالة والهدىٰ بشيءٍ ملموس يباع ويشترى وحذف المشبه به وجيء بشيء من لوازمه، وإطلاق الاشتراء ههنا مجاز مرسل بعلاقة اللزوم، أطلق الاشتراء على لازمه الثاني وهو الحرص على شيء والزهد في ضده أي حَرَصوا على الضلالة، وزَهِدوا في الهدى إذ ليس في ما وقع من المنافقين استبدال شيء بشيء إذ لم يكونوا من قبل مهتدين.

والموصول في قوله {الذين اشتروا} بمعنى المعرف بلام الجنس، فيفيد التركيب قصر المسند على المسند إليه، وهو قصر ادعائي باعتبار أنهم بلغوا الغاية في اشتراء الضلالة والحرص عليها إذ جمعوا الكفر والسفه والخداع والإفساد والاستهزاء بالمهتدين.

وفي قوله تعالىٰ: {فما ربحت تجارتهم} نفي الربح في الآية تشبيه لحال المنافقين إذ قصدوا من النفاق غاية فأخفقت مساعيهم وضاعت مقاصدهم بحال التجار الذين لم يحصلوا من تجارتهم على ربح فلا التفات إلى رأس مال في التجارة حتى يقال إنهم إذا لم يربحوا فقد بقي لهم نفع رأس المال.

وقد أفاد قوله: {فما ربحت تجارتهم} ترشيحاً للاستعارة في {اشتروا} فإن مرجع الترشيح إلى أن يقفى المجاز بما يناسبه سواء كان ذلك الترشيح حقيقة بحيث لا يستفاد منه إلا تقوية المجاز.

وفي قوله تعالىٰ: {ما كانوا مهتدين} أسلوب نفي يفيد التوكيد لأن {ما كانوا} أبلغ في النفي لإشعاره بأن انتفاء الاهتداء عنهم أمر متأصل سابق قديم، لأن كان تدل على اتصاف اسمها بخبرها منذ المضي فكان نفي الكون في الزمن الماضي أنسب بهذا التفريع، نفي الاهتداء كناية عن إضاعة القصد أي إنهم أضاعوا ما سعوا له ولم يعرفوا ما يوصل لخير الآخر ولا ما يضر المسلمين.

جزء التشابه: اشتروا الضلالة

1. [سورة البقرة: 175] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾

معنى الآية:

أولئك المتصفون بهذه الصفات استبدلوا الضلالة بالهدى وعذاب الله بمغفرته، فما أشد جراءتهم على النار بعملهم أعمال أهل النار!! يعجب الله من إقدامهم على ذلك، فاعجبوا -أيها الناس- من جراءتهم، ومن صبرهم على النار ومكثهم فيها. وهذا على وجه الاستهانة بهم، والاستخفاف بأمرهم.

النحو:

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة مبنيّ على الكسر في محلّ رفع مبتدأ، و "الكاف" حرف خطاب ومبنيّ على الفتح لا محلّ له من الإعراب.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبنيّ على الفتح في محلّ رفع خبر المبتدأ.

﴿اشْتَرَوُا﴾: فعل ماض مبنيّ على الفتح المقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة، والواو ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ رفع فاعل، و "الألف" فارقة، وحركت الواو بالضم لالتقاء الساكنين. وجملة "اشتروا" صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب، وجملة "أولئك الذين اشتروا الضلالة" استئنافية لا محلّ لها من الإعراب.

﴿الضَّلَالَةَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

﴿بِالْهُدَى﴾: الباء حرف جرّ مبنيّ على الكسر لا محلّ له من الإعراب.

الهدي: اسم مجرور بالباء وعلامة الجر الكسرة المقدرة على الألف للتعذر.

﴿وَالْعَذَابَ﴾: الواو حرف عطف مبنيّ على الفتح لا محلّ له من الإعراب، العذاب: معطوف على "الضلالة" منصوب مثله، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة.

﴿بِالْمَغْفِرَةِ﴾: الباء: حرف جرّ مبنيّ على الكسر لا محلّ له من الإعراب، المغفرة: اسم مجرور بالباء، وعلامة جره الكسرة الظاهرة، والجار والمجرور متعلّقان بـ"شتروا".

﴿فَمَا﴾: الفاء: حرف عطف واستئناف مبنيّ على الفتح لا محلّ له من الإعراب، ما: نكرة تامة بمعنى شيء مبنية على السكون في محلّ رفع مبتدأ.

﴿أَصْبَرَهُمْ﴾: فعل ماض جامد لإنشاء التعجب مبنيّ على الفتح الظاهر، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره: هو، يعود إلى "ما"، و "الهاء": ضمير متّصل مبنيّ على الضمّ في محلّ نصب مفعول به، و"الميم": للجمع، والجملة الفعلية "أصبرهم" في محلّ رفع خبر المبتدأ "ما"، وجملة المبتدأ والخبر استئنافية لا محلّ لها من الإعراب.

﴿عَلَى﴾: حرف جرّ مبنيّ على السكون لا محلّ له من الإعراب.

﴿النَّارِ﴾: اسم مجرور بعلى، وعلامة جره الكسرة الظاهرة، والجارّ والمجرور متعلّقان بأصبر.

البلاغة:

في قوله تعالىٰ: {أولئك} جعلته مبتدأ مستقلاً مع جملته فالجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً لبيان سبب انغماسهم في عذاب النار؛ لأنه وعيد عظيم جداً يستوجب أن يسأل عنه السائل فيبين بأنهم أخذوا الضلال ونبذوا الهدى واختاروا العذاب ونبذوا المغفرة، ومجيء المسند إليه حينئذٍ اسم إشارة لتفظيع حالهم؛ لأنه يشير لهم بوصفهم السابق وهو كتمان ما أنزل الله من الكتاب.

استعارة مكنية في قوله تعالىٰ: {اشتروا الضلالة بالهدىٰ والعذاب بالمغفرة}، حيث شبه الضلالة والهدىٰ والعذاب والمغفرة بأشياء ملموسة ونقدية تباع وتشترىٰ وحذفت المشبه به وجيء بشيء من لوازمه مثل {اشتروا}.

وقوله: {فما أصبرهم على النار} تعجيب من شدة صبرهم على عذاب النار، ولما كان شأن التعجيب أن يكون ناشئاً عن مشاهدة صبرهم على العذاب وهذا الصبر غير حاصل في وقت نزول هاته الآية بني التعجيب على تنزيل غير الواقع منزلة الواقع لشدة استحضار السامع إياه بما وصف به من الصفات الماضية، وهذا من طرق جعل المحقق الحصول في المستقبل بمنزلة الحاصل.

2. [سورة النساء: 44] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾

معنى الآية:

ألم تعلم -أيها الرسول- أمر اليهود الذين أُعطوا حظًّا من العلم مما جاءهم من التوراة، يستبدلون الضلالة بالهدى، ويتركون ما لديهم من الحجج والبراهين، الدالة على صدق رسالة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، ويتمنون لكم -أيها المؤمنون المهتدون- أن تنحرفوا عن الطريق المستقيم؛ لتكونوا ضالين مثلهم.

النحو:

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام، لم: حرف نفي وجزم وقلب.

﴿تَرَ﴾: فعل مضارع مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره: أنت.

﴿إِلَى﴾: حرف جرّ، ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبنيّ على السكون في محلّ جرّ بحرف الجر، والجار والمجرور متعلقان بـ"تر".

﴿أُوتُوا﴾: فعل ماضٍ للمجهول مبنيّ على الضم، و "الواو" ضمير متصل في محل رفع نائب فاعل.

﴿نَصِيبًا﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾: جارّ ومجرور متعلقان بنعت لـ "نصيب"، ﴿يَشْتَرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو: فاعل، ﴿الضَّلَالَةَ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

﴿وَيُرِيدُونَ﴾: الواو: حرف عطف، يريدون: مثل "يشترون".

﴿أَنْ﴾: حرف مصدريّ ونصب.

﴿تَضِلُّوا﴾: فعل مضارع منصوب، وعلامة نصبه حذف النون، والواو: فاعل.

﴿السَّبِيلَ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

البلاغة:

جملة {ألم تر} إلى {الكتاب} جملة يقصد منها التعجيب، والاستفهام فيها تقريري عن نفي فعل لا يودّ المخاطب انتفاءه عنه، ليكون ذلك محرّضا على الإقرار بأنه فعَل، وهو مفيد مع ذلك للتعجيب.

وجملة يشترون حالية فهي قيْد لجملة {ألم تر}، وحالة اشترائهم الضلالة وإن كانت غير مشاهدة بالبصر فقد نزّلت منزلة المشاهَد المرئيّ، لأنّ شهرة الشيء وتحقّقه تجعله بمنزلة المَرْئي.

والاشتراء مجاز في الاختيار والسعي لتحصيل الشيء، استعارة مكنية في قوله تعالى: {يشترون الضلالة}، حيث شبه الضلالة بأشياء ملموسة تباع وتشترى وحذفت المشبه به وجيء بشيء من لوازمه مثل {يشترون}، واستخدام صيغة المضارعة في {يشترون} و {يريدون} تدل على الاستمرارية.

3. [سورة الأعراف: 30] ﴿فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾

معنى الآية:

جعل الله عباده فريقين: فريقًا وفَّقهم للهداية إلى الصراط المستقيم، وفريقًا وجبت عليهم الضلالة عن الطريق المستقيم، إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله، فأطاعوهم جهلًا منهم وظنًا بأنهم قد سلكوا سبيل الهداية.

النحو:

﴿فَرِيقًا﴾: مفعول به بفعل مضمر يفسره ما بعده بتقدير: هدى فريقًا منكم للإيمان.

﴿هَدَى﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح المقدر على الألف للتعذّر، وجملة "فريقًا هدى" استئنافية لا محلّ لها من الإعراب، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو، وجملة "هدي" تفسيرية لا محلّ لها من الإعراب.

﴿وَفَرِيقًا﴾: الواو: حرف عطف، فريقًا: مفعول به بفعل مضمر على تقدير: وخذل فريقًا، والجملة معطوفة لا محلّ لها من الإعراب.

﴿حَقَّ﴾: فعل ماضٍّ مبني على الفتح، ﴿عَلَيْهِمُ﴾: جار ومجرور متعلقان بـــ"حق"، و"هم": ضمير الغائبين مبنيّ على السكون في محلّ جرّ بـ"علي"، وحرك الميم بالضمة للإشباع.

﴿الضَّلَالَةُ﴾: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، وجملة "حق عليهم الضلالة" في محلّ نصب نعت لـ"فريقًا".

﴿إِنَّهُمُ﴾: إنّ: حرف نصب وتوكيد مشبّه بالفعل، و"هم": ضمير الغائبين مبنيّ على السكون في محل نصب اسم "إنّ" وحرك الميم بالضم للإشباع.

﴿اتَّخَذُوا﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الضم، لاتصاله بواو الجماعة، الواو ضمير متّصل مبنيّ في محل رفع فاعل، و"الألف" فارقة، وجملة "اتخذوا" وما بعدها: في محل رفع خبر "إنّ".

﴿الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ﴾: مفعولا "اتخذ" منصوبان بالفتحة.

﴿مِنْ دُونِ﴾: جار ومجرور متعلقان بصفة لـ"أولياء".

﴿اللَّهِ﴾: لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿وَيَحْسَبُونَ﴾: الواو: حالية، يحسبون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو ضمير متّصل مبنيّ في محل رفع فاعل، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ المقدّر، والجملة الاسمية "وهم يحسبون" في محل نصب حال.

﴿أَنَّهُمْ﴾: أنّ: حرف توكيد مشبّه بالفعل، و"هم": ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع خبر "أنّ".

﴿مُهْتَدُونَ﴾: خبر "أن" مرفوع بالواو، لأنه جمع مذكر سالم، وأنّ وما بعدها بتأويل مصدر سدّ مسدّ مفعولي "يحسب".

البلاغة:

في قوله تعالى: {فريقًا هدى وفريقًا حق عليهم الضلالة} اكتُفي عن إجمال الفريقين ثم تفصيلِهما بالتّفصيل الدّال على الإجمال تعجيلاً بذكر التّفصيل لأنّ المقام مقام ترغيب وترهيب، وهذا كلّه إنذار من الوقوع في الضّلالة، وتحذير من اتّباع الشّيطان، وتحريض على توخي الاهتداء الذي هو من الله تعالى.

ويظهر حسن موقع لفظ: {حق} دون أن يقال أضلّه الله، لأنّ ضلالهم قديم مستمر اكتسبوه لأنفسهم، وجُرد فعل حقّ عن علامة التّأنيث لأنّ فاعله غير حقيقي التّأنيث، وقد أظهرت علامة التّأنيث في نظيره في قوله تعالى: {ومنهم من حقت عليه الضلالة} [سورة النحل: 36].

وقوله تعالى: {إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله} استئناف مراد به، وهذا شأن (إنّ) إذا وقعت في صدر جملة عقب جملة أخرى أن تكون للرّبط والتّعليل وتغني غَنَاء الفاء.

4. [سورة مريم: 75] ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾[1]

معنى الآية:

قل -أيها الرسول- لهم: من كان ضالا عن الحق غير متبع طريق الهدى، فالله يمهله ويملي له في ضلاله، حتى إذا رأى - يقينًا - ما توعَّده الله به: إما العذاب العاجل في الدنيا، وإما قيام الساعة، فسيعلم - حينئذ - مَن هو شر مكانًا ومستقرًا، وأضعف قوة وجندًا.

النحو:

﴿قُلْ﴾: فعل أمر مبنيّ على السكون، والفاعل: ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره: أنت.

﴿مَنْ﴾: اسم شرط جازم مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ.

﴿كَانَ﴾: فعل ماضٍ ناقص، واسمه ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿فِي الضَّلَالَةِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان خبر "كان".

﴿فَلْيَمْدُدْ﴾: الفاء: حرف رابط لجواب الشّرط، اللام: لام الأمر، يمدد: فعل مضارع مجزوم بالسكون، والفاعل: ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿لَهُ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"يمدد"، ﴿الرَّحْمَنُ﴾: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

[1] فليمدد له: يُمهله استدراجًا؛ أضعف جندًا: أقلّ أعوانًا وأنصارًا.

﴿مَدًّا﴾: مفعول مطلق منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

﴿حَتَّى﴾: حرف ابتداء، ﴿إِذَا﴾: ظرف زمان للمستقبل متضمن معنى الشّرط مبنيّ في محلّ نصب مفعول فيه متعلّق بالجواب، ﴿رَأَوْا﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الضم المقدّر على الألف المحذوفة، و"الواو" ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، ﴿مَا﴾: اسم موصول مبنيّ في محلّ نصب مفعول به.

﴿يُوعَدُونَ﴾: فعل مضارع للمجهول مرفوع بثبوت النون، و"الواو" ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع نائب الفاعل.

﴿إِمَّا﴾: حرف تقسيم وتجزئة، ﴿الْعَذَابَ﴾: بدل من "إما" منصوب بالفتحة.

﴿وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾: مثل "إمّا العذاب" ومعطوف عليه.

﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾: الفاء: حرف رابط لجواب الشّرط، السين: حرف استقبال، يعلمون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، و"الواو" ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل.

﴿مَنْ﴾: اسم موصول مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل لا محلّ له من الإعراب.

﴿شَرٌّ﴾: خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿مَكَانًا﴾: تمييز منصوب بالفتحة، ﴿وَأَضْعَفُ﴾: اسم معطوف على "شر" مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، ﴿جُنْدًا﴾: تمييز منصوب بالفتحة.

وجملة "قل" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافيّة، وجملة "من كان" في محلّ نصب "مقول القول"، وجملة "كان" فليمدد في محلّ رفع خبر المبتدأ "من"، وجملة "يمدد له الرحمن" في محلّ جزم جواب الشّرط، وجملة "رأوا" في محلّ جرّ مضاف إليه، وجملة "يوعدون" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها صلة الموصول "ما"، وجملة "سيعلمون" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها جواب شرط غير جازم، وجملة "من هو شر" جملة اسمية سدّت مسدّ مفعولي سيعلمون.

البلاغة:

هذه الآية الكريمة كانت جواب قولهم {أي الفريقين خيرٌ مقامًا وأحسنُ نديًّا} [سورة مريم: 73]، لقن الله رسوله ﷺ كشف مغالطتهم أو شبهتهم؛ فأعلمهم بأن ما هم فيه من نعمة الدنيا إنما هو إمهال من الله إيّاهم، لأنّ ملاذ الكافر استدراج.

اللاّم في قوله {فليمدد له الرحمان مدًا} لام الأمر أو الدعاء، استعملت مجازاً في لازم معنى الأمر، أي التحقيق، أي فسيمد له الرحمان مدًّا، أي إن ذلك واقع لا محالة على سنّة الله في إمهال الضُّلال، إعذاراً لهم، و {مَدًّا} مفعول مطلق مؤكد لعامله، أي فليمدد له المدّ الشديد.

و {حتى} لغاية المد، وهي ابتدائية، أي يمدّ له الرحمان إني أن يَروا ما يوعدون، أي لا محيص لهم عن رؤية ما أوعدوا من العذاب ولا يدفعه عنه طول مدّتهم في النّعمة. فتكون الغاية مضمون الجملة التي بعدها {حتى} لا لفظاً مفرداً، وهو حرف الاستقبال لتوكيد حصول العلم لهم حينئذ وليس للدّلالة على الاستقبال لأنّ الاستقبال استفيد من الغاية.

و {إمّا} حرف تفصيل لـ {ما يوعدون}، أي ما أوعدوا من العذاب إما عذاب الدنيا وإما عذاب الآخرة، فإن كلّ واحد منهم لا يعدو أن يرى أحد العذابين أو كليهم، وانتصب لفظ {العذاب} على المفعولية لـ{يَروْا}.

المسألة رقم 7:

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾[1] [سورة البقرة: 17]

معنى الآية:

حال المنافقين الذين آمنوا -ظاهرًا لا باطنًا- برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، ثم كفروا، فصاروا يتخبطون في ظلماتِ ضلالهم وهم لا يشعرون، ولا أمل لهم في الخروج منها، تُشْبه حالَ جماعة في ليلة مظلمة، وأوقد أحدهم نارًا عظيمة للدفء والإضاءة، فلما سطعت النار وأنارت ما حوله، انطفأت وأعتمت، فصار أصحابها في ظلمات لا يرون شيئًا، ولا يهتدون إلى طريق ولا مخرج.

النحو:

﴿مَثَلُهُمْ﴾: مبتدأ ثان مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، والهاء: ضمير متّصل مبنيّ في محلّ جرّ بالإضافة، و"الميم": علامة جمع الذكور.

﴿كَمَثَلِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بخبر المبتدأ الثاني، والجملة الاسمية "مثلهم وما بعدها" في محلّ رفع خبر المبتدأ الأول "أولئك"، ويجوز أن يكون "مثلهم" مبتدأ ثان، و"الكاف" للتشبيه في محلّ رفع خبره؛ لأنها بمعنى "مثل".

[1] مثلُهُم: حالُهُم العجيبة، أو صفتهم؛ استوقد نارًا: أوقدها.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول مبنيّ على السكون في محلّ جرّ بالإضافة.

﴿اسْتَوْقَدَ﴾: فعل ماض مبنيّ على الفتح، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو، وجملة "استوقد" لا محلّ لها من الإعراب لأنها صلة الموصول.

﴿نَارًا﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء حرف استئناف، لما: اسم شرط غير جازم مبنيّ على السكون في محلّ نصب على الظرفية الزمانية.

﴿أَضَاءَتْ﴾: فعل ماض مبنيّ على الفتح والتاء: تاء التأنيث الساكنة لا محلّ لها من الإعراب، والفاعل: ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هي، وجملة "أضاءت" في محلّ جرّ مضاف إليه، وهي جملة فعل الشرط.

﴿مَا﴾: اسم موصول مبنيّ على السكون في محلّ نصب مفعول به.

﴿حَوْلَهُ﴾: ظرف مكان منصوب بالفتحة، متعلّق بصلة الموصول، والتقدير: بما هو كائن حوله، و"الهاء": ضمير متّصل مبنيّ على الضمّ في محلّ جرّ بالإضافة.

﴿ذَهَبَ﴾: ذهب: فعل ماض مبنيّ على الفتح.

﴿اللَّهُ﴾: لفظ الجلالة فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، وجملة "ذهب الله" جواب شرط غير جازم لا محلّ لها من الإعراب.

﴿بِنُورِهِمْ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"ذهب"، و"هم" ضمير متّصل مبنيّ في محلّ جرّ بالإضافة.

﴿وَتَرَكَهُمْ﴾: الواو: حرف عطف، "تركهم": فعل ماض مبنيّ على الفتح والفاعل: ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو، و"هم" ضمير متّصل مبنيّ في محلّ نصب مفعول به.

﴿فِي ظُلُمَاتٍ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بتركهم أو بمفعول به ثانٍ لأن المعنى: "وصيرهم".

﴿لَا﴾: حرف نفي.

﴿يُبْصِرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون لأنَّه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، والجملة الفعلية "لا يبصرون" في محلّ نصب حال.

البلاغة:

أعقبت تفاصيل صفاتهم بتصوير مجموعها في صورة واحدة، بتشبيه حالهم بهيئة محسوسة، وهذه طريقة تشبيه التمثيل، إلحاقاً لتلك الأحوال المعقولة بالأشياء المحسوسة، لأن النفس أميل إلى المحسوس،

وإتماماً للبيان بجمع المتفرقات في السـمع، المطالة في اللفظ، في صـورة واحدة لأن للإجمال بعد التفصـيل وقعاً من نفوس السامعين.

والتمثيل منزع جليل بديع من منازع البلغاء لا يبلغ إلى محاسنه غير خاصتهم، من قبيل التشبيه لا من الاستعارة لأن فيه ذكر المشبه والمشبه به وأداة التشبيه وهي لفظ {مثل}.

يوجد طباق بين {نورهم} و{ظلمات} يؤكد المعنى ويوضحه، وجمع {ظلمات} لقصد بيان شدة الظلمة.

وجملة {لا يبصرون} تظهر بيان تصوير حال من انطفأ نورُه بعد أن استضاء به، ومفعول {لا يبصرون} محذوف لقصد عموم نفي المبصرات فتنزل الفعل منزلة اللازم ولا يقدَّر له مفعول كأنه قيل لا إحساس بصر لهم.

جزء التشابه: مثلهم كمثل، ووردت كلمة (مثله) في 35 آية من القرآن الكريم

1. [سورة البقرة: 171] ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[1]

معنى الآية:

وصفة الذين كفروا وداعيهم إلى الهدى والإيمان كصفة الراعي الذي يصيح بالبهائم ويزجرها، وهي لا تفهم معاني كلامه، وإنما تسمع النداء ودَوِيَّ الصوت فقط. هؤلاء الكفار صُمٌّ سدُّوا أسماعهم عن الحق، بُكْم أخرسوا ألسنتهم عن النطق به، عُمْي لا ترى أعينهم براهينه الباهرة، فهم لا يعملون عقولهم فيما ينفعهم.

النحو:

﴿وَمَثَلُ﴾: الواو حرف استئناف مبنيّ على الفتح لا محلّ له من الإعراب، مثل: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، وهو مضاف.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبنيّ على الفتح في محلّ جرّ مضاف إليه.

﴿كَفَرُوا﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الضم لاتصاله بواو الجماعة، وواو الجماعة ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ رفع فاعل، وجملة "كفروا" صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب.

[1] ينْعِق: يُصوّت ويصيح؛ بُكمٌ: خرسٌ عن النّطق بالحقّ.

﴿كَمَثَلِ﴾: الكاف: حرف جرّ وتشبيه مبنيّ على الفتح لا محلّ له من الإعراب، مثل: اسم مجرور بالكاف، وعلامة جره الكسرة الظاهرة، وهو مضاف، والجارّ والمجرور متعلّقان بمحذوف خبر المبتدأ، وجملة المبتدأ والخبر استئنافية إلا محلّ لها من الإعراب.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول مبنيّ على السكون في محلّ جرّ مضاف إليه.

﴿يَنْعِقُ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو، وجملة "ينعق صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب.

﴿بِمَا﴾: الباء حرف جرّ مبنيّ على الكسر لا محلّ له من الإعراب، ما: اسم موصول . مبنيّ على السكون في محلّ جرّ بالباء، والجارّ والمجرور متعلّقان بالفعل ينعق".

﴿لَا﴾: حرف نفي مبنيّ على السكون لا محلّ له من الإعراب.

﴿يَسْمَعُ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو، يعود إلى "ما".

﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء مهمل يفيد الحصر مبنيّ على السكون لا محلّ له من الإعراب.

﴿دُعَاءً﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة.

﴿وَنِدَاءً﴾: الواو حرف عطف مبنيّ على الفتح لا محلّ له من الإعراب، ونداء: معطوف على دعاء منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، وجملة "لا يسمع إلا دعاء ونداء صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب.

﴿صُمٌّ﴾: خبر مبتدأ محذوف تقديره: هم صم، والجملة من المبتدأ والخبر استئنافية لا محلّ لها من الإعراب.

﴿بُكْمٌ﴾: خبر ثان مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة.

﴿عُمْيٌ﴾: خبر ثالث مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة.

﴿فَهُمْ﴾: الفاء: حرف عطف مبنيّ على الفتح لا محلّ له من الإعراب، هم: ضمير منفصل مبنيّ على السكون في محلّ رفع مبتدأ.

﴿لَا﴾: حرف نفي مبنيّ على السكون لا محلّ له من الإعراب.

﴿يَعْقِلُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنَّه من الأفعال الخمسة، و "الواو" ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ رفع فاعل، والجملة في محلّ رفع خبر المبتدأ، وجملة "فهم لا يعقلون" معطوفة على الجملة السابقة لا محلّ لها من الإعراب.

البلاغة:

في الآية تشبيه تمثيلي، والمثل هنا لَمَّا أضيف إلى {الذين كفروا} كان ظاهراً في تشبيه حالهم عند سماع دعوة النبي ﷺ إياهم إلى الإسلام بحال الأنعام عند سماع دعوة من ينعق بها في أنهم لا يفهمون إلاّ أن النبي ﷺ يدعوهم إلى متابعته من غير تبصر في دلائل صدقه وصحة دينه، فكلٌّ من الحالة المشبهة والحالة المشبه بها يشتمل على أشياء: داعٍ ومدعو ودعوة، وفَهْم وإعراض وتصميم، وكل من هاته الأشياء التي هي أجزاء التشبيه المركب صالح لأن يكون مشبهاً بجزء من أجزاء المشبه به، وهذا من أبدع التمثيل وقد أوجزتْه الآية إيجازاً بديعاً، وللكفار هنا حالتان: إحداهما حالة الإعراض عن داعي الإسلام، والثانية حالة الإقبال على عبادة الأصنام.

وقوله: {صم بكم عمى} أخبار لمحذوف على طريقة الحذف المعبر عنه في علم المعاني بمتابعة الاستعمال بعد أن أجرى عليهم التمثيل، والأوصاف إن رجعت للمشركين فهي تشبيه بليغ وهو الظاهر وإن رجعت إلى الأصنام المفهومةِ مِنْ يَنعق على أحد الاحتمالين المتقدمين فهي حقيقة وتكون شاهداً على صحة الوصف بالعدم لمن لا يصح اتصافه بالملكة كقولك للحائط: هو أعمى، إلاّ أن يجاب بأن الأصنام لما فرضها المشركون عقلاء آلهة وأريد إثبات انعدام الإحساس منهم عبر عنها بهذه الأوصاف تهكماً بالمشركين فقيل: صم بكم عمي.

وقوله: {فهم لا يعقلون} تقريع كمجيء النتيجة بعد البرهان، فإن كان ذلك راجعاً للمشركين فالاستنتاج عقب الاستدلال ظاهر لخفاء النتيجة في بادىء الرأي، أي إن تأملتم وجدتموهم لا يعقلون.

2. [سورة البقرة: 264] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[1]

معنى الآية:

يا من آمنتم بالله واليوم الآخر لا تُذْهِبُوا ثواب ما تتصدقون به بالمنِّ والأذى، فهذا شبيه بالذي يخرج ماله ليراه الناس، فيُثنوا عليه، وهو لا يؤمن بالله ولا يوقن باليوم الآخر، فمثل ذلك مثل حجر أملس عليه تراب هطل عليه مطر غزير فأزاح عنه التراب، فتركه أملس لا شيء عليه، فكذلك هؤلاء المراؤون تضمحلُّ أعمالهم عند الله، ولا يجدون شيئًا من الثواب على ما أنفقوه. والله لا يوفق الكافرين لإصابة الحق في نفقاتهم وغيرها.

[1] رئاء النّاس: مُراءة لهم وسُمعة لا لوجهه تعالى؛ صفوان: حجر كبير أملس؛ وابل: مطر شديد عظيم القطر؛ صلدًا: أجردَ نقيًّا من التراب.

النحو:

﴿يَاأَيُّهَا﴾: يا: حرف نداء مبنيّ على السكون، "أيها": "أي": منادى نكرة مقصودة مبنيّ على الضم في محلّ نصب مفعول به، و"ها" حرف تنبيه مبنيّ على السكون.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبنيّ على الفتح في محلّ نصب (أو رفع) بدل من "أي".

﴿آمَنُوا﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الضم لاتصاله بواو الجماعة، و"الواو" ضمير متصلّ مبنيّ على السكون في محلّ رفع فاعل، وجملة "آمنوا" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها صلة الموصول.

وجملة "أيها الذين آمنوا" استئنافيّة لا محلّ لها من الإعراب.

﴿لَا﴾: حرف نهي مبنيّ على السكون.

﴿تُبْطِلُوا﴾: فعل مضارع مجزوم بحذف النون، لأنّه من الأفعال الخمسة، و"الواو" ضمير متصلّ مبنيّ على السكون في محلّ رفع فاعل.

﴿صَدَقَاتِكُمْ﴾: "صدقاتِ": مفعول به منصوب بالكسرة عوضًا من الفتحة، لأنه جمع مؤنّث سالم، و"كم" ضمير متصلّ مبنيّ على السكون في محلّ جرّ بالإضافة بِالْمَنِّ: الباء حرف جرّ مبنيّ على الكسر، و"المن ": اسم مجرور بالكسرة الظاهرة، والجارّ والمجرور متعلّقان بـ"تبطلوا".

﴿وَالْأَذَى﴾: الواو حرف عطف مبنيّ على الفتح، و"الأذى" اسم معطوف على "المنّ" مجرور بالكسرة المقدّرة على الألف للتعذّر، وجملة "لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها جواب النداء، أو استئنافيّة.

﴿كَالَّذِي﴾: الكاف حرف جرّ مبنيّ على الفتح، و"الذي" اسم موصول مبنيّ على السكون في محلّ جرّ بحرف الجر، والجار والمجرور متعلّقان بمحذوف مفعول مطلق تقديره: "لا تبطلوها إبطالًا كإبطال الذي...".

يُنْفِقُ: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿مَالَهُ﴾: "مالَ": مفعول به منصوب بالفتحة الظاهرة، و"الهاء": ضمير متصلّ مبنيّ على الضمّ في محلّ جرّ بالإضافة.

﴿رِئَاءَ﴾: مفعول لأجله منصوب بالفتحة الظاهرة، وهو مضاف.

﴿النَّاسِ﴾: مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة على آخره، وجملة "ينفق ماله رئاء الناس" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها صلة الموصول "الذي".

﴿وَلَا﴾: الواو حرف عطف مبنيّ على الفتح، و"لا" حرف نفي مبنيّ على السكون.

﴿يُؤْمِنُ﴾: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿بِاللَّهِ﴾: الباء حرف جرّ مبنيّ على الكسرة، و"الله" لفظ الجلالة اسم مخفوض بالكسرة الظاهرة، والجار والمجرور متعلّقان بـ"يؤمن".

﴿وَالْيَوْمِ﴾: الواو حرف عطف مبنيّ على الفتح، و"اليوم" اسم معطوف مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

﴿الْآخِرِ﴾: نعت لـ"اليوم" مجرور بالكسرة الظاهرة، وجملة "لا يؤمن بالله واليوم الآخر" معطوفة على جملة "ينفق ماله".

﴿فَمَثَلُهُ﴾: الفاء تعليلية حرف مبنيّ على الفتح، و"مثل" مبتدأ مرفوع بالضمة الظاهرة في آخره، و"الهاء": ضمير متصلّ مبنيّ على الضم في محلّ جرّ بالإضافة.

﴿كَمَثَلِ﴾: الكاف حرف جرّ مبنيّ على الفتح، و"مثل" اسم مجرور بالكسرة الظاهرة، وهو مضاف.

والجار والمجرور متعلّقان بمحذوف خبر "مثلُ".

﴿صَفْوَانٍ﴾: مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة، وجملة "مثله كمثل صفوان" لا محلّ لها من الإعراب لأنّها تعليليّة.

﴿عَلَيْهِ﴾: "على": حرف جرّ مبنيّ على السكون، و"الهاء": ضمير متصلّ مبنيّ على الكسر في محلّ جرّ بحرف الجر، والجار والمجرور متعلّقان بمحذوف خبر مقدم.

﴿تُرَابٌ﴾: مبتدأ مؤخّر مرفوع بالضمة الظاهرة في آخره، وجملة "عليه تراب" في محلّ جرّ نعت لِـ "صفوان".

﴿فَأَصَابَهُ﴾: الفاء حرف عطف مبنيّ على الفتح، و"أصاب": فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح، و"الهاء": ضمير متّصل مبنيّ على الضمّ في محلّ نصب مفعول به.

﴿وَابِلٌ﴾: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، وجملة "أصابه وابل" في محلّ جرّ معطوفة على جملة "عليه تراب" في محلّ جرّ نعت.

﴿فَتَرَكَهُ﴾: الفاء حرف عطف مبنيّ على الفتح، و"ترك" فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو، و"الهاء": ضمير متّصل مبنيّ على الضم في محلّ نصب مفعول به.

﴿صَلْدًا﴾: مفعول به ثان منصوب بالفتح الظاهر، وجملة "تركه صلدًا" في محلّ جرّ معطوفة على جملة "أصابه وابل".

﴿لَا﴾: حرف نفي مبنى على السكون، ﴿يَقْدِرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، لأنّه من الأفعال الخمسة، و"الواو" ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ رفع فاعل.

﴿عَلَى﴾: حرف جرّ مبنيّ على السكون.

﴿شَيْءٍ﴾: اسم مجرور بالكسرة الظاهرة، والجارّ والمجرور متعلّقان بـ"يقدرون"، وجملة "لا يقدرون على شيء" استئنافيّة لا محلّ لها من الإعراب.

﴿مِمَّا﴾: "من": حرف جرّ مبنيّ على السكون، و"ما" اسم موصول مبنيّ على السكون في محلّ جرّ بحرف الجر، والجارّ والمجرور متعلّقان بمحذوف نعت لِـ"شيء".

﴿كَسَبُوا﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الضم لاتصاله بواو الجماعة، و"الواو" ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ رفع فاعل، وجملة "كسبوا" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها صلة الموصول.

﴿والله﴾: الواو حرف استئناف مبنيّ على الفتح، و"الله" لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿لَا﴾: حرف نفي مبنيّ على السكون.

﴿يَهْدِى﴾: فعل مضارع مرفوع بالضمّة المقدّرة على الياء للثّقل، والفاعل ضمير مستتر جوازًا تقديره: هو.

﴿الْقَوْمَ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظّاهرة على آخره.

﴿الْكَافِرِينَ﴾: نعت لِـ "قوم" منصوب بالياء، لأنّه جمع مذكّر سالم.

وجملة "لا يهدي القوم الكافرين" في محلّ رفع خبر المبتدأ "الله"، وجملة "الله لا يهدي القوم الكافرين" استئنافيّة لا محلّ لها من الإعراب.

البلاغة:

تشبيه بعض المتصدّقين المسلمين الذين يتصدّقون طلباً للثواب ويعقبون صدقاتهم بالمَنّ والأذى، بالمنفقين الكافرين الذين ينفقون أموالهم لا يطلبون من إنفاقها إلاّ الرئاء والمدحة إذ هم لا يتطلّبون أجر الآخرة، ووجه الشبه عدم الانتفاع مِمَّا أعطوا بأزيدَ من شفاء ما في صدورهم من حبّ التطاول على الضعفاء وشفاء خُلق الأذى المتطبعين عليه دون نفع في الآخرة.

ومُثّل حال الذي ينفق ماله رئاء الناس المشبِه به تمثيلاً يسري إلى الذين يُتبعون صدقاتهم بالمنّ والأذى بقوله: {فمثله كمثل صفوان} وضمير مثله عائد إلى الذي ينفق ماله رئاء للناس، لأنّه لما كان تمثيلاً لحال المشبّه به كان لا محالة تمثيلاً لحال المشبّه، ففي الكلام ثلاثة تشبيهات، ومثَّل حال الكافر الذي ينفق ماله

رئاء الناس بحال صفوان عليه تراب يغشيه، يعني يَخاله الناظر تربة كريمة صالحة للبذر، فتقدير الكلام عليه تراب صالحٌ للزرع فحذفت صفة التراب إيجازاً اعتماداً على أنّ التراب الذي يرقب الناس أن يصيبه الوابل هو التراب الذي يبذرون فيه، فإذا زرعه الزارع وأصابه وابل وطمع الزارع في زكاء زرعه، جرفه الماء من وجه الصفوان فلم يترك منه شيئاً وبقي مكانُه صلداً أملس فخاب أمل زارعه.

فالتشبيه تشبيه مركب معقول بمركب محسوس، ووجه الشبه الأمل في حالة تغر بالنفع ثم لا تلبث ألاّ تأتي لآملها بما أمَّله فخاب أمله. ذلك أنّ المؤمنين لا يخلون من رجاء حصول الثواب لهم من صدقاتهم، ويكثر أن تعرض الغفلة للمتصدّق فيُتبع صدقته بالمنّ والأذى اندفاعاً مع خواطر خبيثة.

وجملة {والله لا يهدي القوم الكافرين} تذييل والواو اعتراضية وهذا التذييل مسوق لتحذير المؤمنين من تسرّب أحوال الكافرين إلى أعمالهم فإنّ من أحوالهم المنّ على من ينفقون وأذاه.

3. [سورة الأعراف: 176] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]

معنى الآية:

ولو شئنا أن نرفع قدره بما آتيناه من الآيات لفعلنا، ولكنه رَكَنَ إلى الدنيا واتبع هواه، وآثر لَذَّاته وشهواته على الآخرة، وامتنع عن طاعة الله وخالف أمره. فَمَثَلُ هذا الرجل مثل الكلب، إن تطرده أو تتركه يُخْرج لسانه في الحالين لاهثًا، فكذلك الذي انسلخ من آيات الله يظل على كفره إن اجتهدْتَ في دعوتك له أو أهملته، هذا الوصف -أيها الرسول- وصف هؤلاء القوم الذين كانوا ضالين قبل أن تأتيهم بالهدى والرسالة، فاقصص -أيها الرسول- أخبار الأمم الماضية، ففي إخبارك بذلك أعظم معجزة، لعل قومك يتدبرون فيما جئتهم به فيؤمنوا لك.

النحو:

﴿وَلَوْ﴾: الواو: حرف استئناف، لو: حرف شرط غير جازم.

﴿شِئْنَا﴾: فعل ماضٍ ناقص مبنيّ على السّكون، لاتصاله بضمير رفع متحرك، و"نا": ضمير متّصل مبنيّ على السّكون في محلّ رفع فاعل.

[1] أخلد إلى الأرض: ركن إلى الدّنيا ورضي بها؛ تحمل عليه: تشدُد عليه وتزجره، يلهث: يُخرج لسانه بالنّفَس الشديد.

﴿لَرَفَعْنَاهُ﴾: اللّام: حرف واقع في جواب "لو"، رفعنا: تعرب إعراب "شئنا"، والهاء: ضمير متّصل مبنيّ على الضم في محلّ نصب مفعول به.

﴿بِهَا﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"رفعناه"، وجملة "لرفعناه بها" جواب شرط غير جازم لا محلّ لها من الإعراب.

﴿وَلَكِنَّهُ﴾: الواو: حرف استئناف، لكن: حرف توكيد مشبّه بالفعل للاستدراك، والهاء: ضمير متّصل مبنيّ على الضم في محلّ نصب اسمها.

﴿أَخْلَدَ﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"أخلد"، وجملة "أخلد في الأرض" في محلّ رفع خبر "لكن"، وجملة "لكنه أخلد إلى الأرض" استئنافيّة لا محلّ لها من الإعراب.

﴿وَاتَّبَعَ﴾: معطوفة بالواو على "أخلد"، وتعرب إعرابها.

﴿هَوَاهُ﴾: هوى: مفعول به منصوب بالفتحة المقدّرة على الألف للتعذّر، و "الهاء": ضمير متّصل مبنيّ على الضم في محلّ جرّ بالإضافة.

﴿فَمَثَلُهُ﴾: الفاء: حرف استئناف، مثل: مبتدأ مرفوع بالضمّة، و "الهاء": ضمير متّصل مبنيّ على الضم في محلّ جرّ مضاف إليه، ﴿كَمَثَلِ﴾: الكاف: حرف جرّ، مثل: اسم مجرور بالكاف، وعلامة جره الكسرة، والجارّ والمجرور متعلّقان بخبر المبتدأ.

﴿الْكَلْبِ﴾: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره، والجملة استئنافيّة لا محلّ لها من الإعراب.

﴿إِنْ﴾: حرف شرط جازم، ﴿تَحْمِلْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ"إنْ"، وعلامة جزمه السّكون، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره، أنت.

﴿عَلَيْهِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"تحمل".

﴿يَلْهَثْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ"إنْ"، وعلامة جزمه السّكون، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿أَوْ﴾: حرف عطف.

﴿تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾: معطوفة على "تحمل عليه يلهث" وتعرب إعرابها، و "الهاء": في "تتركه" ضمير متّصل مبنيّ على الضم في محلّ نصب مفعول به، ومحل الجملة الشرطية النصب على الحال بتقدير: كمثل الكلب ذليلًا لاهثًا في الحالتين.

﴿ذَلِكَ﴾: ذا: اسم إشارة مبنيّ على السّكون في محلّ رفع مبتدأ، اللام: حرف للبعد، و "الكاف": حرف خطاب.

﴿مَثَلُ﴾: خبر المبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره.

﴿الْقَوْمِ﴾: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبنيّ على الفتح في محلّ جرّ صفة للقوم.

﴿كَذَّبُوا﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الضم، لاتصاله بواو الجماعة، و"الواو" ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، و "الألف" فارقة.

﴿بِآيَاتِنَا﴾: بآيات: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"كذبوا"، و "نا": ضمير متّصل مبنيّ على السّكون في محلّ جرّ بالإضافة، وجملة "كذبوا بآياتنا" صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب.

﴿فَاقْصُصِ﴾: الفاء: حرف استئناف، اقصص: فعل أمر مبنيّ على السّكون، وحرّك بالكسر لالتقاء الساكنين، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره: أنت، ﴿الْقَصَصَ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، وجملة "اقصص" استئنافيّة لا محلّ لها من الإعراب.

﴿لَعَلَّهُمْ﴾: لعلّ: حرف توكيد مشبّه بالفعل، و"هم": ضمير متّصل مبنيّ على السّكون في محلّ نصب اسم "لعلّ".

﴿يتفكرون﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النّون، والواو ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، وجملة "يتفكرون" في محلّ رفع خبر لعلّ، وجملة "لعلهم يتفكرون" تعليلية لا محلّ لها من الإعراب.

البلاغة:

الكلام تمثيل لحال المتلبس بالنقائص والكفر بعد الإيمان والتقوى، بحال من كان مرتفعاً عن الأرض فنزل من اعتلاء إلى أسفل، فبذكر الأرض عُلمَ أن الإخلاد هنا ركون إلى السفل أي تلبس بالنقائص والمفاسد.

فهذا تشبيهُ تمثيل مُركب منتزعةٌ فيه الحالة المشبهة والحالةُ المشبه بها من متعدد، ولما ذُكر {تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث} في شق الحالة المشبه بها، تعين أن يكون لها مقابل في الحالة المشبهة، وتتقابل أجزاءُ هذا التمثيل بأن يشبّه الضال بالكلب، ويشبه شقاؤُه واضطرابُ أمره في مدة البحث عن الدين بلهث الكلب في حالة تركه في دعة، تشبيهَ المعقول بالمحسوس، ويشبّه شقاؤه في إعراضه عن الدين الحق عند مجيئه بلهث الكلب في حالة طرده وضربه تشبيه المعقول بالمحسوس.

وقوله: {اقْصص القصصَ لعلهم يتفكرون} تذييل للقصة الممثل بها يشملها وغيرها من القصص التي في القرآن، فإن في القصص تفكراً وموعظة، فيرجى منه تفكرهم وموعظتهم، لأن للأمثال واستحضار النظائر شاناً عظيماً في اهتداء النفوس بها وتقريب الأحوال الخفية إلى النفوس الذاهلة أو المتغافلة.

المسألة رقم 8:

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾[1] [سورة البقرة: 18]

معنى الآية:

هم صُمٌّ عن سماع الحق سماع تدبر، بُكْم عن النطق به، عُمْي عن إبصار نور الهداية؛ لذلك لا يستطيعون الرجوع إلى الإيمان الذي تركوه، واستعاضوا عنه بالضلال.

النحو:

﴿صُمٌّ﴾: خبر لمبتدأ محذوف تقديره: "هم"، مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿بُكْمٌ عُمْيٌ﴾: خبران آخران للمبتدأ مرفوعان بالضمة.

﴿فَهُمْ﴾: الفاء حرف عطف، هم: ضمير رفع منفصل معطوف على المبتدأ المحذوف "هم" في محلّ رفع مبتدأ.

﴿لَا﴾: حرف نفي، ﴿يَرْجِعُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون؛ لأنَّه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، والجملة الفعلية "لا يرجعون" في محلّ رفع خبر المبتدأ "هم".

البلاغة:

الصم والبكم والعمى جمع أصم وأعمى وأبكم، وهم من اتصف بالصمم والبكم والعمي، فالصمم انعدام إحساس السمع عمن من شأنه أن يكون سميعاً، والبكم انعدام النطق عمن من شأنه النطق، والعمي انعدام البصر عمن من شأنه الإبصار.

وقوله: {فهم لا يرجعون} تفريع على جملة: {صم بكم عمي}، لأن من اعتراه هذه الصفات انعدم منه الفهم والإفهام وتعذر طمع رجوعه إلى رشد أو صواب. والرجوع الانصراف من مكان حلول ثان إلى مكان حلول أول وهو هنا مجاز في الإقلاع عن الكفر.

---

[1] بكمٌ: خرسٌ عن النّطق بالحق.

جزء التشابه: صمٌ بكمٌ عميٌ

1. [سورة البقرة: 171] ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾، شُرِحَت من قبل.

المسألة رقم 9:

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[1] [سورة البقرة: 23]

معنى الآية:

وإن كنتم -أيها الكافرون المعاندون- في شَكٍّ من القرآن الذي نَزَّلناه على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وتزعمون أنه ليس من عند الله، فهاتوا سورة تماثل سورة من القرآن، واستعينوا بمن تقدرون عليه مِن أعوانكم، إن كنتم صادقين في دعواكم.

النحو:

﴿وَإِنْ﴾: الواو: حرف استئناف، "إن" حرف شرط جازم.

﴿كُنْتُمْ﴾: فعل ماض ناقص مبنيّ على السكون لاتصاله بضمير الرفع المتحرك، والتاء: ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع اسم "كان"، و"الميم": علامة جمع الذكور، والفعل في محلّ جزم فعل الشرط.

﴿فِي رَيْبٍ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بخبر "كنتم" المحذوف.

﴿مِمَّا﴾: مُكَوّنة من "من" حرف جرّ، و"ما" اسم موصول بمعنى "الذي" مبنيّ على السكون في محلّ جرّ بمن والجارّ والمجرور متعلّقان بـ"ريب"، أو بصفة محذوفة منها، والجملة المؤلفة من "كان" واسمها وخبرها استئنافية لا محلّ لها من الإعراب.

﴿نَزَّلْنَا﴾: فعل ماض مبنيّ على السكون لاتصاله بضمير الرفع المتحرك، و"نا" ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، وجملة "نزلنا" صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب.

﴿عَلَى عَبْدِنَا﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"نزلنا"، و"نا" ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ جرّ بالإضافة، والعائد محذوف في محلّ نصب مفعول به، والتقدير: نزلناه.

[1] ادعوا شهدائكم: أحضِروا آلهتَكُم أو نُصَراءَكم.

﴿فَأْتُوا﴾: الفاء حرف ربط، ائتوا: فعل أمر مبنيّ على حذف النون؛ لأن مضارعه من الأفعال الخمسة. والواو ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، والألف فارقة، وجملة "ائتوا" جواب شرط جازم مقترن بالفاء في محلّ جزم.

﴿بِسُورَةٍ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"ائتوا".

﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾: متعلّق بصفة محذوفة من "سورة" و"الهاء": في "مثله" ضمير متّصل مبنيّ في محلّ جرّ بالإضافة.

﴿وَادْعُوا﴾: الواو: حرف عطف، "ادعوا": معطوفة على "ائتوا" وتعرب إعرابها.

﴿شُهَدَاءَكُمْ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، و"الكاف": ضمير متّصل مبنيّ في محلّ جرّ بالإضافة، والميم: علامة جمع الذكور، وجملة "ادعوا" معطوفة في محلّ جزم.

﴿مِنْ دُونِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بحال محذوفة للشهداء.

﴿اللَّهِ﴾: لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿إِنْ كُنْتُمْ﴾: مثل السابق في بداية الآية.

﴿صَادِقِينَ﴾: خبر "كان" منصوب بالياء؛ لأنَّه جمع مذكر سالم، و"الميم": علامة جمع الذكور في الفعل "كنتم"، وجواب الشرط محذوف لتقدم معناه، والتقدير: إن كنتم صادقين فأتوا بسورة من مثله.

البلاغة:

جه الإتيان بـ{في} في قوله تعالى {في ريب} الدالة على الظرفية الإشارة إلى أنهم قد امتلكهم الريب وأحاط بهم إحاطة الظرف بالمظروف. واستعارة (في) لمعنى الملابسة شائعة في كلام العرب كقولهم هو في نعمة.

وأتى بفعل نَزَّل دون أنزل لأن القرآن نزل نجوماً، حيث إن الوزن {فعَّل} يدل على التقضي شيئاً فشيئاً، واختياره هنا في مقام التحدي، وجعلُ لفظ {سورة} اسماً جنسياً لأجزاء من القرآن اصطلاحٌ جاء به القرآن، وهي مشتقة من السور وهو الجدار الذي يحيط بالقرية أو الحظيرة، فاسم السورة خاص بالأجزاء المعينة من القرآن دون غيره من الكتب، والتنكير للإفراد أو النوعية، أي بسورة واحدة من نوع السور.

وقولُه تعالى: {وادعوا شهداءكم من دون الله} معطوف على {فأتوا بسورة} أي ائتوا بها وادعوا شهداءكم، والدعاء يستعمل بمعنى طلب حضور المدعو، وبمعنى استعطافه وسؤاله لفعل ما، ويجوز أن يكون المراد ادعوا نصراءكم من أهل البلاغة فيكون تعجيزاً للعامة والخاصة.

قوله: {إن كنتم صادقين} اعتراض في آخر الكلام وتذييل، وأتى بإن الشرطية التي الأصل في شرطها أن يكون غير مقطوع بوقوعه لأن صدقهم غير محتمل الوقوع وإن كنتم صادقين في أن القرآن كلام بشر وإنكم أتيتم بمثله.

جزء التشابه: فأتوا بسورة من مثله

1. [سورة يونس: 38] ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

معنى الآية:

بل أيقولون: إن هذا القرآن افتراه محمد من عند نفسه؟ فإنهم يعلمون أنه بشر مثلهم!! قل لهم، أيها الرسول، فأتوا أنتم بسورة واحدة من جنس هذا القرآن في نظمه وهدايته، واستعينوا على ذلك بكل مَن قَدَرْتم عليه من دون الله من إنس وجن، إن كنتم صادقين في دعواكم.

النحو:

﴿أَمْ﴾: حرف إضراب بمعني "بل".

﴿يَقُولُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو: فاعل.

﴿افْتَرَاهُ﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح المقدر على الألف، و"الهاء": ضمير مبنيّ في محلّ نصب مفعول به، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿قُلْ﴾: فعل أمر مبنيّ على السكون، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره: أنت.

﴿فَأْتُوا﴾: الفاء: حرف رابط لجواب شرط مقدر، ائتوا: فعل أمر مبنيّ على حذف النون والواو: فاعل.

﴿بِسُورَةٍ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"ائتوا".

﴿مِثْلِهِ﴾: نعت لسورة مجرور بالكسرة، و"الهاء": ضمير مبني في محل جر مضاف إليه.

﴿وَادْعُوا﴾: الواو: حرف عطف، ادعوا: مثل "ائتوا".

﴿مَنِ﴾: اسم موصول مبنيّ في محلّ نصب مفعول به.

﴿اسْتَطَعْتُمْ﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على السكون، و"تم": ضمير مبنيّ في محلّ رفع فاعل.

﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: جارّ ومجرور، ﴿اللَّهِ﴾: لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة، والجارّ والمجرور متعلّقان بحال من الموصول.

﴿إِنْ﴾: حرف شرط جازم.

﴿كُنْتُمْ﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على السكون في محلّ جزم فعل الشرط، و"تم" ضمير مبنيّ اسم "كان".

﴿صَادِقِينَ﴾: خبر "كنتم" منصوب، وعلامة النصب الياء، وجملة "يقولون" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافيّة.

وجملة "افتراه" في محلّ نصب "مقول القول"، وجملة "قل" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئناف بياني، وجملة "ائتوا" في محلّ جزم جواب شرط مقدر، أي: إن كنتم صادقين فأتوا، وجملة "ادعوا" في محلّ جزم معطوفة على جملة "ائتوا"، وجملة "استطعتم" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها صلة الموصول "من"، وجملة "كنتم صادقين" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها صلة استئنافيّة، وجواب الشرط محذوف دل عليه المذكور، أي: إن كنتم صادقين في أنه افتراء، فأتوا بسورة مثله.

البلاغة:

{أم} للإضراب الانتقالي من النفي إلى الاستفهام الإنكاري التعجيبي، وهو ارتقاء بإبطال دعواهم أن يكون القرآن مفترًى من دون الله، ولما اختصت {أم} بعطف الاستفهام كان الاستفهام مقدراً معها حيثما وقعت، فالاستفهام الذي تشعر به (أم) استفهام تعجيبي إنكاري.

والأسلوب أسلوب إنشائي أمر غرضه تعجيزي، حيث إن الله أمر نبيه أن يجيبهم عن دعوى الافتراء بتعجيزهم، وأن يقطع الاستدلال عليهم، فأمرهم بأن يأتوا بسورة مثله.

جزء التشابه: فأتوا بسورة مثله.

1. [سورة هود: 13] ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

معنى الآية:

بل أيقول هؤلاء المشركون من أهل "مكة": إن محمدًا قد افترى هذا القرآن؟ قل لهم: إن كان الأمر كما تزعمون فأتوا بعشر سور مثله مفتريات، وادعوا من استطعتم من جميع خلق الله ليساعدوكم على الإتيان بهذه السور العشر، إن كنتم صادقين في دعواكم.

النحو:

﴿أَمْ﴾: حرف إضراب بمعنى "بل".

﴿يَقُولُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو: فاعل.

﴿افْتَرَاهُ﴾: افترى: فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح المقدر على الألف، و "الهاء": ضمير مبني في محل نصب مفعول به، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿قُلْ﴾: فعل أمر مبنيّ على السكون، والفاعل ضمير مستتر تقديره: أنت.

﴿فَأْتُوا﴾: الفاء: حرف رابط لجواب شرط مقدر يفسره الشرط الآتي، ائتوا: فعل أمر مبنيّ على حذف النون، والواو: فاعل.

﴿بِعَشْرِ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ "ائتوا".

﴿سُوَرٍ﴾: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿مِثْلِهِ﴾: مثل: نعت لعشر مجرور بالكسرة، و "الهاء": ضمير مبني في محل جر مضاف إليه.

﴿مُفْتَرَيَاتٍ﴾: نعت لعشر مجرور بالكسرة.

﴿وَادْعُوا﴾: الواو: عطف، ادعوا: مثل "ائتوا".

﴿مَنِ﴾: اسم موصول مبنيّ في محلّ نصب مفعول به.

﴿اسْتَطَعْتُمْ﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على السكون، و "تم": ضمير فاعل.

﴿مِنْ دُونِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الضمير في "استطعتم".

﴿اللَّهِ﴾: لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿إِنْ﴾: حرف شرط جازم.

﴿كُنْتُمْ﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على السكون في محلّ جزم فعل الشرط، و "تم" مبنيّ في محلّ رفع اسم "كان".

﴿صَادِقِينَ﴾: خبر "كنتم" منصوب، وعلامة النصب الياء.

وجملة "يقولون" لا محلّ لها من الإعراب، لأنها استئنافية، وجملة "افتراه" في محلّ نصب "مقول القول".

وجملة "قل" لا محلّ لها من الإعراب، لأنها استئنافية، وجملة "ائتوا" في محلّ جزم جواب شرط مقدر، أي: إن كنتم صادقين في ما تدعون، فأتوا بعشر، وجملة "ادعوا" معطوفة على جملة "ائتوا"، وجملة "استطعتم" لا محلّ لها من الإعراب، لأنها صلة الموصول "من"، جملة "كنتم صادقين" لا محلّ لها من الإعراب، لأنها استئنافية، وجواب الشرط محذوف دلَّ عليه الكلام المتقدم.

البلاغة:

{أم} هذه منقطعة بمعنى (بل) التي للإضراب للانتقال من غرض إلى آخر، إلاّ أن (أم) مختصة بالاستفهام فتقدر بعدها همزة الاستفهام، وغرض الاستفهام إنكاري. والتقدير: بل أيقولون افتراه. والإضراب انتقالي في قوة الاستئناف الابتدائي، فللجملة حكم الاستئناف. والمناسبة ظاهرة، لأن الكلام في إبطال مزاعم المشركين، فإنهم قالوا: هذا كلام مفترى، وقرعهم بالحجة.

ومعنى {مفتريات} أنها مفتريات المعاني كما تزعمون على القرآن أي بمثل قصص أهل الجاهلية وتكاذيبهم، وهذا من إرخاء العنان والتسليم الجدلي.

وفي قوله تعالى: {من دون الله} وصف لـ {من استطعتم}، ونكتة ذكر هذا الوصف التذكير بأنهم أنكروا أن يكون من عند الله، فلما عمّم لهم في الاستعانة بمن استطاعوا أكّد أنهم دون الله فإن عجزوا عن الإتيان بعشر سور مثله مع تمكنهم من الاستعانة بكلّ من عدا الله تبين أن هذا القرآن من عند الله.

ومعنى {إن كنتم صادقين} أي في قولكم {افتراه}، وجواب الشرط هو قوله: {فأتوا بعشر سور}، ووجه الملازمة بين الشرط وجزائه أنه إذا كان الافتراء يأتي بهذا القرآن فما لكم لا تفترون أنتم مثله فتنهض حجتكم.

المسألة رقم 10:

﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [سورة البقرة: 27]

معنى الآية:

الذين ينكثون عهد الله الذي أخذه عليهم بالتوحيد والطاعة، وقد أكَّده بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، ويخالفون دين الله كقطع الأرحام ونشر الفساد في الأرض، أولئك هم الخاسرون في الدنيا والآخرة.

النحو:

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبنيّ على الفتح في محلّ نصب نعت لِـ"الفاسقين".

﴿يَنْقُضُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون لأنَّه من الأفعال الخمسة، و"الواو" ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ رفع فاعل، وجملة "ينقضون" صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب.

﴿عَهْدَ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

﴿اللَّهِ﴾: لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿مِنْ بَعْدِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"ينقضون".

﴿مِيثَاقِهِ﴾: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره، والهاء: ضمير متّصل مبنيّ في محلّ جرّ بالإضافة.

﴿وَيَقْطَعُونَ﴾: الواو: حرف عطف، يقطعون: معطوفة على "ينقضون"، وتعرب إعرابها.

﴿مَا﴾: اسم موصول بمعنى "الذي" مبنيّ على السكون في محلّ نصب مفعول به.

﴿أَمَرَ﴾: فعل ماض مبنيّ على الفتح، وجملة "أمر الله" صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب.

﴿اللهُ﴾: الله لفظ الجلالة فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿بِهِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"أمر".

﴿أَنْ﴾: حرف مصدريّ ونصب، ﴿يُوصَلَ﴾: فعل مضارع للمجهول منصوب بأن وعلامة نصبه الفتحة، ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو، و"أنْ" المصدرية وما بعدها في محلّ جرّ بدل من الضمير في "به"، والتقدير: ما أمر الله بوصله من الأقارب في الدين.

﴿وَيُفْسِدُونَ﴾: معطوفة بواو العطف على "يقطعون"، وتعرب إعرابها.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"يفسدون".

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة مبنيّ على الكسر في محلّ رفع مبتدأ، و"الكاف": حرف للخطاب.

﴿هُمُ﴾: ضمير منفصل مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ ثان.

﴿الْخَاسِرُونَ﴾: خبر "هم" مرفوع بالواو؛ لأنَّه جمع مذكر سالم، والجملة الاسمية "هم الخاسرون" في محلّ رفع خبر "أولئك"، وجملة "أولئك هم الخاسرون" استئنافية لا محلّ لها من الإعراب.

البلاغة:

جملة {الذين ينقضون} إلى آخره صفة للفاسقين لتقرير اتصافهم بالفسق، مجيء الموصول هنا للتعريف بالمراد من الفاسقين، أي الفاسقين الذين عرفوا بهذه الخلال الثلاث فالأظهر أن المراد من الفاسقين اليهود قد استعمل النقض هنا مجازاً في إبطال العهد بقرينة إضافته إلى (عهد الله) وهي استعارة على ما شاع في كلام العرب في تشبيه العهد وكل ما فيه وصل بالحبل وهو تشبيه شائع في كلامهم.

ووجه اختيار استعارة النقض الذي هو حل طَيَّات الحبل إلى إبطال العهد أنها تمثيل لإبطال العهد رويداً رويداً وفي أزمنة متكررة ومعالجة. والنقض أبلغ في الدلالة على الإبطال من القطع والصرم ونحوهما لأن في النقض إفساداً لهيأة الحبل وزوال رجاء عودها وأما القطع فهو تجزئة.

وفي النقض رمز إلى استعارة مكنية لأن النقض من روادف الحبل فاجتمع هنا استعارتان مكنية وتصريحية.

وقوله: {أولئك هم الخاسرون} قصر قلب لأنهم ظنوا أنفسهم رابحين وهو استعارة مكنية تمثيلية.

جزء التشابه: ينقضون عهد الله

1. [سورة الرعد: 20] ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾

معنى الآية:

هل الذي يعلم أن ما جاءك -أيها الرسول- من عند الله هو الحق فيؤمن به، كالأعمى عن الحق الذي لم يؤمن؟ إنما يتعظ أصحاب العقول السليمة الذين يوفون بعهد الله الذي أمرهم به، ولا ينكثون العهد المؤكد الذي عاهدوا الله عليه.

النحو:

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبنيّ على الفتح في محلّ رفع نعت لِـ"أولو" في الآية السابقة.

﴿يُوفُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النّون لأنَّهُ من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ رفع فاعل.

والجملة من الفعل والفاعل صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب.

﴿بِعَهْدِ﴾: الباء: حرف جرّ مبنيّ على الكسر.

"عَهْدِ": اسم مجرور بالباء وعلامة جرّه الكسرة، والجار والمجرور متعلّقان بالفعل "يوفون".

﴿اللَّهِ﴾: لفظ الجلالة، مضاف إليه مجرور بالكسرة الظّاهرة.

﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف مبنيّ على الفتح، و"لا": حرف نفي مبنيّ على الفتح.

﴿يَنْقُضُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النّون لأنَّهُ من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ رفع فاعل.

والجملة "ينقضون" معطوفة على الجملة "يوفون" لا محلّ لها من الإعراب.

﴿الْمِيثَاقَ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظّاهرة على آخره.

البلاغة:

التعريف في {الميثاق} يحمل على تعريف الجنس فيستغرق جميع المواثيق وبذلك يكون أعم من عهد الله فيشمل المواثيق الحاصلة بين الناس من عهود وأيمان، واعتبار هذا العموم حصلت مغايرة ما بينه وبين عهد الله.

وعطف {ولا ينقضون الميثاق} على {يوفون بعهد اللَّه} مسوغة مع حصول التأكيد لمعنى الأولى بنفي ضدها، وتعريضاً بالمشركين لاتصافهم بضد ذلك الكمال، فعطفُ التأكيد باعتبار المغايرة بالعموم والخصوص، والميثاق والعهد مترادفان. والإيفاء ونفي النقض متحداً المعنى.

2. [سورة الرعد: 25] ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾[1]

معنى الآية:

أما الأشقياء فقد وُصِفوا بضد صفات المؤمنين، فهم الذين لا يوفون بعهد الله بإفراده سبحانه بالعبادة بعد أن أكدوه على أنفسهم، وهم الذين يقطعون ما أمرهم الله بوصله مِن صلة الأرحام وغيرها، ويفسدون في الأرض بعمل المعاصي، أولئك الموصوفون بهذه الصفات القبيحة لهم الطرد من رحمة الله، ولهم ما يسوءهم من العذاب الشديد في الدار الآخرة.

النحو:

﴿وَالَّذِينَ﴾: الواو: حرف استئناف مبنيّ على الفتح، "الّذين": اسم موصول مبنيّ على الفتح في محلّ رفع مبتدأ.

﴿يَنْقُضُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النّون، لأنَّهُ من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متّصل مبنيّ على السّكون في محلّ رفع فاعل، والجملة من الفعل والفاعل صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب.

﴿عَهْدَ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظّاهرة على آخره.

﴿اللَّهِ﴾: لفظ الجلالة مضاف إليه مخفوض بالكسرة الظّاهرة.

﴿مِنْ﴾: حرف جرّ مبنيّ على السكون.

﴿بَعْدِ﴾: اسم مجرور بـ"من" وعلامة جره الكسرة، والجار والمجرور متعلّقان بمحذوف حال من الضمير "الواو" في "ينقضون" والتّقديرُ: (منقلبين من بعد ميثاقه).

﴿مِيثَاقِهِ﴾: "ميثاق": مضاف إليه مجرور بالكسرة الظّاهرة، و"الهاء": ضمير متّصل مبنيّ على الكسر في محلّ جرّ بالإضافة.

[1] سوء الدار: عاقبتها سيّئة وهي النّار.

﴿وَيَقْطَعُونَ﴾: الواو: حرف عطف مبنيّ على الفتح، "يقطعون": فعل مضارع مرفوع بثبوت النّون، لأنَّهُ من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متّصل مبنيّ على السّكون في محلّ رفع فاعل، والجملة من الفعل والفاعل معطوفة على الجملة "ينقضون" لا محلّ لها من الإعراب.

﴿مَا﴾: اسم موصول مبنيّ على السكون في محلّ نصب مفعول به.

﴿أَمَرَ﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح.

﴿اللَّهُ﴾: لفظ الجلالة، فاعل مرفوع بالضمّة الظّاهرة، والجملة من الفعل والفاعل على صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب.

﴿بِهِ﴾: الباء: حرف جرّ مبنيّ على الكسر، و"الهاء": ضمير متّصل مبنيّ على الكسر في محلّ جرّ بالباء، والجار والمجرور متعلّقان بالفعل "أمر".

﴿أَنْ﴾: حرف مصدريّ ونصب مبنيّ على السكون.

﴿يُوصَلَ﴾: فعل مضارع مبنيّ للمجهول منصوب بـ"أن" وعلامة نصبه الفتحة الظّاهرة، ونائب فاعله ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو، والمصدر المؤوّل من "أن" والفعل في محلّ جرّ بدل من الضمير المجرور، و"الهاء" في "به" والتَّقديرُ (يقطعون ما أمر الله بوصله).

﴿وَيُفْسِدُونَ﴾: الواو: حرف عطف مبنيّ على الفتح، "يفسدون": فعل مضارع مرفوع بثبوت النّون، لأنَّهُ من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متّصل مبنيّ على الكون في محلّ رفع فاعل، والجملة من الفعل والفاعل معطوفة على الجملة (ينقضون) لا محلّ لها من الإعراب.

﴿فِي﴾: حرف جرّ مبنيّ على السكون.

﴿الْأَرْضِ﴾: اسم مجرور بـ"في"وعلامة جرّه الكسرة، والجارّ والمجرور متعلّقان بالفعل "يفسدون".

﴿أُولَئِكَ﴾: "أولاء": اسم إشارة مبنيّ على الكسر في محلّ رفع مبتدأ ثانٍ، و"الكاف": حرف خطاب مبنيّ على الفتح.

﴿لَهُمُ﴾: اللَّام حرف جرّ مبنيّ على الفتح، و"هم": ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ جرّ باللام، وحرّك بالضم اتباعًا لحركة الهاء منعا لالتقاء السَّاكِنَيْن، والجار والمجرور متعلّقان بمحذوف خبر مقدم للمبتدأ الثالث الآتي.

﴿اللَّعْنَةُ﴾: مبتدأ ثالث مرفوع بالضمة الظّاهرة.

والجملة "لهم اللّعنة" من المبتدأ الثالث وخبره في محلّ رفع خبر المبتدأ الثاني، والجملة "أولئك لهم الجنّة" من المبتدأ الثّاني وخبره في محلّ رفع خبر المبتدأ الأوّل.

﴿وَلَهُمْ﴾: الواو: حرف عطف مبنيّ على الفتح، "لهم": اللّام حرف جرّ مبنيّ على الفتح، و"هم": ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ جرّ باللام، والجارّ والمجرور متعلّقان بمحذوف خبر مقدم.

﴿سُوءُ﴾: مبتدأ مؤخّر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿الدَّارِ﴾: مضاف إليه مجرور بالكسرة الظّاهرة، والجملة من المبتدأ وخبره معطوفة على الجملة "لهم اللعنة" في محلّ رفع.

البلاغة:

بين {ميثاق} و {عهد} ترادف، يقوي المعنى ويؤكده، وبين {يقطعون} و {يوصل} طباق يوضح المعنى.

وزيادة {من بعد ميثاقه} زيادة في تشنيع النقض، أي من بعد توثيق العهد وتأكيده. وجملة {أولئك لهم اللعنة} خبر عن {والذين ينقضون} وهي مقابل جملة {أولئك لهم سوء الدار}.

3. [سورة النحل: 91] ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[1]

معنى الآية:

والتزموا الوفاء بكل عهد أوجبتموه على أنفسكم بينكم وبين الله -تعالى- أو بينكم وبين الناس فيما لا يخالف كتاب الله وسنة نبيه، ولا ترجعوا في الأيمان بعد أن أكَّدْتموها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلا وضامنًا حين عاهدتموه. إن الله يعلم ما تفعلونه، وسيجزيكم عليه.

النحو:

﴿وَأَوْفُوا﴾: الواو: حرف استئناف.

أوفوا: فعل أمر مبنيّ على حذف النون، لأن مضارعه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل و"الألف" فارقة.

﴿بِعَهْدِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"أوفوا".

﴿اللَّهِ﴾: مضاف إليه مجرور للتعظيم بالكسرة، وجملة "وأوفوا بعهد الله" استئنافية لا محلّ لها من الإعراب.

[1] كفيلًا: شاهدًا، رقيبًا، وضامِنًا.

﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطه منصوب بجوابه وهو حرف شرط غير جازم.

﴿عَاهَدْتُمْ﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على السكون لاتصاله بضمير الرفع المتحرك، "تم": ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، وجملة "عاهدتم" في محلّ جرّ بالإضافة لوقوعها بعد الظرف "إذا"، وجواب الشرط محذوف لتقدم معناه.

﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف، لا: حرف نهي وجزم.

﴿تَنْقُضُوا﴾: فعل مضارع مجزوم بـ"لا"، وعلامة جزمه حذف النون، والواو ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل و"الألف" فارقة.

﴿الْأَيْمَانَ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخر، وجملة "لا تنقضوا" معطوفة على جملة استئنافية لا محلّ لها من الإعراب.

﴿بَعْدَ﴾: ظرف زمان متعلّق بـ"لا تنقضوا" وهو منصوب بالفتحة على الظرفية الزمانية، وهو مضاف.

﴿تَوْكِيدِهَا﴾: توكيد: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره، و"ها": ضمير متّصل مبنيّ في محلّ جرّ بالإضافة.

﴿وَقَدْ﴾: الواو: حالية، قد: حرف تحقيق.

﴿جَعَلْتُمُ﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على السكون لاتصاله بضمير الرفع المتحرك، و"تم": ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل.

﴿اللَّهَ﴾: مفعول به منصوب للتعظيم بالفتحة، وجملة "جعلتم" في محلّ نصب حال.

﴿عَلَيْكُمْ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"جعلتم"، ﴿كَفِيلًا﴾: مفعول به ثان منصوب بالفتحة.

﴿إِنَّ﴾: حرف توكيد مشبّه بالفعل.

﴿اللَّهَ﴾: اسمها منصوب للتعظيم بالفتحة.

﴿يَعْلَمُ﴾: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو. وجملة "يعلم" في محلّ رفع خبر "إنّ".

﴿مَا﴾: اسم موصول مبنيّ على السكون في محلّ نصب مفعول به.

﴿تَفْعَلُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل.

وجملة "تفعلون" صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب.

البلاغة:

الآية أسلوب أنشائي أمر غرضه طلب الفعل من المخاطب على جهة الاستعلاء والإلزام.
تقديم {عليكم} على {كفيلًا} للتخصيص، أي عليكم أنتم يا من توفون بالعهد.
وجملة {بعد توكيدها} زيادة في التحذير، وليس قيْداً للنّهي بالبعدية، إذ المقصود أيمان معلومة وهي أيمان العهد والبيعة، وليست فيها بعدية.
وجملة {إن الله يعلم ما تفعلون} معترضة، وهي خبر مراد منه التحذير من التساهل في التمسّك بالإيمان والإسلام لتذكيرهم أن الله يطّلع على ما يفعلونه، فالتوكيد بـ{إن} للاهتمام بالخبر.

المسألة رقم 11:

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[1] [سورة البقرة: 35]

معنى الآية:

وقال الله: يا آدم اسكن أنت وزوجك حواء الجنة، وتمتعا بثمارها تمتعًا هنيئًا واسعًا في أي مكان تشاءان فيها، ولا تقربا هذه الشجرة حتى لا تقعا في المعصية، فتصيرا من المتجاوزين أمر الله.

النحو:

﴿وَقُلْنَا﴾: الواو: حرف عطف، قلنا: فعل ماض مبنيّ على السكون لاتصاله بضمير رفع متحرك و "نا" ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ رفع فاعل.
﴿يَاآدَمُ﴾: يا: حرف نداء: آدم: منادى مبنيّ على الضمّ في محلّ نصب مفعول به، وجملة "يا آدم" في محلّ نصب مفعول به "مقول القول".
﴿اسْكُنْ﴾: فعل أمر مبنيّ على السكون، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره: أنت، وجملة "اسكن" لا محلّ لها من الإعراب؛ لأنها جواب النداء.
﴿أَنْتَ﴾: ضمير رفع منفصل مبنيّ على الفتح في محلّ رفع توكيد للضمير في "اسكن".
﴿وَزَوْجُكَ﴾: معطوفة بالواو على "أنت" مرفوعة بالضمة، و "الكاف": ضمير متّصل مبنيّ في محلّ جرّ بالإضافة.

[1] رغداً: أكلاً واسعاً أو هنيئاً لا عناء فيه.

﴿الْجَنَّةَ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

﴿وَكُلَا﴾: الواو: حرف عطف، و "كلا": فعل أمر مبنيّ على حذف النون؛ لأنَّه مضارعه من الأفعال الخمسة.

والألف: ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل.

﴿مِنْهَا﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ" كلا".

﴿رَغَدًا﴾: مفعول مطلق منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

﴿حَيْثُ﴾: اسم مكان مبهم مبنيّ على الضم في محلّ نصب مفعول فيه.

﴿شِئْتُمَا﴾: فعل ماض مبنيّ على السكون لاتصاله بضمير رفع متحرك، والتاء ضمير متّصل مبنيّ على الضم في محلّ رفع فاعل، والميم: علامة جمع الذكور، والألف للتثنية، وجملة "شئتما" في محلّ جرّ بالإضافة وَلَا: الواو: حرف عطف، و "لا": حرف نهي وجزم.

﴿تَقْرَبَا﴾: فعل مضارع مجزوم بلا، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنَّه من الأفعال الخمسة، والألف ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ رفع فاعل، وجملة "تقربا" معطوفة لا محلّ لها من الإعراب.

﴿هَذِهِ﴾: اسم إشارة مبنيّ على الكسر في محلّ نصب مفعول به.

﴿الشَّجَرَةَ﴾: بدل من "هذه" منصوب بالفتحة.

﴿فَتَكُونَا﴾: الفاء: سببية حرف عطف، تكونا: فعل مضارع ناقص منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنَّه من الأفعال الخمسة، والألف: ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ رفع اسم "كان"، ويجوز إعراب "تكونا" جملة معطوفة على "تقربا" وقيل نصب بالفاء لأنَّه جواب، والمصدر المؤول من أن تكونا" معطوف على مصدر مُنتَزَع من الفعل السابق، والتقدير: فلا يكون منكم قرب فظلم.

﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بخبر "كان"، وعلامة جرّ الاسم الياء؛ لأنَّه جمع مذكر سالم.

البلاغة:

عطف الآية الكريمة على {قلنا للملائكة اسجدوا} [سورة البقرة: 34] أي بعد أن انقضى ذلك قلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة، وهذه تكرمة أكرم الله بها آدم بعد أن أكرمه بكرامة الإجلال من تلقاءِ الملائكة.

ونداء آدم قبل تخويله سكنى الجنة نداء تنويه بذكر اسمه بين الملإ الأعلى.

والأمر بقوله: {اسكن} مستعمل في الامتنان بالتمكين والتخويل وليس أمراً له بأن يسعى بنفسه لسكنى الجنة إذ لا قدرة له على ذلك السعي فلا يكلف به.

وضمير (أنت) واقع لأجل عطف {وزوجك} على الضمير المستتر في {اسكن} وهو استعمال العربية عند عطف اسم، على ضمير متصل مرفوع المحل لا يكادون يتركونه، يقصدون بذلك زيادة إيضاح المعطوف فتحصل فائدة تقرير مدلول المعطوف لئلا يكون تابعه المعطوف عليه أبرز منه في الكلام.

قوله: {ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين} يعني به ولا تأكلا من الشجرة لأن قربانها إنما هو لقصد الأكل منها فالنهي عن القربان أبلغ من النهي عن الأكل لأن القرب من الشيء ينشئُ داعية وميلاً إليه.

جزء التشابه: الآية

[سورة الأعراف: 19] ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

معنى الآية:

ويا آدم اسكن أنت وزوجك حواء الجنة، فكُلا من ثمارها حيث شئتما، ولا تأكلا من ثمرة شجرة (عَيَّنها لهما)، فإن فعلتما ذلك كنتما من الظالمين المتجاوزين حدود الله.

النحو:

﴿وَيَاآدَمُ﴾: الواو: حرف عطف، يا: حرف نداء، آدم: منادي مبنيّ على الضم في محل نصب مفعول به لفعل النداء المحذوف.

﴿اسْكُنْ﴾: فعل أمر مبنيّ على السكون، والفاعل: ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره: أنت.

﴿أَنْتَ﴾: ضمير رفع منفصل مبنيّ على الفتح في محل رفع توكيد للضمير المستكن في "اسكن".

﴿وَزَوْجُكَ﴾: معطوفة بالواو على "أنت" مرفوعة بالضمة، و"الكاف": ضمير متّصل مبنيّ على الفتح في محل جرّ بالإضافة.

﴿الْجَنَّةَ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

﴿فَكُلَا﴾: الفاء: حرف عطف، كلا: فعل أمر مبنيّ على حذف النون، لأنه مضارعه من الأفعال الخمسة، والألف ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محل رفع فاعل.

﴿مِنْ﴾: حرف جر.

﴿حَيْثُ﴾: ظرف مكان مبنيّ على الضم في محل جرّ بـ"من" والجار والمجرور متعلقان بـ"كلوا".

﴿شِئْتُمَا﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على السكون لاتصاله بضمير الرفع المتحرك، و"تما": ضمير متّصل مبنيّ على الضم في محل رفع فاعل.

﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف، لا: حرف نهي وجزم، ﴿تَقْرَبَا﴾: فعل مضارع مجزوم بـ"لا"، وعلامة جزمه حذف النون، لأنه من الأفعال الخمسة، والألف ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محل رفع فاعل.

﴿هَذِهِ﴾: اسم إشارة مبنيّ على الكسر في محل نصب مفعول به.

﴿الشَّجَرَةَ﴾: بدل من "هذه" منصوب بالفتحة.

﴿فَتَكُونَا﴾: الفاء: سببية حرف عطف.

تكونا: فعل مضارع ناقص منصوب بـــ"أنْ" مضمرة بعد فاء السببية، وعلامة نصبه حذف النون، والألف: ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محل رفع اسم "تكون".

﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بخبر "تكون"، وعلامة جرّ الاسم الياء، لأنه جمع مذكر سالم.

و"أن" المضـمرة وما بعدها بتأويل مصـدر معطوف على مصـدر منتزع من الكلام السـابق، وجملة النداء اسـتئنافية لا محل لها من الإعراب، وجملة "سـكن" لا محلّ لها من الإعراب، لأنها جواب النداء، وجملة "كلا" معطوفة على جملة "اسـكن" لا محل لها من الإعراب، وكذلك جملة "لا تقربا"، وجملة "تكون" لا محل لها من الإعراب، لأنها صلة الموصول الحرفي.

البلاغة:

الواو من قوله: {ويا آدم} عاطفة على جملة: {أخرج منها مذءوماً مدحورًا} [سورة الأعراف: 18]، فهذه الواوُ من المحكي لا من الحكاية.

وفي توجيه الخطاب لآدم بهذه الفضيلة بحضور إبليس بعد طرده زيادة إهانة، لأنّ إعطاء النّعم لمرضي عليه في حين عقاب من استأهل العقاب زيادة حسرة على المعاقَب، وإظهاراً للتّفاوت بين مستحقّ الإنعام ومستحقّ العقوبة فلا يفيد الكلام من المعاني ما أفاده العطف على المقول المحكي، ولأنّه لو أريد ذلك لأعيد فعل القول.

والنّداء للإقبال على آدم والتّنويهِ بذكره في ذلك الملأ، والإتيانُ بالضّمير المنفصل بعد الأمر لقصد زيادة التّنكيل بإبليس.

{ولا تقربا هذه الشجرة} أشدّ في التّحذير من أن يُنهى عن الأكل منها، لأنّ النّهي عن قربانها سد لذريعة الأكل منها.

المسألة رقم 12:

﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة: 38]

معنى الآية:

قال الله لهم: اهبطوا من الجنة جميعًا، وسيأتيكم أنتم وذرياتكم المتعاقبة ما فيه هدايتكم إلى الحق، فمن عمل بها فلا خوف عليهم فيما يستقبلونه من أمر الآخرة ولا هم يحزنون على ما فاتهم من أمور الدنيا.

النحو:

﴿قُلْنَا﴾: فعل ماض مبنيّ على السكون لاتصاله بضمير رفع متحرك، و "نا" ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، وجملة "قلنا" استئنافية لا محلّ لها من الإعراب.

﴿اهْبِطُوا﴾: فعل أمر مبنيّ على حذف النون؛ لأن مضارعه من الأفعال الخمسة، و "الواو" ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، و "الألف": فارقة، وجملة "اهبطوا" في محلّ نصب مفعول به "مقول القول".

﴿مِنْهَا﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"اهبطوا".

﴿جَمِيعًا﴾: حال منصوب بالفتحة من الضمير في "اهبطوا".

﴿فَإِمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف، إما: مؤلفة من "إنّ" حرف شرط جازم، و "ما" حرف زائد للتأكيد، وجواب الشرط هو الشرط الثاني مع جوابه في الآية.

﴿يَأْتِيَنَّكُمْ﴾: فعل مضارع مبنيّ على الفتح، لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو، و "الكاف": ضمير متّصل مبنيّ في محلّ نصب مفعول به، و "الميم": علامة جمع الذكور، وجملة "يأتينكم" في محلّ جزم بإن الشرطية.

﴿مِنِّي﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"يأتي" أو بحال مقدمة من هدى؛ لأنَّه صفة لها.

﴿هُدًى﴾: فاعل مرفوع بالضمة المقدرة على الألف للتعذر.

﴿فَمَنْ﴾: الفاء: حرف استئناف، من: اسم شرط جازم مبنيّ على السكون في محلّ رفع مبتدأ، ويجوز أن تكون الفاء حرف رابط لجواب الشرط.

﴿تَبِعَ﴾: فعل ماض مبنيّ على الفتح في محلّ جزم فعل الشرط، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿هُدَايَ﴾: مفعول به منصوب بالفتحة المقدرة على الألف للتعذر، والياء ضمير متّصل مبنيّ في محلّ جرّ بالإضافة، وجملتا "فعل الشرط جوابه" في محلّ رفع خبر المبتدأ "من".

﴿فَلَا﴾: الفاء واقعة في جواب الشرط، "لا": حرف نفي يعمل عمل "ليس".

﴿خَوْفٌ﴾: اسم "لا" مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، ويجوز اعتبار "لا" حرفًا غير عامل، فتكون "خوف" مبتدأ.

﴿عَلَيْهِمْ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بخبر "لا"، والميم: علامة جمع الذكور، وجملة "لا خوف عليهم" جواب شرط جازم مقترن بالفاء في محلّ جزم، وقيل جملة "فلا خوف عليهم" في محلّ جزم جواب للشرط الأول والثاني.

﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف، لا: حرف نفي.

﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ.

﴿يَحْزَنُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون؛ لأنَّه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، والجملة الفعلية "يحزنون" في محلّ رفع خبر "هم"، وجملة "هم يحزنون" معطوفة في محلّ جزم جواب الشرط.

البلاغة:

كررت جملة {قلنا اهبطوا} فاحتمل تكريرها أن يكون لأجل ربط النظم في الآية القرآنية من غير أن تكون دالة على تكرير معناها في الكلام الذي خوطب به آدم فيكون هذا التكرير لمجرد اتصال ما تعلق بمدلول {وقلنا اهبطوا} [سورة البقرة: 36].

وقيل هو أمر ثاني بالهبوط بأن أهبط آدم من الجنة إلى السماء الدنيا بالأمر الأول، ثم أهبط من السماء الدنيا إلى الأرض فتكون إعادة {قلنا اهبطوا} للتنبيه على اختلاف زمن القولين، والهبوط وهو تأويل يفيد أن المراحل والمسافات

وقوله: {فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي} شرط على شرط لأن (إما) شرط مركب من إن الشرطية وما الزائدة دالة على تأكيد التعليق. وقوله: {فلا خلاف عليهم} نفي لجنس الخوف.

جزء التشابه: فمن تبع هداي

1. [سورة طه: 123] ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾

معنى الآية:

قال الله تعالى لآدم وحواء: اهبطا من الجنة إلى الأرض جميعًا مع إبليس، فأنتما وهو أعداء، فإن يأتكم مني هدى وبيان فمن اتبع هداي وبياني وعمل بهما فإنه يرشد في الدنيا، ويهتدي، ولا يشقى في الآخرة بعقاب الله.

النحو:

﴿قَالَ﴾: فعل ماض مبني على الفتح الظاهر على آخره، والفاعل ضمير مستتر فيه تقديره هو.

﴿اهْبِطَا﴾: فعل أمر مبنيّ على حذف النون، والألف: فاعل.

﴿مِنْهَا﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"اهبطا".

﴿جَمِيعًا﴾: حال منصوبة بالفتحة من الفاعل.

﴿بَعْضُكُمْ﴾: مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة، و"كم": مضاف إليه.

﴿لِبَعْضٍ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بحال من "عدو".

﴿عَدُوّ﴾: خبر المبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿فَإِمَّا﴾: الفاء: حرف عطف، إن: حرف شرط جازم، ما: حرف زائد.

﴿يَأْتِيَنَّكُمْ﴾: فعل مضارع مبنيّ على الفتح في محلّ جزم فعل الشرط، و"النون": نون التوكيد، و"كم": ضمير مبني في محل نصب مفعول به.

﴿مِنِّي﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"ياتينكم".

﴿هُدًى﴾: فاعل مرفوع، وعلامة الرفع الضمة المقدرة على الألف.

﴿فَمَنِ﴾: الفاء: حرف رابط لجواب الشرط، من: اسم شرط جازم مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ.

﴿اتَّبَعَ﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح في محلّ جزم فعل الشرط، والفاعل ضمير مستتر جوازًا تقديره: هو.

﴿هُدَايَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة النصب الفتحة المقدرة على الألف، و"الياء": ضمير مبني في محل جر مضاف إليه.

﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾: فَلَا: الفاء: حرف ربط لجواب الشرط، ولا: حرف نفي.

﴿يَضِلُّ﴾: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة، والفاعل ضمير مستتر جوازًا تقديره: هو، الواو: حرف عطف، و"لا": حرف نفي، "يشقى": فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة بسبب التعذر.

وجملة "قال" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئناف بياني، وجملة "اهبطا" في محلّ نصب "مقول القول"، وجملة "بعضكم لبعض عدو" في محلّ نصب حال ثانية من فاعل "اهبطا"، وجملة "يأتينكم" هدى في محلّ نصب، لأنها معطوفة على جملة "مقول القول"، وجملة "من اتبع هداي" في محلّ جزم جواب الشرط الأول، وجملة "اتبع" في محلّ رفع خبر المبتدأ "من"، وجملة "لا يضل" في محلّ رفع خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هو، والجملة الاسمية هو "لا يضل" في محلّ جزم جواب الشرط الثاني، وجملة "لا يشقي" في محلّ رفع معطوفة على جملة "لا يضل".

البلاغة:

والأمر في {اهبطا} أمر تكوين، لأنهما عاجزان عن الهبوط إلى الأرض إلاّ بتكوين من الله إذ كان قرارهما في عالم الجنة بتكوينه تعالى.

و {جميعاً} يظهر أنه اسم لمعنى كل أفرادِ ما يوصف بجميع، وكأنه اسم مفرد يدل على التعدد مثل: فريق، ولذلك يستوي فيه المذكر وغيره والواحد وغيره.

المسألة رقم 13:

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾[1]

[سورة البقرة: 48]

معنى الآية:

وخافوا يوم القيامة، يوم لا يغني أحد عن أحد شيئًا، ولا يقبل الله شفاعة في الكافرين، ولا يقبل منهم فدية، ولو كانت أموال الأرض جميعًا، ولا يملك أحد في هذا اليوم أن يتقدم لنصرتهم وإنقاذهم من العذاب.

النحو:

﴿وَاتَّقُوا﴾: الواو: حرف عطف اتقوا: معطوفة على "اذكروا"، وتعرب إعرابها.

﴿يَوْمًا﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

[1] لاتجزي نفسٌ: لاتقضي ولاتؤدي نفسٌ؛ عدلٌ: فدية.

﴿لَا﴾: نافية، ﴿تَجْزِي﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء للثقل.

﴿نَفْسٌ﴾: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، ﴿عَنْ نَفْسٍ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"تجزي".

﴿شَيْئًا﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، وجملة "تجزي" في محلّ نصب صفة لـ "يومًا".

﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف، و "لا": حرف نفي، ﴿يُقْبَلُ﴾: فعل مضارع مبنيّ للمجهول مرفوع بالضمة لتجرده عن الناصب والجازم.

﴿مِنْهَا﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"يقبل".

﴿شَفَاعَةٌ﴾: نائب فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة، والجملة معطوفة على الجمل التي قبلها في محلّ نصب.

﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾: الواو: عاطفة، وما بعدها معطوف على "لا يقبل منها شفاعة"، ويعرب إعرابها.

﴿وَلَا﴾: الواو: حرف استئناف، و "لا": حرف نفي، ﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ.

﴿يُنْصَرُونَ﴾: فعل مضارع مبنيّ للمجهول مرفوع بثبوت النون؛ لأنَّه من الأفعال الخمسة.

و "الواو" ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع نائب فاعل، وجملة "ينصرون" في محلّ رفع خبر "هم"، وجملة "لا هم ينصرون" معطوف على الجملة السابقة.

البلاغة:

عَطَفَ التحذير على التذكير، فإنه لما ذكرهم بالنعمة وخاصة تفضيلهم على العالمين في زمانهم وكان ذلك منشأ غرورهم بأنه تفضيل ذاتي فتوهموا أن التقصير في العمل الصالح لا يضرهم فعقب بالتحذير من ذلك.

وتنكير النفس في الموضعين وهو في حيز النفي يفيد عموم النفوس أي لا يغني أحد كائناً من كان فلا تغني عن الكفار آلهتهم ولا صلحاؤهم على اختلاف عقائدهم في غَناء أولئك عنهم.

وفي قوله تعالى: {ولا هم ينصرون} إنما قدم المسند إليه لزيادة التأكيد المفيد أن انتفاء نصرهم محقق زيادة على ما استفيد من نفي الفعل مع إسناده للمجهول.

جزء التشابه: لا تجزي نفس عن نفس

1. [سورة البقرة: 123] ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾

معنى الآية:

وخافوا أهوال يوم الحساب إذ لا تغني نفس عن نفس شيئًا، ولا يقبل الله منها فدية تنجيها من العذاب، ولا تنفعها وساطة، ولا أحد ينصرها.

النحو:

﴿وَاتَّقُوا﴾: الواو حرف عطف مبنيّ على الفتح لا محلّ له من الإعراب، اتقوا: فعل أمر مبنيّ على حذف النون؛ لأن مضارعه من الأفعال الخمسة، و "الألف" فارقة، والجملة "اتقوا" معطوفة على "اذكروا" في الآية السابقة.

﴿يَوْمًا﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة.

﴿لَّا﴾: حرف نفي مبنيّ على السكون لا محلّ له من الإعراب.

﴿تَجْزِى﴾: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء منع من ظهورها الثقل.

﴿نَفْسٌ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة.

﴿عن﴾: عَن: حرف جرّ مبنيّ على السكون لا محلّ له من الإعراب.

﴿نَّفْسٍ﴾: اسم مجرور بعن، وعلامة جره الكسرة الظاهرة، والجارّ والمجرور متعلّقان بالفعل "تجزي".

﴿شَيْئًا﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة.

وجملة "لا تجزي نفس عن نفس شيئًا" في محلّ نصب نعت لِـ"يومًا"، والرابط محذوف، تقديره: فيه.

﴿وَلَا﴾: الواو حرف عطف مبنيّ على الفتح لا محلّ له من الإعراب لا: حرف نفي مبنيّ على السكون لا محلّ له من الإعراب.

﴿يُقْبَلُ﴾: فعل مضارع مبنيّ للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة.

﴿مِنْهَا﴾: من: حرف جرّ مبنيّ على السكون لا محلّ له من الإعراب، ها: ضمير متّصل مبني على السكون في محلّ جرّ بمن، والجارّ والمجرور متعلّقان بالفعل "يقبل".

﴿عَدْلٌ﴾: نائب فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، وجملة "لا يقبل منها عدل" معطوفة على جملة "لا تجزي".

﴿وَلَا﴾: الواو حرف عطف مبنيّ على الفتح لا محلّ له من الإعراب، لا: حرف نفي مبنيّ على السكون لا محلّ له من الإعراب.

﴿تَنفَعُهَا﴾: تنفع: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، وها: ضمير متّصل مبني على السكون في محلّ نصب مفعول به.

﴿شَفَاعَةٌ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة.

والجملة الفعلية "لا تنفعها شفاعة" معطوفة على جملة "لا تجزي" في محلّ نصب.

﴿وَلَا﴾: الواو حرف عطف مبنيّ على الفتح لا محلّ له من الإعراب، لا: حرف نفي مبنيّ على السكون لا محلّ له من الإعراب.

﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل مبنيّ على السكون في محل رفع مبتدأ.

﴿يُنصَرُونَ﴾: فعل مضارع مبنيّ للمجهول مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون لأنَّه من الأفعال الخمسة، و "الواو" ضمير متّصل مبني على السكون في محلّ رفع نائب فاعل، والجملة "ينصرون" في محلّ رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية "ولا هم ينصرون"، معطوفة على الجملة الفعلية "لا تجزي".

البلاغة:

وقد أعيدت هذه الآية بالألفاظ التي ذكرت بها هنالك للتنبيه على نكتة التكرير للتذكير ولم يخالف بين الآيتين إلا من الترتيب بين العدل والشفاعة، وهنا قدم {ولا يقبل منها عدل} وأخر لفظ الشفاعة مسنداً إليه {تنفعها} وهو تفنن والتفنن في الكلام تنتفي به سآمة الإعادة مع حصول المقصود من التكرير.

فقدمت على العدل بسبب نفي قبولها ونفي قبول الشفاعة لا يقتضي نفي أخذ الفداء فعطف نفي أخذ الفداء للاحتراس، وأما في هذه الآية فقدم الفداء لأنه أسند إليه المقبولية ونفي قبول الفداء لا يقتضي نفي نفع الشفاعة فعطف نفي نفع الشفاعة على نفي قبول الفداء للاحتراس أيضاً.

المسألة رقم 14:

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[1] [سورة البقرة: 49]

معنى الآية:

واذكروا نعمتنا عليكم حين أنقذناكم من بطش فرعون وأتباعه، وهم يُذيقونكم أشدَّ العذاب، فيُكثِرون مِن ذَبْح أبنائكم، وترك بناتكم للخدمة والامتهان. وفي ذلك اختبار لكم من ربكم، وفي إنجائكم منه نعمة عظيمة، تستوجب شكر الله تعالى في كل عصوركم وأجيالكم.

النحو:

[1] يسومونكم: يكلّفونكم ويذيقونكم؛ يستحيون نسائكم: يستَبقون بناتكم للخدمة؛ بلاءٌ: اختبار وامتحان بالنعم والنقمِ.

﴿وَإِذْ﴾: الواو: حرف عطف، "إذ": ظرف زمان مبنيّ على السكون في محلّ نصب مفعول به لفعل محذوف تقديره: "اذكروا".

﴿نَجَّيْنَاكُمْ﴾: فعل ماض مبنيّ على السكون لاتصاله بضمير رفع متحرِّك، و"نا" ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ رفع فاعل، و "الكاف": ضمير متّصل مبنيّ على الضمّ في محلّ نصب مفعول به.

والميم: علامة جمع الذكور، وجملة "نجيناكم" في محلّ جرّ بالإضافة.

﴿مِنْ آلِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"نجى"، ﴿فِرْعَوْنَ﴾: مضاف إليه مجرور بالفتحة بدلًا من الكسرة؛ لأنَّه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة.

﴿يَسُومُونَكُمْ﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون؛ لأنَّه من الأفعال الخمسة، و "الواو" ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، و "الكاف" ضمير متّصل مبنيّ في محلّ نصب مفعول به، و "الميم": لجمع الذكور.

وجملة "يسومونكم" في موضع نصب حال من "آل فرعون"، أو استئنافية لا محلّ لها من الإعراب.

﴿سُوءَ﴾: مفعول به ثان منصوب بالفتحة، ﴿الْعَذَابِ﴾: مضاف إليه مجرور بالإضافة، وعلامة جره الكسرة.

﴿يُذَبِّحُونَ﴾: تعرب إعراب "يسومون".

﴿أَبْنَاءَكُمْ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، و "الكاف" ضمير متّصل مبنيّ على الضمّ في محلّ جرّ بالإضافة، و "الميم": علامة جمع الذكور، وجملة "يذبحون أبناءكم" تفسيرية لا محلّ لها من الإعراب، أو في محلّ نصب حال من الضمير في "يسومونكم".

﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾: معطوفة على "يذبحون أبناءكم"، وتعرب إعرابها.

﴿وَفِي﴾: الواو: حرف استئناف، في: حرف جرّ.

﴿ذَلِكُمْ﴾: ذا اسم إشارة مبنيّ على السكون في محلّ جرّ بفي، اللام: للبعد، و "الكاف": للخطاب، والميم: علامة جمع الذكور، وشبه الجملة "في ذلكم" جارّ ومجرور متعلّقان بخبر مقدم.

﴿بَلَاءٌ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"بلاء" أو بصفة محذوفة منه، و "الكاف": ضمير متّصل مبنيّ على الضمّ في محلّ جرّ بالإضافة، والميم: علامة جمع الذكور.

﴿عَظِيمٌ﴾: صفة لبلاء مرفوعة مثله بالضمة، وجملة المبتدأ والخبر استئنافية لا محلّ لها من الإعراب.

البلاغة:

لما غلبت إضافة أسماء الزمان إلى الجمل وكان معنى الجملة بعدها في معنى المصدر وكان التقدير اذكروا وقت إنجائنا إياكم، وفائدة العدول عن الإتيان بالمصدر الصريح لأن في الإتيان بـ(إذ) المقتضية للجملة استحضاراً للتكوين العجيب المستفاد من هيئة الفعل لأن الذهن إذا تصور المصدر لم يتصور إلا معنى الحدث وإذا سمع الجملة الدالة عليه تصور حدوث الفعل وفاعله ومفعوله ومتعلقاته دفعة واحدة فنشأت من ذلك صورة عجيبة، فوزان الإتيان بالمصدر وزان الاستعارة المفردة، وزان الإتيان بالفعل وزان الاستعارة التمثيلية.

وبين {يذبحون} و{يستحيون} طباق يوضح المعنى ويبرزه.

جزء التشابه: يسومونكم سوء العذاب

1. [سورة إبراهيم: 6] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾

معنى الآية:

واذكر -أيها الرسول- لقومك قصة موسى حين قال لبني إسرائيل: اذكروا نعمة الله عليكم حين أنجاكم من فرعون وأتباعه يذيقونكم أشد العذاب، ويذبِّحون أبناءكم الذكور، حتى لا يأتي منهم من يستولي على مُلْك فرعون، ويبقون الإناث على قيد الحياة ذليلات، وفي ذلكم البلاء والإنجاء اختبار لكم من ربكم عظيم.

النحو:

وَإِذْ: الواو: حرف استئناف مبنيّ على الفتح، "إذ": اسم للزّمن الماضي مبنيّ على السّكون في محلّ نصب مفعول به لفعل محذوف يفسّره ما بعده وهو الفعل "اذكروا".

﴿قَالَ﴾: فعل ماض مبنيّ على الفتح.

﴿مُوسَى﴾: فاعل مرفوع بالضمّة المقدّرة على الألف منع من ظهورها التعذّر، والجملة من الفعل والفاعل في محلّ جرّ بإضافة "إذ" إليها.

﴿لِقَوْمِهِ﴾: اللّام: حرف جرّ مبنيّ على الكسر، "قوم": اسم مجرور باللّام وعلامة جره الكسرة الظّاهرة، و "الهاء": ضمير متّصل مبنيّ على الكسر في محلّ جرّ بالإضافة، والجارّ والمجرور متعلّقان بالفعل "قال".

﴿اذْكُرُوا﴾: فعل أمر مبنيّ على حذف النون، لأنه مأخوذ من أحد الأفعال الخمسة، والواو ضمير متّصل مبنيّ على السّكون في محلّ رفع فاعل، والجملة من الفعل والفاعل في محلّ نصب مفعول به، لأنّها "مقول القول".

﴿نِعْمَةَ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظّاهرة على آخره.

﴿اللَّهِ﴾: لفظ الجلالة مضاف إليه مخفوض بالكسرة الظّاهرة.

﴿عَلَيْكُمْ﴾: "على": حرف جرّ مبنيّ على السّكون، و "كم": ضمير متّصل مبنيّ على السّكون في محلّ جرّ بـ "على"، والجارّ والمجرور متعلّقان بمحذوف حال من "نعمة"، أي: (إبراهيم: اذكروا نعمة الله كائنة عليكم).

﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزّمان مبنيّ على السّكون في محلّ نصب ومتعلّق بـ "نعمة" بمعنى الإنعام.

﴿أَنْجَاكُمْ﴾: فعل ماض مبنيّ على فتحة مقدّرة منع من ظهورها التعذّر، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو، و "كم": ضمير متّصل مبنيّ على السّكون في محلّ نصب مفعول به، والجملة من الفعل والفاعل في محلّ جرّ بإضافة "إذ" إليها.

﴿مِنْ﴾: حرف جرّ مبنيّ على السّكون.

﴿آلِ﴾: اسم مجرور بـ"من" وعلامة جرّه الكسرة الظّاهرة، والجارّ والمجرور متعلّقان بالفعل "أنجاكم".

﴿فِرْعَوْنَ﴾: مضاف إليه مجرور بالفتحة، لأنّه ممنوع من الصّرف للعلميّة والعجمة.

﴿يَسُومُونَكُم﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النّون، لأنّه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متّصل مبنيّ على السّكون في محلّ رفع فاعل، و "كم": ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ نصب مفعول به أول، والجملة "يسومون" من الفعل والفاعل في محلّ نصب حال من "آل فرعون".

﴿سُوءَ﴾: مفعول به ثان منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظّاهرة على آخره.

﴿الْعَذَابِ﴾: مضاف إليه مجرور بالكسرة الظّاهرة.

﴿وَيُذَبِّحُونَ﴾: الواو: جرف عطف مبنيّ على الفتح، "ذبحون": فعل مضارع مرفوع بثبوت النّون، لأنّه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متّصل مبنيّ على السّكون في محلّ رفع فاعل.

والجملة من الفعل والفاعل معطوفة على الجملة "يسومون" في محلّ نصب.

﴿أَبْنَاءَكُمْ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، و "كم": ضمير متّصل مبنيّ على السّكون في محلّ جرّ بالإضافة.

﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾: الواو: جرف عطف مبنيّ على الفتح، "يستحيون" فعل مضارع مرفوع بثبوت النّون، لأنّه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متّصل مبنيّ على السّكون في محلّ رفع فاعل.

والجملة "يستحيون" معطوفة على الجملة "يسومون" في محلّ نصب.

﴿نِسَاءَكُمْ﴾: "نساء": مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، و "كم": ضمير متّصل مبنيّ على السّكون في محلّ جرّ بالإضافة.

﴿وَفِي﴾: الواو: حرف استئناف مبنيّ على الفتح، "في": حرف جرّ مبنيّ على السّكون.

﴿ذَلِكُمْ﴾: "ذا": اسم إشارة مبنيّ على السّكون في محلّ جرّ بـ"في"، و "الكاف": حرف خطاب مبنيّ على الفتح، و "الميم": علامة جمع الذكور، والجارّ والمجرور متعلّقان بمحذوف خبر مقدّم.

﴿بَلَاءٌ﴾: مبتدأ مؤخّر مرفوع بالضمة الظّاهرة، وجملة المبتدأ والخبر استئنافيّة لا محلّ لها من الإعراب.

﴿مِنْ﴾: حرف جرّ مبنيّ على السّكون.

﴿رَبِّكُمْ﴾: "ربّ" اسم مجرور بـ "من" وعلامة جرّه الكسرة، و "كم": ضمير متّصل مبنيّ على السّكون في محلّ جرّ بالإضافة، والجارّ والمجرور متعلّقان بمحذوف نعت لـ"بلاء" في محلّ رفع.

﴿عَظِيم﴾: نعت ثانٍ لـ "بلاء" مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

البلاغة:

و {إذ أنجاكم} ظرف للنعمة بمعنى الإنعام، أي الإنعام الحاصل في وقت إنجائه إياكم من آل فرعون.

وبين {يذبحون} و{يستحيون} طباق يوضح المعنى ويبرزه.

2. [سورة الأعراف: 141] ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾

معنى الآية:

واذكروا - يا بني إسرائيل - نِعَمنا عليكم إذ أنقذناكم من أَسْر فرعون وآله، وما كنتم فيه من الهوان والذلة من تذبيح أبنائكم واستبقاء نسائكم للخدمة، وفي حَمْلِكم على أقبح العذاب وأسوئه، ثم إنجائكم، اختبار من الله لكم ونعمة عظيمة.

النحو:

﴿وَإِذْ﴾: الواو: حرف استئناف، إذ: اسم مبنيّ على السكون في محل نصب مفعول به لفعل محذوف تقديره: اذكروا، وجملة "اذكروا" استئنافية لا محلّ لها من الإعراب.

﴿أَنْجَيْنَاكُمْ﴾: أنجى: فعل ماضٍ مبنيّ على السكون لاتصاله بضمير رفع متحرك، و"نا": ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محل رفع فاعل، و"كم": ضمير متّصل مبنيّ على الضم في محل نصب مفعول به، والجملة في محل جرّ بالإضافة.

﴿مِنْ آلِ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ"أنجى".

﴿فِرْعَوْنَ﴾: مضاف إليه مجرور بالفتحة بدلًا من الكسرة لأنه ممنوع من الصرف.

﴿يَسُومُونَكُمْ﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، و"الواو" ضمير متّصل مبنيّ في محل رفع فاعل.

و"كم": ضمير متّصل مبنيّ في محلّ نصب مفعول به، والجملة "يسومونكم" في محل نصب حال من المخاطبين أو من آل فرعون، أو استئنافية لا محلّ لها من الإعراب.

﴿سُوءَ﴾: مفعول به ثانٍ منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

﴿الْعَذَابِ﴾: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿يُقَتِّلُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، و"الواو" ضمير متّصل مبنيّ في محل رفع فاعل.

﴿أَبْنَاءَكُمْ﴾: أبناء: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، و"كم": ضمير متّصل مبنيّ على الضم في محل جرّ بالإضافة.

﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾: معطوفة بالواو على "يقتلون أبناءكم"، وتعرب إعرابها.

﴿وَفِي﴾: الواو: حرف استئناف، في: حرف جرّ.

﴿ذَلِكُمْ﴾: ذا: اسم إشارة مبنيّ على السكون في محل جرّ بـ"في"، و"اللام": حرف للبعد، و"كم": حرف للمخاطب، والجار والمجرور متعلقان بخبر مقدم.

﴿بَلَاءٌ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، وجملة المبتدأ والخبر استئنافية لا محلّ لها من الإعراب.

﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ"بلاء"، و"كم": ضمير متّصل مبنيّ في محل جرّ بالإضافة.

﴿عَظِيمٌ﴾: صفة لـ"بلاء" مرفوعة بالضمة.

البلاغة:

نفس ما سبق في سورة البقرة الآية 49.

المسألة رقم 15:

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[1] [سورة البقرة: 57]

معنى الآية:

واذكروا نعمتنا عليكم حين كنتم تتيهون في الأرض؛ إذ جعلنا السحاب مظللا عليكم من حَرِّ الشمس، وأنزلنا عليكم المنَّ، وهو شيء يشبه الصَّمغ طعمه كالعسل، وأنزلنا عليكم السَّلوى وهو طير يشبه السُّمانَى، وقلنا لكم: كلوا من طيِّبات ما رزقناكم، ولا تخالفوا دينكم، فلم تمتثلوا. وما ظلمونا بكفران النعم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون؛ لأن عاقبة الظلم عائدة عليهم.

النحو:

﴿وَظَلَّلْنَا﴾: الواو حرف عطف مبنيّ على الفتح، "ظلل": فعل ماض مبنيّ على السكون لاتصاله بضمير رفع متحرك، "نا": ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ رفع فاعل.

وجملة "ظللنا" معطوفة على جملة "بعثناكم".

﴿عَلَيْكُمُ﴾: "على": حرف جرّ مبنيّ على السكون، "كم": ضمير متّصل مبنيّ على السكون، وقد ترك بالضم منعًا من التقاء الساكنين، في محلّ جرّ بحرف الجرّ، والجارّ والمجرور متعلّقان بـ "ظللنا".

﴿الْغَمَامَ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظّاهرة على آخره.

﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ﴾: تعرب إعراب "وظللنا عليكم الغمام"، والجملة معطوفة عليها.

﴿وَالسَّلْوَى﴾: الواو حرف عطف مبنيّ على الفتح، "السلوى": اسم معطوف منصوب بالفتحة المقدرة على الألف للتعذّر.

﴿كُلُوا﴾: فعل أمر مبنيّ على حذف النون لاتصاله بواو الجماعة، والواو ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ رفع فاعل، وجملة "كلوا" في محلّ نصب مقول قول محذوف، والتقدير: "و قلنا: كلوا".

﴿مِنْ﴾: حرف جرّ مبنيّ على السكون.

﴿طَيِّبَاتِ﴾: اسم مجرور بالكسرة الظاهرة وهو مضاف، والجارّ والمجرور متعلّقان بـ"كلوا".

﴿مَا﴾: اسم موصول مبنيّ على السكون في محلّ جرّ بالإضافة.

---

[1] الغمام: السحاب الأبيض الرقيق، المنّ: مادة صمغية حلوة كالعسل؛ والسلوى: الطائر المعروف بالسّماني.

﴿رَزَقْنَاكُمْ﴾: "رزق": فعل ماض مبنيّ على السكون لاتصاله بضمير رفع متحرك، "نا": ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ رفع فاعل، "كم": ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ نصب مفعول به.
وجملة "رزقناكم": لا محلّ لها من الإعراب لأنها صلة الموصول.
﴿وَمَا﴾: الواو حرف عطف مبنيّ على الفتح، "ما": حرف نفي مبنيّ على السكون.
﴿ظَلَمُونَا﴾: فعل ماض مبنيّ على السكون لاتصاله بواو الجماعة، و "الواو" ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ رفع فاعل، "نا": ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ نصب مفعول به.
وجملة "ظلمونا" معطوفة على جملة محذوفة، والتقدير: "وظلموا أنفسهم بكفران النعمة وما ظلمونا".
﴿وَلَكِنْ﴾: الواو حرف عطف مبنيّ على الفتح، "لكن": حرف استدراك مبنيّ على السكون.
﴿كَانُوا﴾: فعل ماض ناقص مبنيّ على الضمّ لاتصاله بواو الجماعة، والواو ضمير متّصل مبنيّ على الضمّ في محلّ رفع اسم "كان".
﴿أَنْفُسَهُمْ﴾: مفعول به للفعل "يظلمون" منصوب بالفتحة الظاهرة، وهو مضاف: "هم": ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ جرّ بالإضافة.
﴿يَظْلِمُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون لأنَّه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ رفع فاعل، وجملة "يظلمون" في محلّ نصب اسم "كان"، وجملة "كانوا أنفسهم يظلمون" معطوفة على جملة "وما ظلمنا".

البلاغة:

في قوله تعالىٰ: {كلوا من طيبات ما رزقناكم} أسلوب إنشائي أمر غرضه الإباحة.
تقديم {عليكم} قبل {المن والسلوىٰ} أسلوب قصر يفيد الاختصاص، حيث إنهم من أعطاهم الله تعالى وأنزل المن والسلوىٰ عليهم دون غيرهم في فترة حياتهم.
وذلك كما في {ولكن كانوا أنفسهم يظلمون} أسلوب قصر بتقديم المفعول به {أنفسهم} قبل الفعل {يظلمون} يفيد اختصاص الظلم على أنفسهم بمخافة أوامر الله تعالىٰ ومعصيته بعد أن أنعم الله تعالىٰ عليهم هذه النعم المذكورة في الآية.

جزء التشابه: ظللنا عليكم الغمام

1. [سورة البقرة: 210] ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾

معنى الآية:

ما ينتظر هؤلاء المعاندون الكافرون بعد قيام الأدلة البينة إلا أن يأتيهم الله عز وجل على الوجه اللائق به سبحانه في ظُلَل من السحاب يوم القيامة؛ ليفصل بينهم بالقضاء العادل، وأن تأتي الملائكة، وحينئذ يقضي الله تعالى فيهم قضاءه. وإليه وحده ترجع أمور الخلائق جميعها.

النحو:

﴿هَلْ﴾: حرف استفهام إنكاري مبنيّ على السّكون لا محلّ له من الإعراب.

﴿يَنْظُرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النّون؛ لأنّه من الأفعال الخمسة، و"الواو" ضمير متّصل مبنيّ على السّكون في محلّ رفع فاعل.

﴿إِلَّا﴾: حرف حصر مبنيّ على السّكون لا محلّ له من الإعراب.

﴿أَنْ﴾: حرف مصدريّ ونصب مبنيّ على السّكون لا محلّ له من الإعراب.

﴿يَأْتِيَهُمُ﴾: فعل مضارع منصوب بأن، وعلامة نصبه الفتحة الظّاهرة، و"الهاء": ضمير متّصل مبنيّ على الضم في محلّ نصب مفعول به، و"الميم": للجمع.

﴿اللَّهُ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظّاهرة، والمصدر المؤول من "أن يأتيهم الله" في محلّ نصب مفعول به لـ"ينظرون".

﴿فِي﴾: حرف جرّ مبنيّ على السّكون لا محلّ له من الإعراب، ﴿ظُلَلٍ﴾: اسم مجرور بفي، وعلامة جره الكسرة الظّاهرة، والجارّ والمجرور متعلّقان بالفعل "يأتيهم".

﴿مِنَ﴾: حرف جرّ مبنيّ على السّكون لا محلّ له من الإعراب، ﴿الْغَمَامِ﴾: اسم مجرور بمن، وعلامة جره الكسرة الظّاهرة، والجارّ والمجرور متعلّقان بمحذوف صفة "ظلل".

﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾: الواو حرف عطف مبنيّ على الفتح لا محلّ له من الإعراب، الملائكة: اسم معطوف على لفظ الجلالة مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظّاهرة وقرأ الحسن "والملائكة" جرًا وعطفًا على "ظلل".

﴿وَقُضِيَ﴾: الواو حرف استئناف مبنيّ على الفتح لا محلّ له من الإعراب، "قضي": فعل ماضٍ مبنيّ للمجهول مبنيّ على الفتح الظاهر على آخره، ﴿الْأَمْرُ﴾: نائب فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظّاهرة، وجملة "قضي الأمرُ" استئنافيّة لا محلّ لها من الإعراب.

﴿وَإِلَى﴾: الواو: حرف عطف مبنيّ على الفتح لا محلّ له من الإعراب، إلى: حرف جرّ مبنيّ على السّكون لا محلّ له من الإعراب.

﴿اللَّهِ﴾: لفظ الجلالة: اسم مجرور بإلى، وعلامة جره الكسرة الظّاهرة والجار والمجرور متعلّقان بـ"ترجع".

﴿تُرْجَعُ﴾: فعل مضارع مبنيّ للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظّاهرة.

﴿الْأُمُورُ﴾: نائب فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظّاهرة، وجملة "إلى الله ترجع الأمور" معطوفة على سابقتها لا محلّ لها من الإعراب.

البلاغة:

حرف (هل) مفيد الاستفهام ومفيد التحقيق ويظهر أنه موضوع للاستفهام عن أمر يراد تحقيقه، والاستفهام إنكاري لا محالة بدليل الاستثناء، فالكلام خبر في صورة الاستفهام.

و {من الغمام} بيان للمشبه وهو قرينة الاستعارة.

وأسند الإتيان إلى الله تعالى في هذه الآية على وجه الإثبات فاقتضى ظاهره اتصاف الله تعالى به، وهو إسناد مجازي وإنما يأتيهم عذاب الله يوم القيامة أو في الدنيا.

التعريف في (الأمر) إما للجنس مراداً منه الاستغراق أي قُضِيت الأمور كلها، وإما للعهد أي أمر هؤلاء أي عقابهم أو الأمر المعهود للناس كلهم وهو الجزاء.

وقوله: {وإلى الله ترجع الأمور} تذييل جامع لمعنى: {وقضى الأمر} والرجوع في الأصل: المآب إلى الموضع الذي خرج منه الراجع، ويستعمل مجازاً في نهاية الشيء وغايته وظهور أثره.

2. [سورة الأعراف: 160] ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[1]

معنى الآية:

[1] قطّعناهم: فرّقناهم أو صيّرناهم؛ أسباطًا: جماعات، كالقبائل في العرب؛ فانبجست: فانفجرت؛ مشربهم: عينهم الخاصّة بهم؛ الغمام: السّحاب الأبيض الرّقيق؛ المنّ: مادّة صَمغيّة حُلوة كالعسل؛ السّلوى: الطّائر المعروف بالسّماني.

وفرَّقنا قوم موسى مِن بني إسرائيل اثنتي عشرة قبيلة بعدد الأسباط -وهم أبناء يعقوب- كل قبيلة معروفة من جهة نقيبها. وأوحينا إلى موسى إذ طلب منه قومه السقيا حين عطشوا في التِّيْه: أن اضرب بعصاك الحجر، فضربه، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا من الماء، قد علمت كل قبيلة من القبائل الاثنتي عشرة مشربهم، لا تدخل قبيلة على غيرها في شربها، وظلَّلنا عليهم السحاب، وأنزلنا عليهم المنَّ -وهو شيء يشبه الصَّمغ، طعمه كالعسل - والسلوى، وهو طائر يشبه السُّمَانَى، وقلنا لهم: كلوا من طيبات ما رزقناكم، فكرهوا ذلك وملُّوه من طول المداومة عليه، وقالوا: لن نصبر على طعام واحد، وطلبوا استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير. وما ظلمونا حين لم يشكروا لله، ولم يقوموا بما أوجب الله عليهم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون؛ إذ فوَّتوا عليها كل خير، وعرَّضوها للشر والنقمة.

النحو:

﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ﴾: الواو: حرف استئناف؛ قطعنا: فعل ماضٍ مبنيّ على السّكون، لاتصاله بضمير رفع متحرك، و"نا": ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، و"هم": ضمير الغائبين مبنيّ على السّكون في محلّ نصب مفعول به.

﴿اثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾: اثنتي: حال منصوب بالياء، لأنّه ملحق بالمثنى؛ عشرة: اسم مبنيّ على الفتح لا محلّ له من الإعراب.

﴿أَسْبَاطًا﴾: تمييز منصوب بالفتحة.

﴿أُمَمًا﴾: بدل من "اثنتي عشرة" منصوب، وعلامة نصبه الفتحة؛ وجملة "قطعناهم" استئنافيّة لا محلّ لها من الإعراب.

﴿وَأَوْحَيْنَا﴾: الواو: حرف عطفٌ؛ أوحينا: تعرب إعراب "قطّعنا".

﴿إِلَى مُوسَى﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"أوحينا"، وعلامة جرّ الاسم الفتحة المقدّرة على الألف للتعذّر بدلًا من الكسرة، لأنّه ممنوع من الصرف.

﴿إِذِ﴾: ظرفٌ زمان بمعنى "حين" مبنيّ على السّكون متعلّق بـ "أوحينا" وحرك بالكسر لالتقاء السَّاكِنَيْن.

﴿اسْتَسْقَاهُ﴾: استسقى: فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح المقدّر على الألف للتعذّر، و"الهاء": ضمير متّصل مبنيّ على الضم في محلّ نصب مفعول به مقدم.

﴿قَوْمُهُ﴾: قوم: فاعل مرفوع بالضمّة، والهاء: ضمير متّصل مبنيّ على الضم في محلّ جرّ بالإضافة.

وجملة "استسقاه قومه" في محلّ جرّ بالإضافة.

﴿أَنِ﴾: حرف مصدريّ مبنيّ على السّكون وكسرت نونه لالتقاء الساكنين.

﴿اضْرِبْ﴾: فعل أمر مبنيّ على السّكون، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره: أنت.

﴿بِعَصَاكَ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"اضرب"، وعلامة جرّ الاسم الكسرة المقدّرة على الألف للتعذّر، و"الكاف" ضمير متّصل مبنيّ على الفتح في محلّ جرّ بالإضافة.

﴿الْحَجَرَ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، وأن المصدرية وما بعدها، بتأويل مصدر في محلّ جرّ بالباء المقدّرة.

والجارّ والمجرور متعلّقان بالفعل "أوحى".

وجملة "اضرب" صلة "أن" لا محلّ لها من الإعراب.

﴿فَانْبَجَسَتْ﴾: الفاء: حرف عطف، انبجست: فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح، والتاء حرف للتأنيث.

﴿مِنْهُ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"انبجست".

وجملة "انبجست" معطوفة على جملة استئنافيّة محذوفة، والتَّقديرُ: فضرب فانبجست.

﴿اثْنَتَا عَشْرَةَ﴾: اثنتا: فاعل مرفوع بالألف، لأنّه ملحق بالمثنى؛ عشرة: اسم مبني على الفتح لا محلّ له من الإعراب.

﴿عَيْنًا﴾: تمييز منصوب بالفتحة.

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق، ﴿عَلِمَ﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح، ﴿كُلُّ﴾: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، ﴿أُنَاسٍ﴾: مضافٌ إليه مجرور بالكسرة.

﴿مَشْرَبَهُمْ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، و"هم": ضمير الغائبين مبنيّ على السّكون في محلّ جرّ بالإضافة، وجملة "علم" استئنافيّة لا محلّ لها من الإعراب.

﴿وَظَلَّلْنَا﴾: الواو: حرف استئناف، ظللنا: تعرب إعراب "قطّعنا".

﴿عَلَيْهِمُ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"ظللنا".

﴿الْغَمَامَ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، وجملة "ظللنا" استئنافيّة لا محلّ لها من الإعراب.

﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾: معطوفة بالواو على "ظللنا عليهم الغمام" وتعرب إعرابها، والسلوى: معطوفة بالواو على "المن" منصوبة بالفتحة المقدّرة على الألف للتعذّر.

﴿كُلُوا﴾: فعل أمر مبنيّ على حذف النّون، لأنّه مضارعه من الأفعال الخمسة.

البلاغة:

والتقطيع شدة في القطع وهو التفريق، والمراد به التقسيم، وليس المراد بهذا الخبر الذم، ولا بالتقطيع العقاب، لأن ذلك التقطيع منة من الله، وهو من محاسن سياسة الشريعة الموسوية، ومن مقدمات نظام الجماعة.

وجيء باسم العدد بصيغه التأنيث في قوله: {اثنتي عشرة} لأن السبط أطلق هنا على الأمة فحذف تمييز العدد لدلالة قوله: {أمماً} عليه.

وقوله: {أمماً} بدل من أسباط أو من أثنتي عشرة، وعدل عن جعل أحد الحالين تمييزاً في الكلام إيجازاً وتنبيهاً على قصد المنة بكونهم أمماً من آباء أخوة. وأن كل سبط من أولئك قد صار أمة.

هذا مظهر من مظاهر حكمة تقسيمهم إلى اثني عشر سبطاً ولم يعطف هذا الخبر بالفاء لإفادة أنه منة مستقلة.

3. [سورة الفرقان: 25] ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾[1]

معنى الآية:

واذكر -أيها الرسول- ذلك اليوم الذي تتشقق فيه السماء، ويظهر من فتحاتها السحاب الأبيض الرقيق، وينزل الله ملائكة السماوات يومئذ، فيحيطون بالخلائق في المحشر، ويأتي الله تبارك وتعالى لفصل القضاء بين العباد، إتيانًا يليق بجلاله.

النحو:

وَيَوْمَ: الواو: حرف عطف و "يوم": معطوفة، يجوز أن يكون "يوم" مفعولًا به لفعل محذوف تقديره اذكر.

﴿تَشَقَّقُ﴾: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿السَّمَاءُ﴾: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿بِالْغَمَامِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"تشقق السماء".

﴿وَنُزِّلَ﴾: الواو: حرف عطف.

نزل: فعل ماضٍ للمجهول مبنيّ على الفتح.

﴿الْمَلَائِكَةُ﴾: نائب فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

[1] تشقّق السّماء: تتفتح السماوات.

﴿تَنْزِيلًا﴾: مفعول مطلق منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

وجملة "تشقق السماء" في محلّ جرّ مضاف إليه، وجملة و "نزل الملائكة" في محلّ جرّ معطوفة على جملة "تشقق".

البلاغة:

أعيد لفظ {يَومَ} على طريقة الإظهار في مقام الإضمار وإن كان ذلك يوماً واحداً لبعد ما بين المعاد ومكان الضمير.

التعبير بالتنزيل يقتضي أن السماوات التي تنشقّ عن الملائكة أعلى من مكان حضور الملائكة.

والباء في قوله: {بالغمام} قيل بمعنى تشقق عن غمام يحفّ بالملائكة. وقيل للسببية، أي يكون غمام يخلقه الله فيه قوة تنشقّ بها السماء لينزل الملائكة مثل قوة البرق التي تشق السحاب. وقيل الباء للملابسة، أي تشَّقَّق ملابسة لغمام يظهر حينئذ.

وأُكد {نُزِّل الملائكة} بالمفعول المطلق لإفادة أنه نزول بالذات لا بمجرد الاتصال النُوراني مثل الخواطر الملكية التي تشعشع في نفوس أهل الكمال.

المسألة رقم 16:

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾[1] [سورة البقرة: 58]

معنى الآية:

واذكروا نعمتنا عليكم حين قلنا: ادخلوا مدينة "بيت المقدس" فكلوا من طيباتها في أي مكان منها أكلا هنيئًا، وكونوا في دخولكم خاضعين لله، ذليلين له، وقولوا: ربَّنا ضَعْ عنَّا ذنوبنا، نستجب لكم ونعف ونسترها عليكم، وسنزيد المحسنين بأعمالهم خيرًا وثوابًا.

النحو:

﴿وَإِذْ﴾: الواو حرف استئناف، "إذ": ظرف مبنيّ على السكون في محلّ نصب مفعول به لفعل محذوف تقديره: اذكروا، وهو مضاف.

[1] رغدًا: أكلاً واسعاً أو هنيئاً لا عناءَ فيه؛ قولوا حِطّة: قولوا مسألتنا يا ربنا أن تحط عنا خطايانا.

﴿قُلْنَا﴾: فعل ماض مبنيّ على السكون لاتصاله بضمير رفع متحرك، و "نا" ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، وجملة "قلنا" في محلّ جرّ مضاف إليه.

﴿ادْخُلُوا﴾: فعل أمر مبنيّ على حذف النون؛ لأن مضارعه من الأفعال الخمسة، و "الواو" ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، والألف: فارقة.

﴿هَذِهِ﴾: اسم إشارة مبنيّ على الكسر في محلّ نصب مفعول به.

﴿الْقَرْيَةَ﴾: بدل من "هذه" منصوب مثله بالفتحة، وجملة "ادخلوا" في محلّ نصب "مقول القول".

﴿فَكُلُوا﴾: معطوفة بالفاء علي "ادخلوا" وتعرب إعرابها.

﴿مِنْهَا﴾: جارّ ومجرور متعلّق بـ"كلوا".

﴿حَيْثُ﴾: اسم مبنيّ على الضمّ في محلّ نصب على الظرفية المكانية متعلق بـ" كلوا".

﴿شِئْتُمْ﴾: فعل ماض مبنيّ على السكون لاتصاله بضمير الرفع المتحرك، والتاء ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، و "الميم": علامة جمع الذكور وجملة "شئتم" في محلّ جرّ بالإضافة.

﴿رَغَدًا﴾: مفعول مطلق منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

﴿وَادْخُلُوا﴾: جملة معطوفة على جملة "كلوا"، وتعرب إعرابها.

﴿الْبَابَ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

﴿سُجَّدًا﴾: حال منصوب بالفتحة.

﴿وَقُولُوا﴾: الواو: حرف عطف، قولوا: معطوفة على "ادخلوا" وتعرب إعرابها.

﴿حِطَّةٌ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: أمرك حطة: والجملة الاسمية من المبتدأ والخبر في محلّ نصب مفعول به "مقول القول".

﴿نَغْفِرْ﴾: فعل مضارع مجزوم لأنَّه جواب الطلب للفعل "قولوا"، وعلامة جزمه السكون.

والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره: نحن.

﴿لَكُمْ﴾: جارّ ومجرور متعلقّ بـ"نغفر"، و "الميم": علامة جمع الذكور.

﴿خَطَايَاكُمْ﴾: مفعول به منصوب بالفتحة المقدرة على الألف للتعذر، و "الكاف" ضمير متّصل مبنيّ على الضمّ في محلّ جرّ بالإضافة، و "الميم": علامة جمع الذكور، وجملة "نغفر" لا محلّ لها من الإعراب لأنها جواب الطلب.

﴿وَسَنَزِيدُ﴾: الواو حرف استئناف، والسين: حرف استقبال، نزيد: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة، والفاعل: ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره: نحن.

﴿الْمُحْسِنِينَ﴾: مفعول به منصوب بالياء لأنَّه جمع مذكر سالم، وجملة "سنزيد" استئنافية لا محلّ لها من الإعراب.

البلاغة:

في قوله: {ادخلوا هذه القرية} أسلوب إنشائي أمر غرضه طلب الفعل على جهة الاستعلاء والإلزام، وفي قوله تعالى: {فكلوا} أمر غرضه الإباحة، وقوله {قولوا حطة} غرضه التأديب والدعاء لكي يحط الله ذنوبهم.

وقوله تعالى: {نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ} بيان للثمرة التي تترتب على طاعتهم وخضوعهم لخالقهم، وإغراء لهم على الامتثال والشكر، لو كانوا يعقلون - لأن غاية ما يتمناه العقلاء غفران الذنوب.

جزء التشابه: وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين

1. [سورة الأعراف: 161] ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾

معنى الآية:

واذكر -أيها الرسول- عصيان بني إسرائيل لربهم سبحانه وتعالى ولنبيهم موسى عليه السلام، وتبديلهم القول الذي أمروا أن يقولوه حين قال الله لهم: اسكنوا قرية "بيت المقدس"، وكلوا من ثمارها وحبوبها ونباتها أين شئتم ومتى شئتم، وقولوا: حُطَّ عنا ذنوبنا، وادخلوا الباب خاضعين لله، نغفر لكم خطاياكم، فلا نؤاخذكم عليها، وسنزيد المحسنين مِن خَيْرَيِ الدنيا والآخرة.

النحو:

"إذ": ظرف مبنيّ على السكون في محلّ نصب مفعول وبه لفعل محذوف تقديره: اذكروا، وهو مضاف.

﴿قُلْنَا﴾: فعل ماض مبنيّ على السكون لاتصاله بضمير رفع متحرك، و "نا" ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، وجملة "قلنا" في محلّ جرّ مضاف إليه.

﴿ادْخُلُوا﴾: فعل أمر مبنيّ على حذف النون؛ لأن مضارعه من الأفعال الخمسة، و "الواو" ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، والألف: فارقة.

﴿هَذِهِ﴾: اسم إشارة مبنيّ على الكسر في محلّ نصب مفعول به.

﴿الْقَرْيَةَ﴾: بدل من "هذه" منصوب مثله بالفتحة، وجملة "ادخلوا" في محلّ نصب "مقول القول".

﴿فَكُلُوا﴾: معطوفة بالفاء علي "ادخلوا" وتعرب إعرابها.

﴿مِنْهَا﴾: جارّ ومجرور متعلّق بـ"كلوا".

﴿حَيْثُ﴾: اسم مبنيّ على الضمّ في محلّ نصب على الظرفية المكانية متعلق بـ" كلوا".

﴿شِئْتُمْ﴾: فعل ماض مبنيّ على السكون لاتصاله بضمير الرفع المتحرك، والتاء ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، و "الميم": علامة جمع الذكور وجملة "شئتم" في محلّ جرّ بالإضافة.

﴿رَغَدًا﴾: مفعول مطلق منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

﴿وَادْخُلُوا﴾: جملة معطوفة على جملة "كلوا"، وتعرب إعرابها.

﴿الْبَابَ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

﴿سُجَّدًا﴾: حال منصوب بالفتحة.

﴿وَقُولُوا﴾: الواو: حرف عطف، قولوا: معطوفة على "ادخلوا" وتعرب إعرابها.

﴿حِطَّةٌ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: أمرك حطة: والجملة الاسمية من المبتدأ والخبر في محلّ نصب مفعول به "مقول القول".

﴿نَغْفِرْ﴾: فعل مضارع مجزوم لأنَّه جواب الطلب للفعل "قولوا"، وعلامة جزمه السكون.

والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره: نحن.

﴿لَكُمْ﴾: جارّ ومجرور متعلقّ بـ"نغفر"، و "الميم": علامة جمع الذكور.

﴿خَطَايَاكُمْ﴾: مفعول به منصوب بالفتحة المقدرة على الألف للتعذر، و "الكاف" ضمير متّصل مبنيّ على الضمّ في محلّ جرّ بالإضافة، و "الميم": علامة جمع الذكور، وجملة "نغفر" لا محلّ لها من الإعراب لأنها جواب الطلب.

﴿وَسَنَزِيدُ﴾: الواو حرف استئناف، والسين: حرف استقبال، نزيد: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة، والفاعل: ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره: نحن.

﴿الْمُحْسِنِينَ﴾: مفعول به منصوب بالياء لأنَّه جمع مذكر سالم.

وجملة "سنزيد" استئنافية لا محلّ لها من الإعراب»، وجملة "اسكنوا هذه القرية" في محلّ رفع نائب فاعل للفعل "قيل".

البلاغة:

في قوله تعالىٰ: {اسكنوا} أمر غرضه طلب الفعل على جهة الاستعلاء والإلزام، وفي {كلوا} أمر غرضه الإباحة، وفي {قولوا حطة} أمر غرضه الدعاء. في هذه الآية استخدمت كلمة {اسكنوا} بدلًا من {ادخلوا} كما في سورة البقرة وذلك لتغيير الأسلوب استجدادًا لنشاط السامع.

وكذلك اختلاف التعبير في قوله هنا: {وكلوا} وقوله في سورة البقرة (58) {فكلوا} فإنه قد قيل لهم بما يرادف فاء التعقيب، كما جاء في سورة البقرة، لأن التعقيب معنى زائِد على مطلق الجمع الذي تفيده واو العطف، واقتصر هنا على حكاية أنه قيل لهم، وكانت آية البقرة أولى بحكاية ما دلت عليه فاء التعقيب، لأن آية البقرة سيقت مساق التوبيخ فناسبها ما هو أدل على المنة، وهو تعجيل الانتفاع بخيرات القرية، وآيات الأعراف سيقت لمجرد العبرة بقصة بني إسرائيل.

المسألة رقم 17:

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[1]

[سورة البقرة: 59]

معنى الآية:

فبدَّل الجائرون الضالون من بني إسرائيل قول الله، وحرَّفوا القول والفعل جميعًا، إذ دخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا: حبة في شعرة، واستهزءوا بدين الله. فأنزل الله عليهم عذابًا من السماء؛ بسبب تمردهم وخروجهم عن طاعة الله.

النحو:

﴿فَبَدَّلَ﴾: الفاء: حرف استئناف، بدّل: فعل ماض مبنيّ على الفتح.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبنيّ على الفتح في محلّ رفع فاعل بدّل.

﴿ظَلَمُوا﴾: فعل ماض مبنيّ على الضمّ لاتصاله بواو الجماعة، و "الواو" ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، والألف فارقة، وجملة "ظلموا" صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب.

﴿قَوْلًا﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

﴿غَيْرَ﴾: صفة للموصوف "قولًا" منصوبة مثله وعلامة نصبها الفتحة الظاهرة على آخرها.

[1] رِجْزًا: عذابًا، قيل هو الطاعون.

ويجوز إعرابه بدلًا منه.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول مبنيّ على السكون في محلّ جرّ بالإضافة.

﴿قِيلَ﴾: فعل ماض مبنيّ للمجهول، ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿لَهُمْ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"قيل"، و "هم" ضمير متّصل مبنيّ في محلّ جرّ باللام.

وجملة "قيل لهم صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب.

﴿فَأَنْزَلْنَا﴾: الفاء: حرف عطف، أنزلنا: فعل ماض مبنيّ على السكون لاتصاله بضمير رفع متحرك.

و "نا" ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ رفع فاعل.

﴿عَلَى﴾: حرف جرّ.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبنيّ على الفتح في محلّ جرّ بعلى والجار والمجرور متعلّقان بـ"أنزلنا".

﴿ظَلَمُوا﴾: تعرب إعراب "ظلموا" الأولى.

﴿رِجْزًا﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بصفة محذوفة من "رجزًا".

﴿بِمَا﴾: الباء: حرف جر، ما: نكرة بمعنى "شيء" ويجوز إعرابها: اسمًا موصولًا بمعنى "الذي" مبنيّ على السكون في محلّ جرّ بالباء، والجارّ والمجرور متعلّقان بـ"أنزلنا".

﴿كَانُوا﴾: فعل ماض ناقص مبنيّ على الضمّ لاتصاله بواو الجماعة.، والواو ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع اسم "كان"، و"الألف": فارقة، وجملة "كانوا" صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب.

﴿يَفْسُقُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون؛ لأنَّه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، والجملة الفعلية "يفسقون" في محل نصب خبر "كان".

البلاغة:

{فَبَدَّلَ الذين ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الذي قِيلَ لَهُمْ} بيان للسبب الذي من أجله نزل عليهم العذاب، وتوبيخ لهم على مخالفتهم أوامر الله، لأن تبديل الشيء معناه تغييره وإزالته عما كان عليه بإعطائه صورة تخالف التي كان عليها.

{فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً} إعادة الموصول وصلته، لأن القصد بيان سبب إنزال العذاب عليهم مرتين أشير إلى أولاهما بما يومىء إليه الموصول من علة الحكم، وإلى الثانية بحرف السببية.

وتكرار {الذين ظلموا} يفيد التوكيد والتأكيد على ظلمهم بعصيان الله.

وفي قوله {رجزًا من السماء} الرجز قد أنهاهم من جهة السماء إشعار بأنه عذاب لم يمكن دفعه وأنه لم يكن له سبب أرضي من عدوي أو نحوها، بل رمتهم به الملائكة من جهة السماء.

جزء التشابه: بدل الذين ظلموا

1. [سورة الأعراف: 162] ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾

معنى الآية:

غيَّر الذين كفروا بالله منهم ما أمرهم الله به من القول، ودخلوا الباب يزحفون على أستاههم، وقالوا: حبة في شعرة، فأرسلنا عليهم عذابًا من السماء، أهلكناهم به؛ بسبب ظلمهم وعصيانهم.

النحو:

﴿فَبَدَّلَ﴾: الفاء: حرف استئناف، بدلٌ: فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبنيّ على الفتح في محلّ رفع فاعل، وجملة "بدل" استئنافيّة لا محلّ لها من الإعراب.

﴿ظَلَمُوا﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الضم، لاتصاله بواو الجماعة، والواو ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، و"الألف" فارقة.

﴿مِنْهُمْ﴾: جار ومجرور متعلّقان بحال محذوفه من الموصول "الذين".

والجملة ظلموا" صلة الموصول لا محلّ لها.

﴿قَوْلًا﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

﴿غَيْرَ﴾: صفة لقولًا منصوبة مثله وعلامة نصبها الفتحة الظاهرة على آخرها.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول في محل جرّ بالإضافة.

﴿قِيلَ﴾: فعل ماضٍ للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿لَهُمْ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"قيل"، وجملة "قيل" صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب.

﴿فَأَرْسَلْنَا﴾: الفاء: حرف استئناف، أرسل: فعل ماضٍ مبنيّ على السّكون لاتصاله بضمير رفع متحرك.

و"نا": ضمير متّصل مبنيّ على السّكون في محلّ رفع فاعل.

﴿عَلَيْهِمُ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"أرسلنا".

﴿رِجْزًا﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بصفة محذوفة من "رجزًا".

﴿بِمَا﴾: ما: حرف مصدريّ.

﴿كَانُوا﴾: فعل ماض ناقص مبنيّ على الضم، لاتصاله بواو الجماعة، والواو ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع اسم "كان" و "الألف" فارقة، و"ما" وما بعدها بتأويل مصدر في محلّ جرّ بـ"من"، والتَّقديرُ: بكونهم ظالمين؛ أي: بسبب ظلمهم.

﴿يَظْلِمُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النّون، والواو ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل.

والجملة "يظلمون" في محلّ نصب خبر "كان"، وجملة "كانوا يظلمون" صلة "ما" لا محلّ لها من الإعراب.

البلاغة:

ووقع في هذه الآية {فبدل الذين ظلموا منهم} ولم يقع لفظ {منهم} في سورة البقرة، ووجه زيادتها هنا التصريحُ بأن تبديل القول لم يصدر من جميعهم.

وعبر هنا {بما كانوا يظلمون} وفي البقرة (59) {بما كانوا يفسقون} لأنه لما اقتضى الحال في القصتين تأكيدَ وصفهم بالظلم وأدي ذلك في البقرة (59) بقوله: {فأنزلنا على الذين ظلموا} استثقلت إعادة لفظ الظلم هنالك ثالثة، فعُدل عنه إلى ما يفيد مفاده، وهو الفسق، وهو أيضاً أعم، فهو أنسب بتذييل التوبيخ، وجيء هنا بلفظ {يظلمون} لئلا يفوت تسجيل الظلم عليهم مرة ثالثة، فكان تذييل آية البقرة أنسب بالتغليط في ذمهم، لأن مقام التوبيخ يقتضيه.

المسألة رقم 18:

﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[1] [سورة البقرة: 60]

معنى الآية:

[1] فانفجرت: فانشقت وسالت بكثرة؛ مشربهم: موضع شربهم؛ لا تعثوا في الأرض: لا تفسدوا فيها؛ مفسدين: متمادين في الفساد

واذكروا نعمتنا عليكم -وأنتم عطاش في التِّيْه- حين دعانا موسى -بضراعة- أن نسقي قومه، فقلنا: اضرب بعصاك الحجر، فضرب، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا، بعدد القبائل، مع إعلام كل قبيلة بالعين الخاصة بها حتى لا يتنازعوا، وقلنا لهم: كلوا واشربوا من رزق الله، ولا تسعوا في الأرض مفسدين.

النحو:

﴿وَإِذِ﴾: الواو: حرف استئناف، "إذ": اسم مبنيّ على السكون في محلّ نصب مفعول به لفعل محذوف تقديره: اذكر، ﴿اسْتَسْقَى﴾: فعل ماض مبنيّ على الفتحة المقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر، وجملة "استسقي" وما بعدها في محلّ جرّ بالإضافة.

﴿مُوسَى﴾: فاعل مرفوع بالضمة المقدرة على الألف للتعذر، ﴿لِقَوْمِهِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"استسقى". و"الهاء": ضمير متّصل مبنيّ في محلّ جرّ بالإضافة.

﴿فَقُلْنَا﴾: الفاء: حرف استئناف، قلنا: فعل ماض مبنيّ على السكون لاتصاله بضمير رفع متحرك، و"نا" ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ رفع فاعل.

﴿اضْرِبْ﴾: فعل أمر مبنيّ على السكون، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره: أنت.

﴿بِعَصَاكَ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"اضرب"، و"الكاف" ضمير متّصل مبنيّ في محلّ جرّ بالإضافة، وعلامة جرّ الاسم: الكسرة المقدرة على الألف للتعذر.

﴿الْحَجَرَ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، وجملة: "اضرب بعصاك الحجر" في محلّ نصب مفعول به "مقول القول"، وجملة "قلنا" استئنافية لا محلّ لها من الإعراب.

﴿فَانْفَجَرَتْ﴾: الفاء: حرف عطف، والمعطوف محذوف، والتقدير: فضرب فانفجرت، انفجرت: فعل ماض مبنيّ على الفتح، والتاء: حرف للتأنيث.

﴿مِنْهُ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"انفجرت".

﴿اثْنَتَا﴾: فاعل مرفوع بالألف لأنَّه ملحق بالمثنى، ﴿عَشْرَةَ﴾: مبنيّ على الفتح لا محلّ له من الإعراب.

﴿عَيْنًا﴾: تمييز منصوب بالفتحة، وجملة "انفجرت" معطوفة لا محلّ لها من الإعراب.

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق، ﴿عَلِمَ﴾: فعل ماض مبنيّ على الفتح.

﴿كُلُّ﴾: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿أُنَاسٍ﴾: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿مَشْرَبَهُمْ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، والهاء: ضمير متّصل مبنيّ على الضمّ في محلّ جرّ بالإضافة، و"الميم": علامة جمع الذكور، وجملة "علم" استئنافية لا محلّ لها من الإعراب.

﴿كُلُوا﴾: فعل أمر مبنيّ على حذف النون؛ لأن مضارعه من الأفعال الخمسة، الواو ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، و"الألف": فارقة، وجملة "كلوا" استئنافية لا محلّ لها من الإعراب.

﴿وَاشْرَبُوا﴾: الواو: حرف عطف، اشربوا: معطوفة على "كلوا" وتعرب إعرابها.

﴿مِنْ رِزْقِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"كلوا".

﴿اللَّهِ﴾: لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف، لا: حرف نهي وجزم، ﴿تَعْثَوْا﴾: فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه حذف النون لأنَّه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير رفع متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، والألف: فارقة.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"تعثوا"، وجملة "ولا تعثوا" معطوفة على جملة "اشربوا".

﴿مُفْسِدِينَ﴾: حال مؤكدة لعاملها في المعنى منصوبة بالياء لأنها جمع مذكر سالم.

البلاغة:

وقوله تعالى: {وَإِذِ استسقى موسى لِقَوْمِهِ} يفيد أن الذي سأل ربه السقيا هو موسى - عليه السلام - وحده، لتظهر كرامته عند ربه لدى قومه، وليشاهدوا بأعينهم إكرام الله - تعالى - له، حيث أجاب سؤاله، وفجر الماء لهم ببركة دعائه.

واللام في قوله تعالى - {لِقَوْمِهِ} للسببية، أي لأجل قومه.

وتعريف {الحجر} هو تعريف الجنس أي اضرب أي حجر شئت بدون تعيين، وقيل للعهد، ويكون المراد حجراً معيناً معروفاً لموسى - عليه السلام - بوحي من الله تعالى.

وقوله تعالى: {قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ} إرشاد وتنبيه إلى حكمة الانقسام إلى اثنتي عشرة عيناً أي: قد عرف كل سبط من أسباط بني إسرائيل مكان شربه، فلا يتعداه إلى غيره، وفي ذلك ما فيه من استقرار أمورهم، واطمئنان نفوسهم، وعدم تعدي بعضهم على بعض.

وقوله تعالى: {وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأرض مُفْسِدِينَ} أسلوب إنشائي نهي غرضه التحذير لهم من البطر والغرور واستعمال النعمة في غير ما وضعت له، بعد أن أذن لهم في التمتع بالطيبات، لأن النعم عندما تكثر قد تنسي العبد حقوق خالقه فيهجر الشريعة، ويعيث في الأرض فساداً.

جزء التشابه: اثنتا عشرة عينًا

1. [سورة الأعراف: 160] ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[1]

قد شرحت هذه الآية من قبل.

المسألة رقم 19:

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[2] [سورة البقرة: 61]

معنى الآية:

واذكروا حين أنزلنا عليكم الطعام الحلو، والطير الشهي، فبطِرتم النعمة كعادتكم، وأصابكم الضيق والملل، فقلتم: يا موسى لن نصبر على طعام ثابت لا يتغير مع الأيام، فادع لنا ربك يخرج لنا من نبات الأرض طعامًا من البقول والخُضَر، والقثاء والحبوب التي تؤكل، والعدس، والبصل. قال موسى -مستنكرًا عليهم-: أتطلبون هذه الأطعمة التي هي أقل قدرًا، وتتركون هذا الرزق النافع الذي اختاره الله لكم؟ اهبطوا من هذه البادية إلى أي مدينة، تجدوا ما اشتهيتم كثيرًا في الحقول والأسواق. ولما هبطوا تبيَّن لهم أنهم يُقَدِّمون اختيارهم -في كل موطن- على اختيار الله، ويُؤْثِرون شهواتهم على ما اختاره الله لهم؛ لذلك لزمتهم صِفَةُ الذل وفقر النفوس، وانصرفوا ورجعوا بغضب من الله؛ لإعراضهم عن دين الله، ولأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين ظلمًا وعدوانًا؛ وذلك بسبب عصيانهم وتجاوزهم حدود ربهم.

---

[1] قطّعناهم: فرّقناهم أو صيّرناهم؛ أسباطًا: جماعاتٍ، كالقبائل في العرب؛ فانبجست: فانفجرت؛ مشربهم: عينهم الخاصّة بهم؛ الغمام: السّحاب الأبيض الرّقيق؛ المنّ: مادّة صَمغيّة حُلوة كالعسل؛ السّلوى: الطّائر المعروف بالسّماني

[2] فومها: الحنطة، أو الثوم؛ ضُربت عليهم: أحاطت بهم أو ألصقت بهم؛ الذلّة: الذلّ والصّغار والهوان؛ المسكنة: فقر النفس وشحّها؛ باءوا بغضب: رجعوا به مستحقين له.

النحو:

﴿وَإِذْ﴾: الواو: حرف عطف، إذ: اسم مبنيّ على السكون في محلّ نصب مفعول به لفعل محذوف تقديره: اذكر، ﴿قُلْتُمْ﴾: فعل ماض مبنيّ على السكون لاتصاله بضمير الرفع المتحرك، والتاء: ضمير متّصل مبنيّ على الضمّ في محلّ رفع فاعل، و"الميم": علامة جمع الذكور.

﴿يَا مُوسَى﴾: يا: حرف نداء، موسى: منادى علم مبنيّ على الضمّ المقدر على الألف للتعذر في محلّ نصب.

﴿لَنْ﴾: حرف نصب، ﴿نَصْبِرَ﴾: فعل مضارع منصوب بأن، وعلامة نصبه الفتحة، وفاعله ضمير مستتر وجوبًا تقديره: نحن.

﴿عَلَى طَعَامٍ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"نصبر".

﴿وَاحِدٍ﴾: صفة لطعام مجرورة مثله بالكسرة، وجملة "لن نصبر على طعام واحد" في محلّ نصب مفعول به "مقول القول".

﴿فَادْعُ﴾: الفاء: حرف استئناف، ادع: فعل أمر مبنيّ على حذف "حرف العلة" من آخره، والفاعل: ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره: أنت.

﴿لَنَا﴾: اللام حرف جرّ، و"نا": ضمير متّصل مبنيّ في محلّ جرّ بحرف الجرّ، والجارّ والمجرور متعلّقان بـ"ادع".

﴿رَبَّكَ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، و"الكاف" ضمير متّصل مبنيّ على الفتح في محلّ جرّ بالإضافة.

﴿يُخْرِجْ﴾: فعل مضارع مجزوم لأنَّه جواب الطلب، وعلامة جزمه السكون، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو، ﴿لَنَا﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"يخرج"، وجملة "يخرج لنا" في محلّ نصب حال، ومفعول "يخرج" محذوف يستدل به من سياق الكلام، أي زرعًا أو شيئًا أو أكلًا.

﴿مِمَّا﴾: من حرف جرّ، ما: اسم موصول مبنيّ على السكون في محلّ جرّ بـ"من"، والجارّ والمجرور متعلّقان بـ"يخرج".

﴿تُنْبِتُ﴾: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿الْأَرْضُ﴾: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، وجملة "تنبت الأرض" صلة الموصول.

﴿مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بحال محذوفة من الموصول "ما".

و"ها" ضمير متّصل مبنيّ في محلّ جرّ بالإضافة، وما بعدها معطوف أيضًا على "بقلها" وتعرب جميعها إعرابها، ويجوز أن تكون "من بقلها" بدلًا من "مما تنبت الأرض".

﴿قَالَ﴾: فعل ماض مبنّي على الفتح، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو، وجملة "قال" استئنافية لا محلّ لها من الإعراب.

﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ﴾: الهمزة: حرف استفهام للتعجب، تستبدلون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون؛ لأنَّه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، وجملة "أتستبدلون" في محلّ نصب مفعول به "مقول القول".

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول مبنيّ على السكون في محلّ نصب مفعول به.

﴿هُوَ﴾: ضمير رفع منفصل مبنيّ على الفتح في محلّ رفع مبتدأ.

﴿أَدْنَى﴾: خبر "هو" مرفوع بالضمة المقدرة على الألف للتعذر، وجملة "هو أدني" صلة الموصول الاسمي لا محلّ لها من الإعراب.

﴿بِالَّذِي﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"تستبدل"، الذي: اسم موصول مبنيّ على السكون في محلّ جرّ بالباء.

﴿هُوَ خَيْرٌ﴾: تعرب إعراب "هو أدنى".

﴿اهْبِطُوا﴾: فعل أمر مبنيّ على حذف النون؛ لأن مضارعه من الأفعال الخمسة، و"الواو" ضمير متّصل في محلّ رفع فاعل، و"الألف": فارقة.

﴿مِصْرًا﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، وجملة "اهبطوا" استئنافية.

﴿فَإِنَّ﴾: الفاء: حرف تعليل، إن: حرف مشبّه بالفعل.

﴿لَكُمْ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بخبر "إنّ" مقدم، و"الميم": علامة جمع الذكور.

﴿مَا﴾: اسم موصول بمعنى "الذي" مبنيّ على السكون في محلّ نصب اسم "إنّ" مؤخر.

وجملة "إنّ" واسمها وخبرها استئنافية لا محلّ لها من الإعراب.

﴿سَأَلْتُمْ﴾: فعل ماض مبنيّ على السكون لاتصاله بضمير الرفع المتحرك، والتاء: ضمير متّصل مبنيّ على الضمّ في محلّ رفع فاعل، و"الميم": علامة جمع الذكور، وجملة "سألتم" صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب.

﴿وَضُرِبَتْ﴾: الواو: حرف استئناف، ضربت: فعل ماض مبنيّ للمجهول، مبنيّ على الفتح، والتاء: تاء التأنيث الساكنة.

﴿عَلَيْهِمُ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"ضربت"، و"الميم": علامة جمع الذكور.

﴿الذِّلَّةُ﴾: نائب فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿وَالْمَسْكَنَةُ﴾: الواو: حرف عطف، المسكنة: معطوفة على "الذلة" مرفوعة مثلها بالضمة، وجملة "ضربت" استئنافية لا محلّ لها من الإعراب.

﴿وَبَاءُوا﴾: الواو: حرف عطف، باؤوا: فعل ماض مبنيّ على الضمّ لاتصاله بواو الجماعة، والواو ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، و"الألف": فارقة.

﴿بِغَضَبٍ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"باءوا".

﴿مِنَ اللَّهِ﴾: جارّ ومجرور متعلّق بصفة محذوفة من "غضب" وجملة "باؤوا" معطوفة لا محلّ لها من الإعراب.

﴿ذَلِكَ﴾: ذا: اسم إشارة مبنيّ على السكون في محلّ رفع مبتدأ، اللام: حرف للبعد، و"الكاف": حرف للخطاب.

﴿بِأَنَّهُمْ﴾: الباء: حرف جرّ، و"أنّ" حرف نصب وتوكيد مشبّه بالفعل، و"الهاء": ضمير متّصل مبنيّ على الضمّ في محلّ نصب اسم "أنّ" و"الميم": علامة جمع الذكور، والمصدر المؤول من "أنّ" وما بعدها في محلّ جرّ بالباء.

﴿كَانُوا﴾: فعل ماض ناقص مبنيّ على الضمّ لاتصاله بواو الجماعة، والواو ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع اسم "كان"، و"الألف": فارقة.

﴿يَكْفُرُونَ﴾: تعرب إعراب "تستبدلون"، والجملة الفعلية "يكفرون" في محلّ نصب خبر "كان".

والجملة الفعلية "كانوا يكفرون" في محلّ رفع خبر "أنّ"، والمصدر المؤول من أنّ ومعموليها في محلّ جرّ بحرف الجرّ، والجارّ والمجرور متعلّقان بمحذوف خبر المبتدأ، وجملة المبتدأ والخبر استئنافية لا محلّ لها من الإعراب.

﴿بِآيَاتِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"يكفرون".

﴿اللَّهِ﴾: لفظ الجلالة اسم مخفوض بالإضافة وعلامة خفضه الكسرة.

﴿وَيَقْتُلُونَ﴾: الواو: حرف عطف، يقتلون: معطوفة على "يكفرون" وتعرب إعرابها.

﴿النَّبِيِّينَ﴾: مفعول به منصوب بالياء لأنّه جمع مذكر سالم.

﴿بِغَيْرِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"يقتلون"، أو في محلّ نصب حال من الضمير "يقتلون"، والتقدير: غير محقين.

﴿الْحَقِّ﴾: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿ذَلِكَ﴾: ذا: اسم إشارة مبنيّ على السكون في محلّ رفع مبتدأ، و"اللام": حرف للبعد، و"الكاف" حرف للخطاب.

﴿بِمَا﴾: الباء: حرف جرّ، وما: حرف مصدريّ.

﴿عَصَوْا﴾: فعل ماض مبنيّ على الضمّ المقدر على الألف للتعذر، لاتصاله بواو الجماعة، والواو ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، و"الألف" فارقة، والمصدر المؤول من "ما" المصدرية وما بعدها في محلّ جرّ بالباء، والجارّ والمجرور متعلّقان بخبر "ذلك".

﴿وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾: الواو: حرف عطف، وجملة "كانوا يعتدون" تعرب إعراب جملة "كانوا يكفرون"، وجملة "كانوا يعتدون" معطوفة على جملة "عصوا".

البلاغة:

في قوله تعالى: {على طعامٍ واحدٍ} تنكير الطعام يدل على القلة و {واحدٍ} يدل على نفي التبدل والاختلاف، لأن قوم موسى – عليه السلام – كانوا أهل فلاحة وزراعات، وكان ذلك بيِّن في {بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها} حيث يدل على تعدد الأطعمة وتفاوتها كالحبوب والبقول.

في قوله تعالىٰ: {فادع لنا ربك} أسلوب أمر غرضه الاستهزاء والتعلي، حيث انه أمر موجه من قوم موسى إليه وإلى رب العالمين، وإضافة كاف المخاطبة إلى {رب} فيه أسلوب قصر وذلك باختصاص عبادة الله على موسى فقط، وأن قلوب قوم موسى ليست مؤمنة بالله تعالىٰ.

وفي قوله تعالىٰ: {الذي هو أدنىٰ} و {الذي هو خير} مقابلة يبرز المعنى ويوضحه.

و {اهبطوا مصرًا} أسلوب أمر غرضه التحقير والذلة، وفي قوله {ضربت عليهم الذلة والمسكنة} استعارة مكنية حيث شبه الذلة والمسكنة بشيء ملموس كالطين يُضرب على الحائط فيلزمه، وتكرار كلمة {ذلك} لتوكيد وتعليل ضربهم الذلة والمسكنة بسبب كفرهم وقتلهم الأنبياء وعصيانهم واعتدائهم عليهم.

أ. جزء التشابه: يقتلون النبيين بغير حق، والذلة والمسكنة

1. [سورة آل عمران: 21] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾

معنى الآية:

إن الذين يجحدون بالدلائل الواضحة وما جاء به المرسلون، ويقتلون أنبياء الله ظلمًا بغير حق، ويقتلون الذين يأمرون بالعدل واتباع طريق الأنبياء، فبشِّرهم بعذاب موجع.

النحو:

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل للتوكيد.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبنيّ على السكون في محلّ نصب اسم "إنّ".

﴿يَكْفُرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، لأنّه من الأفعال الخمسة، و "الواو" ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل.

﴿بِآيَاتِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"يكفرون".

﴿اللَّهِ﴾: لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿وَيَقْتُلُونَ﴾: الواو: حرف عطف، يقتلون: مثل "يكفرون" في الإعراب.

﴿النَّبِيِّينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة النصب الياء، لأنّه جمع مذكّر سالم.

﴿بِغَيْرِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بحال مؤكدة من فاعل "يقتلون".

﴿حَقٍّ﴾: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿ويقتلون﴾: الواو: حرف عطف، يقتلون: مثل "يكفرون" في الإعراب.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبنيّ على السكون في محلّ نصب مفعول به.

﴿يَأْمُرُونَ﴾: مثل "يكفرون" في الإعراب.

﴿بِالْقِسْطِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ "يأمرون".

﴿مِنَ النَّاسِ﴾: جارّ ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الواو في الفعل "يأمرون".

﴿فَبَشِّرْهُمْ﴾: الفاء: حرف ربط لتضمن الموصول معنى الشرط، بشر: فعل أمر، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره: أنت، و "هم": ضمير متصلّ مبنيّ في محلّ نصب مفعول به.

﴿بِعَذَابٍ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ "بشرهم".

﴿أَلِيمٍ﴾: نعت لعذاب مجرور مثله.

وجملة "إن الذين يكفرون" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافية، وجملة "يكفرون بآيات الله" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها صلة الموصول "الذين"، وجملة "يقتلون" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها معطوفة على جملة الصلة، وجملة "يقتلون" الثانية، لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها معطوفة على جملة الصلة، وجملة "يأمرون" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها صلة الموصول "الذين" الثاني، وجملة "بشرهم" في محلّ رفع خبر "إن".

البلاغة:

جاءت الجملة مؤكدة بإنَّ، لأن المخاطب مترددًا أو شاكًا في الحكم ويحتاج إلى أن يتيقن ويتأكد.

﴿يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾: كناية عن موصوف، وهم الذين يأمرون بالعدل، ومن هنا للتبعيض، حيث ليس كل الناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر أو يأمرون بالعدل.

﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: أسلوب إنشائي طلبي وهو الأمر، وقد خرج الأمر عن مقتضى الظاهر فأتي بمعنى التحقير والإهانة للذين يقتلون النبيين بغير حق. واستُخِدم اللفظ (بَشِّرْ) في غير موضعه؛ إذ البشرى تكون بالخبر السار فكانت البشرى بالعذاب الأليم وذلك لزيادة التحقير والتشنيع لهذا الفعل البغيض.

هذه الآية الكريمة تشبه الآية 61 من سورة البقر إلى حدٍ كبيرٍ، فقد جاء الشبه في {بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ}، فنجد الاختلاف في كلمة "كانوا" وذلك لأن زمن الكلام في الماضي وذلك نجده في (قلتم – قال – سألتم)، أما الآية 21 فزمنها المضارع وغرضه الاستمرارية، أي استمرارية قتل الأنبياء وحتى رسول الله ﷺ واستمرارية قتل الذين يأمرون بالقسط من الناس لزماننا هذا.

ولكن اختلفت كلمة "الحق" من التعريف في الآية 61 من سورة البقرة إلى التنكير في الآية 21 من سورة آل عمران، فالمعرفة تعني الحق الذي يدعو للقتل، فربما يكون لهم الحق في حد القتل، ولكن النبيين لم يرتكبوا جرمًا أو حرامًا – حاشا لله – يستوجب حد القتل فجاء النفي بـ "غير الحق" لبعد النبيين عن ارتكاب شيء كهذا، والتنكير يعني لا حق يدعو إلى القتل ولا إلى غيره ففيه شمول وعموم الحق وذلك لعصمة النبيين من ارتكاب أي ذنب يستوجب القتل.

2. [سورة آل عمران: 112] ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾

معنى الآية:

جُعِل الهوان والصَّغار محيطًا باليهود مشتملًا عليهم أينما وُجِدوا، فلا يَأمَنون إلا بعهد أو أمن من الله تعالى أو من الناس، ورجعوا بغضب من الله، وجُعِلت عليهم الحاجة والفاقة محيطة بهم، ذلك الذي جُعل عليهم بسبب كفرهم بآيات الله، وقَتْلهم لأنبيائه ظلمًا، وذلك –أيضًا– بسبب عصيانهم وتجاوزهم لحدود الله.

النحو:

﴿ضُرِبَتْ﴾: فعل ماض مبنيّ للمجهول، والتاء: حرف للتأنيث.

﴿عَلَيْهِمُ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"ضربت".

﴿الذِّلَّةُ﴾: نائب فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿أَيْنَ مَا﴾: اسم شرط جازم مبنيّ في محلّ نصب على الظرفية المكانية متعلّق بـ"ثقفوا" أو بالجواب المقدر.

﴿ثُقِفُوا﴾: فعل ماض مبنيّ للمجهول مبنيّ على الضم، و "الواو" ضمير متصل في محل رفع نائب فاعل.

﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء.

﴿بِحَبْلٍ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف حال من فاعل جواب الشرط.

﴿مِنَ اللَّهِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف نعت لـ"حبل".

﴿وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾: مثل حبل من الله.

﴿وَبَاءُوا﴾: الواو: حرف عطف.

﴿باؤوا﴾: فعل ماض مبنيّ على الضمّ، و "الواو" ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل.

﴿بِغَضَبٍ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف حال من الفاعل في "باؤوا" أي: متلبسين بغضب من الله.

﴿مِنَ اللَّهِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف نعت لغضب.

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾: الواو: حرف عطف، ضربت عليهم المسكنة: مثل "ضربت عليهم الذلة".

﴿ذَلِكَ﴾: ذا: اسم إشارة مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ، و "اللام": حرف للبعد، و "الكاف": حرف للخطاب.

﴿بِأَنَّهُمْ﴾: الباء: حرف جر، أن: حرف تأكيد مشبّه بالفعل، و "هم": ضمير متّصل مبنيّ في محلّ نصب اسم "أنّ".

﴿كَانُوا﴾: فعل ماضي ناقص، والواو ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع اسم "كان".

﴿يَكْفُرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، و "الواو" ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل.

﴿بِآيَاتِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ "يقتلون".

﴿اللَّهِ﴾: لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿وَيَقْتُلُونَ﴾: الواو: حرف عطف، يقتلون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، و "الواو" ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل.

﴿الْأَنْبِيَاءَ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

﴿بِغَيْرِ﴾: جار ومجرور متعلّقان بـ "يقتلون".

﴿حَقٍّ﴾: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

والمصدر المؤول من "أنهم كانوا" في محلّ جرّ بالباء متعلّق بمحذوف خبر المبتدأ "ذلك".

﴿ذَلِكَ﴾: تقدّم إعرابها في هذه الآية.

﴿بِمَا﴾: الباء: حرف جرّ، ما: حرف مصدريّ.

﴿عَصَوْا﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الضمّة المقدّرة على الياء المحذوفة، و "الواو" ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل.

﴿وَكَانُوا﴾: الواو: حرف عطف، كانوا: تقدّم إعرابها في هذه الآية.

﴿يَعْتَدُونَ﴾: مثل "يكفرون".

والمصدر المؤول من "ما عصوا" في محلّ جرّ بالباء متعلّق بمحذوف خبر المبتدأ "ذلك" (الثاني)، وجملة "ضربت عليهم الذلة" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافيّة، وجملة "ثقفوا" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافيّة وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله، أي: أينما ثقفوا ذلوا، وجملة "باؤوا" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها معطوفة على جملة "ضربت"، وجملة "ضربت عليهم المسكنة" لا محلّ لها من الإعراب، لأنها معطوفة على جملة "ضربت" (الأولى)، وجملة "كانوا يكفرون" في محلّ رفع خبر "أن"، وجملة "يكفرون" في محلّ نصب خبر "كانوا"، وجملة "يقتلون" في محلّ نصب معطوفة على جملة "يكفرون"، وجملة "ذلك بأنهم" (في المرتين) لا محلّ لها من الإعراب، لأنها تعليلية، وجملة "بما عصوا" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها صلة الموصول الحرفي، وجملة "كانوا يعتدون" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها معطوفة على جملة "عصوا"، وجملة "يعتدون" في محلّ نصب خبر "كانوا".

البلاغة:

في الآية الكريمة تكرار في جملة "ضربت عليهم" تأكيدًا للذلة المضروبة على اليهود، وتكرار اسم الإشارة "ذلك" تأكيدًا على سبب من ضرب الذلة والمسكنة وغضب الله، وبيان تعليل العلة، فعصيانهم سبب لكفرهم وقتلهم الأنبياء [1] .

جاءت كلمة "الأنبياء" خلاف "النبيين" في الآية 61 من سورة البقرة، فالنبيون جمع مذكر سالم، والأنبياء جمع تكسير؛ فجمع المذكر السالم يفيد القلة إذا كان معه جمع كثرة، وجمع التكسير يفيد القلة والكثرة، فالنبيون جمع يفيد القلة، والأنبياء جمع يفيد الكثرة، وهناك أمر آخر هو عندما يذكر معاصي بني إسرائيل يذكر الأنبياء، فمن حيث اللغة الأنبياء أكثر من النبيين من حيث العدد.

فعندما يقول "يقتلون الأنبياء بغير حق" هذا أعظم وأكبر جرماً من "يقتلون النبيين بغير حق" لأن الأنبياء أعم وأشمل؛ و"بغير حق" أي من دون أي سبب، وهذا أكبر جرماً وأعظم من "يقتلون النبيين بغير الحق"، و"النبيين" أقل و"الحق" أي الحق الذي يدعو إلى القتل فذاك أعظم.

3. [سورة آل عمران: 181] ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾

معنى الآية:

لقد سمع الله قول اليهود حين قالوا: «إن الله فقير حيث طلب منا القرض، ونحن أغنياء بما عندنا من أموال»، سنكتب ما قالوا من الإفك والفرية على ربهم وقتلهم أنبياءهم بغير حق، ونقول لهم: ذوقوا العذاب المحرق في النار.

النحو:

﴿لَقَدْ﴾: اللام: لام القسم لقسم مقدر، قد: حرف تحقيق، ﴿سَمِعَ﴾: فعل ماضٍ.

﴿اللَّهُ﴾: لفظ الجلالة فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره.

﴿قَوْلَ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبنيّ على السكون في محلّ جرّ مضاف إليه.

﴿قَالُوا﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الضم، و "الواو" ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل.

﴿إِنَّ﴾: حرف توكيد مشبّه بالفعل، ﴿اللَّهَ﴾: لفظ الجلالة اسم "إنّ" منصوب بالفتحة.

[1] الدرويش، *إعراب القرآن الكريم وبيانه*، 506.

﴿فَقِيرٌ﴾: خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿وَنَحْنُ﴾: الواو: حرف عطف، نحن: ضمير منفصل مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ.

﴿أَغْنِيَاءُ﴾: خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿سَنَكْتُبُ﴾: السين: حرف استقبال، نكتب: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره: نحن.

﴿مَا﴾: حرف مصدريّ، ﴿قَالُوا﴾: تقدم إعرابها، والمصدر المؤول من "ما قالوا" في محلّ نصب مفعول به، عامله فعل الكتابة.

﴿وَقَتْلَهُمُ﴾: الواو: حرف عطف، قتل: معطوف على المصدر المؤول منصوب بالفتحة و "هم" ضمير مبني في محل جر مضاف إليه.

﴿الْأَنْبِيَاءَ﴾: مفعول به للمصدر "قتل" منصوب بالفتحة.

﴿بِغَيْرِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف حال من الضمير في "قتلهم".

﴿حَقٍّ﴾: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿وَنَقُولُ﴾: الواو: حرف عطف، نقول: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره: نحن.

﴿ذُوقُوا﴾: فعل أمر مبنيّ على حذف النون، و "الواو" ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل.

﴿عَذَابَ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

﴿الْحَرِيقِ﴾: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

وجملة "سمع الله" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها جواب قسم مقدر، وجملة "قالوا" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها صلة الموصول "الذين"، وجملة "إنّ الله فقير" في محلّ نصب "مقول القول"، وجملة "نحن أغنياء" في محلّ نصب معطوفة على جملة "مقول القول"، وجملة "سنكتب" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافية، وجملة "قالوا" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها صلة الموصول الحرفي "ما"، وجملة "نقول" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها معطوفة على جملة "سنكتب"، وجملة "ذوقوا" في محلّ نصب "مقول القول".

البلاغة:

الاستعارة المكنية في قوله {ذوقوا عذاب الحريق} حيث شبه عذاب الحريق بطعامً يؤكل، وحذف المشبه به (الطعام) ودل عليه بالذوق، والطباق بين "فقير" و"أغنياء" يوضح المعنى ويبرزه.

واستخدام المصدر بدلًا من الفعل المضارع أو الأمر يدل على الثبوت وعلى حدث الفعل وجنسه دون النظر إلى الزمن. وفي الآية التفات من الزمن الماضي في قول {سَمِعَ} إلى الزمن المضارع في قول {سَنَكْتُبُ} للاستمرارية على جهة الوعيد بمعنى لن يفوتنا أبدًا إثباته وتدوينه كما لن يفوتنا "قتلهم الأنبياء" والتي جاءت للتذكير بشنيعة فعلهم إيذانًا بأنه من كبائر الذنوب التي لا تغتفر، وكذلك قولهم بأن "الله فقير" وهذا من الكفر، ثم انتهت الآية بأسلوب إنشائي، وهو الأمر، وغرضه التحقير والتوبيخ.

4. [سورة النساء: 155] ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1]

معنى الآية:

فلعنَّاهم بسبب نقضهم للعهود، وكفرهم بآيات الله الدالة على صدق رسله، وقتلهم للأنبياء ظلمًا واعتداءً، وقولهم: قلوبنا عليها أغطية فلا تفقه ما تقول، بل طمس الله عليها بسبب كفرهم، فلا يؤمنون إلا إيمانًا قليلا لا ينفعهم.

النحو:

﴿فَبِمَا﴾: الفاء: حرف استئناف، الباء: حرف جرّ للسببية، ما: حرف زائد.

﴿نَقْضِهِمْ﴾: نقض: اسم مجرور بالباء، وعلامة جره الكسرة، و "هم": ضمير مبني في محل جر مضاف إليه. والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف تقديره: لعناهم.

﴿مِيثَاقَهُمْ﴾: ميثاق: مفعول به للمصدر نقض منصوب بالفتحة، و "هم": مضاف إليه.

﴿وَكُفْرِهِمْ﴾: الواو: حرف عطف، كفرهم: مثل "نقضهم" ومعطوف عليه.

﴿بِآيَاتِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالمصدر "كفر".

﴿اللَّهِ﴾: لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ﴾: الواو: حرف عطف، قتلهم الأنبياء: مثل "نقضهم ميثاقهم".

﴿بِغَيْرِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، أي: ظالمين، ﴿حَقٍّ﴾: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿وَقَوْلِهِمْ﴾: الواو: حرف عطف، قولهم: مثل "نقضهم" ومعطوف عليه.

[1] قلوبُنا غلف: مغشّاة بأغطية خِلقية فلا تعي؛ طبع الله عليها: ختم عليها فحجبها عن العِلم

﴿قُلُوبُنَا﴾: قلوب: مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة، و "نا": ضمير متصل مبني على السكون في محل جر مضاف إليه، ﴿غُلْفٌ﴾: خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿بَلْ﴾: حرف إضراب، ﴿طَبَعَ﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح.

﴿اللَّهُ﴾: لفظ الجلالة فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿عَلَيْهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ "طبع".

﴿بِكُفْرِهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان، والباء: سببية، والهاء: ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه.

﴿فَلَا﴾: الفاء: حرف عطف، لربط المسبب بالسبب، لا: حرف نفي.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو: فاعل، ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر.

﴿قَلِيلًا﴾: مفعول مطلق نائب عن المصدر، فهو صفته، منصوب بالفتحة.

وجملة "لعناهم" (المقدرة) لا محلّ لها من الإعراب، لأنها استئنافية، وجملة "قلوبنا غلف" في محلّ نصب "مقول القول"، وجملة "طبع الله عليها بكفرهم" لا محلّ لها من الإعراب، لأنها استئنافية، وجملة "لا يؤمنون" لا محلّ لها من الإعراب، لأنها معطوفة على جملة "طبع الله".

البلاغة:

وقوله: {بل طبع الله عليها بكفرهم} اعتراض بين المعَاطيف. والطبع: إحْكام الغلق بجعل طين ونحوه على سدّ المغلوق بحيث لا ينفذ إليه مستخرِج ما فيه إلاّ بعد إزالة ذلك الشيء المطبوع به، وقد يَسِمُون على ذلك الغلق بسمة تترك رسماً في ذلك المجعول، وتسمّى الآلة الواسمة طابعاً بفتح الباء فهو يرادف الخَتْم. ومعنى {بكفرهم} بسببه، فالكفرُ المتزايد يزيد تعاصي القلوب عن تلقّي الإرشاد.

والاستثناء في قوله: {إلا قليلًا} من عموم المفعول المطلق: أي لا يؤمنون إيماناً إلاّ إيماناً قليلًا، وهو من تأكيد الشيء بما يشبه ضدّه إذ الإيمان لا يقبل القلّة والكثرة، فالقليل من الإيمان عدم، فهو كفر.

ب. جزء التشابه: وباءوا بغضب من الله

1. [سورة البقرة: 90] ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[1]

معنى الآية:

[1] اشتروا به أنفسهم: باعوا به أنفسهم؛ بغيًا: حسدًا؛ فباءوا بغضبٍ: فرجعوا به مُسْتحِقّين له.

قَبُحَ ما اختاره بنو إسرائيل لأنفسهم؛ إذ استبدلوا الكفر بالإيمان ظلمًا وحسدًا لإنزال الله من فضله القرآن على نبي الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، فرجعوا بغضب من الله عليهم بسبب جحودهم بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، بعد غضبه عليهم بسبب تحريفهم التوراة. وللجاحدين نبوَّة محمد صلى الله عليه وسلم عذابٌ يذلُّهم ويخزيهم.

النحو:

﴿بِئْسَمَا﴾: بئس: فعل ماض مبنيّ على الفتح لإنشاء الذم والفاعل: ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو، ما: نكرة بمعنى "شيء" مفسرة لفاعل "بئس" المستتر في محلّ نصب تمييز بتقدير: بئس شيئًا، وجملة "بئس ما" في محلّ رفع خبر مقدم للمبتدأ المؤخر.

﴿اشْتَرَوْا﴾: فعل ماض مبنيّ على الضمّ المقدر للتعذر على الألف المحذوفة لاتصاله بواو الجماعة، و"الواو" ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، و"الألف" فارقة.

﴿بِهِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"اشترى".

﴿أَنْفُسَهُمْ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، و"الهاء": ضمير متّصل مبنيّ على الضمّ في محلّ جرّ بالإضافة، و"الميم": علامة جمع الذكور، وجملة "اشتروا به أنفسهم" في محلّ رفع صفة للفاعل الضمير المستتر.

﴿أَنْ﴾: حرف مصدريّ ونصب، ﴿يَكْفُرُوا﴾: فعل مضارع منصوب بأن علامة نصبه حذف النون؛ لأنَّه من الأفعال الخمسة، و"الواو" ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، و"الألف" فارقة، والمصدر المؤول من "أن يكفروا" مخصوص بالذم بتقدير "كفرهم" في محلّ رفع مبتدأ مؤخر، ويجوز إعراب المصدر المؤول "أن يكفروا" في محلّ رفع خبر المبتدأ محذوف وجوبًا تقديره: هو، وفي هذا الوجه الإعرابي تكون جملة "بئسما" استئنافية لا محلّ لها من الإعراب.

﴿بِمَا﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"يكفروا"، "ما" اسم موصول بمعنى "الذي" مبنيّ على السكون في محلّ جرّ بالباء، ﴿أَنْزَلَ﴾: فعل ماض مبنيّ على الفتح.

﴿اللَّهُ﴾: لفظ الجلالة فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿بَغْيًا﴾: تمييز منصوب بالفتحة ويجوز أن يكون مفعولًا لأجله أو حالًا منصوبًا بالفتحة.

وجملة "أنزل" صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب والعائد إلى الموصول ضمير محذوف منصوب لأنَّه مفعول به، التقدير: بما أنزله، ﴿أَنْ﴾: حرف مصدريّ ونصب، ﴿يُنَزِّلَ﴾: فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه الفتحة.

﴿اللَّهُ﴾: لفظ الجلالة فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة، والمصدر المؤول من "أن ينزل" في محلّ نصب مفعول لأجله، أو في محلّ جرّ بلام مقدرة أو بـ"على"، والجارّ والمجرور متعلّقان بـ"بغيًا"، والتقدير: لأن ينزل الله، أو على أن ينزل، وُحذف المفعول اختصارًا، أي: ينزل الوحي.

﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"ينزل"، و"الهاء": ضمير متّصل مبنيّ على الكسر في محلّ جرّ بالإضافة، ويجوز أن يكون الجارّ والمجرور في محلّ نصب حال من المفعول المحذوف لأنَّه متعلّق بصفة مقدمة عليه.

﴿عَلَى مَنْ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"ينزل"، من: اسم موصول بمعنى "الذي" مبنيّ على السكون في محلّ جرّ بـ"على".

﴿يَشَاءُ﴾: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو، وجملة "يشاء" صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب.

﴿مِنْ عِبَادِهِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بحال محذوف من الموصول "من"، و"الهاء": ضمير متّصل مبنيّ على الكسر في محلّ جرّ بالإضافة.

﴿فَبَاءُوا﴾: الفاء: حرف عطف للتسبيب، باؤوا: فعل ماض مبنيّ على الضمّ لاتصاله بواو الجماعة، و"الواو" ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، و"الألف" فارقة، وجملة "باؤوا" معطوفة على جملة "اشتروا" لا محلّ لها من الإعراب، ﴿بِغَضَبٍ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"باؤوا".

﴿عَلَى غَضَبٍ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بصفة محذوفة من غضب.

﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾: الواو: حرف استئناف، للكافرين: جارّ ومجرور متعلّقان بخبر مقدم، وعلامة جرّ الاسم الياء؛ لأنَّه جمع مذكر سالم.

﴿عَذَابٌ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿مُهِينٌ﴾: صفة لعذاب مرفوعة مثله بالضمة، وجملة المبتدأ والخبر استئنافية لا محلّ لها من الإعراب.

البلاغة:

يذكر بعد بئس ونِعْم اسم يفيد تعيين المقصود بالذم أو المَدْح، ويسمى في علم العربية المخصوصَ وقد لا يذكر لظهوره من المقام أو لتقدم ما يدل عليه فقوله: {أن يكفروا} هو المخصوص بالذم والتقدير كفرهم بآيات الله.

إن {اشتروا} بمعنى باعوا أي بذلوا أنفسهم والمراد بذلها للعذاب في مقابلة إرضاء مكابرتهم وحسدهم، وجيء بصيغة المضارع في قوله: {أن يَكفروا} ولم يؤتَ به على ما يناسب المبيَّن، وهو {مَا اشتروا} المقتضي أن الاشتراء قد مضى للدلالة على أنهم صرحوا بالكفر بالقرآن من قبل نزول الآية فقد تبين أن اشتراء أنفسهم بالكفر عمل استقر ومضى، ثم لما أريد بيان ما اشتروا به أنفسهم نبه على أنهم لم يزالوا يكفرون ويعلم أنهم كفروا فيما مضى أيضاً إذ كان المبيَّن بأن يَكْفروا معبَّرا عنه بالماضي.

وقوله: {بغيًا} مفعُول لأجله علة لقوله: {أن يكفروا} لأنه الأقرب إليه، ويجوز كونه علة لاشتروا لأن الاشتراء هنا صادق على الكفر فإنه المخصوص بحكم الذم وهو عين المذمُوم، والبغي هنا مصدر بَغى يبغي إذا ظلم وأراد به هنا ظلماً خاصاً وهو الحسد وإنما جُعل الحسد ظلماً لأن الظلم هو المعاملة بغير حق والحسد تمني زوال النعمة عن المحسود ولا حق للحاسد في ذلك لأنه لا يناله من زوالها نفع، ولا من بقائها ضر.

وقوله: {وللكافرين عذاب مهين} أي ولهم عذاب مهين لأنهم من الكافرين، والمهين المذل أي فيه كيفية احتقارهم.

2. [سورة آل عمران: 162] ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾

معنى الآية:

لا يســـتوي عند الله من اتبع ما ينال به رضـــوان الله من الإيمان والعمل الصـــالح، ومن كفر بالله وعَمِلَ السيئات، فرجع بغضب شديد من الله، ومستقره جهنم، وساءت مرجعًا ومستقرًّا.

النحو:

﴿أَفَمَنِ﴾: الهمزة: حرف للاستفهام، الفاء: حرف استئناف، من: اسم موصول مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ.

﴿اتَّبَعَ﴾: فعل ماضٍ، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿رِضْوَانَ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

﴿اللَّهِ﴾: لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿كَمَنْ﴾: الكاف: حرف جرّ، من: اسم موصول مبنيّ في محلّ جرّ، والجارّ والمجرور متعلّقان بمحذوف خبر المبتدأ.

﴿بَاءَ﴾: فعل ماضٍ، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿بِسَخَطٍ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ "باء".

﴿مِنَ اللَّهِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف نعت "سخط".

﴿وَمَأْوَاهُ﴾: الواو: حرف عطف، مأوى: مبتدأ مرفوع بالضمّة المقدرة على الألف للتعذّر، و "الهاء": ضمير مبني في محل جر مضاف إليه.

﴿جَهَنَّمُ﴾: خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

وجملة "من اتبع رضوان" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافية، وجملة "اتبع" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها صلة الموصول "من" الأولى، وجملة "باء بسخط" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها صلة الموصول "من" الثانية.

البلاغة:

أسلوب الاستفهام بالهمزة ويطلب بها إدراك المفرد، فالمستفهم يعرف النسبة التي تضمنها الكلام، ولكنه يتردد بين شيئين، ويطلب تعيين أحدهما، وغرض هذا الأسلوب الطلبي الاستفهامي هو النهي أي لا يستوي الذي يطلب رضا الله –عز وجل– ومن يرجع بغضب وسخط شديدين من الله بسبب كفره بالله.

والطباق بين الرضوان والسخط يظهر المعنى ويوضحه.

3. [سورة الأنفال: 16] ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[1]

معنى الآية:

ومن يُوَلّهم منكم ظهره وقت الزحف إلا منعطفًا لمكيدة الكفار أو منحازًا إلى جماعة المسلمين حاضري الحرب حيث كانوا، فقد استحق الغضب من الله، ومقامه جهنم، وبئس المصير والمنقلب.

النحو:

﴿وَمَنْ﴾: الواو: حرف عطف، من: اسم شرط جازم.

[1] مُتحرّفًا: مظهرًا الفرار خِدعةً ثم يكرُّ؛ مُتحيّزًا إلى فئةٍ: منضمًّا إليها ليقاتل العدوّ معها؛ باء بغضبٍ: رجع متلبّسًا به مستحقًّا له.

﴿يُوَلِّهِمْ﴾: فعل مضارع مجزوم، لأنه فعل الشرط، وعلامة الجزم حذف حرف العلة، و "هم": ضمير مبني في محل نصب مفعول به.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: ظرف زمان منصوب بالفتحة متعلق بـ"يول"، وإذ: اسم ظرفي في محل جر مضاف إليه.

﴿دُبُرَهُ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، والهاء: ضمير مبني في محل جر مضاف إليه.

﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء، ﴿مُتَحَرِّفًا﴾: مستثني منصوب بالفتحة من حال عامة مقدرة.

﴿لِقِتَالٍ﴾: جار ومجرور متعلقان باسم الفاعل "متحرف".

﴿أَوْ﴾: حرف عطف، ﴿مُتَحَيِّزًا﴾: اسم معطوف على "متحرفًا" منصوب بالفتحة.

﴿إِلَى فِئَةٍ﴾: جار ومجرور متعلّقان بـ"متحيزا".

﴿فَقَدْ﴾: الفاء: حرف عطف حرف رابط لجواب الشرط، قد: حرف تحقيق.

﴿بَاءَ﴾: فعل ماض مبني على الفتح، والفاعل: هو.

﴿بِغَضَبٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بحال من الفاعل، أي: متلبسًا أو مصحوبًا بغضب.

﴿مِنَ اللَّهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بنعت لـ "غضب".

﴿وَمَأْوَاهُ﴾: الواو: حرف عطف، مأوى: مبتدأ مرفوع وعلامة الرفع الضمة المقدرة على الألف و "الهاء": ضمير مبني في محل جر مضاف إليه.

﴿جَهَنَّمُ﴾: خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿وَبِئْسَ﴾: الواو: حرف عطف، بئس: فعل ماض جامد لإنشاء الذم مبني على الفتح مبنيّ على الفتح.

﴿الْمَصِيرُ﴾: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة، والمخصوص بالذم محذوف تقديره: جهنم.

وجملة من يولهم" لا محل لها من الإعراب، لأنها معطوفة على جملة جواب النداء، وجملة "يولهم" في محل رفع خبر المبتدأ "من"، وجملة "قد باء بغضب" في محل جزم جواب الشرط، وجملة "مأواه جهنم" في محل جزم معطوفة على جملة جواب الشرط، وجملة "بئس المصير" لا محل لها من الإعراب، لأنها استئنافيّة.

البلاغة:

عبر عن حين الزحف بلفظ اليوم في قوله {يومئذ} أي يوم الزحف أي يولهم يوم الزحف دُبره أي حين الزحف، ومن ثم استثني منه حالة التحرف لأجل الحيلة الحربية والانحياز إلى فِئَة من الجيش للاستنجاد بها أو لإنجادها.

وإنما حرم الله الفرار في وقت مناجزة المشركين ومجالدتهم وهو وقت اللقاء؛ لأن الفرار حينئذٍ يوقع في الهزيمة الشنيعة والتقتيل، وذلك أن الله أوجب على المسلمين قتال المشركين فإذا أقدم المسلمون على القتال لم يكن نصرهم إلا بصبرهم وتأييد الله إياهم، فلو انكشفوا بالفرار لأعمل المشركون الرماح في ظهورهم فاستأصلوهم، فلذلك أمرهم الله ورسوله بالصبر والثبات.

في قوله تعالىٰ: {مأواه جهنم وبئس المصير} عدة جوانب بلاغية:

"ومأواه جهنم": استُخدم التشبيه الضمني والاستعارة، إذ شُبهت جهنم بمكان يأوي إليه الإنسان، أي مسكنه الأخير، وهو تعبير يوحي باللزوم والديمومة، فالمأوى لا يُغادره الإنسان بسهولة، فيه تشنيع لمآلهم، وتصوير بشع لمقامهم، كأنهم قد استقروا هناك إلى الأبد، قدّم "مأواه" على "جهنم" لتخصيصها بهذا الشخص تحديدًا، فتفيد التخصيص والوعيد الشديد، وكأنّ جهنم أُعدّت خصيصًا له.

"وبئس المصير": هذا ذمّ بليغ جاء بصيغة مخصوصة تُعرف في البلاغة بأسلوب الذم بـ"بئس"، وهو من أبلغ أساليب الذم، فيه تقبيح وتعظيم لسوء هذا المآل، مع تقوية الأثر النفسي في النفس.

المسألة رقم 20:

﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: 80]

معنى الآية:

وقال بنو إسرائيل: لن تصيبنا النار في الآخرة إلا أيامًا قليلة العدد. قل لهم -أيها الرسول مبطلا دعواهم-: أعندكم عهد من الله بهذا، فإن الله لا يخلف عهده؟ بل إنكم تقولون على الله ما لا تعلمون بافترائكم الكذب.

النحو:

﴿وقالوا﴾: الواو استئنافية، قالوا: فعل ماض مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة، و"الواو" ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل، و"الألف" فارقة، وجملة "قالوا" استئنافية لا محل لها من الإعراب.

﴿لَنْ﴾: حرف نفي ونصب واستقبال، ﴿تَمَسَّنَا﴾: فعل مضارع منصوب بـ"لن"، وعلامة نصبه الفتحة، و"نا" ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محل نصب مفعول به، ﴿النَّارُ﴾: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، وجملة "لن تمسنا النار" في محل نصب مفعول به "مقول القول".

﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء، ﴿أَيَّامًا﴾: مستثنى بـ "إلّا" منصوب بالفتحة.

﴿مَعْدُودَةً﴾: صفة لـ "أيام" منصوبة بالفتحة.

﴿قُلْ﴾: فعل أمر مبنيّ على السكون، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره: أنت.

﴿أَتَّخَذْتُمْ﴾: الهمزة حرف استفهام، تخذتم: فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بضمير الرفع المتحرك. والتاء ضمير متصل مبني على الضم في محل رفع فاعل، و"الميم": علامة جمع الذكور.

﴿عِنْدَ﴾: ظرف مكان متعلّق بـ "اتخذتم" منصوب بالفتحة، وهو مضاف.

﴿اللَّهِ﴾: لفظ الجلالة مخفوض بالإضافة وعلامة الخفض الكسرة.

﴿عَهْدًا﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

وجملة: "اتخذتم من عند الله عهدًا" في محلّ نصب مفعول به "مقول القول".

﴿فَلَنْ﴾: الفاء: حرف عطف، لن: حرف نفي ونصب واستقبال.

﴿يُخْلِفَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ "لن"، وعلامة نصبه الفتحة.

﴿اللَّهُ﴾: لفظ الجلالة فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿عَهْدَهُ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، و"الهاء": ضمير متصل مبني على الضم في محل جر بالإضافة، وجملة "يخلف الله عهده" معطوفة على جملة محذوفة، والتقدير: فتقولوا: لن يخلف.

﴿أَمْ﴾: حرف عطف، ﴿تَقُولُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون؛ لأنَّه من الأفعال الخمسة، و"الواو" ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، وجملة "تقولون" معطوفة على جملة "تقولوا" المحذوفة.

﴿عَلَى﴾: حرف جر.

﴿اللَّهِ﴾: لفظ الجلالة اسم مخفوض بعلى وعلامة الخفض الكسرة.

﴿مَا﴾: اسم موصول مبنيّ على السكون في محل نصب مفعول به.

﴿لَا﴾: نافية لا عمل لها، والجارّ والمجرور متعلّقان بـ "تقولون"، ﴿تَعْلَمُونَ﴾: تعرب إعراب "تقولون"، والجملة الفعلية "لا تعلمون" صلة الموصول لا محل لها من الإعراب، والعائد إلى الموصول ضمير محذوف منصوب المحلّ لأنَّه مفعول به، والتقدير: ما لا تعلمونه.

البلاغة:

في قوله تعالى: {لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة} أسلوب قصر عن طريق النفي (لن) والاستثناء بـ (إلا)، وتنكير {معدودة} تدل على التقليل بعدد تعد على الأصابع.

{أم تقولون على الله ما لا تعلمون} كلمة "أم" هنا ليست للتخيير، بل هي "أم المنقطعة"، وتُفيد الانتقال من أمر إلى أمر فيه توبيخ وتعنيف، وهو استفهام إنكاري يراد به الذم واللوم الشديد على افتراء الكذب على الله بغير علم، وقوله {على الله} إضافة القول إلى الله تدل على عِظَمِ الجُرم.

أ. جزء التشابه: لن تمسنا النار

1. [سورة آل عمران: 24] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[1]

معنى الآية:

ذلك الانصراف عن الحق سببه اعتقاد فاسد لدى أهل الكتاب؛ بأنهم لن يعذَّبوا إلا أيامًا قليلة، وهذا الاعتقاد أدى إلى جرأتهم على الله واستهانتهم بدينه، واستمرارهم على دينهم الباطل الذي خَدَعوا به أنفسهم.

النحو:

﴿ذَلِكَ﴾: ذا: اسم إشارة مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ، و "اللام": حرف للبعد، و "الكاف": حرف للخطاب.

﴿بِأَنَّهُمْ﴾: الباء: حرف جرّ، أن: حرف توكيد مشبه بالفعل، و "هم": ضمير متصل مبنيّ في محلّ نصب اسم "أنّ".

﴿قَالُوا﴾: فعل ماض مبنيّ على الضمّ، و "الواو" ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل، والمصدر المؤول من "أنهم قالوا" في محلّ جرّ بالباء، والجار والمجرور متعلّقان بمحذوف خبر المبتدأ (ذلك).

﴿لَنْ﴾: حرف نصب مبنيّ على السكون، ﴿تَمَسَّنَا﴾: تمس: فعل مضارع منصوب بالفتحة، و "نا": ضمير مبني في محل نصب مفعول به.

﴿النَّارُ﴾: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره.

﴿إِلَّا﴾: حرف حصر، ﴿أَيَّامًا﴾: ظرف زمان منصوب متعلّق بـ"تمسنا".

﴿مَعْدُودَاتٍ﴾: نعت لأيام منصوب مثله، وعلامة النصب الكسرة عوضًا من الفتحة، لأنّه جمع مؤنث سالم.

﴿وَغَرَّهُمْ﴾: الواو: حرف عطف، غر: فعل ماض، و "هم": ضمير مبني في محل نصب مفعول به.

﴿فِي دِينِهِمْ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"غر"، و "هم": ضمير مبني في محل جر مضاف إليه.

﴿مَا﴾: اسم موصول مبنيّ في محلّ رفع فاعل، أو حرف مصدريّ، والمصدر المؤول في محلّ رفع فاعل.

[1] غرّهم: خدعهم وأطمعهم في غير مطمع؛ يفترون: يكذبون على الله.

﴿كَانُوا﴾: فعل ماض ناقص مبنيّ على الضمّ، و "الواو" ضمير متصل مبنيّ في محلّ رفع اسم "كان".
﴿يَفْتَرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، لأنّه من الأفعال الخمسة، و "الواو" ضمير متصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل.
وجملة "كانوا" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها صلة الموصول الاسمي أو الحرفي "ما"، وجملة "يفترون" في محلّ نصب خبر "كان".

البلاغة:

وقوله: {ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار} الإشارة إلى تولّيهم وإعراضهم، والباء للسببية: أي إنّهم فعلوا ما فعلوا بسبب زعمهم أنّهم في أمان من العذاب إلاّ أياماً قليلة، وفيه أسلوب قصر عن طريق النفي (لن) والاستثناء بـ (إلا)، وتنكير {معدودة} تدل على التقليل بعدد تعد على الأصابع.
ولم يقولوا: لن نعذّب أو لن ندخل النار، بل قالوا: "لن تمسّـنا النار"، واختاروا فعل "تمس" الذي يدل على اللمس الخفيف والسـطحي، وكأنهم يصـغّرون من شـأن النار، ويهونون أمرها، وفي ذلك بلاغة في تصـوير جهلهم وغرورهم، لأنهم يهوّنون من شدة العذاب، في حين أن المس في النار كافٍ للهلاك.
ولم يقل: "أتجهلون ثم تقولون؟" بل بدأ بالفعل الأخطر: "تقولون"، ثم وصفه بأنه "ما لا تعلمون"، ليبين أنهم يجمعون بين الكذب والجهل، وهذا أشنع.
وفي قوله تعالىٰ: {غرّهم في دينهم ما كانوا يفترون}، فيه تقديم للجار والمجرور "في دينهم" على المفعول به "ما كانوا يفترون"، وهذا التقديم يفيد الاهتمام والتشنيع، وهو أخطر ما وقع فيه الغرور هو في الدين، لا في الدنيا، وهذا يفيد بلاغيًا: تضخيم الخطأ وتعظيم أثر الافتراء، لأنه لم يقتصر على متاع دنيوي، بل أصاب دينهم في الصميم.
واستخدام الماضي في قوله: {ما كانوا يفترون} يدل على أن الافتراء كان متأصلًا فيهم، عادة مستمرة ومتكررة.

المسألة رقم 21:

﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة: 95]

معنى الآية:

ولن يفعلوا ذلك أبدًا؛ لما يعرفونه من صدق النبي محمد صلى الله عليه وسلم ومن كذبهم وافترائهم، وبسبب ما ارتكبوه من الكفر والعصيان، المؤَدِّيَيْن إلى حرمانهم من الجنة ودخول النار. والله تعالى عليم بالظالمين من عباده، وسيجازيهم على ذلك.

النحو:

﴿وَلَنْ﴾: الواو حرف استئناف مبنيّ على الفتح لا محلّ له من الإعراب.

﴿لن﴾: حرف نفي ونصب واستقبال مبنيّ على السكون لا محلّ له من الإعراب.

﴿يَتَمَنَّوْهُ﴾: فعل مضارع منصوب بلن، وعلامة نصبه حذف النون لأنَّه من الأفعال الخمسة، و"الواو" ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ رفع فاعل، و"الهاء": ضمير متّصل مبنيّ على الضمّ في محلّ نصب مفعول به، وجملة "يتمنوه" استئنافية لا محلّ لها من الإعراب.

﴿أَبَدًا﴾: ظرف زمان منصوب وعلامة نصبه الفتحة متعلّق بالفعل "يتمنوه".

﴿بِمَا﴾: الباء: حرف جرّ مبنيّ على الكسر لا محلّ له من الإعراب، ما: اسم موصول مبنيّ على السكون في محلّ جرّ بالباء، والجارّ والمجرور متعلّقان بالفعل "يتمنوه".

﴿قَدَّمَتْ﴾: قدم: فعل ماض مبنيّ على الفتح، والتاء تاء التأنيث حرف مبنيّ على السكون لا محلّ له من الإعراب.

﴿أَيْدِيهِمْ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء للثقل، و"الهاء": ضمير متّصل مبنيّ على الكسر في محلّ جرّ مضاف إليه، و"الميم": علامة جمع الذكور والجملة "قدّمت أيديهم" صلة الموصول ما لا محلّ لها من الإعراب، والعائد محذوف والتقدير: قدمته أيديهم.

﴿وَاللَّهُ﴾: الواو حرف استئناف مبنيّ على الفتح لا محلّ له من الإعراب، الله: لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة.

﴿عَلِيمٌ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة.

﴿بِالظَّالِمِينَ﴾: الباء حرف جرّ مبنيّ على الكسر لا محلّ له من الإعراب، الظالمين: اسم مجرور بالباء، وعلامة جره الياء؛ لأنَّه جمع مذكر سالم، والجارّ والمجرور متعلّقان بـ"عليم"، وجملة "الله عليم بالظالمين" لا محلّ لها من الإعراب لأنها استئنافية.

البلاغة:

استخدم "لن" في قوله: {وَلَن يَتَمَنَّوْهُ} وهي أداة نفي تفيد التأكيد والاستحالة في المستقبل، وهذا يُفيد قصرًا مؤكدًا، أي: من المستحيل أن يتمنوا الموت، لا الآن ولا في المستقبل، وهذا أبلغ في كشف كذبهم وخوفهم من لقاء الله، رغم ادعاء القرب منه.

وقوله: {أبدًا} يفيد التأبيد والاستمرار المطلق، أي أنهم لن يتمنوا الموت مطلقًا، في أي وقت، ولا تحت أي ظرف.

قوله: {بما قدمت أيديهم} يشير إلى أنهم قد صاروا في عقيدة مختلطة متناقضة كشأن عقائد الجهلة المغرورين فهم يعتقدون أن الدار الآخرة لهم، وإسناد التقديم للأيدي على الوجه الأول حقيقة وعلى الوجه الثاني مجاز عقلي.

وقوله: {والله عليم بالظالمين} خبر مستعمل في التهديد لأن القدير إذا علم بظلم الظالم لم يتأخر عن معاقبته، وتذييل الآية بالعلم والظلم: لإظهار أن الله مطّلع على باطنهم، وأن تظاهرهم بالتقوى لا ينفعهم.

جزء التشابه: الآية

1. [سورة الجمعة: 7] ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾

معنى الآية:

ولا يتمنى هؤلاء اليهود الموت أبدًا إيثارًا للحياة الدنيا على الآخرة، وخوفًا من عقاب الله لهم؛ بسبب ما قدَّموه من الكفر وسوء الفعال. والله عليم بالظالمين، لا يخفى عليه من ظلمهم شيء.

النحو:

﴿وَلَا﴾: الواو: حرف استئناف، لا: حرف نفي لا عمل له.

﴿يَتَمَنَّوْنَهُ﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، و "الواو" ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل، و "الهاء": ضمير متصل مبني على الضم في محل نصب مفعول به.

﴿أَبَدًا﴾: ظرف زمان منصوب بالفتحة متعلق بـ "لا يتمنونه".

﴿بِمَا﴾: الباء: حرف جر، ما: اسم موصول مبني على السكون في محل جر بالباء، و "الجار والمجرور متعلقان بـ "لا يتمنونه".

﴿قَدَّمَتْ﴾: فعل ماضٍ مبني على الفتح، و "التاء": حرف للتأنيث.

﴿أَيْدِيهِمْ﴾: فاعل مرفوع بالضــمة المقدرة على "الياء" للثقل، و "الهاء": ضــمير متصــل مبني في محل جر بالإضافة، و "الميم": للجماعة.

﴿وَاللَّهُ﴾: الواو: حرف استئناف، الله: لفظ الجلالة: مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿عَلِيمٌ﴾: خبر المبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿بِالظَّالِمِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ "عليم"، وعلامة جر الاسم "الياء"؛ لأنَّه جمع مذكر سالم.

وجملة "لا يتمنونه" لا محل لها من الإعراب؛ لأنها اســتئنافية، وجملة "قدمت أيديهم" لا محل لها من الإعراب؛ لأنها صــلة الموصــول الحرفي "ما"، وجملة "الله عليم بالظالمين" لا محل لها من الإعراب؛ لأنها استئنافية.

البلاغة:

هذه الآية اعتراض بين جملتي القولين قصد به تحديهم لإقامة الحجة عليهم أنهم ليسوا أولياء لله، والباء في {بما قدمت أيديهم} سببية متعلقة بفعل {يتمنونه} المنفي فما قدمت أيديهم هو سَبب انتفاء تمنيهم الموت ألقى في نفوسهم الخوف مما قدمت أيديهم فكان سبب صرفهم عن تمنّي الموت لتقدم الحجة عليهم.

{لا يتمنونه} أسلوب نفي للفعل في الحاضر، والفعل المضارع يدل على الاستمرار والتجدد، ونفيه يدل على أنهم يستمرّون في الإحجام عن التمني، ولا يقدمون عليه مطلقًا.

و {أبدًا} تفيد التأبيد والاستمرار المطلق، أي أنهم لن يتمنوا الموت في أي وقت، تحت أي ظرف، وهذا النفي الأبدي أشد من مجرد النفي؛ لأنه يدل على رسوخ الخوف في نفوسهم من الموت، رغم زعمهم أنهم أولياء لله.

والأيدي مجاز في اكتساب الأعمال لأن اليد يلزمها الاكتساب غالباً. وَمَصْدَقُ «ما قدمت أيديهم» سيئاتهم ومعاصيهم بقرينة المقام. وتقدم نظير هذه الآية في سورة البقرة وما ذكرتُه هنا أتم مما هنالك فاجمع بينهما. والتقديم: أصله جعل الشيء مقدَّماً، أي سابقاً غيرَه في مكان يقعوه فيه غيره. واستعير هنا لما سلف من العمل تشبيهاً له بشيء يسبِّقه المرء إلى مكان قبل وصوله إليه.

المسألة رقم 22:

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[1] [سورة البقرة: 129]

معنى الآية:

ربنا وابعث في هذه الأمة رسولا من ذرية إسماعيل يتلو عليهم آياتك ويعلمهم القرآن والسنة، ويطهرهم من الشرك وسوء الأخلاق. إنك أنت العزيز الذي لا يمتنع عليه شيء، الحكيم الذي يضع الأشياء في مواضعها.

النحو:

﴿رَبَّنَا﴾: منادي حذف منه حرف النداء، منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، و "نا": ضمير متّصل مبني على السكون في محلّ جرّ مضاف إليه، وجملة النداء استئنافية لا محلّ لها من الإعراب.

﴿وَابْعَثْ﴾: الواو حرف عطف مبنيّ على الفتح لا محلّ له من الإعراب، ابعث: فعل أمر مبنيّ على السكون، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره: أنت، وجملة "ابعث" معطوفة على جملة "تب" في الآية السابقة.

﴿فِيهِمْ﴾: في: حرف جرّ مبنيّ على السكون لا محلّ له من الإعراب، والهاء: ضمير متّصل مبني على الكسر في محلّ جرّ، والجارّ والمجرور متعلّقان بالفعل "ابعث".

﴿رَسُولًا﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة.

﴿مِّنْهُمْ﴾: من: حرف جرّ مبنيّ على السكون لا محلّ له من الإعراب، والهاء: ضمير متّصل مبني على الضمّ في محلّ جرّ بمن، والجارّ والمجرور متعلّقان بمحذوف صفة "رسولًا".

﴿يَتْلُو﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الواو للثقل، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿عَلَيْهِمْ﴾: على: حرف جرّ مبنيّ على السكون لا محلّ له من الإعراب، والهاء: ضمير متصل مبني على الكسر في محلّ جرّ بعلى، والميم: علامة جمع الذكور، والجارّ والمجرور متعلّقان بالفعل "يتلو".

﴿ءَايَاتِكَ﴾: آيات: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة عوضًا عن الفتحة؛ لأنَّه جمع مؤنث سالم، و "الكاف" ضمير متّصل مبني على الفتح في محلّ جرّ مضاف إليه، وجملة "يتلو عليهم آياتك" في محلّ نصب حال.

---

[1] يُزَكّيهم: يطهّرهم من الشّرك والمعاصي.

﴿وَيُعَلِمُهُمُ﴾: الواو حرف عطف مبنيّ على الفتح، يعلمهم: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، و "الهاء": ضمير متّصل مبني على الضمّ في محلّ نصب مفعول به أول، و "الميم": للجمع، وجملة "يعلمهم" معطوفة على جملة "يتلو" في محلّ نصب.

﴿الْكِتَابَ﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة.

﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: الواو حرف عطف مبنيّ على الفتح لا محلّ له من الإعراب، الحكمة: معطوف على "الكتاب" منصوب مثله، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة.

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: الواو حرف عطف مبنيّ على الفتح لا محلّ له من الإعراب: يزكيهم: فعل مضارع مرفوع بالضمة المقدرة على الياء للثقل، و "الهاء": ضمير متّصل مبني على الكسر في محلّ جرّ نصب مفعول به، و الميم للجمع.

﴿إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ إِنَّكَ: إن: حرف توكيد ونصب مبنيّ على الفتح لا محلّ له من الإعراب، و "الكاف" ضمير متّصل مبني على الفتح في محلّ نصب اسم "إنّ"، ﴿أَنتَ﴾: ضمير فصل مبنيّ على الفتح لا محلّ له من الإعراب، أو في محلّ رفع مبتدأ، ﴿التَّوَّابُ﴾: خبر "إن"، أو خبر لأنت"، مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، ﴿الرَّحِيمُ﴾: خبر ثان مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، وجملة "إنّ" واسمها وخبرها استئنافية لا محلّ لها من الإعراب.

البلاغة:

الآية أسلوب أمر غرضه الدعاء، وقوله تعالى {فيهم} تكون الدعوة بمجيء رسول برسالة عامة، فلا يكون ذلك الرسول رسولاً إليهم فقط، ولذلك حذف متعلق رسولاً ليعم، فالنداء، في قوله : {ربنا وابعث} اعتراض بين جمل الدعوات المتعاطفة، ومظهر هذه الدعوة هو محمد ﷺ، فإنه الرسول الذي هو من ذرية إبراهيم وإسماعيل كليهما.

ومعنى {يتلو عليهم آياتك} يقرؤها عليهم قراءة تذكير، وفي هذا إيماء إلى أنه يأتيهم بكتاب فيه شرع، والآيات جمع آية وهي الجملة من جمل القرآن، سميت آية لدلالتها على صدق الرسول ﷺ بمجموع ما فيها من دلالة صدور مثلها من أمي لا يقرأ ولا يكتب، وما نُسجت عليه من نظم أعجز الناس عن الإتيان بمثله، ولما اشتملت عليه من الدلالة القاطعة على توحيد الله وكمال صفاته دلالة لم تترك مسلكاً للضلال في عقائد الأمة بحيث أمنت هذه الأمة من الإشراك، وجيء بالمضارع في قوله: {يتلو} للإشارة إلى أن هذا الكتاب تتكرر تلاوته.

وقد جاء ترتيب هذه الجمل في الذكر على حسب ترتيب وجودها لأن أول تبليغ الرسالة تلاوة القرآن ثم يكون تعليم معانيه، العلم تحصل به التزكية وهي في العمل بإرشاد القرآن.

وقوله: {إنك أنت العزيز الحكيم} تذييل لتقريب الإجابة أي لأنك لا يغلبك أمر عظيم ولا يعزب عن علمك وحكمتك شيء، والحكيم بمعنى المحكم هو فعيل بمعنى مفعل.

جزء التشابه: ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم

1. [سورة آل عمران: 164] ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[1]

معنى الآية:

لقد أنعم الله على المؤمنين من العرب؛ إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم، يتلو عليهم آيات القرآن، ويطهرهم من الشرك والأخلاق الفاسدة، ويعلمهم القرآن والسنة، وإن كانوا من قبل هذا الرسول لفي غيٍّ وجهل ظاهر.

النحو:

﴿لَقَدْ﴾: اللام: لام القسم لقسم مقدر، قد: حرف تحقيق، ﴿مَنَّ﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح.

﴿اللَّهُ﴾: لفظ الجلالة فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره.

﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ "من" وعلامة الجرّ الياء لأنه جمع مذكر سالم.

﴿إِذْ﴾: ظرف للزمن الماضي مبنيّ في محلّ نصب متعلق بـ"من".

﴿بَعَثَ﴾: فعل ماضٍ، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿فِيهِمْ﴾: في: حرف جرّ، و "هم": ضمير في محلّ جرّ، والجارّ والمجرور متعلّقان بـ "بعث".

﴿رَسُولًا﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

﴿مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾: من أنفس: جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف نعت لـ"رسولًا"، وهم: ضمير مبني في محل جر مضاف إليه.

﴿يَتْلُو﴾: فعل مضارع مرفوع وعلامة الرفع الضمة المقدرة على الواو، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿عَلَيْهِمْ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"يتلو".

[1] يُزَكّيهم: يُطهّرهم من أدناس الجاهلية.

﴿آيَاتِهِ﴾: آيات: مفعول به منصوب، وعلامة النصب الكسرة، و "الهاء": مضاف إليه.

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: الواو: حرف عطف، يزكي: مثل "يتلو "و" هم": ضمير مبني في محل نصب مفعول به.

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ﴾: الواو: حرف عطف، يعلمهم: مثل "يزكيهم".

﴿الْكِتَابَ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: الواو: حرف عطف، الحكمة: معطوف على "الكتاب" منصوب بالفتحة.

﴿وَإِنْ﴾: الواو: حالية، إنّ: مخففة من الثقيلة حرف مُهْمَل.

﴿كَانُوا﴾: فعل ماضٍ ناقص مبنيّ على الضم، و "الواو" اسم "كان".

﴿مِنْ﴾: حرف جرّ، ﴿قَبْلُ﴾: اسم مبنيّ على الضم في محلّ جرّ، والجارّ والمجرور متعلّقان بخبر "كانوا" المحذوف.

﴿لَفِي ضَلَالٍ﴾: اللام: حرف توكيد، في ضلال: جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف خبر "كانوا".

﴿مُبِينٍ﴾: نعت لضلال مجرور بالكسرة.

وجملة: "من الله" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها جواب قسم مقدر، وجملة "بعث" في محلّ جرّ بإضافة "إذ" إليها، وجملة "يتلو "في محلّ نصب إما حال من "رسولًا" أو نعت له، وجملة "يزكيهم" في محلّ نصب معطوفة على جملة "يتلو"، وجملة "يعلمهم" في محلّ نصب معطوفة على جملة "يتلو"، وجملة "كانوا من قبل لفي ضلال مبين" في محلّ نصب حال من ضمير النصب في "يعلمهم".

البلاغة:

استئناف لتذكير رِجال يومِ أُحُد وغيرهم من المؤمنين بنعمة الله عليهم. ومناسبةُ ذكره هنا أنّ فيه من التسلية على مصيبة الهزيمة حظّاً عظيمًا، إذ قد شاع تصْبير المحزون وتعزيته بتذكيره ما هو فيه من النعم.

وقوله: {يتلوا عليهم آياتيه} أي يقرأ عليهم القرآن، وسمّيت جمل القرآن آيات لأنّ كلّ واحدة منها دليل على صدق الرسول من حيث بلاغة اللفظ وكمال المعنى، وعطفُ الحكمة على الكتاب عطف الأخصّ من وجه على الأعمّ من وجه.

ووصف الضلال بالمبين لأنّه لشدّته لا يلتبس على أحد بشائبة هُدى، أو شبهة، فكان حاله مبيّناً كونَه ضلالًا.

قوله: {وإن كانوا} دخول {إن} يدل على تحقيق مضمون الجملة وتأكيده، واللام في قوله: {لفي ضلالٍ} لام التوكيد، فاجتماع حرفين من حروف التوكيد ("إن" و"اللام") يُفيد شدة التأكيد على أن حالهم قبل البعثة

كان ضلالًا ظاهرًا لا شك فيه. والفعل "كانوا" يدل على أن الضلال كان حالًا مستقرًا في الماضي، وهذا يُبرز عِظَم النعمة التي أنقذهم الله بها ببعثة النبي ﷺ.

قوله: {من قبل} تقديم يفيد الاهتمام بالتوقيت، وهو إشارة إلى أن هذا الضلال لم يكن وليد لحظة، بل كان ممتدًا ومتأصلاً، فيُشعر المتلقي بعِظَم النعمة مرة أخرى، لأنها قطعت ضلالًا طويلًا ممتدًا عبر الزمن.

2. [سورة الجمعة: 2] ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[1]

معنى الآية:

الله سبحانه هو الذي أرسل في العرب الذين لا يقرؤون، ولا كتاب عندهم ولا أثر رسالة لديهم، رسولا منهم إلى الناس جميعًا، يقرأ عليهم القرآن، ويطهرهم من العقائد الفاسدة والأخلاق السيئة، ويعلّمهم القرآن والسنة، إنهم كانوا من قبل بعثته لفي انحراف واضح عن الحق. وأرسله سبحانه إلى قوم آخرين لم يجيئوا بعدُ، وسيجيئون من العرب ومن غيرهم. والله تعالى- وحده- هو العزيز الغالب على كل شيء، الحكيم في أقواله وأفعاله.

النحو:

﴿هُوَ﴾: ضمير رفع منفصل مبنيّ على الفتح في محل رفع مبتدأ.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبره.

﴿بَعَثَ﴾: فعل ماضٍ مبني على الفتح، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿فِي الْأُمِّيِّينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ "بعث"، وعلامة جر الاسم "الياء"؛ لأنَّه جمع مذكر سالم.

﴿رَسُولًا﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

﴿مِنْهُمْ﴾: من: حرف جر، و "الهاء": ضمير متصل مبني في محل جر بـ "من"، و "الميم": للجماعة، والجار والمجرور متعلقان بصفة محذوفة لـ "رسولاً".

﴿يَتْلُو﴾: فعل مضارع مرفوع بالضمة المقدّرة على "الواو" للثقل، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره: هو.

﴿عَلَيْهِمْ﴾: على: حرف جر، و "الهاء": ضمير متصل مبني في محل جر بـ "على"، و "الميم": للجماعة.

[1] الأميين: العرب المعاصرين له ﷺ؛ يزكّيهم: يُطهّرُهم من أدناس الجاهليّة.

والجار والمجرور متعلقان بـ "يتلو".

﴿آيَاتِهِ﴾: مفعول به منصوب بالكسرة بدلاً من الفتحة؛ لأنَّه جمع مؤنث سالم، و "الهاء": ضمير متصل مبني في محل جر بالإضافة.

﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ﴾: معطوفتان بواوي العطف على "يتلو"، وتعربان إعرابها، و "الهاء": ضمير متصل مبني في محل نصب مفعول به، و "الميم": للجماعة.

﴿الْكِتَابَ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: معطوفة بالواو على "الكتاب" منصوبة بالفتحة.

﴿وَإِنْ﴾: الواو حالية، إن: مخففة من إن" الثقيلة.

﴿كَانُوا﴾: فعل ماضٍ ناقص مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة، و "الواو" ضمير متصل مبني في محل رفع اسم "كانوا"، و "الألف": فارقة.

﴿مِنْ قَبْلُ﴾: جار ومجرور متعلقان بخبر "كان".

﴿لَفِي ضَلَالٍ﴾: اللام: فارقة بين "إن" المخففة من الثقيلة التي هي حرف مشبه بالفعل وبين "إن" النافية.

في ضلال: جار ومجرور متعلقان بخبر "كانوا".

﴿مُبِينٍ﴾: صفة مجرورة وعلامة جرها الكسرة الظاهرة على آخرها.

وجملة "هو الذي" لا محل لها من الإعراب، لأنها استئنافية، وجملة "بعث" لا محل لها من الإعراب؛ لأنها صلة الموصول "الذي"، وجملة "يتلو" في محل نصب نعت ثان لـــ "رسولاً"، وجملة "يزكيهم" في محل نصب معطوفة على جملة "يتلو"، وجملة "يعلمهم" في محل نصب معطوفة على جملة "يتلو".

وجملة "إن كانوا" في محل نصب حال، وجملة "كانوا" في محل رفع خبر إن المخففة.

البلاغة:

هذه الآية الكريمة استئناف بياني ناشىء عن إجراء الصفات المذكورة آنفاً على اسم الجلالة إذ يتساءل السامع عن وجه تخصيص تلك الصفات بالذكر من بين صفات الله تعالى فكأن الحال مقتضياً أن يبين شيء عظيم من تعلق تلك الصفات بأحوال خلقه تعالى إذ بعث فيهم رسولاً يطهر نفوسهم ويزكيهم ويعلمهم.

وابتداء الجملة بضمير اسم الجلالة لتكون جملة اسمية فتفيد تقوية هذا الحكم وتأكيده، أي أن النبي صلى الله عليه وسلم مَبعوث من الله لا محالة.

و {في} من قوله: {في الأميين} للظرفية، أي ظرفية الجماعة ولأحد أفرادها. ويفهم من الظرفية معنى الملازمَة، أي رسولاً لا يفارقهم فليس ماراً بهم كما يَمرّ المرسل بمقالةٍ أو بمالكةٍ يبلغها إلى القوم ويغادرهم.

و {الأميين}: صفة لموصوف محذوف دل عليه صيغة جمع العقلاء، أي في الناس الأميين. وصيغة جمع الذكور في كلام الشارع تشمل النساء بطريقة التغليب الاصطلاحي، وهو جمع يفيد العموم والشمول.

وفي وصف الأميّ بالتلاوة وتعليم الكتاب والحكمة وتزكية النفوس ضرب من محسن الطباق لأن المتعارف أن هذه مضادة للأمية.

وابتُدِأَ بالتلاوة لأن أول تبليغ الدعوة بإبلاغ الوحي، وثني بالتزكية لأن ابتداء الدعوة بالتطهير من الرجس المعنوي وهو الشرك، وما يعْلق به من مساوئ الأعمال والطباع، وعقب بذكر تعليمهم الكتاب لأن الكتاب بعد إبلاغه إليهم تُبيّن لهم مقاصده ومعانيه، وتعليم الحكمة هو غاية ذلك كله لأن من تدبر القرآن وعمل به وفهم خفاياه نال الحكمة.

المسألة رقم 23:

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1] [سورة البقرة: 134]

معنى الآية:

تلك أُمَّة من أسلافكم قد مضَتْ، لهم أعمالهم، ولكم أعمَالكم، ولا تُسْألون عن أعمالهم، وهم لا يُسْألون عن أعمالكم، وكلٌّ سيجازى بما فعله، لا يؤاخذ أحد بذنب أحد، ولا ينفعُ أحدًا إلا إيمانُه وتقواه.

النحو:

﴿تِلْكَ﴾: اسم إشارة مبنيّ على السكون المقدّرة على الياء المحذوفة في محلّ رفع مبتدأ، و "اللام": حرف للبعد، و "الكاف" حرف خطاب مبنيّ على الفتح لا محلّ له من الإعراب.

﴿أُمَّةٌ﴾: خبر المبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة.

وجملة المبتدأ والخبر استئنافية لا محلّ لها من الإعراب.

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق مبنيّ على السكون لا محلّ له من الإعراب.

[1] خلت: مضت وسلفت.

﴿خَلَتْ﴾: فعل ماض مبنيّ على الفتح المقدر على الألف المحذوفة لالتقاء السـاكنين، والتاء تاء التأنيث حرف مبنيّ على السـكون لا محلّ لها من الإعراب، والفاعل ضـمير مسـتتر فيه جوازًا تقديره: هي، يعود إلى أمة، والجملة الفعلية "خلت" في محلّ رفع صفة لأمة.

﴿لَهَا﴾: اللام: حرف جرّ مبنيّ على الفتح لا محلّ له من الإعراب، والهاء: ضمير متّصل مبني على السكون في محلّ جرّ باللام، والجارّ والمجرور متعلّقان بمحذوف خبر مقدم.

﴿مَا﴾: اسم موصول مبنيّ على السكون في محلّ رفع مبتدأ مؤخر.

وجملة المبتدأ والخبر استئنافية لا محلّ لها من الإعراب.

﴿كَسَـبَتْ﴾: فعل ماضّ مبني على الفتح، والتاء للتأنيث، حرف مبنيّ على السـكون لا محلّ له من الإعراب، وفاعل "كسبت" ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هي.

وجملة "كسبت" صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب، والعائد محذوف والتقدير: الذي كسبته.

والجملة الفعل "لها ما كسبت" استئنافية لا محلّ لها من الإعراب.

﴿وَلَكُم﴾: الواو حرف عطف مبنيّ على الفتح.

لكم: اللام حرف جرّ مبنيّ على الفتح لا محلّ له من الإعراب، و "الكاف" ضـمير متّصـل مبني على الضـمّ في محلّ جرّ باللام، والميم: علامة جمع الذكور.

والجارّ والمجرور متعلّقان بمحذوف خبر مقدّم.

﴿مَّا﴾: اسم موصول مبنيّ على السكون في محلّ رفع مبتدأ مؤخر.

وجملة المبتدأ والخبر معطوفة على الجملة السابقة لا محلّ لها من الإعراب.

﴿كَسَبْتُمْ﴾: فعل ماض مبنيّ على السكون لاتصاله بضمير رفع متحرك، والتاء ضمير متّصل مبني على الضمّ في محلّ رفع فاعل و "الميم": للجمع، والجملة "كسبتم" صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب.

والعائد محذوف تقديره: ما كسبتموه.

﴿وَلَا﴾: الواو حرف عطف مبنيّ على الفتح، لا: حرف نفي مبنيّ على السكون لا محلّ له من الإعراب.

﴿تُسْـئَلُونَ﴾: فعل مضـارع مبنيّ للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون لأنَّه من الأفعال الخمسـة، و "الواو" ضمير متّصل مبني على السكون في محلّ رفع نائب فاعل.

وجملة "تسألون" معطوفة على سابقتها لا محلّ لها من الإعراب.

﴿عَمَّا﴾: عن: حرف جرّ مبنيّ على السكون لا محلّ له من الإعراب، ما: اسم موصول مبنيّ على السكون في محلّ جرّ بعن، والجارّ والمجرور متعلّقان بالفعل "تسألون".

﴿كَانُوا﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضمّ لاتصاله بواو الجماعة و "الواو" ضمير متّصل مبني على السكون في محلّ رفع اسمها، والألف للتفريق.

﴿يَعْمَلُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنَّه من الأفعال الخمسة، و "الواو" ضمير متّصل مبني على السكون في محلّ رفع فاعل.

والجملة "يعملون" في محل نصب خبر "كان".

وجملة "كانوا يعملون" لا محلّ لها من الإعراب؛ لأنها صلة الموصول، والعائد محذوف والتقدير: كانوا يعملونه.

البلاغة:

الإشارة بتلك عائدة إلى إبراهيم وبنيه باعتبار أنهم جماعة وباعتبار الإخبار عنهم باسم مؤنث لفظه وهو أمة.

وقوله: {قد خلت} صفة لأمة، ومعناها مضت، وأصل الخلاء الفراغ، فأصل معنى خلت خلا منها المكان فأسند الخلو إلى أصحاب المكان على طريقة المجاز العقلي لنكتة المبالغة، والخبر هنا كناية عن عدم انتفاع غيرهم بأعمالهم الصالحة وإلا فإن كونها خلت مما لا يحتاج إلى الإخبار به، ولذا فقوله: {لها ما كسبت} الآية بدل من جملة {قد خلت} بدل مفصل من مجمل.

وتقديم المسندين على المسند إليهما في {لها ما كسبت ولكم ما كسبتم} لقصر المسند إليه على المسند أي ما كسبت الأمة لا يتجاوزها إلى غيرها وما كسبتم لا يتحاوزكم، وهو قصر إضافي لقلب اعتقاد المخاطبين فإنهم لغرورهم يزعمون أن ما كان لأسلافهم من الفضائل يزيل ما ارتكبوه هم من المعاصي أو يحمله عنهم أسلافهم.

وقوله: {ولا تسألون عما كانوا يعملون} معطوف على قوله: {لها ما كسبت} وهو من تمام التفصيل لمعنى خلت، ونفى السؤال عن العمل لأنه أقل أنواع المؤاخذة بالجريمة فإن المرء يؤخذ بجريمته فيسأل عنها ويعاقب وقد يسأل المرء عن جريمة غيره ولا يعاقب كما يلام على القوم فعل بعضهم ما لا يليق، فنفي أصل السؤال أبلغ وأشمل للأمرين، وإن جعلت قوله: {ولكم ما كسبتم} مراداً به الأعمال الذميمة المحيطة بهم كان قوله: {ولا تسألون} إلخ احتراساً واستيفاء لتحقيق معنى الاختصاص أي كل فريق مختص به عمله أو تبعته ولا يلحق الآخر من ذلك شيء ولا السؤال عنه، أي لا تحاسبون بأعمال سلفكم وإنما تحاسبون بأعمالكم.

جزء التشابه: الآية

1. [سورة البقرة: 141] ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

معنى الآية:

سبق شرح الآية

النحو:

سبق إعراب الآية

البلاغة:

تكرير لنظيره الذي تقدم آنفاً لزيادة رسوخ مدلوله في نفوس السامعين اهتماماً بما تضمنه لكونه معنى لم يسبق سماعه للمخاطبين فلم يقتنع فيه بمرة واحدة.

المسألة رقم 24:

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة: 145]

معنى الآية:

ولئن جئت -أيها الرسول- الذين أُعطوا التوراة والإنجيل بكل حجة وبرهان على أن توجُّهك إلى الكعبة في الصلاة هو الحق من عند الله، ما تبعوا قبلتك عنادًا واستكبارًا، وما أنت بتابع قبلتهم مرة أخرى، وما بعضهم بتابع قبلة بعض. ولئن اتبعت أهواءهم في شأن القبلة وغيرها بعد ما جاءك من العلم بأنك على الحق وهم على الباطل، إنك حينئذ لمن الظالمين لأنفسهم. وهذا خطاب لجميع الأمة وهو تهديد ووعيد لمن يتبع أهواء المخالفين لشريعة الإسلام.

النحو:

﴿وَلَئِنْ﴾: الواو حرف استئناف مبني على الفتح لا محلّ له من الإعراب، اللام حرف مُوَطِّئ لقسم محذوف، تقديره: والله لئن، وإن: حرف شرط جازم مبنيّ على السكون لا محلّ له من الإعراب.

﴿أَتَيْتَ﴾: فعل ماضٍ مبني على السكون لاتصاله بضمير رفع متحرك، والتاء ضمير متّصل مبني على الفتح في محلّ رفع فاعل، وجملة "أتيت" استئنافيّة لا محلّ لها من الإعراب.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبنيّ على الفتح في محلّ نصب مفعول به.

﴿أُوتُوا﴾: فعل ماضٍ مبني للمجهول مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة، و"الواو" ضمير متّصل مبني على السكون في محلّ رفع نائب فاعل، و"الألف" فارقة.

﴿الْكِتَابَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، وجملة "أوتوا الكتاب" صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب.

﴿بِكُلِّ﴾: الباء حرف جرّ مبني على الكسر لا محلّ له من الإعراب، كل: اسم مجرور بالباء، وعلامة جره الكسرة، وهو مضاف، ﴿آيَةٍ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الكسرة الظاهرة، والجار والمجرور متعلّقان بالفعل "أتيت".

﴿مَا﴾: حرف نفي مبني على السكون لا محلّ له من الإعراب.

﴿تَبِعُوا﴾: فعل ماضٍ مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة، و"الواو" ضمير متّصل مبني على السكون في محلّ رفع فاعل، و"الألف" فارقة.

﴿قِبْلَتَكَ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، وهو مضاف، و"الكاف" ضمير متّصل مبني على الفتح في محلّ جرّ مضاف إليه، والجملة "تبعوا" لا محلّ لها من الإعراب؛ لأنّها جواب القسم، وقد أغنت عن جواب الشرط لتقدم القسم.

﴿وَمَا﴾: الواو حرف عطف مبني على الفتح لا محلّ له من الإعراب.

ما: حرف نفي مبني على السكون حجازية عاملة عمل "ليس".

﴿أَنْتَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محلّ رفع اسم "ما" النافية.

﴿بِتَابِعٍ﴾: الباء حرف جرّ زائد مبني على الكسر لا محلّ له من الإعراب، تابع: خبر "ما" منصوب، وعلامة نصبه الفتحة المقدّرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحلّ بحركة حرف الجر الزائد، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: أنت.

﴿قِبْلَتَهُمْ﴾: قبلة: مفعول به لـ"تابع" منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، وهو مضاف، و"الهاء": ضمير متّصل مبني على الضم في محلّ جرّ مضاف إليه، و"الميم": للجمع، و "ما أنت بتابع قبلتهم" معطوفة على سابقتها لا محلّ لها من الإعراب.

﴿وَمَا﴾: الواو حرف عطف مبني على الفتح لا محلّ له من الإعراب، ما: حرف نفي مبني على السكون لا محلّ له من الإعراب، وهي حجازية تعمل عمل "ليس".

﴿بَعْضُهُمْ﴾: اسم "ما" مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، وبعض: مضاف، و"الهاء": ضمير متّصل مبني على الضم في محلّ جرّ مضاف إليه، و"الميم": علامة جمع الذكور.

﴿بِتَابِعٍ﴾: الباء حرف جرّ زائد مبني على الكسر لا محلّ له من الإعراب، تابع: خبر "ما" منصوب وعلامة نصبه الفتحة المقدّرة منع من ظهورها اشتغال المحلّ بحركة حرف الجر الزائد، وفاعل اسم الفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو، يعود إلى "بعض".

﴿قِبْلَةَ﴾: مفعول به لتابع منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، وهو مضاف، ﴿بَعْضٍ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الكسرة الظاهرة، وجملة "ما" واسمها وخبرها معطوفة على ما قبلها، لا محلّ لها من الإعراب.

﴿وَلَئِنِ﴾: الواو حرف استئناف مبني على الفتح لا محلّ له من الإعراب، و"اللام": موطئة لقسم محذوف حرف مبني على الفتح، إنْ: حرف شرط جازم مبنيّ على السكون لا محلّ له من الإعراب.

﴿اتَّبَعْتَ﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على السكون لاتصاله بضمير رفع متحرك، وهو في محلّ جزم فعل الشرط، والتاء ضمير متّصل مبني على الفتح في محلّ رفع فاعل.

﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، و"الهاء": ضمير متّصل مبني على الضم في محلّ جرّ مضاف إليه، و"الميم": علامة جمع الذكور.

﴿مِنْ﴾: من حرف جرّ مبنيّ على السكون لا محلّ له من الإعراب.

﴿بَعْدِ﴾: اسم مجرور بـ" من" وعلامة جره الكسرة الظاهرة، والجار والمجرور متعلّقان بالفعل "اتبعت"، وهو مضاف.

﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محلّ جرّ مضاف إليه.

﴿جَاءَكَ﴾: جاء: فعل ماضٍ مبني على الفتح الظاهر على آخره، و"الكاف" ضمير متّصل مبني على الفتح في محلّ نصب مفعول به، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو، يعود على "ما"، وجملة "جاءك" صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب.

﴿مِنَ﴾: حرف جرّ مبني على السكون لا محلّ له من الإعراب.

﴿الْعِلْمِ﴾: اسم مجرور بمن"، وعلامة جره الكسرة الظاهرة، والجارّ والمجرور متعلّقان بمحذوف في محلّ نصب حال من فاعل "جاءك" المستتر.

﴿إِنَّكَ﴾: إن حرف توكيد ونصب مشبّه بالفعل مبني على الفتح الظاهر على آخره، و"الكاف": ضمير متّصل مبني على الفتح في محلّ نصب اسم إن.

﴿إِذًا﴾: حرف جواب وجزاء مبني على السكون لا محلّ له من الإعراب.

﴿لَمِنَ﴾: اللام لام الابتداء المزحلقة مبني على الفتح لا محلّ له من الإعراب، من: حرف جرّ مبنيّ على السكون لا محلّ له من الإعراب، وحرك بالفتح لالتقاء الساكنين.

﴿الظَّالِمِينَ﴾: اسم مجرور بـ"من" وعلامة جره الياء لأنَّه جمع مذكر سالم، والجارّ والمجرور متعلّقان بمحذوف خبر "إن"، والجملة الاسمية {إنك إذا لمن الظالمين}، لا محلّ لها من الإعراب؛ لأنّها جواب القسم.

البلاغة:

{ولئن أتيتَ} عطف على قوله: {وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون} [سورة البقرة: 44]، والمناسبة أنهم يعلمون ولا يعملون، فلما أفيد أنهم يعلَمون أنه الحق على الوجه المتقدم في إفادته التعريض بأنهم مكابرون؛ ناسبت أن يحقق نفي الطَّمع في اتِّباعهم القِبْلَة؛ لدفع توهم أن يَطْمع السامع باتباعهم لأنهم يعلمون أحقيتها، فلذا أكدت الجملة الدالة على نفي اتِّباعهم بالقَسَم واللام الموطئة، وبالتعليق على أقصى ما يمكن عادةً.

ووجه الإظهار في مقام الإضمار هنا الإعلان بمذمتهم حتى تكون هذه الجملة صريحة في تناولهم كما هو الشأن في الإظهار في موقع الإضمار أن يكون المقصود منه زيادة العناية والتمكن في الذهن.

والمرادُ {بكل آية} آيات متكاثرة والمراد بالآية الحجة والدليل على أن استقبال الكعبة هو قبلة الحنيفِية، وإطلاق لفظ (كل) على الكثرة يفيد العموم.

والمعنى أن إنكارهم أَحَقِّيَّة الكعبة بالاستقبال ليس عن شبهة حتى تُزيله الحجة، ولكنه مكابرة وعناد فلا جدوى في إطناب الاحتجاج عليهم.

وإضافة قبلة إلى ضمير الرسول لأنها أخص به لكونها قِبلة شرعِه، ولأنه سأَلها بلسان الحال.

وإفراد القبلة في قوله: {وما أنت بتابع قبلتهم} مع كونهما قبلتين، إن كان لكل من أهل الكتاب قبلة معينة، وأكثرَ من قِبلة إن لم تكن لهم قبلةٌ معينة وكانوا مخيَّرين في استقبال الجهات، فإفراد لفظ (قبلتهم) على معنى التوزيع لأنه إذا اتَّبع قبلة إحدى الطائفتين كان غير متبع قبلة الطائفة الأخرى.

وجملة: {ولئن اتبعت أهواءهم} معطوفة على جملة: {وما أنت بتابع قبلتهم} وما بينهما اعتراض، وفائدة هذا العطف بعد الإخبار بأنه لا يتبع قبلتهم زيادة تأكيد الأمر باستقبال الكعبة، والتحذير من التهاون في ذلك

بحيث يفرض على وجه الاحتمال أنه لو اتبع أهواء أهل الكتاب في ذلك لكان كذا وكذا، ولذلك كان الموقع لإن لأنَّ لها مواقعَ الشك والفرض في وقوع الشرط.

والتعريفُ في {الظالمين} الدالُّ على أنه يكون من المعهودين بهذا الوصف الذين هو لهم سجية. ولا يخفى أن كل ما يَؤُول إلى تحقيق الربط بين الجزاء والشرط أو تحقيق سببه أو تحقيق حصول الجزاء أو تهويل بعض متعلقاته، كل ذلك يؤكد المقصود من الغرض المسوق لأجله الشرط.

والتعبير بالعِلم هنا عن الوحي واليقين الإلهي إعلان بتنويه شأن العلم ولَفت لعقول هذه الأمة إليه لما يتكرر من لفظه على أسماعهم.

وقوله: {لمن الظالمين} أقوى دلالةً على الانصاف بالظلم من إنك لَظالم.

جزء التشابه: بعد ما جاءك من العلم

1. [سورة البقرة: 120] ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾

معنى الآية:

ولن ترضى عنك -أيها الرسول- اليهود ولا النصارى إلا إذا تركت دينك واتبعتَ دينهم. قل لهم: إن دين الإسلام هو الدين الصحيح. ولئن اتبعت أهواء هؤلاء بعد الذي جاءك من الوحي ما لك عند الله مِن وليٍّ ينفعك، ولا نصير ينصرك. هذا موجه إلى الأمّة عامة وإن كان خطابًا للنبي صلى الله عليه وسلم.

النحو:

﴿وَلَنْ﴾: الواو حرف استئناف مبنيّ على الفتح لا محلّ له من الإعراب، لن: حرف نفي ونصب مبنيّ على السكون لا محلّ له من الإعراب.

﴿تَرْضَى﴾: فعل مضارع منصوب بلن وعلامة نصبه الفتحة المقدرة على الألف للتعذر.

﴿عَنْكَ﴾: حرف جرّ مبنيّ على السكون لا محلّ له من الإعراب، و "الكاف" ضمير متّصل مبنيّ على الفتح في محلّ جرّ بعن، والجارّ والمجرور متعلّقان بالفعل "ترضى".

﴿الْيَهُودُ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، وجملة "لن ترضى" استئنافية لا محلّ لها من الإعراب.

﴿وَلَا﴾: الواو حرف عطف مبنيّ على الفتح لا محلّ له من الإعراب، لا: حرف زائد مبنيّ على السكون لا محلّ له من الإعراب.

﴿النَّصَارَى﴾: معطوف على اليهود، مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الألف للتعذر.

﴿حَتَّى﴾: حرف غاية وجر مبنيّ على السكون لا محلّ له من الإعراب.

﴿تَتَّبِعَ﴾: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوبًا بعد حتى، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره: أنت، والمصدر المؤول من "أن تتبع" في محلّ جرّ بحرف الجرّ، والجارّ والمجرور متعلّقان بـ"ترضى".

﴿مِلَّتَهُمْ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، وهو: مضاف، و "الهاء": ضمير متّصل مبنيّ على الضمّ في محلّ جرّ مضاف إليه، والميم: علامة جمع الذكور.

﴿قُلْ﴾: فعل أمر مبنيّ على السكون والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره: أنت، وجملة قلْ استئنافية لا محلّ لها من الإعراب.

﴿إِنَّ﴾: حرف توكيد ونصب مشبّه بالفعل مبنيّ على الفتح.

﴿هُدَى﴾: اسم "إنّ" منصوب، وعلامة نصبه الفتحة المقدرة على الألف للتعذر، وهو: مضاف.

﴿اللَّهِ﴾: لفظ الجلالة مضاف إليه مخفوض، وعلامة خفضه الكسرة الظاهرة.

﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبنيّ على الفتح في محلّ رفع مبتدأ، أو لا محلّ له من الإعراب.

﴿الْهُدَى﴾: خبر المبتدأ مرفوع، (أو خبر "إنّ" مرفوع إذا اعتبرنا "هو" لا محلّ له من الإعراب)، وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الألف للتعذر، وجملة المبتدأ والخبر في محلّ رفع خبر "إنّ"، وجملة "إنّ" واسمها وخبرها في محلّ نصب "مقول القول".

﴿وَلَئِنِ﴾: الواو حرف استئناف مبنيّ على الفتح لا محلّ له من الإعراب، و "اللام": موطئة للقسم، والقسم محذوف دلت عليه اللام، إن: حرف شرط جازم مبنيّ على السكون، وقد ترك بالكسر لالتقاء الساكنين.

﴿اتَّبَعْتَ﴾: فعل ماض مبنيّ على السكون لاتصاله بضمير رفع متحرك، والتاء ضمير متّصل مبنيّ على الفتح في محلّ رفع فاعل، والفعل الماضي في محلّ جزم لأنَّه فعل الشرط.

﴿أَهْوَاءَهُمْ أهواء﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، وهو: مضاف، و "الهاء": ضمير متّصل مبنيّ على الفتح في محلّ جرّ مضاف إليه، و "الميم": للجمع.

﴿بَعْدَ﴾: ظرف زمان منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، متعلّق بالفعل "اتبعت"، وهو مضاف.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول مبنيّ على السكون في محلّ جرّ مضاف إليه.

﴿جَاءَكَ﴾: جاء: فعل ماض مبنيّ على الفتح والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو يعود إلى "ما"، و "الكاف" ضمير متّصل مبنيّ على الفتح في محلّ نصب مفعول به، وجملة "جاءك" صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب.

﴿مِنَ﴾: حرف جرّ مبنيّ على السكون، وقد ترك بالفتح منعا لالتقاء الساكنين لا محلّ له من الإعراب.

﴿الْعِلْمِ﴾: اسم مجرور بمن، وعلامة جره الكسرة الظاهرة، والجارّ والمجرور متعلّقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر في "جاء".

﴿مَا﴾: حرف نفي مبنيّ على السكون لا محلّ له من الإعراب.

﴿لَكَ﴾: اللام: حرف جرّ مبنيّ على الفتح لا محلّ له من الإعراب، و "الكاف" ضمير متّصل مبنيّ على الفتح في محلّ جرّ باللام، والجارّ والمجرور متعلّقان بمحذوف خبر مقدم.

﴿مِنَ﴾: حرف جرّ مبنيّ على السكون لا محلّ له من الإعراب، ﴿اللَّهِ﴾: لفظ الجلالة اسم مخفوض بمن وعلامة خفضه الكسرة الظاهرة، والجارّ والمجرور متعلّقان بمحذوف حال من "وليّ".

﴿مِنْ﴾: حرف جرّ زائد، ﴿وَلِيٍّ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحلّ بحركة حرف الجرّ الزائد، وجملة "ما لك من الله من وليّ" لا محلّ لها من الإعراب؛ لأنها جواب قسم محذوف، وجواب الشرط محذوف دلّ عليه جواب القسم.

﴿وَلَا﴾: الواو حرف عطف مبنيّ على الفتح لا محلّ له من الإعراب، لا: حرف زائد لتأكيد النفي.

﴿نَصِيرٍ﴾: معطوف على "ولي" مجرور تبعًا للفظه، وعلامة الجرّ الكسرة الظاهرة.

البلاغة:

معنى الغاية في {حتى تتبع ملتهم} كناية عن اليأس من اتباع اليهود والنصارى لشريعة الإسلام يومئذ، لأنهم إذا كانوا لا يرضون إلا باتباعه ملتهم، فهم لا يتبعون ملته.

والتعريف في الهدى تعريف الجنس الدال على الاستغراق ففيه طريقان من طرق الحصر: هما ضمير الفصل وتعريف الجزأين، وفي الجمع بينهما إفادة تحقيق معنى القصر وتأكيده للعناية به.

وإضافة الهدى إلى الله تشريف، والقصر إضافي. وفيه تعريض بأن ما هم عليه يومئذ شيء حرفوه ووضعوه، فيكون القصر إما حقيقياً ادعائياً بأن يراد هو الهدى الكامل في الهداية، فهدى غيره من الكتب السماوية بالنسبة إلى هدى القرآن كلاَ هدى، لأن هدى القرآن أعم وأكمل فلا ينافي إثبات الهداية لكتابهم.

والتوكيد بإن لتحقيق الخبر وتحقيق نسبته وإبطال تردد المتردد، لأن القصر الإضافي لما كان المقصود منه رد اعتقاد المخاطب قد لا يتفطن المخاطب إلى ما يقتضيه من التأكيد فزيد هنا مؤكد آخر وهو حرف (إن) اهتماماً بتأكيد هذا الحكم.

وقوله: {ولئن اتبعت أهواءهم} اللام موطئة للقسم وذلك توكيد للخبر وتحقيق له.

وقوله: {مالك من الله من ولي ولا نصير} تحذير لكل من تلقى الإسلام أن لا يتبع بعد الإسلام أهواء الأمم الأخرى، جاء على طريقة تحذير النبيء ﷺ، و (مِن) في قوله: {من ولي} مؤكدة للنفي، وعطف النصير على الولي احتراس لأن نفي الولي لا يقتضي نفي كل نصير إذ لا يكون لأحد ولي لكونه دخيلاً في قبيلة ويكون أنصاره من جيرته. وكان القصد من نفي الولاية التعريض بهم في اعتقادهم أنهم أبناء الله وأحباؤه فنفى ذلك عنهم حيث لم يتبعوا دعوة الإسلام ثم نفى الأعم منه.

وقد اشتملت جملة {ولئن اتبعت أهواءهم} إلى آخرها على تحذير من الطمع في استدناء اليهود أو النصارى بشيء من استرضائهم طمعاً في إسلامهم بتألف قلوبهم، فأكد ذلك التحذير بعشرة مؤكدات وهي القسم المدلول عليه باللام الموطئة للقسم، وتأكيد جملة الجزاء بإنَّ وبلام الابتداء في خبرها، واسميةُ جملة الجزاء وهي {مَالَك من الله من ولي ولا نصير}، وتأكيدُ النفي بِمنْ، والاجمالُ ثم التفصيل بذكر اسم الموصول وتبيينه بقوله {من العِلم}.

2. [سورة آل عمران: 61] ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[1]

معنى الآية:

فمَن جادلك -أيها الرسول- في المسيح عيسى ابن مريم من بعد ما جاءك من العلم في أمر عيسى عليه السلام، فقل لهم: تعالوا نُحْضِر أبناءنا وأبناءكم، ونساءنا ونساءكم، وأنفسنا وأنفسكم، ثم نتجه إلى الله بالدعاء أن يُنزل عقوبته ولعنته على الكاذبين في قولهم، المصرِّين على عنادهم.

النحو:

﴿فَمَنْ﴾: الفاء: حرف عطف، من: اسم شرط جازم مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ.

[1] تعالوا: هلمُّوا، أقبِلوا بالعزم والرأي؛ نبْتهل: ندْع باللّعنة على الكاذب منّا.

﴿حَاجَّكَ﴾: حاجّ: فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح في محلّ جزم فعل الشرط، و"الكاف": ضمير مبني في محل نصب مفعول به، والفاعل: ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿فِيهِ﴾: في: حرف جر، الهاء: ضمير مبنيّ في محلّ جرّ بحرف الجرّ، والجارّ والمجرور متعلّقان بـ"حاج".

﴿مِنْ بَعْدِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"حاج"، ﴿مَا﴾: اسم موصول مبنيّ في محلّ جرّ مضاف إليه.

﴿جَاءَكَ﴾: جاء: فعل ماضٍ، و"الكاف": ضمير مفعول به، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿مِنَ الْعِلْمِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف حال من الضمير المستتر في "جاء".

﴿فَقُلْ﴾: الفاء: حرف رابط لجواب الشرط، قل: فعل أمر مبنيّ على السكون، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره: أنت.

﴿تَعَالَوْا﴾: فعل أمر مبنيّ على حذف النون، لأنه من الأفعال الخمسة، و"الواو" فاعل.

﴿نَدْعُ﴾: فعل مضارع مجزوم، لأنه جواب الطلب، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره: نحن.

﴿أَبْنَاءَنَا﴾: أبناء مفعول به منصوب، وهو مضاف، و"نا": ضمير في محلّ جرّ مضاف إليه.

﴿وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾: الواو: حرف عطف في المواضع الخمسة.

والمعطوفات: ألفاظ مركَّبة من مضاف ومضاف إليه معطوفة على أبناء منصوبة بالفتحة.

﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف، ﴿نَبْتَهِلْ﴾: فعل مضارع مجزوم معطوف على "ندع" والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره: نحن.

﴿فَنَجْعَلْ﴾: الفاء: حرف عطف، ونجعل: فعل مضارع مجزوم معطوف على "ندع"، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره: نحن.

﴿لَعْنَتَ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، وهو مضاف.

﴿اللَّهِ﴾: لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف مفعول به ثانٍ لـ"نجعل"، أي: نجعل لعنة الله واقعة على الكاذبين.

وجملة "من حاجك" استئنافيّة لا محلّ لها من الإعراب، وجملة "جاءك" لا محلّ لها من الإعراب، لأنها صلة الموصول "ما"، وجملة "قل" في محلّ جزم جواب الشرط، وجملة تعالوا" في محلّ نصب مقول القول، وجملة "ندع" لا محلّ لها من الإعراب، لأنها جواب شرط مقدر غير مقترن بالفاء، وجملة "نبتهل" معطوفة على جملة "ندع"، وجملة "نجعل" لا محلّ لها من الإعراب، لأنها معطوفة على جملة "ندع".

البلاغة:

تفريع على قوله: {الحق من ربك فلا تكن من الممترين} لما فيه من إيماء إلى أنّ وفد نجران ممترون في هذا الذي بَيّن الله لهم في هذه الآيات: أي فإن استمرّوا على محاجتهم إياك مكابرةً في هذا الحق أو في شأن عيسى فادعهم إلى المباهلة والملاعنة.

و {تعالوا} اسم فعل لطلب القدوم، وهو في الأصل أمر من تعالى يتعالى إذا قَصد العلوّ، فكأنّهم أرادوا به في الأصل أمراً بالصعود إلى مكان عالٍ تشريفاً للمدعُو، ثم شاع حتى صار لمطلق الأمر بالقدوم أو الحضور.

وإنما جمع في الملاعنة الأبناء والنساء: لأنه لمّا ظهرت مكابرتهم في الحق وحبّ الدنيا، عُلم أنّ من هذه صفته يكون أهله ونساؤه أحبّ إليه من الحق، والظاهر أنّ المراد بضمير المتكلم المشارَك أنه عائد إلى النبي ﷺ ومن معه من المسلمين، والذين يحضرهم لذلك وأبناء أهل الوفد ونساؤهم اللاّئي كُنَّ معهم.

ومعنى {فنجعل لعنت الله} فنَدْعُ بإيقاع اللعنة على الكاذبين، وهذا الدعاء إلى المباهلة إلجاءٌ لهم إلى أن يعترفوا بالحق أو يَكفُوا، وهذه المباهلة لعلّها من طرق التناصف عند النصارى فدعاهم إليها النبي ﷺ لإقامة الحجة عليهم.

3. [سورة الرعد: 37] ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾[1]

معنى الآية:

وكما أنزلنا الكتب على الأنبياء بلسانهم أنزلنا إليك -أيها الرسول- القرآن بلغة العرب؛ لتحكم به، ولئن اتبعت أهواء المشركين في عبادة غير الله -بعد الحق الذي جاءك من الله- ليس لك ناصر ينصرك ويمنعك من عذابه.

النحو:

كَذَلِكَ: الواو: حرف استئناف مبنيّ على الفتح، "كذلك": الكاف: حرف تشبيه وجرّ مبنيّ على الفتح، و "ذا": اسم إشارة مبنيّ على السّكون في محلّ جرّ بالكاف، واللّام: للبعد مبنيّ على الكسر، و "الكاف": حرف خطاب مبنيّ على الفتح، والجارّ والمجرور متعلّقان بمحذوف مفعول مطلق.

﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على السّكون لاتصاله بضمير رفع متحرّك، و "نا": ضمير متّصل مبنيّ على السّكون في محلّ رفع فاعل، و "الهاء": ضمير متّصل مبنيّ على الضم في محلّ نصب مفعول به، والجملة استئنافيّة لا محلّ لها من الإعراب.

[1] حكمًا: حاكمًا بين الناس؛ الولي: الناصر والمعين والقريب والحليف؛ الواقي: المدافع عن غيره

﴿حُكْمًا﴾: حال من ضمير المفعول بالفتحة الظّاهرة.

﴿عَرَبِيًّا﴾: حال ثان من ضمير المفعول بالفتحة الظّاهرة.

﴿وَلَئِنِ﴾: الواو: حرف استئناف مبنيّ على الفتح، و "اللام": حرف موطّئ للقسم، وإنْ حرف شرط مبنيّ على السّكون لا محلّ لها من الإعراب.

﴿اتَّبَعْتَ﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على السّكون لاتصاله بضمير رفع متحرّك في محلّ جزم فعل الشّرط، والتّاء: ضمير متّصل مبنيّ على الفتح في محلّ رفع فاعل.

﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾: "أهواء": مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، و "هم": ضمير متّصل مبنيّ على السّكون في محلّ جرّ بالإضافة.

﴿بَعْدَ مَا﴾: ظرف زمان متعلّق بالفعل "اتبعت" منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظّاهرة على آخره، "ما": اسم موصول مبنيّ على السّكون في محلّ جرّ بالإضافة.

﴿جَاءَكَ﴾: "جاءَ": فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح، والفاعل: ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو، و "الكاف": ضمير متّصل مبنيّ على الفتح في محلّ نصب مفعول به، والجملة صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب.

﴿مِنَ﴾: حرف جرّ مبنيّ على السّكون وحرّك بالفتح لدخوله على "أل" التعريف.

﴿الْعِلْمِ﴾: اسم مجرور بـ "من" وعلامة جره الكسرة الظاهرة، والجارّ والمجرور متعلّقان بالفعل "جاءك".

﴿مَا﴾: حرف نفي مبنيّ على السّكون.

﴿لَكَ﴾: اللام: حرف جرّ مبنيّ على الفتح، و "الكاف": ضمير متّصل مبنيّ على الفتح في محلّ جرّ باللّام، والجارّ والمجرور متعلّقان بمحذوف خبر مقدّم.

﴿مِنَ﴾: حرف جرّ مبنيّ على السّكون وحرّك بالفتح منعًا لالتقاء الساكنين.

﴿اللَّهِ﴾: لفظ الجلالة اسم مجرور بـ"من" وعلامة جره الكسرة الظاهرة، والجارّ والمجرور متعلّقان بمحذوف حال من "ولي".

﴿مِنْ﴾: حرف جرّ زائد مبنيّ على السّكون.

﴿وَلِيٍّ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع بضمّة مقدّرة منع من ظهورها اشتغال المحلّ بحركة حرف الجرّ الزائد.

والجملة من المبتدأ وخبره "ما لك ... من وليّ" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها جواب القسم، وجواب الشرط محذوف ولّ عليه جواب القسم وفقًا للقاعدة في اجتماع الشّرط والقسم.

﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف على الاسم "وَلِيٍّ": مجرور بضمة مقدّرة على الياء المحذوفة منع من ظهورها الثقل، مرفوع محلًا لعطفه على المبتدأ.

﴿وَاقٍ﴾: معطوف على (ولي).

البلاغة:

هذه الآية اعتراض وعطف على جملة {والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك} [سـورة الرعد: 36]، لما ذكر حال تلقي أهل الكتابين للقرآن عند نزوله عُرج على حال العرب في ذلك بطريقة التعريض بسوء تلقي مشركيه له مع أنهم أولَى الناس بحسن تلقيه إذ نزل بلسانهم مشتملاً على ما فيه صلاحهم وتنوير عقولهم.

و {حكماً عربياً} حالان من ضمير {أنزلناه}. والحكم: هنا بمعنى الحكمة وجُعل نفس الحكم حالاً منه مبالغة. والمراد أنه ذو حكم، و{عربيًا} حال ثانية وليس صفة لـ {حكمًا} إذ الحكمة لا توصف بالنسبة إلى الأمم وإنما المعنى أنه حكمة معبر عنها بالعربية. والمقصود أنه بلغة العرب التي هي أفصح اللغات وأجملها وأسهلها، وفي ذلك إعجازه. فحصل لهذا الكتاب كمالان: كمال من جهة معانيه ومقاصده وهو كونه حكمًا، وكمال من جهة ألفاظه وهو المكنى عنه بكونه عربيًا.

{ولئن اتبعت أهواءهم} معترضة واللام موطئة بالقسم.

{بعد ما جاءك من العلم} فيحتمل أن يراد بالموصول القرآن تنويهاً به، أي لئن شايعَتهم فسألَتنا آية ير القرآن بعد أن نزل عليك القرآن، أو بعد أن أعلمناك أنا غير متنازلين لإجابة مقترحاتهم، ويحتمل اتباع دينهم فإن دينهم أهواء.

{مالك كم الله من ولي ولا واق} جُعِل نفي الولي والنصير جواباً للشرط كناية عن الجواب، وهو المؤاخذة والعقوبة، والمقصود من هذا تحذير المسلمين من أن يركنوا إلى تمويهات المشركين، والتحذير من الرجوع إلى دينهم تهييجاً لتصلبهم في دينهم، و{من} الداخلة على {ولي} لتأكيد النفي تنصيصاً على العموم.

المسألة رقم 25:

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [سورة البقرة: 190]

معنى الآية:

وقاتلوا -أيها المؤمنون- لنصرة دين الله الذين يقاتلونكم، ولا ترتكبوا المناهي من المُثْلة، والغُلول، وقَتْلِ من لا يحل قتله من النساء والصبيان والشيوخ، ومن في حكمهم. إن الله لا يحب الذين يجاوزون حدوده، فيستحلون ما حرَّم الله ورسوله.

النحو:

﴿وَقَاتِلُوا﴾: الواو حرف استئناف مبني على الفتح، قاتلوا: فعل أمر مبني على حذف النون؛ لأن مضارعه من الأفعال الخمسة، و "الواو" ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل، والألف للتفريق، وجملة "قاتلوا" استئنافية لا محل لها من الإعراب.

﴿فِي﴾: حرف جر مبنيّ على السكون لا محل له من الإعراب.

﴿سَبِيلِ﴾: اسم مجرور بفي، وعلامة جره الكسرة الظاهرة، وهو مضاف.

﴿اللَّهِ﴾: لفظ الجلالة: مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة، والجار والمجرور بالفعل "قاتلوا".

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبنيّ على الفتح في محلّ نصب مفعول به.

﴿يُقَاتِلُونَكُمْ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنَّه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل، والكاف ضمير متصل مبني على الفتح في محل نصب مفعول به، والميم للجمع، وجملة "يقاتلونكم" لا محل لها من الإعراب.

﴿وَلَا﴾: الواو حرف عطف مبني على الفتح، لا: حرف نهي وجزم مبني على السكون لا محل له من الإعراب.

﴿تَعْتَدُوا﴾: فعل مضارع مجزوم بـ "لا" الناهية، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنَّه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل، والألف للتفريق، والجملة الفعلية "تعتدوا" معطوفة على جملة "قاتلوا" لا محل لها من الإعراب.

﴿إِنَّ﴾: حرف توكيد ونصب مشبّه بالفعل مبني على الفتح الظاهر.

﴿اللَّهَ﴾: لفظ الجلالة اسم "إن" منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة.

﴿لَا﴾: حرف نفي مبني على السكون، ﴿يُحِبُّ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو، عائد على "الله".

﴿الْمُعْتَدِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء؛ لأنَّه جمع مذكر سالم، وجملة "لا يحب" في محلّ رفع خبر "إن"، والجملة الاسمية "إن الله..." لا محل لها من الإعراب؛ لأنها تعليلية.

البلاغة:

جملة {وقاتلوا} معطوفة على جملة {وليس البر} [سورة البقرة: 189]، وهو استطراد دعا إليه استعداد النبي ﷺ لعُمرة القضاء سنة ست وتوقعُ المسلمين غدر المشركين بالعهد، وهو قتال متوقع لقَصْد الدفاع لقول: {الذين يقاتلونكم}، وهذا إذنٌ في قتال الدفاع لدفع هجوم العدو.

وقوله: {ولا تعتدوا} أسلوب إنشائي نهي غرضه التحذير، أي لا تبتدئوا بالقتال، وقوله: {إن الله لا يحب المعتدين} تحذير من الاعتداء؛ وذلك مسالمة للعدو واستبقاء لهم وإمهال حتى يجيئوا مؤمنين، وقيل: أراد ولا تعتدوا في القتال إن قاتلتم ففسر الاعتداء بوجوه كثيرة ترجع إلى تجاوز أحكام الحرب والاعتداء الابتداء بالظلم.

جزء التشابه: الله لا يحب المعتدين

1. [سورة المائدة: 87] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾

معنى الآية:

يا أيها الذين آمنوا لا تحرِّموا طيبات أحلَّها الله لكم من المطاعم والمشارب ونكاح النساء، فتضيقوا ما وسَّع الله عليكم، ولا تتجاوزوا حدود ما حرَّم الله. إن الله لا يحب المعتدين.

النحو:

﴿يَاأَيُّهَا﴾: يا: حرف نداء، أي: منادى مبنيّ على الضم في محل نصب مفعول به لفعل النداء المحذوف، و"ها" للتنبيه.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبنيّ على الفتح في محلّ رفع بدل من "أيّ".

﴿آمَنُوا﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الضم لاتصاله بواو الجماعة، والواو ضمير متصلّ في محلّ رفع فاعل، و"الألف": فارقة، وجملة "آمنوا" لا محلّ لها من الإعراب؛ لأنّها صلة الموصول.

﴿لَا﴾: حرف نهي وجزم، ﴿تُحَرِّمُوا﴾: فعل مضارع مجزوم بلا، وعلامة جزمه حذف النون، والواو ضمير متصلّ في محلّ رفع فاعل، و"الألف": فارقة.

﴿طَيِّبَاتِ﴾: مفعول به منصوب بالكسرة بدلًا من الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المؤنث السالم.

﴿ما﴾: اسم موصول مبنيّ على السكون في محل جرّ بالإضافة.

﴿أَحَلَّ﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح.

﴿اللَّهُ﴾: لفظ الجلالة فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿لَكُمْ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"أحل"، والجملة: "أحل الله لكم" لا محلّ لها من الإعراب؛ لأنّها صلة الموصول.

﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾: مثل "لا تحرموا" ومعطوفة عليها.

﴿إِنَّ﴾: حرف توكيد مشبّه بالفعل.

﴿اللَّهَ﴾: لفظ الجلالة اسمها منصوب بالفتحة.

﴿لَا﴾: حرف نفي.

﴿يُحِبُّ﴾: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿الْمُعْتَدِينَ﴾: مفعول به منصوب بالياء؛ لأنه جمع مذكر سالم، والجملة في محلّ رفع خبر "إنّ".

البلاغة:

استئناف ابتدائي خطاب للمؤمنين بأحكام تشريعية، وتكملة على صورة التفريع جاءت لمناسبة ما تقدّم من الثناء على القسّيسين والرهبان. وإذ قد كان من سنّتهم المبالغة في الزهد وأحدثوا رهبانية من الانقطاع عن التزوّج وعن أكل اللحوم وكثير من الطيّبات كالتدهُّن وترفيه الحالة وحُسن اللباس، نبّه الله المؤمنين على أنّ الثناء على الرهبان والقسّيسين بما لهم من الفضائل لا يقتضي اطّراد الثناء على جميع أحوالهم الرهبانيّة.

والنهي إنّما هو عن تحريم ذلك على النفس. أمّا ترك تناول بعض ذلك في بعض الأوقات من غير التزام ولقصد التربية للنفس على التصبّر على الحِرمان عند عدم الوجدان، فلا بأس به بمقدار الحاجة إليه في رياضة النفس.

وفي قوله تعالى: {لا تحرّموا طيّبات ما أحلّ الله لكم} تنبيه لفقهاء الأمّة على الاحتراز في القول بتحريم شيء لم يقم الدليل على تحريمه، أو كان دليله غير بالغ قوة دليل النهي.

وجملة {إنّ الله لا يحبّ المعتدين} تذييل للّتي قبلها للتحذير من كلّ اعتداء .

2. [سورة الأعراف: 55] ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[1]

معنى الآية:

ادعوا -أيها المؤمنون- ربكم متذللين له خفية وسرًّا، وليكن الدعاء بخشوع وبُعْدٍ عن الرياء. إن الله تعالى لا يحب المتجاوزين حدود شرعه، وأعظم التجاوز الشرك بالله، كدعاء غير الله من الأموات والأوثان، ونحو ذلك.

[1] ادعوا ربكم: اسألوه واطلبوا منه حوائجكم؛ تضرعًا: مُظهرين الضراعة والذلة والاستكانة والخشوع؛ خُفيةً: سراً في قلوبكم.

النحو:

﴿ادْعُوا﴾: فعل أمر مبنيّ على حذف النون، لأن مضارعه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، و "الألف": فارقة.

﴿رَبَّكُمْ﴾: رب: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، و "الكاف": ضمير متّصل مبنيّ على الضم في محلّ جرّ بالإضافة.

﴿تَضَرُّعًا﴾: حال منصوب بالفتحة، ﴿وَخُفْيَةً﴾: معطوفة بالواو على "تضرعًا" منصوبة بالفتحة.

﴿إِنَّهُ﴾: إن: حرف توكيد مشبه بالفعل، والهاء: ضمير متّصل مبنيّ على الضم في محلّ نصب اسم "إن".

﴿لَا﴾: حرف نفي، ﴿يُحِبُّ﴾: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو، يعود إليه سبحانه.

﴿الْمُعْتَدِينَ﴾: مفعول به منصوب بالياء، لأنه جمع مذكر سالم.

وجملة "ادعوا ربكم" استئنافية لا محلّ لها من الإعراب، وكذلك جملة "إنه لا يحب المعتدين".

البلاغة:

الآية الكريمة استئناف جاء معترضاً بين ذكر دلائل وحدانية الله تعالى بذكر عظيم قدرته على تكوين أشياء لا يشاركه غيره في تكوينها. فالجملة معترضة بين جملة {يغشى الليل النهار} [سورة الأعراف: 54] وجملة: {وهو الذي يرسل الرياح} [سورة الأعراف: 57]، وجرى هذا الاعتراض على عادة القرآن في انتهاز فُرص تهنُّؤ القلوب للذّكرى.

والخطاب بـ {ادعوا} خاص بالمسلمين، لأنّه تعليم لأدب دعاء الله تعالى وعبادته، وليس المشركون بمتهيّئين لمثل هذا الخطاب، وهو تقريب للمؤمنين وإدناء لهم وتنبيه على رضى الله عنهم ومحبّته.

وجيء لتعريف الرّب بطريق الإضافة دون ضمير الغائب، مع وجود معاد قريب ودون ضمير المتكلّم، لأنّ في لفظ الرّب إشعاراً بتقريب المؤمنين بصلة المربوبية، وليتوسّل بإضافة الرّب إلى ضمير المخاطبين إلى تشريف المؤمنين وعناية الرّب بهم.

وجملة {إنه لا يحب المعتدين} واقعة موقع التّعليل للأمر بالّدعاء، إشارة إلى أنّه أمر تكريم للمسلمين يتضمّن رضى الله عنهم، ولكن سلك في التّعليل طريق إثبات الشّيء بإبطال ضدّه، تنبيهًا على قصد الأمرين وإيجازًا في الكلام.

المسألة رقم 26:

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة: 193]

معنى الآية:

واستمروا-أيها المؤمنون- في قتال المشركين المعتدين، حتى لا تكون فتنة للمسلمين عن دينهم ولا شرك بالله، ويبقى الدين لله وحده خالصًا لا يُعْبَد معه غيره. فإن كفُّوا عن الكفر والقتال فكُفُّوا عنهم؛ فالعقوبة لا تكون إلا على المستمرين على كفرهم وعدوانهم.

النحو:

﴿وَقَاتِلُوهُمْ﴾: الواو حرف عطف مبني على الفتح لا محل له من الإعراب، قاتلوهم: فعل أمر مبني على حذف النون؛ لأن مضارعه من الأفعال الخمسة، و "الواو" ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل، و "الهاء": ضمير متصل مبني على الضم في محل نصب مفعول به، و "الميم": للجمع، والجملة الفعلية "قاتلوهم" معطوفة على جملة "قاتلوا في سبيل الله" لا محل لها من الإعراب.

﴿حَتَّى﴾: حرف غاية وجر مبني على السكون لا محل له من الإعراب.

﴿لَا﴾: حرف نفي مبني على السكون لا محل له من الإعراب.

﴿تَكُونَ﴾: فعل مضارع تام منصوب بأن مضمرة بعد حتى، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة.

﴿فِتْنَةٌ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، و "أن" المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بحتى، والجار والمجرور متعلقان بالفعل "قاتلوهم".

﴿وَيَكُونَ﴾: الواو: حرف عطف مبني على الفتح لا محل له من الإعراب، تكون: فعل مضارع ناقص معطوف على سابقه منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة.

﴿الدِّينُ﴾: اسم "يكون" مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة.

﴿لِلَّهِ﴾: اللام: حرف جرّ مبنيّ على الكسر لا محل له من الإعراب، ولفظ الجلالة اسم مجرور باللام، وعلامة خفضه الكسرة الظاهرة على آخره، والجار والمجرور متعلقان بالفعل "يكون" على اعتبارها تامة أو متعلّقان بمحذوف خبر "يكون" على اعتبارها ناقصة، والتقدير: كائنًا لله، والمصدر المؤول من "أن يكون الدين لله" معطوف على المصدر المؤول من "لا تكون فتنة" في محل جرّ.

﴿فَإِنِ﴾: الفاء حرف استئناف مبني على الفتح، وإن حرف شرط جازم مبني على السكون لا محل له من الإعراب.

﴿انْتَهَوْا﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة، وهو في محل جزم فعل الشرط، والواو ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل، و "الألف" فارقة، وجملة "انتهوا" استئنافية لا محل لها من الإعراب.

﴿فَلَا﴾: الفاء حرف ربط واقع في جواب الشرط مبني على الفتح لا محل له من الإعراب، لا: حرف نفي للجنس تعمل عمل "إن" حرف مبني على السكون لا محل له من الإعراب.

﴿عُدْوَانَ﴾: اسم "لا" مبنيّ على الفتح في محل نصب.

﴿إِلَّا﴾: حرف حصر مبنيّ على السكون لا محل له من الإعراب.

﴿عَلَى﴾: حرف جر مبنيّ على السكون لا محل له من الإعراب.

﴿الظَّالِمِينَ﴾: اسم مجرور بعلى، وعلامة جره الياء عوضًا عن الكسرة؛ لأنَّه جمع مذكر سالم، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر "لا"، والجملة "فلا عدوان" في محل جزم جواب الشرط.

البلاغة:

عطف على جملة {وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم} [سورة البقرة: 190] وكان مقتضى الظاهر ألا تعطف هذه الجملة؛ لأنها مبينة لما أجمل من غاية الأمر بقتال المشركين ولكنها عطفت لما وقع من الفصل بينها وبين الجملة المبيَّنة.

إعادة الفتنة منكرة هنا لا يدل على المغايرة كما هو الشائع بين المعربين في أن المعرفة إذا أعيدت نكرة فهي غير الأولى؛ لأن وقوعها في سياق النفي أفاد العموم فشمل جميع أفراد الفتنة مساوياً للفتنة المعرفة بلام الاستغراق إلاّ أنه استغراق عرفي بقرينة السياق فتقيد بثلاثة قيود بالقرينة أي حتى لا تكون فتنة منهم للمسلمين في أمر الدين وإلاّ فقد وقعت فتن بين المسلمين أنفسهم.

وانتفاء الفتنة يتحقق بأحد أمرين: إما بأن يدخل المشركون في الإسلام فتنزل فتنتهم فيه، وإما بأن يقتلوا جميعاً فتزول الفتنة بفناء الفاتنين.

التعريف في الدين تعريف الجنس، لأن الدين من أسماء المواهي التي لا أفراد لها في الخارج فلا يحتمل تعريفه معنى الاستغراق.

واللام الداخلة على اسم الجلالة لام الاختصاص أي حتى يكون جنس الدين مختصاً بالله تعالى.

وقوله: {فلا عدوان إلا على الظالمين} قائم مقام جواب الشرط لأنه علة الجواب المحذوف، والمعنى فإن انتهوا عن قتالكم ولم يقدموا عليه فلا تأخذوهم بالظنة ولا تبدءوهم بالقتال، لأنهم غير ظالمين؛ وإذ لا عدوان إلاّ على الظالمين، وهو مجاز بديع، وأيضًا أسلوب قصر مؤكد بالنفي والاستثناء.

جزء التشابه: يكون الدين لله

[سورة الأنفال: 39] ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1]

معنى الآية:

وقاتلوا -أيها المؤمنون- المشركين حتى لا يكون شِرْكٌ وصدٌّ عن سبيل الله؛ ولا يُعْبَدَ إلا الله وحده لا شريك له، فيرتفع البلاء عن عباد الله في الأرض، وحتى يكون الدين والطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره، فإن انزجروا عن فتنة المؤمنين وعن الشرك بالله وصاروا إلى الدين الحق معكم، فإن الله لا يخفى عليه ما يعملون مِن ترك الكفر والدخول في الإسلام.

النحو:

﴿وَقَاتِلُوهُمْ﴾: الواو: حرف عطف، قاتلوا: فعل أمر مبنيّ على حذف النون، والواو: فاعل، و"هم": ضمير مبني في محل نصب مفعول به.

﴿حَتَّى﴾: حرف غاية وجر، ﴿لَا﴾: حرف نفي.

﴿تَكُونَ﴾: فعل مضارع تام منصوب بأن مضمرة بعد "حتى"، وعلامة النصب الفتحة.

﴿فِتْنَةٌ﴾: فاعل "تكون" مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

والمصدر المؤول من "ألا تكون فتنة" في محلّ جرّ بـ "حتى"، والجار والمجرور متعلّقان بـ"قاتلوهم".

﴿وَيَكُونَ الدِّينُ﴾: الواو: حرف عطف، يكون الدين: مثل "تكون فتنة" ومعطوف عليه.

﴿كُلُّهُ﴾: كل: توكيد للدين مرفوع وعلامة رفعه الضمة، و"الهاء": ضمير مبني في محل جر مضاف إليه.

﴿لِلَّهِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف حال من "الدين".

﴿فَإِنِ﴾: الفاء: حرف استئناف، إنْ: حرف شرط جازم.

[1] فتنة: شرك أو بلاء

﴿انْتَهَوْا﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الضم المقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين في محلّ جزم فعل الشرط، والواو: فاعل.

﴿فَإِنَّ﴾: الفاء: تعليلية، إن: حرف توكيد مشبّه بالفعل،﴿اللَّهَ﴾: لفظ الجلالة اسم "إن" منصوب بالفتحة.

﴿بِمَا﴾: الباء: حرف جرّ، ما: حرف مصدريّ.

﴿يَعْمَلُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو: فاعل.

﴿بَصِيرٌ﴾: خبر "إن" مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

والمصدر المؤول من "ما يعملون في محلّ جرّ بالباء، والجارّ والمجرور متعلّقان بـ"بصير"، وجملة "قاتلوهم" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها معطوفة على جملة "قل للذين"، وجملة "لا تكون فتنة" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها صلة الموصول الحرفي "أن" المضمر، وجملة "يكون الدين" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها معطوفة على جملة صلة الموصول الحرفي، وجملة "إن انتهوا" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها حرف استئناف وجواب الشرط محذوف تقديره: جازاهم الله، وجملة "إن الله" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها تعليل للجواب المقدر، وجملة "يعملون" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها صلة الموصول الحرفي "ما".

البلاغة:

والمراد هنا أن لا تكون فتنة من المشركين لأنه لما جُعل انتفاء والفتنة غاية لقتالهم، وكان قتالهم مقصوداً منه إعدامُهم أوْ إسلامهم، وبأحَد هذين يكون انتفاء الفتنة، فنتج من ذلك أن الفتنة المرادَ نفيُها كانت حاصلة منهم وهي فتنتهم المسلمين لا محالة، لأنهم إنما يفتِنون مَن خالفهم في الدين فإذا أسلموا حصل انتفاء فتنتهم وإذا أعدمهم الله فكذلك.

والتعريف في {الدين} للجنس، كما ذكر سابقًا.

وقوله: {فإن الله بما يعملون بصير} أي عليمٌ، كناية عن حسن مجازاته إياهم، لأن القادر على نفع أوليائه ومطيعيه، لا يحُول بينه وبين إيصال النفع إليهم الإخفاء حال من يُخلص إليه، فلما أخبروا بأن الله مطلع على انتهائهم عن الكفر، إن انتهوا عنه وكان ذلك لا يظن خلافه علم أن المقصود لازم ذلك.

المسألة رقم 27:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾[1] [سورة البقرة: 214]

معنى الآية:

بل أظننتم -أيها المؤمنون- أن تدخلوا الجنة، ولمَّا يصبكم من الابتلاء مثل ما أصاب المؤمنين الذين مضوا من قبلكم: من الفقر والأمراض والخوف والرعب، وزُلزلوا بأنواع المخاوف، حتى قال رسولهم والمؤمنون معه -على سبيل الاستعجال للنصر من الله تعالى-: متى نصر الله؟ ألا إن نصر الله قريب من المؤمنين.

النحو:

﴿أَمْ﴾: حرف عطف مبنيّ على السّكون.

﴿حَسِبْتُمْ﴾: "حسب": فعل ماضٍ مبنيّ على السّكون لاتّصاله بضمير رفع متحرِّك، و "تم": ضمير متّصل مبنيّ على السّكون في محلّ رفع فاعل، وجملة "حسبتم" استئنافيّة لا محلّ لها من الإعراب.

﴿أَنْ﴾: حرف مصدريّ ونصب مبنيّ على السّكون، ﴿تَدْخُلُوا﴾: فعل مضارع منصوب بحذف النّون لأنّه من الأفعال الخمسة، و"الواو" ضمير متّصل مبنيّ على السّكون في محلّ رفع فاعل.

﴿الْجَنَّةَ﴾: مفعول به منصوب بالفتحة الظّاهرة في آخره، والمصدر المؤوّل من "أن تدخلوا الجنة" سدّ مسدّ مفعولي "حسب".

﴿وَلَمَّا﴾: الواو حاليّة حرف مبنيّ على الفتح، ولمّا: حرف نفي وجزم وقلب مبنيّ على السّكون.

﴿يَأْتِكُمْ﴾: "يأت": فعل مضارع مجزوم بحذف حرف العلة من آخره، و"كم" ضمير متّصل مبنيّ على السّكون في محلّ نصب مفعول به.

﴿مَثَلُ﴾: فاعل مرفوع بالضمّة الظّاهرة في آخره، وهو مضاف، وجملة "لمّا يأتكم مثلُ" في محلّ نصب حال.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبنيّ على الفتح في محلّ جرّ بالإضافة.

﴿خَلَوْا﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الضمّ المقدّر على الألف المحذوفة منعًا من التقاء الساكنين لاتّصاله بواو الجماعة، و"الواو" ضمير متّصل مبنيّ على السّكون في محلّ رفع فاعل.

﴿مِنْ﴾: حرف جرّ مبنيّ على السّكون.

[1] مثل الذين خلوا: حال الذين مضوا من المؤمنين؛ البأساء: البؤس والفقر؛ الضّرّاء: والسقم والألم؛ زُلزلوا: أُزعِجوا إزعاجًا شديدًا بالبلايا.

﴿قَبْلِكُمْ﴾: "قبل": اسم مجرور وعلامة جرّه الكسرة الظّاهرة، وهو مضاف، والجارّ والمجرور متعلّقان بـ"خَلوْا"، و"كم" ضمير متّصل مبنيّ على السّكون في محلّ جرّ بالإضافة، وجملة "خلوا من قبلكم" لا محلّ لها من الإعراب لأنّها صلة الموصول "الذين".

﴿مَسَّتْهُمُ﴾: "مَسَّ": فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح الظاهر، والتاء للتأنيث حرف مبنيّ على السّكون، و"هم": ضمير متّصل مبنيّ على الضمّ في محلّ نصب مفعول به.

﴿الْبَأْسَاءُ﴾: فاعل "مسّ" مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿وَالضَّرَّاءُ﴾: الواو حرف عطف مبنيّ على الفتح، والضرّاء اسم معطوف على البأساء مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، وجملة "مسّتهم البأساء والضرّاء" لا محلّ لها من الإعراب لأنّها استئناف بيانيّ أو تفسيريّة.

﴿وَزُلْزِلُوا﴾: الواو حرف عطف مبنيّ على الفتح، وزُلزِل فعل ماض للمجهول مبنيّ على الضمّ لاتّصاله بواو الجماعة،والواو ضمير متّصل مبنيّ على السّكون في محلّ رفع نائب فاعل، وجملة "زُلزِلوا" لا محلّ لها من الإعراب لأنّها معطوفة على جملة "مسّتهم البأساء".

﴿حَتَّى﴾: حرف جرّ وغاية مبنيّ على السّكون، ﴿يَقُولَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ"أن" المضمرة وجوبًا بعد "حتى"، وعلامة نصبه الفتحة الظّاهرة في آخره.

﴿الرَّسُولُ﴾: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، والمصدر المؤوّل من "أن يقول" في محلّ جرّ بـ"حتى"، والجارّ والمجرور متعلّقان بـ"زُلزلوا".

﴿وَالَّذِينَ﴾: الواو حرف عطف مبنيّ على الفتح، و"الذين": اسم موصول مبنيّ على الفتح في محلّ رفع اسم معطوف على "الرسول".

﴿آمَنُوا﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الضم لاتّصاله بواو الجماعة، و"الواو" ضمير متّصل مبنيّ على السّكون في محلّ رفع فاعل.

﴿مَعَهُ﴾: "معَ": ظرف مكان منصوب بالفتحة متعلّق بـ "آمنوا"، وهو مضاف، و"الهاء": ضمير متّصل مبنيّ على الضم في محلّ جرّ بالإضافة، وجملة "آمنوا معه" لا محلّ لها من الإعراب لأنّها صلة الموصول "الذين".

﴿مَتَى﴾: اسم استفهام مبنيّ على السّكون في محلّ نصب على الظرفية الزمانية، متعلّق بمحذوف خبر مقدّم.

﴿نَصْرُ﴾: مبتدأ مؤخّر مرفوع بالضمّة الظّاهرة، وهو مضاف.

﴿اللَّهِ﴾: لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور بالكسرة الظّاهرة، وجملة (متي نصر الله) في محلّ نصب مقول القول.

﴿أَلَا﴾: حرف تنبيه مبنيّ على السّكون.

﴿إِنَّ﴾: حرف توكيد مشبّه بالفعل مبنيّ على الفتح.

﴿نَصْرَ﴾: اسم "إنّ" منصوب بالفتح الظاهر وهو مضاف.

﴿اللَّهِ﴾: لفظ الجلالة مضاف إليه مخفوض بالكسرة الظّاهرة في آخره.

﴿قَرِيبٌ﴾: خبر "إنّ" مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، وجملة "إنّ نصر الله قريبٌ" لا محلّ لها من الإعراب لأنّها استئناف بيانيّ، جواب لجملة الاستفهام "متي نصرُ اللهِ".

البلاغة:

هذه الآية الكرية إضراب انتقالي عن الكلام السابق فاحتاج إلى وجه مناسبة به.

ففي قوله تعالى: {أم حسبتم أن تدخلوا الجنة} "أم" هنا ليست عاطفة بين معادلين، بل هي "أم المنقطعة"، ومعناها "بل أتظنون..." أو "أظننتم...؟!"، وهذا الأسلوب يحمل معنى التوبيخ والتعجب من ظن باطل، وجاء الفعل: "أن تدخلوا الجنة" في صدر الجملة، لأنه هو محل التعجب والتوبيخ، وفيه تقديم ما حقه التأخير يُفيد التخصيص أو التشديد، وهنا يُبرز استبعاد تحقق دخول الجنة بلا تمحيص، واستخدام المضارع يدل على أن الدخول أمر مترقَّب في المستقبل، ويفيد الاستمرارية والانتظار، فيدل ذلك على أن الجنة غاية عظيمة تتطلب صبرًا وجهدًا ومجاهدة، وليس مجرد تمني أو ظن.

والمس حقيقته: اتصال الجسم بجسم آخر وهو مجاز في إصابة الشيء وحلوله، فمنه مس الشيطان أي حلول ضُر الجنة بالعقل.

و{متى} استفهام مستعمل في استبطاء زمان النصر.

وقوله: {ألا إن نصر الله قريب} كلام مستأنف بقرينة افتتاحه بأَلاَ، وهو بشارة من الله تعالى للمسلمين بقرب النصر بعد أن حصل لهم من قوارع صدر الآية ما ملأ القلوب رُعباً.

جزء التشابه: أم حسبتم أن تدخلوا الجنة

[سورة آل عمران: 142] ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾

معنى الآية:

يا أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- أظننتم أن تدخلوا الجنة، ولم تُبْتَلوا بالقتال والشدائد؟ لا يحصل لكم دخولها حتى تُبْتلوا، ويعلم الله -علما ظاهرا للخلق- المجاهدين منكم في سبيله، والصابرين على مقاومة الأعداء.

النحو:

﴿أَمْ﴾: حرف استئناف بمعنى بل، ﴿حَسِبْتُمْ﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على السكون، و "تم": ضمير فاعل.

﴿أَنْ﴾: حرف مصدريّ ونصب، ﴿تَدْخُلُوا﴾: فعل مضارع منصوب، وعلامة النصب حذف النون، و "الواو" ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل.

﴿الْجَنَّةَ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، والمصدر المؤول من "أن تدخلوا" في محلّ نصب مفعول به أول للفعل "حسب"، أما المفعول الثاني، فمحذوف، والتقدير: حسبتم دخولكم الجنة حاصلًا.

﴿وَلَمَّا﴾: الواو: حالية، لما: حرف نفي وجزم وقلب.

﴿يَعْلَمِ﴾: فعل مضارع مجزوم بالسكون وحرك بالكسر لالتقاء الساكنين.

﴿اللَّهُ﴾: لفظ الجلالة فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبنيّ على السكون في محلّ نصب مفعول به.

﴿جَاهَدُوا﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الضم، و "الواو" ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل.

﴿مِنْكُمْ﴾: من: حرف جرّ، و "كم": ضمير في محلّ جرّ، والجار والمجرور متعلّقان بمحذوف حال من الفاعل.

﴿وَيَعْلَمَ﴾: الواو: واو المعية، يعلم: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد واو المعية، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿الصَّابِرِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة النصب الياء، والمصدر المؤول من "أن يعلم" معطوف على مصدر متصيد من الكلام قبله، والتقدير: وليس ثمة علم بمن جاهد وعلم بمن صبر.

وجملة "حسبتم" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافيّة، وجملة "تدخلوا" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها صلة الموصول الحرفي "أن"، وجملة "يعلم الله" في محلّ نصب حال أي: أحسبتم أن تدخلوا الجنة وحالتكم هذه الحالة، وجملة "جاهدوا" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها صلة الموصول "الذين"، وجملة "يعلم الصابرين" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها صلة الموصول الحرفي "أن" المقدر.

البلاغة:

{أم} هنا منقطعة، هي بمعنى (بل) الانتقالية، لأنّ هذا الكلام انتقال من غرض إلى آخر، وهي إذا استعملت منقطعة تؤذن بأنّ ما بعدها استفهام، لملازمتها للاستفهام.

والاستفهام المقدّر بعد (أم) مستعمل في التَّغليط والنَّهي، ولذلك جاء بـ (أم) للدلالة على التغليط: أي لا تحسبوا أن تدخلوا الجنَّة دون أن تجاهدوا وتصبروا على عواقب الجهاد.

وجملة {ولما يعلم الله} في موضع الحال، وهي مصبّ الإنكار، أي لا تحسبوا أن تدخلوا الجنَّة حين لا يعلم الله الَّذين جاهدوا.

و{لَمَّا} حرف نفي أختُ (لم) إلاّ أنَّها أشدّ نفياً من (لم)، لأنّ (لم) لِنفي قول القائل فَعَل فلان، و(لمّا) لنفي قوله قد فعل فلان، وأريد بحالة نفي علم الله بالَّذين جاهدوا والصَّابرين الكناية عن حالة نفي الجهاد والصّبر عنهم، لأنّ الله إذا علم شيئاً فذلك المعلوم محقّق الوقوع فكما كنّى بعلم الله عن التّحقق في قوله: {وليعلم الله الذين آمنوا} [سورة آل عمران: 140] كنّى بنفي العلم عن نفي الوقوع. وشرط الكناية هنا متوفّر، وهو جواز إرادة المعنى الملزوم مع المعنى اللازم، لِجواز إرادة انتفاء علم الله بجهادهم مع إرادة انتفاء جهادهم.

المسألة رقم 28:

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة البقرة: 284]

معنى الآية:

لله ملك السماوات والأرض وما فيهما ملكًا وتدبيرًا وإحاطة، لا يخفى عليه شيء. وما تظهروه مما في أنفسكم أو تخفوه فإن الله يعلمه، وسيحاسبكم به، فيعفو عمن يشاء، ويؤاخذ من يشاء. والله قادر على كل شيء، وقد أكرم الله المسلمين بعد ذلك فعفا عن حديث النفس وخطرات القلب ما لم يتبعها كلام أو عمل، كما ثبت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

النحو:

﴿لِلَّهِ﴾: اللّام حرف جرّ مبنيّ على الكسر، و"اللهِ" لفظ الجلالة اسم مجرور بالكسرة الظاهرة، والجارّ متعلّقان بمحذوف خبر مقدّم.

﴿مَا﴾: اسم موصول مبنيّ على السكون في محلّ رفع مبتدأ مؤخّر.

﴿فِي﴾: حرف جرّ مبنيّ على السكون.

﴿السَّمَاوَاتِ﴾: اسم مجرور بالكسرة الظاهرة، والجارّ والمجرور متعلّقان بمحذوف صلة "ما" وجملة "لله ما في السمٰوات" استئنافيّة لا محلّ لها من الإعراب.

﴿وَمَا﴾: الواو حرف عطف مبنيّ على الفتح، و"ما" اسم موصول مبنيّ على السكون في محلّ رفع مبتدأ.

﴿فِي﴾: حرف جرّ مبنيّ على السكون، ﴿الْأَرْضِ﴾: اسم مجرور بالكسرة الظاهرة على آخره، والجارّ والمجرور متعلّقان بمحذوف صلة "ما"، وجملة "ما في الأرض" معطوفة على جملة "لله ما في السموات".

﴿وَإِنْ﴾: الواو حرف عطف مبنيّ على الفتح، و"إن" حرف شرط جازم مبنيّ على السكون.

﴿تُبْدُوا﴾: فعل مضارع مجزوم بحذف النون لأنّه من الأفعال الخمسة، و"الواو" ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ رفع فاعل.

﴿مَا﴾: اسم موصول مبنيّ على السكون في محلّ نصب مفعول به.

﴿فِي﴾: حرف جرّ مبنيّ على السكون.

﴿أَنْفُسِكُمْ﴾: "أنفسِ": اسم مجرور بالكسرة الظاهرة، وهو مضاف، والجارّ والمجرور متعلّقان بمحذوف صلة "ما" و"كم" ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ جرّ بالإضافة.

وجملة "إن تبدوا ما في أنفسكم" معطوفة على جملة "لله ما في السمٰوات" الاستئنافيّة لا محلّ لها من الإعراب.

﴿أَوْ﴾: حرف عطف مبنيّ على السكون، ﴿تُخْفُوهُ﴾: "تخفوا": فعل مضارع مجزوم بحذف النون، لأنّه من الأفعال الخمسة، و"الواو" ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ رفع فاعل، و"الهاء": ضمير متّصل مبنيّ على الضمّ في محلّ نصب مفعول به، وجملة "تخفوه" معطوفة على جملة "تبدوا" لا محلّ لها من الإعراب.

﴿يُحَاسِبْكُمْ﴾: "يحاسبْ": فعل مضارع مجزوم بالسكون لأنّه جواب الشرط، و"كم" ضمير متّصل مبنيّ على الكسر، و"الهاء": ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ نصب مفعول به.

﴿بِهِ﴾: الباء حرف جرّ مبنيّ على الكسر، و"الهاء": ضمير متّصل مبنيّ على الكسر في محلّ جرّ بحرف الجرّ، والجارّ والمجرور متعلّقان بـ"يحاسب".

﴿اللَّهُ﴾: لفظ الجلالة فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، وجملة "يحاسبكم الله" لا محلّ لها من الإعراب لأنّها جواب شرط جازم غير مقترنة بالفاء.

﴿فَيَغْفِرُ﴾: الفاء حرف استئناف مبنيّ على الفتح، و"يغفر" فعل مضارع مرفوع بالضمّة الظاهر، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿لِمَنْ﴾: اللّام حرف جرّ مبنيّ على الكسر، و"منْ" اسم موصول مبنيّ على السكون، والجارّ والمجرور متعلّقان بـ"يغفر".

﴿يَشَاءُ﴾: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

وجملة "يشاء" لا محلّ لها من الإعراب لأنّها صلة الموصول، وجملة "يغفر لمن يشاء" استئنافيّة لا محلّ لها من الإعراب.

﴿وَيُعَذِّبُ﴾: الواو حرف عطف مبنيّ على الفتح، و"يعذّب" فعل مضارع مرفوع بالضمّة الظاهرة، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿مَنْ﴾: اسم موصول مبنيّ على السكون في محلّ نصب مفعول به.

﴿يَشَاءُ﴾: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو يعود على لفظ الجلالة، وجملة "يشاء" لا محلّ لها من الإعراب لأنّها صلة الموصول، وجملة "يعذّب من يشاء" معطوفة على جملة "يغفر لمن يشاء" الاستئنافيّة لا محلّ لها من الإعراب.

﴿وَاللَّهُ﴾: الواو حرف استئناف، و"الله" لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿عَلَى﴾: حرف جرّ مبنيّ على السكون، ﴿كُلِّ﴾: اسم مجرور بالكسرة الظاهرة، وهو مضاف، والجارّ والمجرور متعلّقان بـ"قدير".

﴿شَيْءٍ﴾: مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة على آخره، ﴿قَدِيرٌ﴾: خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، وجملة "الله على كل شيء قدير" استئنافيّة لا محلّ لها من الإعراب.

البلاغة:

الآية تعليل واستدلال، وإبداء ما في النفس: إظهاره، وهو إعلانه بالقول، فيما سبيله القول، وبالعمل فيما يترتّب عليه عمل؛ وإخفاؤه بخلاف ذلك، وعطف {أو تخفوه} للترقّي في الحساب عليه، فقد جاء على مقتضى الظاهر في عطف الأقوى على الأضعف، وفي الغرض المسوق له الكلام في سياق الإثبات. وما في النفي يعمّ الخير والشر.

وقوله: {إن تُبدوا ما في أنفسكم أو تُخفوه} جمع بين الإظهار والإخفاء، وهما ضدان، فشمل جميع أحوال الإنسان النفسية، وهذا يسمى "اللف والنشر التام"، أي: كل ما في النفس، سواء أُظهر أم كُتم، داخل تحت علم الله وحسابه، ويُفيد الشمول والإحاطة التامة.

وقدّم الإبداء على الإخفاء: "إن تُبدوا... أو تُخفوه" لأن الإبداء هو الظاهر للناس، ثم جاء ما هو أعمق وأخفى: الإخفاء، وهذا الترتيب الطبيعي يُمهّد للدهشة من أن الله يُحاسب حتى على ما هو في غاية الخفاء.

وتقديم الظرف {ما في أنفسكم} يفيد التشديد على أن مناط المحاسبة هو ما تحمله النفوس، لا مجرد الأفعال الظاهرة.

وقوله: {والله على كل شيء قدير} تذييل لما دلّ على عموم العلم، بما يدلّ على عموم القدرة.

جزء التشابه: إن تبدوا

1. [سورة البقرة: 271] ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

معنى الآية:

إن تظهروا ما تتصدقون به لله فنِعْمَ ما تصدقتم به، وإن تسرُّوا بها، وتعطوها الفقراء فهذا أفضل لكم؛ لأنه أبعد عن الرياء، وفي الصدقة -مع الإخلاص- محو لذنوبكم. والله الذي يعلم دقائق الأمور، لا يخفى عليه شيء من أحوالكم، وسيجازي كلا بعمله.

النحو:

﴿إِنْ﴾: حرف شرط جازم مبنيّ على السكون.

﴿تُبْدُوا﴾: فعل مضارع مجزوم بحذف النون، لأنّه من الأفعال الخمسة، و"الواو" ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ رفع فاعل.

﴿الصَّدَقَاتِ﴾: مفعول به منصوب بالكسرة عوضًا من الفتحة، لأنّه جمع مؤنث سالم.

﴿فَنِعِمَّا﴾: الفاء رابطة لجواب الشّرط حرف مبنيّ على الفتح، و"نعم" فعل ماضٍ جامد لإنشاء المدح مبنيّ على الفتح، و"ما" حرف معرفة بمعنى الشيء مبنيّ على السكون في محلّ رفع فاعل.

﴿هِيَ﴾: ضمير منفصل مبنيّ على الفتح في محلّ رفع مبتدأ مؤخّر.

وجملة "نعمَّا هي" في محلّ رفع خبر مقدم للمبتدأ "هي"، وجملة "فنعمَّا هي" في محلّ جزم جواب الشرط الجازم، وجملة "إن تبدوا الصدقات فنعمَّا هي" استئنافيّة لا محلّ لها من الإعراب.

﴿وَإِنْ﴾: الواو حرف عطف مبنيّ على الفتح، و"إنْ" حرف شرط جازم مبنيّ على السكون.

﴿تُخْفُوهَا﴾: "تخفوا": فعل مضارع مجزوم بحذف النون، لأنه من الأفعال الخمسة، و"الواو" ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ رفع فاعل، و"ها" ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ نصب مفعول به، وجملة "إن تخفوها" لا محلّ لها من الإعراب معطوفة على جملة "إن تبدوا".

﴿وَتُؤْتُوهَا﴾: الواو حرف عطف مبنيّ على الفتح، و"تؤتوا" فعل مضارع مجزوم بحذف النون، لأنه من الأفعال الخمسة، و"الواو" ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ رفع فاعل، و"ها" ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ نصب مفعول به.

﴿الْفُقَرَاءَ﴾: مفعول به ثان منصوب بالفتحة، وجملة "تؤتوها الفقراء" معطوفة على جملة "تخفوها".

﴿فَهُوَ﴾: الفاء: حرف رابط لجواب الشرط حرف مبنيّ على الفتح، و"هو" ضمير منفصل مبنيّ على الفتح في محلّ رفع مبتدأ.

﴿خَيْرٌ﴾: خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿لَكُمْ﴾: اللام حرف جرّ مبنيّ على الفتح، و"كم" ضمير متّصل مبنيّ على السكون، والجارّ والمجرور متعلّقان بـ"خير"، وجملة "هو خير لكم" في محلّ جزم جواب الشرط.

﴿وَيُكَفِّرُ﴾: الواو حرف استئناف مبنيّ على الفتح، و"يكفر" فعل مضارع مرفوع بالضمّة الظاهرة، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿عَنْكُمْ﴾: "عن": حرف جرّ مبنيّ على السكون، و"كم" ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ جرّ بحرف الجرّ، والجارّ والمجرور متعلّقان بـ"يكفّر".

﴿مِنْ﴾: حرف جرّ مبنيّ على السكون.

﴿سَيِّئَاتِكُمْ﴾: "سيئات": اسم مجرور بالكسرة الظاهرة في آخره، والجار والمجرور متعلّقان بـ"يكفر"، و"كم" ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ جرّ بالإضافة، وجملة "يكفر عنكم من سيئاتكم" استئنافيّة لا محلّ لها من الإعراب.

﴿وَاللَّهُ﴾: الواو حرف استئناف مبنيّ على الفتح، و"الله" لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع بالضمة الظاهرة في آخره.

﴿بِمَا﴾: الباء حرف جرّ مبنيّ على الكسر، و"ما" اسم موصول مبنيّ على السكون، والجارّ والمجرور متعلّقان بـ"خير".

﴿تَعْمَلُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، لأنّه من الأفعال الخمسة، و"الواو" ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ رفع فاعل.

﴿خَبِيرٌ﴾: خبر المبتدأ "الله" مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، وجملة "تعملون" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها صلة الموصول "ما"، وجملة "الله بما تعملون خبير" استئنافيّة لا محلّ لها من الإعراب.

البلاغة:

الآية الكريمة استئناف بياني ناشئ عن قوله: {وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه} [سورة البقرة: 270]، إذ أشعر تعميمُ «مِن نفقة» بحال الصدقات الخفيّة فيتساءل السامع في نفسه هل إبداء الصدقات يُعد رِياءً.

التعريف في قوله: {الصدقات} تعريف الجنس، ومحمله على العموم فيشمل كل الصدقات فرضِها ونفلها، وهو المناسب لموقع هذه الآية عقب ذكر أنواع النفقات.

وقوله: {فنعما} أصله فنعمَ مَا، فأدغم المِثلان وكسرت عَيْن نِعْم لأجل التقاء الساكنين، وما في مثله نكرة تامة أي متوغّلة في الإبهام لا يقصد وصفها بما يخصّصها، فتمامُها من حيث عدم إتباعها بوصف لا من حيث إنّها واضحة المعنى، ولذلك تفسّر بشيء. ولما كانت كذلك تعيّن أن تكون في موضع التمييز لضمير نعم المرفوع المستتر، فالقصد منه التنبيه على القصد إلى عدم التمييز حتى إنّ المتكلم إذا ميّز لا يميّز إلاّ بمثلِ المميَّز.

قوله: {هي} مخصوص بالمدح، أي الصدقاتُ، وقد علم السامع أنّها الصدقات المُبْدَأة، بقرينة فعل الشرط، فلذلك كان تفسير المعنى فنعما إبداؤهما.

وقوله: {وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم} تفضيل لصدقة السرّ، لأنّ فيها إبْقاء على ماءِ وجه الفقير، حيث لم يطّلع عليه غير المعطي.

2. [سورة النساء: 149] ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾

معنى الآية:

نَدَب الله تعالى إلى العفو، ومهَّد له بأنَّ المؤمن: إمَّا أن يُظهر الخير، وإمَّا أن يُخفيه، وكذلك مع الإساءة: إما أن يظهرها في حال الانتصاف من المسيء، وإما أن يعفو ويصفح، والعفوُ أفضلُ؛ فإن من صفاته تعالى العفو عن عباده مع قدرته عليهم.

النحو:

﴿إِنْ﴾: حرف شرط جازم، ﴿تُبْدُوا﴾: فعل مضارع مجزوم فعل الشرط وعلامة الجزم حذف النون، والواو ضمير متصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل.

﴿خَيْرًا﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

﴿أَوْ﴾: حرف عطف، ﴿تُخْفُوهُ﴾: فعل مضارع معطوف على "تبدوا" مجزوم بحذف النون، والواو: فاعل، والهاء: ضمير متّصل مبنيّ في محلّ نصب مفعول به.

﴿أَوْ﴾: حرف عطف، ﴿تَعْفُوا﴾: مثل "تبدوا" ومعطوف عليه.

﴿عَنْ سُوءٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ "تعفوا".

﴿فَإِنَّ﴾: الفاء: حرف رابط لجواب الشرط أو تعليلية، إن: حرف توكيد مشبه بالفعل.

﴿اللَّهَ﴾: لفظ الجلالة اسم "إن" منصوب بالفتحة.

﴿كَانَ﴾: فعل ماضٍ ناقص مبنيّ على الفتح، واسمه ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿عَفُوًّا﴾: خبر "كان" منصوب بالفتحة.

﴿قَدِيرًا﴾: خبر ثان منصوب بالفتحة.

وجملة "إن تبدوا خيرًا" لا محلّ لها من الإعراب، لأنها استئنافية، وجملة "تخفوه" لا محلّ لها من الإعراب، لأنها معطوفة على الاستئنافية، وجملة "تعفوا" لا محلّ لها من الإعراب، لأنها معطوفة على الاستئنافية.

وجملة "إن الله كان ..." لا محلّ لها من الإعراب، لأنها تعليلية تعلل جواب الشرط المحذوف وهو: فالعفو أولى لكم، وجملة "كان عفوًا" في محلّ رفع خبر "إن".

البلاغة:

وبعد أن نَهى ورَخّص، ندب المرخَّصَ لهم إلى العفو وقولِ الخير، فقال: {إن تبدوا خيراً أو تخفوه أو تعفوا عن سوء {فإن الله كان عفوًّا قديرًا}، فإبداء الخير إظهاره. وعُطف عليه {أو تخفوه} لزيادة الترغيب أنْ لا يظنّوا أنّ الثواب على إبداء الخير خاصّة.

وجملة {فإنّ الله كان عفوًّا قديرًا} دليل جواب الشرط، وهو علّة له، وتقدير الجواب: يَعفُ عَنكم عند القدرة عليكم، كما أنّكم فعلتم الخير جهراً وخفية وعفوتم عند المقدرة على الأخذ بحقّكم، لأنّ المأذون فيه شرعاً يعتبر مقدوراً للمأذون، فجواب الشرط وعد بالمغفرة لهم في بعض ما يقترفونه جزاء عن فعل الخير وعن العفو عمّن اقترف ذنباً.

و {عفوًّا}: صيغة مبالغة من {عفا}، أي كثير العفو والمسامحة، و {قديرًا}: صيغة مبالغة من "قدر"، أي تام القدرة، لا يعجزه شيء، تظهر الكمال الإلهي، والجمع بين الرحمة والقدرة أبلغ ما يكون، لأن العفو لا يكون عن عجز، بل عن قوة وقدرة، والله تعالى يقدر أن يعاقب، لكنه يعفو بقدرته، لا عن ضعف.

كما أن الجملة مؤكدة بـــ"إن" والتي تفيد تحقيق الخبر وثبوته، و"كان" لا تفيد الماضي فقط، بل تُستخدم في القرآن للدلالة على الثبوت والاســتمرار، أي إن الله دائمًا عفو قدير، هذه صــفته الثابتة منذ الأزل، وهذا من أساليب التحقيق والتثبيت، ليطمئن القلب بصفات الله الثابتة.

3. [سورة الأحزاب: 54] ﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾

معنى الآية:

إن تُظْهِروا شيئًا على ألسنتكم -أيها الناس- مما يؤذي رسول الله مما نهاكم الله عنه، أو تخفوه في نفوسكم، فإن الله تعالى يعلم ما في قلوبكم وما أظهرتموه، وسيجازيكم على ذلك.

النحو:

﴿إِنْ﴾: حرف شرط جازم، ﴿تُبْدُوا﴾: فعل مضارع مجزوم بإن، وعلامة جزمه حذف النون، و "الواو" ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، و "الألف": فارقة.

﴿شَيْئًا﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

﴿أَوْ﴾: حرف عطف،﴿تُخْفُوهُ﴾: معطوفة على "تبدوا شيئًا"، وتعرب إعرابها، والهاء": ضمير متّصل مبنيّ في محلّ نصب مفعول به.

﴿فَإِنَّ﴾: حرف واقع في جواب الشرط، إنّ: حرف توكيد مشبه بالفعل.

﴿اللَّهَ﴾: لفظ الجلالة: اسم "إن" منصوب بالفتحة.

﴿كَانَ﴾: فعل ماضٍ ناقص مبنيّ على الفتح، واسمها ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿بِكُلِّ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"عليمًا".

﴿شَيْءٍ﴾: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿عَلِيمًا﴾: خبر "كان" منصوب بالفتحة.

وجملة "تبدوا" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافية، وجملة "تخفوه" لا محلّ لها من الإعراب معطوفة على جملة "تبدوا"، وجملة "إن الله كان ..." في محلّ جزم جواب الشرط، وجملة "كان بكل شيء عليمًا" في محلّ رفع خبر "إن".

البلاغة:

كلام جامع تحريضاً وتحذيراً ومنبئ عن وعد ووعيد، فإن ما قبله قد حوى أمراً ونهيًا، وإذ كان الامتثال متفاوتًا في الظاهر والباطن، وبخاصة في النوايا والمضمرات، كان المقام مناسبًا لتنبيههم وتذكيرهم بأن الله مطلع على كل حال من أحوالهم في ذلك وعلى كل شيء.

وتنكير {شيئًا} للعموم، يعم كل ما يبدو وما يخفى لأن النكرة في سياق الشرط تعم، والجملة تذييل لما اشتملت عليه من العموم في قوله: {بكل شيء}. وإظهار لفظ {شيء} هنا دون إضمار، لأن الإضمار لا يستقيم لأن الشيء المذكور ثانياً هو غير المذكور أولاً، إذ المراد بالثاني جميع الموجودات، والمراد بالأول خصوص أحوال الناس الظاهرة والباطنة، فالله عليم بكل كائن ومن جملة ذلك ما يبدونه ويخفونه من أحوالهم.

الفصل الخامس: دراسة متشابهات سورة آل عمران

في هذا الفصل سنتعرض إلى دراسة متشابهات سورة آل عمران، وذلك من خلال ثلاثة مباحث رئيسة: سنعرض في المبحث الأول فضائل سورة آل عمران من القرآن والسنة، وفي المبحث الثاني سنتتبع الآيات المتشابهة في سورة آل عمران، وسنعرض في المبحث الثالث المسائل الافتراضية في سورة آل عمران.

المبحث الأول: فضائل سورة آل عمران

سورة آل عمران مدنية، وآياتها مائتان نزلت بعد سورة الأنفال، وروى أبيّ بن كعب عن رسول الله ﷺ، قال: "من قرأ سورة آل عمران أعطي بكل آية منها امانًا على جسر جهنم"، وابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: "من قرأ سورة آل عمران يوم الجمعة صلَّى الله عليه وملائكته حتى تجب الشمس"، وبريدة قال: قال رسول الله ﷺ: "تعلموا سورة البقرة وسورة آل عمران، فإنهما الزهروان، وإنهما تظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيابتان أو فرقان من طير صواف" [1].

[1] الطبرسي، *مجمع البيان*، 189/2.

المبحث الثاني: تتبع الآيات المتشابهة في سورة آل عمران

عند تتبع الآيات المتشابهة في سورة آل عمران، وجدنا إحدىٰ وعشرين آية من سورة آل عمران متشابهة مع سورة البقرة؛ من هذه الآيات تتشابه مع كلمة واحدة ومنها ما تتشابه مع أكثر من كلمة أو جملة، وذكرنا الآيات المتشابه في سورة البقرة في الفصل الرابع، أما في هذا الفصل، فسنركز على الآيات المتشابهة بين سورة آل عمران وباقي سور القرآن والتي تكون عددها أربع عشرة مسألة، على أن يكون التشابه في أكثر من كلمة متشابهة، وسنوضح هذا التشابه بشكلٍ مفصلٍ في المبحث الذي يليه.

المبحث الثالث: المسائل الافتراضية في سورة آل عمران

في هذا المبحث، سنذكر الآية الكريمة من سورة آل عمران مرتبة حسب المسائل الافتراضية، بداية من المسألة الأولي إلى المسألة الرابعة عشرة، وكل مسألة ينعرض في رأسها الآية من سورة آل عمران وتفسيرها ثم نذكر وجه التشابه، مع عرض متشابهاتها في باقي سور القرآن الكريم –ما عدا سورة البقرة، حيث عُرِضت في الفصل الرابع– وشرح معاني هذه الآيات، ثم ندرس أعراب هذه الآيات، وبعد ذلك ندرس البلاغة ومواطن التشابه أو الاختلاف من الناحية البلاغية، وذلك لكل آية متشابهة.

المسألة رقم 1:

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾[سورة آل عمران: 3]

معنى الآية:

نَزَّل عليك القرآن بالحق الذي لا ريب فيه، مصدِّقًا لما قبله من كتب ورسل، وأنزل التوراة على موسى عليه السلام، والإنجيل على عيسى عليه السلام من قبل نزول القرآن؛ لإرشاد المتقين إلى الإيمان، وصلاح دينهم ودنياهم، وأنزل ما يفرق بين الحق والباطل. والذين كفروا بآيات الله المنزلة، لهم عذاب عظيم. والله عزيز لا يُغَالَب، ذو انتقام بمن جحد حججه وأدلته، وتفرُّده بالألوهية.

النحو:

﴿نَزَّلَ﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿عَلَيْكَ﴾: على: حرف جر، و"الكاف": ضمير متّصل مبنيّ في محلّ جرّ بحرف الجرّ، والجارّ والمجرور متعلّقان بـ"نزل".

﴿الْكِتَابَ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، وجملة: "نزل عليك" في محلّ رفع خبر رابع للمبتدأ "الله".

﴿بِالْحَقِّ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف حال من "الكتاب".

﴿مُصَدِّقًا﴾: حال منصوبة بالفتحة.

﴿لِمَا﴾: اللام: حرف جرّ، و"ما" اسم موصول مبنيّ في محلّ جرّ بحرف الجرّ، والجارّ والمجرور متعلّقان بـ"مصدقًا".

﴿بَيْنَ﴾: ظرف مكان منصوب متعلّق بمحذوف صلة "ما".

﴿يَدَيْهِ﴾: يدي: مضاف إليه مجرور، وعلامة الجرّ الياء.

والهاء: ضمير متّصل مبنيّ في محلّ جرّ مضاف إليه.

﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ﴾: الواو: حرف عطف.

﴿أَنْزَلَ﴾: فعل ماض مبنيّ على الفتح الظاهر على آخره، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو، يعود إلى "الله"، ﴿التَّوْرَاةَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة.

﴿وَالْإِنْجِيلَ﴾: معطوف على "التوراة" منصوب مثله بالفتحة.

وجملة "أنزل التوراة" في محلّ رفع معطوفة على جملة "نزل عليك الكتاب".

البلاغة:

وقوله: {نزل عليك الكتاب} خبر عن اسم الجلالة، والخبر هنا مستعمل في الامتنان، أو هو تعريض ونكايةً بأهل الكتاب: الذين أنكروا ذلك. وجيء بالمسند فعلاً لإفادة تقوية الخبر، أو للدلالة مع ذلك على الاختصاص: أي الله لا غيره نزّل عليك الكتاب إبطالاً لقول المشركين.

والتضعيف في {نَزّل} للتعدية فهو يساوي الهمز في أنزل، وإنّما التضعيف يؤذن بقوة الفعل في كيفيته أو كمّيته، في الفعل المتعدّي بغير التضعيف، من أجل أنّهم قد أنوا ببعض الأفعال المتعدّية، للدلالة على ذلك.

و{الكتاب} معرف بأل يدل على أن المقصود هو القرآن الكريم، والإفراد مع التعريف يُشعر بالعظمة والرسوخ.

والباء في قوله: {بالحق} للملابسة، ومعنى ملابسته للحق اشتماله عليه في جميع ما يشتمل عليه من المعاني، فيها تثبيت لحجية القرآن وصدقه، وأنه لا هوى فيه ولا باطل.

تقديم الجار والمجرور {عَلَيْكَ} فيها اختصاص وتشريف للنبي ﷺ، بأن الخطاب موجه إليه خاصة، تقوية لعلاقته بالوحي، وتأكيد لاصطفائه للرسالة دون سواه، وهذا الأسلوب يُعزّز مكانته في قلوب المؤمنين ويُثبّته.

جزء التشابه: نزل الكتاب

1. [سورة آل عمران: 4] ﴿مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾[1]

معنى الآية:

[1] أنزل الفرقان: ما فرق به بين الحق والباطل؛ عزيز: غالب قوي، منيع الجانب.

نَزَّل عليك القرآن بالحق الذي لا ريب فيه، مصدِّقًا لما قبله من كتب ورسل، وأنزل التوراة على موسى علبه السلام، والإنجيل على عيسى عليه السلام من قبل نزول القرآن؛ لإرشاد المتقين إلى الإيمان، وصلاح دينهم ودنياهم، وأنزل ما يفرق بين الحق والباطل. والذين كفروا بآيات الله المنزلة، لهم عذاب عظيم. والله عزيز لا يُغَالَب، ذو انتقام بمن جحد حججه وأدلته، وتفرُّده بالألوهية.

النحو:

﴿مِنْ﴾: حرف جر، ﴿قَبْلُ﴾: اسم مبنيّ على الضمّ في محلّ جرّ، والجارّ والمجرور متعلّقان بـ"أنزل" في الآية السابقة.

﴿هُدًى﴾: مفعول لأجله أو حال منصوب، وعلامة النصب الفتحة المقدرة على الألف للتعذّر.

﴿لِلنَّاسِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف نعت لهدى، أو بـ"هدي"، لأنه مصدر.

﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾: الواو: حرف عطف. أنزل: فعل ماض مبنيّ على الفتح الظاهر على آخره، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو، يعود إلى "الله".

﴿الفرقان﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، وجملة "وأنزل الفرقان" معطوفة على جملة "نزَّل" في الآية السابقة في محلّ رفع.

﴿إِنَّ﴾: حرف توكيد مشبّه بالفعل مبنيّ على الفتح.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبنيّ على السكون في محلّ نصب اسم "إن".

﴿كَفَرُوا﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الضمّ، و"الواو" ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل.

وجملة "كفروا" صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب.

﴿بِآيَاتِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"كفروا".

﴿اللَّهِ﴾: لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿لَهُمْ﴾: اللام: حرف جرّ، "هم": ضمير متّصل مبنيّ في محلّ جرّ متعلّق بمحذوف خبر مقدم.

﴿عَذَابٌ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره.

وجملة "إن الذين" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافية، وجملة: "لهم عذاب" في محلّ رفع خبر "إنّ".

﴿شَدِيدٌ﴾: نعت لعذاب مرفوع مثله بالضمّة،

﴿وَاللَّهُ﴾: الواو حرف استئناف، الله: لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع، ﴿عَزِيزٌ﴾: خبر مرفوع.

﴿ذُو﴾: خبر ثان مرفوع، وعلامة الرفع الواو.

﴿انْتِقَامٍ﴾: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

البلاغة:

وتقديم {مِنْ قبلُ} على {هدًى للناس} للاهتمام به، وأما ذكر هذا القيد لكي لا يتوهّم أنّ هُدى التوراةِ والإنجيلِ مستمرّ بعد نزول القرآن. وفيه إشارة إلى أنّها كالمقدّمات لِنزول القرآن، الذي هو تمام مراد الله من البشر.

و{للناس} تعريفه إمّا للعهد: وهم الناس الذي خوطبوا بالكتابين، وإمّا للاستغراق العُرفي: فإنّهما وإن خوطب بهما ناس معروفون، فإنّ ما اشتملا عليه يَهتدي به كلّ من أراد أن يهتدي.

وإعادةُ قوله: {وأنزل الفرقان} بعد قوله: {نزل عليك الكتاب بالحق} للاهتمام.

والفرقان في الأصل مصدر فرَق كالشُكران والكُفران والبُهتان، ثم أطلق على ما يُفرق به بين الحق والباطل، والمراد بالفرقان هنا القرآن؛ لأنّه يفرق بين الحق والباطل، وفي وصفه بذلك تفضيل لِهديه على هدى التوراة والإنجيل؛ لأنّ التفرقة بين الحق والباطل أعظم أحوال الهدي، لما فيها من البرهان، وإزالة الشبهة.

وشَمل قولُه: {الذين كفروا بآيات الله} المشركينَ واليهودَ والنصارى في مرتبة واحدة، لأنّ جميعهم اشتركوا في الكفر بالقرآن، وهو المراد بآيات الله هنا لأنّه الكتاب الوحيد الذي يصح أن يوصف بأنّه آيةٌ من آيات الله؛ لأنّه مُعجزة.

وعطف قوله: {والله عزيز ذو انتقام} على قوله: {إن الذين كفروا بآيات الله} لأنّه من تكملة هذا الاستئناف: لمجيئه مجيء التبيين لشدّة عذابهم؛ إذ هو عذابٌ عزيزٍ منتقم.

2. [سورة آل عمران: 7] ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [1]

معنى الآية:

هو وحده الذي أنزل عليك القرآن: منه آيات واضحات الدلالة، هن أصل الكتاب الذي يُرجع إليه عند الاشتباه، ويُرَدُّ ما خالفه إليه، ومنه آيات أخر متشابهات تحتمل بعض المعاني، لا يتعيَّن المراد منها إلا بضمها إلى المحكم، فأصحاب القلوب المريضة الزائغة، لسوء قصدهم يتبعون هذه الآيات المتشابهات وحدها؛

[1] آيات محكمات: واضحات لا احتمال فيها ولا اشباه؛ أم الكتاب: أصله يُردّ إليها غيرها؛ متشابهات: خفيات استأثر الله بعلمها، أو لا تتضح إلا بنظر دقيق؛ زيغ: مَيْلٌ وانحرَافٌ عن الحق؛ تأويله: تَفسيرِه بما يُوافِق أهواءهم.

ليثيروا الشبهات عند الناس، كي يضلوهم، ولتأويلهم لها على مذاهبهم الباطلة. ولا يعلم حقيقة معاني هذه الآيات إلا الله. والمتمكنون في العلم يقولون: آمنا بهذا القرآن، كله قد جاءنا من عند ربنا على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ويردُّون متشابهه إلى محكمه، وإنما يفهم ويعقل ويتدبر المعاني على وجهها الصحيح أولو العقول السليمة.

النحو:

﴿هُوَ الَّذِي﴾: وهو: ضمير منفصل مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول مبنيّ على السكون في محلّ رفع خبر.

﴿أَنْزَلَ﴾: فعل ماضٍ، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

وجملة "أنزل" صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب.

﴿عَلَيْكَ﴾: على: حرف جرّ، و"الكاف": ضمير متّصل مبنيّ في محلّ جرّ متعلّق بـ"أنزل".

﴿الْكِتَابَ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

﴿مِنْهُ﴾: من: حرف جرّ، والهاء: ضمير متّصل مبنيّ في محلّ جرّ متعلّق بمحذوف خبر مقدم.

﴿آيَاتٌ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره.

﴿مُحْكَمَاتٌ﴾: نعت لآيات مرفوع مثله بالضمّة، وجملة "منه آيات محكمات" في محلّ نصب حال من "الكتاب".

﴿هُنَّ﴾: ضمير منفصل مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ، ﴿أُمُّ﴾: خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، ﴿الْكِتَابِ﴾: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره، وجملة "هنّ أم الكتاب" في محلّ رفع نعت لِـ "آيات".

﴿وَأُخَرُ﴾: الواو: حرف عطف، وأخر: معطوف على "آيات" مرفوع مثله وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره.

﴿مُتَشَابِهَاتٌ﴾: نعت مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿فَأَمَّا﴾: الفاء: استئنافيّة، أما: حرف شرط وتفصيل.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبنيّ على السكون في محلّ رفع مبتدأ.

﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف خبر مقدم، و "هم" ضمير متصلّ مبنيّ في محلّ جرّ مضاف إليه.

﴿زَيْغٌ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره.

وجملة المبتدأ والخبر استئنافية لا محلّ لها من الإعراب.

﴿فَيَتَّبِعُونَ﴾: الفاء: حرف رابط لجواب الشرط أما، يتبعون: فعل مضارع مرفوع، وعلامة الرفع ثبوت النون، لأنّه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل.

﴿مَا﴾: اسم موصول مبنيّ في محلّ نصب مفعول به.

﴿تَشَابَهَ﴾: فعل ماضٍ، والفاعل ضمير مستتر فيه تقديره: هو.

وجملة "تشابه" صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب.

﴿مِنْهُ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف حال من فاعل "تشابه".

وجملة "يتبعون ما تشابه منه" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها جواب شرط غير جازم.

﴿ابْتِغَاءَ﴾: مفعول لأجله منصوب بالفتحة.

﴿الْفِتْنَةِ﴾: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿وَابْتِغَاءَ﴾: الواو: حرف عطف، ابتغاء: اسم معطوف منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، وهو مضاف.

﴿تَأْوِيلِهِ﴾: تأويل: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره، و "الهاء": ضمير متصل مبنيّ في محلّ جرّ بالإضافة.

﴿وَمَا﴾: الواو: حالية، ما: نافية، ﴿يَعْلَمُ﴾: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿تَأْوِيلَهُ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، و "الهاء": مضاف إليه.

وجملة "ما يعلم تأويله" في محلّ نصب حال.

﴿إِلَّا﴾: حرف حصر، ﴿اللَّهُ﴾: لفظ الجلالة فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره.

﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾: الواو: حرف عطف، الراسخون: معطوف على لفظ الجلالة مرفوع، وعلامة رفعه الواو، لأنّه جمع مذكّر سالم، ﴿فِي الْعِلْمِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ "الراسخون".

﴿يَقُولُونَ﴾: تعرب مثل "يتبعون"، وجملة "يقولون" في محلّ نصب حال من "الراسخون".

﴿آمَنَّا﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على السكون، و "نا": ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ رفع فاعل.

وجملة "آمنا" في محلّ نصب "مقول القول".

﴿بِهِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ "آمنّا"، ﴿كُلٌّ﴾: مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة.

﴿مِنْ عِنْدِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف خبر المبتدأ، وجملة المبتدأ والخبر استئنافية لا محلّ لها من الإعراب.

﴿رَبِّنَا﴾: رب: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة، و"نا" ضمير مبنيّ في محلّ جرّ بالإضافة.

﴿وَمَا﴾: الواو: استئنافيّة، و "ما": نافية، ﴿يَذَّكَّرُ﴾: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة.

﴿إِلَّا﴾: حرف حصر، ﴿أُولُو﴾: فاعل مرفوع، وعلامة الرفع الواو، لأنّه ملحق بجمع المذكر السالم، وهو مضاف، ﴿الْأَلْبَابِ﴾: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

وجملة "ما يذكر إلا أولو الألباب" لا محلّ لها من الإعراب، لأنها استئنافية.

البلاغة:

هذه الآية الكريمة استئناف ثالث بإخبار عن شأن من شؤون الله تعالى، متعلّق بالغرض المسوق له الكلام: وهو تحقيق إنزاله القرآنَ والكتابين من قبله، فهذا الاستئناف مؤكّد.

وفي قوله: {هو الذي أنزل الكتاب} قصر صفة إنزال القرآن على الله تعالى: لتكون الجملة، مع كونها تأكيداً وتمهيداً، إبطالاً أيضاً لقول المشركين.

ومن بدائع البلاغة أن ذكر في القصر فعل أنزل، الذي هو مختصّ بالله تعالىٰ ولو بدون صيغة القصر، إذ الإنزال يرادف الوحي ولا يكون إلاّ من الله بخلاف ما لو قال هو الذي آتاك الكتاب.

طلق المحكم في هذه الآية على واضح الدلالة على سبيل الاستعارة لأنّ في وضوح الدلالة، منعاً لتطرّق الاحتمالات الموجبة للتردّد في المراد.

وأطلق التشابه هنا على خفاء الدلالة على المعنى، على طريقة الاستعارة لأنّ تطرّق الاحتمال في معاني الكلام يفضي إلى عدم تعيّن أحد الاحتمالات، وذلك مثل تشابُه الذوات في عدم تمييز بعضها عن بعض.

والمتشابهات مقابل المحكمات، فهي التي دلّت على معانٍ تشابهت في أن يكون كلٌّ منها هو المرادَ.

وقوله: {والراسخون} معطوف على اسم الجلالة، وفي هذا العطف تشريف عظيم.

جملة {وما يذَّكَّر إلاّ أولوا الألباب} تذييل، ليس من كلام الراسخين، مَسوق مَساق الثناء عليهم في اهتدائهم إلى صحيح الفهم.

المسألة رقم 2:

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [سورة آل عمران: 9]

معنى الآية:

يا ربنا إنا نُقِرُّ ونشهد بأنك ستجمع الناس في يوم لا شَكَّ فيه، وهو يوم القيامة، إنَّك لا تُخلف ما وعَدْتَ به عبادك.

النحو:

﴿رَبَّنَا﴾: رب: منادى مضاف محذوف منه حرف النداء منصوب بالفتحة، و "نا": ضمير متّصل مبنيّ في محلّ جرّ مضاف إليه.

﴿إِنَّكَ﴾: إنّ: حرف توكيد ونصب مشبّه بالفعل، و "الكاف" ضمير متصل مبنيّ في محلّ نصب اسم "إنّ"».

﴿جَامِعُ﴾: خبر "إنّ" مرفوع وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره.

﴿النَّاسِ﴾: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿لِيَوْمٍ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان باسم الفاعل "جامع".

﴿لَا﴾: نافية للجنس، ﴿رَيْبَ﴾: اسم "لا" مبنيّ على الفتح في محلّ نصب.

﴿فِيهِ﴾: في: حرف جرّ والهاء: ضمير متّصل مبنيّ في محلّ جرّ متعلّق بمحذوف خبر "لا".

﴿إِنَّ﴾: حرف توكيد مشبّه بالفعل.

﴿اللَّهَ﴾: لفظ الجلالة اسم "إن" منصوب بالفتحة.

﴿لَا﴾: نافية، ﴿يُخْلِفُ﴾: فعل مضارع مرفوع، والفاعل ضمير مستتر فيه تقديره: هو.

﴿الْمِيعَادَ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

وجملة "ربنا" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها اعتراضية، وجملة "إنك جامع الناس" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها جواب النداء، وجملة "لا ريب فيه" في محلّ جرّ نعت لِ "يوم"، وجملة "إن الله لا يخلف الميعاد" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافيّة، وجملة "لا يخلف" في محلّ رفع خبر "إنّ".

البلاغة:

وقوله: {ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه} استحضروا عند طلب الرحمة أحْوجَ ما يكونون إليها، وهو يومُ تكونُ الرحمة سبباً للفوز الأبدي، فأعقبوا بذكر هذا اليوم دعاءَهم على سبيل الإيجاز، كأنّهم قالوا: وهب لنا من لدنك رحمة، وخاصّة يوم تجمّع الناس.

ومعنى {لا ريب فيه} لا ريب فيه جديراً بالوقوع، فالمراد نفي الريب في وقوعه. ونفوه على طريقه نفي الجنس لعدم الاعتداد بارتياب المرتابين، هذا إذا جعلتَ (فيه) خبراً، ولك أن تجعله صفةً لريبَ وتجعلَ الخبر محذوفاً على طريقة لا النافية للجنس، فيكون التقدير: عندنا، أو لَنَا.

وجملة {إن الله لا يخلف الميعاد} تعليل لنفي الريب أي لأنّ الله وعد بجمع الناس له، فلا يخلف ذلك، والمعنى: إنّ الله لا يُخلف خبرَه، والميعاد هنا اسم مكان، وهو أسلوب مؤكد بإن وأداة النفي.

جزء التشابه: لا يخلف الميعاد

1. [سورة آل عمران: 194] ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾

معنى الآية:

يا ربنا أعطنا ما وعدتنا على ألسنة رسلك من نصر وتمكين وتوفيق وهداية، ولا تفضحنا بذنوبنا يوم القيامة، فإنك كريم لا تُخْلف وعدًا وَعَدْتَ به عبادك.

النحو:

﴿رَبَّنَا﴾: رب: منادى مضاف محذوف منه حرف النداء منصوب بالفتحة و"نا": ضمير مضاف إليه.

﴿وَآتِنَا﴾: الواو: حرف عطف، آتنا: فعل أمر دعائي مبنيّ على حذف حرف العلة، و"نا": مفعول به والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره: أنت.

﴿مَا﴾: اسم موصول مبنيّ في محلّ نصب مفعول به.

﴿وَعَدْتَنَا﴾: وعد: فعل ماضٍ مبنيّ على السكون، والتاء: فاعل، و"نا": ضمير مبني في محل نصب مفعول به.

﴿عَلَى رُسُلِكَ﴾: على رسل: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"وعدتنا"، و"الكاف": مضاف إليه.

﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف، لا: حرف نهي وجزم.

﴿تُخْزِنَا﴾: تخز: فعل مضارع مجزوم، وعلامة الجزم حذف حرف العلة.

والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره: أنت و"نا": ضمير مبني في محل نصب مفعول به.

﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان منصوب بالفتحة متعلّق بـ"تخزنا".

﴿الْقِيَامَةِ﴾: مضاف إليه مجرور و علامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿إِنَّكَ﴾: إن: حرف توكيد مشبّه بالفعل، و"الكاف": ضمير مبنيّ في محلّ نصب اسم "إن".

﴿لَا﴾: حرف نفي، ﴿تُخْلِفُ﴾: فعل مضارع مرفوع، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره: أنت.

﴿الْمِيعَادَ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

وجملة "ربنا" لا محلّ لها من الإعراب، لأنها اعتراضية، وجملة "آتنا" لا محلّ لها من الإعراب، لأنها معطوفة على جملة "توفنا" في الآية السابقة، وجملة "وعدتنا" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها صلة الموصول الاسمي أو الحرفي "ما"، وجملة "لا تخزنا" لا محلّ لها من الإعراب، لأنها معطوفة على جملة "آتنا"، وجملة "إنك لا تخلف" لا محلّ لها من الإعراب، لأنها تعليلية، وجملة "لا تخلف الميعاد" في محلّ رفع خبر "إن".

البلاغة:

الآية الكريمة بدأت بأسلوب الإنشائي الأمر، وغرضه الدعاء، وذلك من طلب المخلوق الفعل من الخالق عز وجل، ولمّا سألوا أسباب المثوبة في الدنيا والآخرة ترقّوا في السؤال إلى طلب تحقيق المثوبة، فقالوا: {وآتنا ما وعدتنا على رسلك}.

وتحتمل كلمة (على) أن تكون لتعدية فعل الوعد، ومعناها التعليل فيكون الرسل هم الموعود عليهم، ومعنى الوعد على الرسل أنّه وعد على تصديقهم فتعيّن تقدير مضاف.

أرادوا طلب التوفيق إلى أسباب ما وعدهم الله على رسله. فالكلام مستعمل كناية عن سبب ذلك من التوفيق للأعمال الموعود عليها.

2. [سورة الرعد: 31] ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [1]

معنى الآية:

يردُّ الله -تعالى- على الكافرين الذين طلبوا إنزال معجزات محسوسة على النبي صلى الله عليه وسلم فيقول لهم: ولو أن ثمة قرآنًا يقرأ، فتزول به الجبال عن أماكنها، أو تتشقق به الأرض أنهارًا، أو يحيا به الموتى وتُكَلَّم -كما طلبوا منك- لكان هذا القرآن هو المتصف بذلك دون غيره، ولما آمنوا به. بل لله وحده الأمر كله في المعجزات وغيرها. أفلم يعلم المؤمنون أن الله لو يشاء لآمن أهل الأرض كلهم من غير معجزة؟ ولا يزال الكفار تنزل بهم مصيبة بسبب كفرهم كالقتل والأسر في غزوات المسلمين، أو تنزل تلك المصيبة قريبًا من دارهم، حتى يأتي وعد الله بالنصر عليهم، إن الله لا يخلف الميعاد.

[1] أفلم ييأس: أفلم يعلم ويتبيّن؛ قارعة: داهية تقرعهم بصنوف البلايا.

النحو:

وَلَوْ: الواو: حرف استئناف مبنيّ على الفتح، "لو": حرف امتناع لامتناع الوجود مبنيّ على السّكون.

﴿أَنَّ﴾: حرف توكيد مشبه بالفعل مبنيّ على الفتح.

﴿قُرْآنًا﴾: اسم "أنّ" منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظّاهرة على آخره.

﴿سُيِّرَتْ﴾: "سُيِّرَ": فعل ماض مبنيّ للمجهول مبنيّ على الكسر، و "الهاء": ضمير متّصل مبنيّ على الكسر في محلّ جرّ بالباء، والجارّ والمجرور متعلّقان بالفعل "سيرت".

﴿بِهِ﴾: الباء: حرف جرّ مبنيّ على الكسر، و "الهاء": ضمير متّصل مبنيّ على الكسر في محلّ جرّ بالباء، والجار والمجرور متعلّقان بالفعل "سيّرت".

﴿الْجِبَالُ﴾: نائب فاعل مرفوع بالضمّة الظاهرة، والجملة من الفعل ونائب الفاعل في محلّ رفع خبر "أن"، والمصدر المؤول من "أن" والفعل في محلّ رفع فاعل لفعل محذوف.

﴿أَوْ﴾: حرف عطف مبنيّ على السّكون.

﴿قُطِّعَتْ﴾: "قُطِّعَ": فعل ماضٍ مبنيّ للمجهول مبنيّ على الفتح، والتاء: حرف تأنيث مبنيّ على السّكون.

﴿بِهِ﴾: الباء: حرف جرّ مبنيّ على الكسر، و "الهاء": ضمير متّصل مبنيّ على الكسر في محلّ جرّ بالباء، والجارّ والمجرور متعلّقان بالفعل "قُطِّعَتْ".

﴿الْأَرْضُ﴾: نائب فاعل مرفوع بالضمة الظّاهرة، والجملة من الفعل ونائب الفاعل معطوفة على الجملة "سيّرت به الجبال" في محلّ رفع.

﴿أَوْ﴾: حرف عطف مبنيّ على السّكون، ﴿كُلِّمَ﴾: فعل ماضٍ مبنيّ للمجهول مبنيّ على الفتح.

﴿بِهِ﴾: الباء: حرف جرّ مبنيّ على الكسر، و "الهاء": ضمير متّصل مبنيّ على الكسر في محلّ جرّ بالباء، والجار والمجرور متعلّقان بالفعل "كُلِّم".

﴿الْمَوْتَى﴾: نائب فاعل مرفوع بالضمّة المقدرة على الألف منع من ظهورها التعذّر، والجملة من الفعل ونائب الفاعل معطوفة على الجملة "سُيِّرَت به الجبال" في محلّ رفع.

وجواب الشرط محذوف والمعني (ولو أن قرآنًا سيرت به الجبال عن مقارّها أو قطعت به الأرض حتى تتصدّع وتتزايل وتتهافت أو كلّم به الموتى فتسمع وتجيب لما آمنوا).

﴿بَلْ﴾: حرف ابتداء يفيد الإضراب مبنيّ على السّكون.

﴿لِلَّهِ﴾: "اللام": حرف جرّ مبنيّ على الكسر، "الله": لفظ الجلالة اسم مجرور بالكسرة الظّاهرة، والجارّ والمجرور متعلّقان بمحذوف خبر مقدّم.

﴿الْأَمْر﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع بالضمة الظّاهرة، والجملة من المبتدأ وخبره استئنافيّة لا محلّ لها من الإعراب.

﴿جَمِيعًا﴾: حال منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظّاهرة على آخره.

﴿أَفَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام وتقرير مبنيّ على الفتح، والفاء: حرف عطف مبنيّ على الفتح، و "لم": حرف جزم ونفي وقلب مبنيّ على السّكون.

﴿يَيْأَسِ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ "لم" وعلامة جزمه السّكون وحرّك بالكسر منعًا لالتقاء الساكنين.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبنيّ على الفتح في محلّ رفع فاعل، والجملة من الفعل والفاعل معطوفة على جملة استئنافيّة محذوفة

﴿آمَنُوا﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الضمّ لاتّصاله بواو الجماعة، والواو ضمير متّصل مبنيّ على السّكون في محلّ رفع فاعل، والجملة من الفعل والفاعل صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب.

﴿أَنْ﴾: مخفّفة من الثّقيلة، واسمها ضمير شأن محذوف، والتقدير: أنّهُ.

﴿لَوْ﴾: حرف شرط يدل على امتناع الجواب لامتناع الشّرط.

﴿يَشَاءُ﴾: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿اللَّهُ﴾: لفظ الجلالة فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿لَهَدَى﴾: اللام واقعة في جواب الشّرط، "هدى": فعل ماضٍ مبنيّ على الفتحة المقدّرة على الألف منع من ظهورها التعذّر، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

وجملة "هدى" جواب "لو" لا محلّ لها من الإعراب، وجملة الشرط وجوابه "لو يشاء الله لهدى" في محلّ رفع خبر " "أن"، والمصدر المؤوّل من "أنّ" المخففة ومعموليها في محلّ نصب مفعول به للفعل "بيأس" بمعنى (يعلم) أو (يتبيّن).

﴿النَّاسَ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظّاهرة على آخره.

﴿جَمِيعًا﴾: حال منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظّاهرة على آخره.

﴿وَلَا﴾: الواو: حرف استئناف مبنيّ على الفتح، ﴿يَزَالُ﴾: فعل مضارع ناقص مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبنيّ على الفتح في محلّ رفع اسم "لا يزال".

﴿كَفَرُوا﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الضم لاتصاله بواو الجماعة، والواو ضمير متّصل مبنيّ على السّكون في محلّ رفع فاعل والجملة "كفروا" صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب.

﴿تُصِيبُهُمْ﴾: "تُصيبُ": فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

و "هم": ضمير متّصل مبنيّ على السّكون في محلّ نصب مفعول به.

﴿بِمَا﴾: الباء: حرف جرّ مبنيّ على الكسر "ما": حرف مصدريّ مبنيّ على السّكون.

﴿صَنَعُوا﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الضم لاتصاله بواو الجماعة.

والواو ضمير متّصل مبنيّ على السّكون في محلّ رفع فاعل، والمصدر المؤوّل من "ما" والفعل في محلّ جرّ بالباء والتقدير: (بصنعهم)، أي: (بسبب صنعهم)، والجارّ والمجرور متعلّقان بالفعل "تصيبهم".

﴿قَارِعَةٌ﴾: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، والجملة من الفعل والفاعل في محلّ نصب خبر "لا يزال"، والجملة من "لا يزال واسمها وخبرها استئنافيّة لا محلّ لها من الإعراب.

﴿أَوْ﴾: حرف عطف مبنيّ على السّكون.

﴿تَحُلُّ﴾: فعل مضارع مرفوع بالضمّة الظّاهرة، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هي "قارعة".

والجملة "تَحُلُّ" من الفعل والفاعل معطوفة على الجملة "تصيبهم قارعة" في محلّ نصب.

﴿قَرِيبًا﴾: ظرف مكان متعلّق بالفعل "تحل" منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظّاهرة على آخره.

﴿مِنْ﴾: حرف جرّ مبنيّ على السّكون، ﴿دَارِهِمْ﴾: "دار": اسم مجرور بـ "من" وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة، و "هم": ضمير متّصل مبنيّ على السّكون في محلّ جرّ بالإضافة، والجارّ والمجرور متعلّقان بـ"قريبا".

﴿حَتَّى﴾: حرف غاية وجرّ ينصب بـ"أنْ" مضمرة مبنيّ على السّكون.

﴿يَأْتِيَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ"أنْ" مضمرة بعد "حتّى" وعلامة نصبه الفتحة، ﴿والمصدر المؤوّل من "أن" المضمرة، والفعل في محلّ جرّ بـ "حتّى" والجارّ والمجرور متعلّقان بالفعل "تصيبهم".

﴿وَعْدُ﴾: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿اللَّهِ﴾: مضاف إليه مجرور بالكسرة الظّاهرة.

﴿إِنَّ﴾: حرف توكيد مشبّه بالفعل مبنيّ على الفتح.

﴿اللَّهَ﴾: لفظ الجلالة اسم "إن" منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظّاهرة على آخره.

﴿لَا﴾: حرف نفي مبنى على السّكون.

﴿يُخْلِفُ﴾: فعل مضارع مرفوع بالضمّة الظّاهرة، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو، والجملة من الفعل والفاعل في محلّ رفع خبر "إن" والجملة من "إن" واسمها وخبرها استئنافيّة لا محلّ لها من الإعراب.

﴿الْمِيعَادَ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظّاهرة على آخره.

البلاغة:

في قوله تعالى: {سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى} فيها تخصيص هذه الأشياء الثلاثة من بين الخوارق المفروضة ما رواه الواحدي والطبري عن ابن عباس: أن كفار قريش، أبا جهل وابن أبي أميّة وغيرهما جلسوا خلف الكعبة ثم أرسلوا إلى النبي فقالوا: لو وسّعْت لنا جبال مكّة فسيرتها حتى تتسع أرضنا فنحتَرثهما فإنها ضيقة، أو قرّب إلينا الشام فإنا نتجر إليها، أو أخرج قصَياً نكلمه[1].

جملة {بل لله الأمر جميعاً} عطف على {ولو أن قرآنًا} بحرف الإضراب، أي ليس ذلك من شأن الكتب، بل لله أمر كل محدَث فهو الذي أنزل الكتاب وهو الذي يخلق العجائب إن شاء.

والأمر هنا: التصرف التكويني، أي ليس القرآن ولا غيره بمكوّن شيئاً مما سألتم، بل الله الذي يكوّن الأشياء.

وقد أفادت الجملتان المعطوفة والمعطوف عليها معنى القصر لأن العطف بـ {بل} من طرق القصر، فاللام في قوله: {الأمر} للاستغراق، و{جميعًا} تأكيد له، وتقديم المجرور على المبتدأ لمجرد الاهتمام لأن القصر أفيد بـ {بل} العاطفة.

وفرع على الجملتين {أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعًا} استفهامًا إنكاريًا إنكارًا لانتفاء يَأسي الذين آمنوا، أي فهم حقيقون بزوال يأسهم وأن يعلموا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعًا.

وإتيان الوعد: مجاز في وقوعه وحلوله.

جملة {إن الله لا يخلف الميعاد} تذييل لجملة {حتى يأتي وعد الله} إيذاناً بأن إتيان الوعد المغيا به محقق وأن الغاية به غاية بأمر قريب الوقوع، والتأكيد مراعاة لإنكار المشركين.

المسألة رقم 3:

﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[2] [سورة آل عمران: 11]

---

[1] السيوطي، *الدر المنثور*، 4/ 652.

[2] كدأب: كعادة وشأن.

معنى الآية:

شأن الكافرين في تكذيبهم وما ينزل بهم، شأن آل فرعون والذين من قبلهم من الكافرين، أنكروا آيات الله الواضحة، فعاجلهم بالعقوبة بسبب تكذيبهم وعنادهم. والله شديد العقاب لمن كفر به وكذَّب رسله.

النحو:

﴿كَدَأْبِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بخبر محذوف لمبتدأ مقدر تقديره: دأبهم.

﴿آلِ﴾: مضاف إليه مجرور و علامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿فِرْعَوْنَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة الجرّ الفتحة عوضًا من الكسرة، لأنّه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة.

﴿وَالَّذِينَ﴾: الواو: حرف عطف، الذين: اسم موصول مبنيّ على السكون في محلّ جرّ معطوف على آل فرعون.

﴿مِنْ قَبْلِهِم﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف صلة الموصول، وهم: ضمير مبني في محل جر مضاف إليه.

﴿كَذَّبُوا﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الضمّ، والواو: فاعل.

﴿بِآيَاتِنَا﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"كذبوا"، و"نا": ضمير متصل مبني على السكون في محل جر مضاف إليه.

﴿فَأَخَذَهُمُ﴾: الفاء: حرف عطف، أخذ: فعل ماضٍ، و "هم": ضمير متّصل مبنيّ في محلّ نصب مفعول به.

﴿اللَّهُ﴾: لفظ الجلالة فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره.

﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾: بذنوب: جارّ ومجرور متعلّقان بـ "أخذ"، و "هم": ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه.

﴿وَاللَّهُ﴾: الواو: استئنافيّة، الله: لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿شَدِيدُ﴾: خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره، وهو مضاف.

﴿الْعِقَابِ﴾: مضاف إليه مجرور و علامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

وجملة "دأبهم كدأب آل فرعون" لا محلّ لها من الإعراب، لأنها استئنافيّة، وجملة "كذبوا" لا محلّ لها من الإعراب، لأنها استئنافية، وجملة "أخذهم الله" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها معطوفة على جملة "كذبوا". وجملة "والله شديد العقاب" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافية.

البلاغة:

وقوله: {كدأب آل فرعون} موقع كاف التشبيه موقع خبرٍ لمبتدأ محذوف يدل عليه المشبّه به، والتقدير: دأبُهم في ذلك كعادة وشأن آل فرعون، وأريد بآل فرعون فرعون وآلهُ؛ لأنّ الآل يطلق على أشدّ الناس اختصاصاً بالمضاف إليه، والاختصاص هنا اختصاص في المتابعةِ والتواطؤ على الكفر.

وقوله: {كذبوا} بيان لدأبهم، استئناف بياني. وتخصيص آل فرعون بالذكر من بين بقية الأمم لأنّ هلكهم معلوم عند أهل الكتاب، بخلاف هلك عاد وثمود فهو عند العرب أشهر؛ ولأنّ تحدّي موسى إياهم كان بآيات عظيمة فما أغنتهم شيئاً تُجاه ضلالهم؛ ولأنّهم كانوا أقرب الأمم عهداً بزمان النبي ﷺ.

جزء التشابه: كدأب آل فرعون.

1. [سورة الأنفال: 52] ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

معنى الآية:

إنَّ ما نزل بالمشركين يومئذ سُنَّة الله في عقاب الطغاة من الأمم السابقة من أمثال فرعون والسابقين له، عندما كذَّبوا رسل الله وجحدوا آياته، فإن الله أنزل بهم عقابه بسبب ذنوبهم. إن الله قوي لا يُقْهر، شديد العقاب لمن عصاه ولم يتب من ذنبه.

النحو:

﴿كَدَأْبِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف تقديره: دأب هؤلاء.

﴿آلِ﴾: مضاف إليه مجرور و علامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿فِرْعَوْنَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة الجر الفتحة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلميّة والعجمة.

﴿وَالَّذِينَ﴾: اسم موصول مبنيّ في محلّ جرّ معطوف بحرف العطف على "آل فرعون".

﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: من قبل: جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف صلة الموصول، و"هم" ضمير مبني في محل جر مضاف إليه.

﴿كَفَرُوا﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الضم، والواو: فاعل.

﴿بِآيَاتِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"كفروا".

﴿اللَّهِ﴾: لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿فَأَخَذَهُمُ﴾: الفاء: حرف عطف، أخذ: فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح، و"هم" ضمير مفعول به.

﴿اللَّهُ﴾: لفظ الجلالة فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾: بذنوب: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"أخذ"، والباء: للسببية، و"هم": مضاف إليه.

﴿إِنَّ﴾: حرف توكيد مشبّه بالفعل، ﴿اللَّهَ﴾: لفظ الجلالة اسم "إنّ" منصوب بالفتحة.

﴿قَوِيٌّ﴾: خبر "إنّ" مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿شَدِيدُ﴾: خبر ثانٍ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿الْعِقَابِ﴾: مضاف إليه مجرور و علامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

وجملة "دأبهم ... كدأب آل فرعون" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافيّة، وجملة "كفروا" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئناف بياني، وجملة "أخذهم الله" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها معطوفة على جملة "كفروا"، وجملة "إن الله قوي" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها تعليلية.

البلاغة:

المخالفة بين {كذبوا} [سورة آل عمران: 11] و{كفروا} فلأنَّ قوم فرعون والذين من قبلهم شاركوا المشركين في الكفر بالله وتكذيب رسله، وفي جحد دلالة الآيات على الوحدانية وعلى صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فذُكِروا هنا ابتداء بالأفظع من الأمرين، فعبّر بالكفر بالآيات عن جحد الآيات الدالّة على وحدانية الله تعالى، لأنّ الكفر أصرح في إنكار صفات الله تعالى.

أمّا الإظهار هنا في مقام الإضمار، فاقتضاه أنّ الكفر كفر بما يرجع إلى صفات الله، فأضيفت الآيات إلى اسم الجلالة؛ ليدلّ على الذات بعنوان الإله الحَقّ وهو الوحدانية، وأمّا الإضمار في آل عمران فلكون التكذيب تكذيباً لآيات دالّة على ثبوت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فأضيفت الآيات إلى الضمير على الأصل في التكلّم.

وزيد وصفُ {قوي} هنا مبالغة في تهديد المشركين المقصودين بالإنذار والتهديد. والقوي الموصوف بالقوة، وحقيقتها كمال صلابة الأعضاء لأداء الأعمال التي تراد منها، وهي متفاوتة مقول عليها بالتشكيك.

2. [سورة الأنفال: 54] ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾

معنى الآية:

شأن هؤلاء الكافرين في ذلك كشأن آل فرعون الذين كذبوا موسى، وشأن الذين كذبوا رسلهم من الأمم السابقة فأهلكهم الله بسبب ذنوبهم، وأغرق آل فرعون في البحر، وكل منهم كان فاعلا ما لم يكن له فِعْلُه من تكذيبهم رسل الله وجحودهم آياته، وإشراكهم في العبادة غيره.

النحو:

﴿كَدَأْبِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف تقديره: دأب هؤلاء.

﴿آلِ﴾: مضاف إليه مجرور و علامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿فِرْعَوْنَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة الجر الفتحة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلميّة والعجمة.

﴿وَالَّذِينَ﴾: اسم موصول مبنيّ في محلّ جرّ معطوف بحرف العطف على "آل فرعون".

﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: من قبل: جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف صلة الموصول، و"هم" ضمير مبني في محل جر مضاف إليه.

﴿كَفَرُوا﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الضم، والواو: فاعل.

﴿بِآيَاتِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"كفروا".

﴿اللَّهِ﴾: لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿فَأَخَذَهُمُ﴾: الفاء: حرف عطف.

أخذ: فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح، و"هم" ضمير مفعول به.

﴿اللَّهُ﴾: لفظ الجلالة فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾: بذنوب: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"أخذ"، والباء: للسببية، و"هم": مضاف إليه.

﴿وَأَغْرَقْنَا﴾: الواو: حرف عطف، أغرقنا: فعل ماضٍ مبنيّ على السكون، و"نا": ضمير فاعل.

﴿آلَ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

﴿فِرْعَوْنَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة الجر الفتحة؛ لأنه ممنوع من الصّرف للعلميّة والعجمة.

﴿وَكُلٌّ﴾: الواو: حرف عطف، كل: مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿كَانُوا﴾: فعل ماضٍ ناقص مبنيّ على الضم، و"الواو" اسم "كان" في محلّ رفع.

﴿ظَالِمِينَ﴾: خبر "كانوا" منصوب، وعلامة النصب الياء.

وجملة "دأبهم كدأب" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافيّة، وجملة "كذبوا" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئناف بياني، وجملة "أهلكناهم" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها معطوفة على جملة "كذبوا"، وجملة

"أغرقنا" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها معطوفة على جملة "أهلكناهم"، وجملة "كل كانوا " لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها معطوفة على الاستئنافيّة، وجملة "كانوا ظالمين" في محلّ رفع خبر المبتدأ "كل".

البلاغة:

تكرير لقوله: {كدأب آل فرعون} المذكور قبله لقصد التأكيد والتسميع، تقرير للإنذار والتهديد، وخولف بين الجملتين تفنّناً في الأسلوب، وزيادة للفائدة، بذكر التكذيب هنا بعد ذكر الكفر هناك، وهما سببان للأخذ والإهلاك.

وذكر وصف الربوبية هنا دون الاسم العلم لزيادة تفظيع تكذيبهم، لأنّ الاجتراء على الله مع ملاحظة كونه ربّاً للمجترئ، يزيد جرَاءته قبحاً لإشعاره بأنّها جراءة في موضع الشكر، لأنّ الربّ يستحقّ الشكر.

وعبر بالإهلاك عوض الأخذ المتقدّم ذكره ليفسّر الأخذ بأنّه آل إلى الإهلاك، وزيد الإهلاك بياناً بالنسبة إلى آل فرعون بأنّه إهلاك الغرق.

المسألة رقم 4:

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[1] [سورة آل عمران: 2]

معنى الآية:

هو الله، لا معبود بحق إلا هو، المتصف بالحياة الكاملة كما يليق بجلاله، القائم على كل شيء.

النحو:

﴿اللَّهُ﴾: لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره.

﴿لَا﴾: نافية للجنس حرف مبنيّ على السكون.

﴿إِلَهَ﴾: اسم "لا" مبنيّ على الفتح في محلّ نصب، وخبر "لا" محذوف تقديره: موجود.

﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء، ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبنيّ في محلّ رفع بدل من الضمير المستكن في الخبر.

﴿الْحَيُّ﴾: خبر ثان مرفوع بالضمّة، ﴿الْقَيُّومُ﴾: خبر ثالث مرفوع بالضمّة.

وجملة "لا إله إلا هو "في محلّ رفع خبر المبتدأ "الله"، وجملة الله لا إله إلا هو لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافية.

[1] الحيّ: الدائم الحياة بلا زوال؛ القيوم: الدائم القيام بتدبير خلقه وحفظهم.

البلاغة:

جيء بالاسم العلَم: لتربية المهابة عند سماعه، ثم أردف بجملة لا إله إلاّ هوالحى القيوم، جملةً معترضة أو حاليةً، ردّاً على المشركين، وعلى النصارى خاصة. وأتبع بالوصفين {الحيّ القيوم} لنفي اللبس عن مسمَّى هذا الاسم، والإيماء إلى وجه انفراده بالإلاهية، وأنّ غيره لا يستأهلها؛ لأنّه غير حيّ أوْ غير قَيُّوم، فالأصنام لا حياة لها، وعيسى في اعتقاد النصارى قد أميت، فما هو الآن بقيوُّم ولا هو في حال حياته بقيّوم على تدبير العالم، وكيف وقد أوذِيَ في الله، وكُذّب، واختفّى من أعدائه.

و{لا إلـٰه إلا هو} هذا أسلوب يسمى قصرًا حقيقيًا باستخدام النفي والاستثناء، وفائدته: قصر الألوهية والعبادة على الله وحده، ونفيها عن كل ما سواه، وهذا من أبلغ ما يُقال في التوحيد، ويشتمل على: نفي الشرك، إثبات الوحدانية، توحيد الألوهية (العبادة).

واسم {الحي} اسم ذات من أسمائه تعالى، يدل على كمال الحياة التي لا يعتريها نقص ولا فناء، تقديم "الحي" يفيد أن حياة الله تعالى أساس لكل صفاته، والكلمة جاءت مُعرّفة بالألف واللام، تفيد الاستغراق، أي هو الحي الحقيقي الكامل، لا كمَن يموت أو يعتريه ضعف.

و {القيوم} صيغة مبالغة من "قائم"، ومعناه: القائم بنفسه والمقيم لغيره، أي: لا يحتاج لأحد، وكل الخلق محتاجون إليه في وجودهم وبقائهم، وهذا من أعظم أوصاف الكمال، ويأتي بعد "الحي" لأن حياة الله تقتضي قيوميته.

جزء التشابه: لا إله إلا هو

1. [سورة آل عمران: 6] ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

معنى الآية:

هو وحده الذي يخلقكم في أرحام أمهاتكم كما يشاء، من ذكر وأنثى، وحسن وقبيح، وشقي وسعيد، لا معبود بحق سواه، العزيز الذي لا يُغالَب، الحكيم في أمره وتدبيره.

النحو:

﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول مبنيّ على السكون في محلّ رفع خبر.

وجملة "هو الذي يصوركم" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافية.

﴿يُصَوِّرُكُمْ﴾: يصور: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، "كم": ضمير متّصل مبنيّ في محلّ نصب مفعول به، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

وجملة "يصوركم" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها صلة الموصول "الذي".

﴿فِي الْأَرْحَامِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف حال من ضمير المفعول، أي: كائنين في الأرحام.

﴿كَيْفَ﴾: اسم شرط غير جازم مبنيّ على الفتح في محلّ نصب حال.

﴿يَشَاءُ﴾: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو، وجملة "يشاء" استئنافيّة لا محلّ لها من الإعراب.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: لَا: نافية للجنس تعمل عمل "إنّ"، حرف مبنيّ على السكون لا محلّ له من الإعراب.

﴿إِلَهَ﴾: اسم "لا" النافية للجنس مبنيّ على الفتح في محلّ نصب، والخبر محذوف تقديره: موجود.

﴿إِلَّا﴾: حرف حصر مبنيّ على السكون لا محلّ له من الإعراب.

﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبنيّ على الفتح في محلّ نصب بدل من الضمير المستكن في الخبر المحذوف، أو بدل من محلّ "لا" مع اسمها.

﴿الْعَزِيزُ﴾: خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هو، ﴿الْحَكِيمُ﴾: خبر ثان مرفوع.

وجملة "لا إله إلا هو "لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافيّة، وجملة "هو العزيز ..." لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافيّة.

البلاغة:

والآية الكريمة استئناف ثان يبيّن شيئاً من معنى القيّومية، فهو كبدل البعض من الكل، وخصّ من بين شؤون القيّومية تصويرُ البشر لأنّه من أعجب مظاهر القدرة؛ ولأنّ فيه تعريضاً بالرد على النصارى في اعتقادهم إلٰهية عيسى من أجل أنّ الله صوّره بكيفية غير معتادة، فبيّن لهم أنّ الكيفيات العارضة للموجودات كلّها مِن صنع الله وتصويره سواء المعتاد وغيرُ المعتاد.

{هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء} دلّ تعريف الجزأين على قصر صفة التصوير عليه تعالى وهو قصر حقيقي لأنّه كذلك في الواقع؛ إذ هو مكّون أسباب ذلك التصوير، وهذا إيماء إلى كشف شبة النصارى إذ توهّموا أن تخلّق عيسى بدون ماء أب دليل على أنّه غير بشر وأنّه إله وجهلوا أنّ التصوير في الأرحام وإن اختلفت كيفياته لا يخرج عن كونه خلقاً لما كان معدوماً، فكيف يكون ذلك المخلوق المصوّر في الرحم إلهاً.

{لاَ إله إِلاَّ هُوَ العزيز الحكيم} تذييل لتقرير الأحكام المتقدّمة.

2. [سورة آل عمران: 18] ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [1]

معنى الآية:

شهد الله أنه المتفرد بالإلهية، وقَرَنَ شهادته بشهادة الملائكة وأهل العلم، على أجلِّ مشهود عليه، وهو توحيده تعالى وقيامه بالعدل، لا إله إلا هو العزيز الذي لا يمتنع عليه شيء أراده، الحكيم في أقواله وأفعاله.

النحو:

﴿شَهِدَ﴾: فعل ماض مبنيّ على الفتحة.

﴿اللَّهُ﴾: لفظ الجلالة فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره.

﴿أَنَّهُ﴾: أن: حرف مشبّه بالفعل للتوكيد، و "الهاء": ضمير متّصل مبنيّ في محلّ نصب اسم "إن".

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: لَا: نافية للجنس تعمل عمل "إنّ"، حرف مبنيّ على السكون لا محلّ له من الإعراب.

﴿إِلَهَ﴾: اسم "لا" النافية للجنس مبنيّ على الفتح في محلّ نصب، والخبر محذوف تقديره: موجود.

﴿إِلَّا﴾: حرف حصر مبنيّ على السكون لا محلّ له من الإعراب.

﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبنيّ على الفتح في محلّ نصب بدل من الضمير المستكن في الخبر المحذوف، أو بدل من محلّ "لا" مع اسمها، والمصدر المؤول من "أن" واسمها وخبرها في محلّ جرّ بحرف جرّ محذوف، والتقدير بأنه لا إله، والجارّ والمجرور متعلّقان بـ"شهد".

﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾: الواو: حرف عطف، الملائكة: معطوف على لفظ الجلالة مرفوع مثله بالضمّة.

﴿وَأُولُو﴾: معطوف على لفظ الجلالة بالواو، مرفوع مثله، وعلامة الرفع الواو لأنّه ملحق بجمع المذكر السالم، وهو مضاف.

﴿الْعِلْمِ﴾: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿قَائِمًا﴾: حال منصوبة من الضمير المنفصل بعد "إلا".

﴿بِالْقِسْطِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"قائمًا".

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: مرّ إعرابها.

﴿الْعَزِيزُ﴾: خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هو، والجملة بدل من الضمير المنفصل هو.

---

[1] قائمًا بالقسط: مقيما للعدل في كلّ أمر.

﴿الْحَكِيمُ﴾: خبر ثان مرفوع بالضمّة.

وجملة "شهد الله" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافية، وجملة "لا إله إلا هو "في محلّ رفع خبر "أنّ".

وجملة "لا إله إلا هو "الثانية لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافية، كُرِّرت للتأكيد.

البلاغة:

استئناف وتمهيد لقوله: {إن الدين عند اللَّه الإسلام} [سورة آل عمران: 19]، ذلك أنّ أساس الإسلام هو توحيد الله، وإعلان هذا التوحيد، وتخليصه من شوائب الإشراك، وفيه تعريض بالمشركين وبالنصارى واليهود، وإن تفاوَتوا في مراتب الإشراك، وفيه ضرب من ردّ العجز على الصدر: لأنّه يؤكد ما افتتحت به السورة من قوله: {الله لا إله إلا هو الحي القيوم، نزل عليك الكتاب بالحق} [سورة آل عمران: 2-3].

بدأ الله تعالى بنفسه فقال: {شهد الله أنه لا إله إلا هو} أي أن أعظم شاهد على وحدانيته هو الله نفسه، وهذا أبلغ أنواع الشهادات، التقديم هنا يُفيد: التشريف: أن الله يبدأ بنفسه في الشهادة، التوكيد: لأن الشهادة من الله هي أصدق الشهادات.

العطف على الله: {والملائكة وأولو العلم} بعد شهادة الله فجمع: الملائكة: أهل الطاعة والنقاء، أولو العلم: أهل البصيرة والعقل، فيدل على تشريف العلم وأهله، إذ شُرّكوا في الشهادة مع الله وملائكته، أن أعظم ما يشهد به العقل السليم والعلم الصحيح هو التوحيد.

وأسلوب القصر في {لا إله إلا هو} تُفيد نفي الألوهية عن غيره، وإثباتها له وحده، وهي أعظم عبارة توحيدية، اجتمعت على {لا إله} نفي شامل و {إلا هو} إثبات مخصوص، وقوله: {لا إله إلا هو} تمجيد وتصديق، نشأ عن شهادة الموجودات كلّها له بذلك فهو تلقينُ الإقرار له بذلك.

وصفه تعالى بـ{قائمًا بالقسط} أي: قائم بالعدل، مسيطر ومدبر بالميزان والحق، فيها تصوير لله عز وجل بصفة دائمة مستمرة من العدل التام، وتقديم الحال "قائمًا بالقسط" فيه تأكيد على أن عدله ملازم لذاته، وأن شهادته مبنية على قسط وعدل مطلق.

المسألة رقم 5:

﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾[1] [سورة آل عمران: 28]

معنى الآية:

ينهى الله المؤمنين أن يتخذوا الكافرين أولياء بالمحبة والنصرة من دون المؤمنين، ومَن يتولهم فقد برِئ من الله، والله بريء منه، إلا أن تكونوا ضعافًا خائفين فقد رخَّص الله لكم في مهادنتهم اتقاء لشرهم، حتى تقوى شوكتكم، ويحذركم الله نفسه، فاتقوه وخافوه. وإلى الله وحده رجوع الخلائق للحساب والجزاء.

النحو:

﴿لَا﴾: حرف نهي وجزم، ﴿يَتَّخِذِ﴾: فعل مضارع مجزوم وحرك بالكسر لالتقاء الساكنين.

﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة الرفع الواو، لأنّه جمع مذكّر سالم.

﴿الكافرين﴾: مفعول به أول منصوب، وعلامة النصب الياء، لأنّه جمع مذكّر سالم.

﴿أَوْلِيَاءَ﴾: مفعول به ثان منصوب بالفتحة.

﴿مِنْ دُونِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف نعت لأولياء، و "دون" مضاف.

﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة الجرّ الياء، لأنّه جمع مذكّر سالم.

﴿وَمَنْ﴾: الواو: اعتراضية، من: اسم شرط جازم مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ.

﴿يَفْعَلْ﴾: فعل مضارع مجزوم، لأنّه فعل الشرط، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿ذَلِكَ﴾: ذا: اسم إشارة مبنيّ في محلّ نصب مفعول به، و "اللام": حرف للبعد، و "الكاف" حرف للخطاب.

﴿فَلَيْسَ﴾: الفاء: حرف رابط لجواب الشرط، ليس: فعل ماض ناقص، واسمه ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو، يعود على اسم "مَنْ".

﴿مِنَ اللَّهِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف حال من "شيء" (نعت تقدم على المنعوت).

﴿فِي شَيْءٍ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف خبر "ليس".

﴿إِلَّا﴾: حرف حصر، ﴿أَنْ﴾: حرف مصدريّ ونصب، ﴿تَتَّقُوا﴾: فعل مضارع منصوب، وعلامة النصب حذف النون، لأنّه من الأفعال الخمسة، و "الواو" ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل.

---

[1] أولياء: بطانةَ أودّاءِ وأعوانًا وأنصارًا؛ تتقوا منهم تقاة: تخافوا من جهتهم أمرًا يجب اتِّقاؤه؛ يحذركم الله نفسه: يخوفكم الله عضبه وعقابه.

﴿مِنْهُمْ﴾: من: حرف جرّ، و "هم": ضمير في محلّ جرّ بحرف الجر، والجارّ والمجرور متعلّقان بـ"تتقوا".

﴿تُقَاةً﴾: مفعول مطلق منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

والمصدر المؤول من "أن تتقوا" في محلّ نصب مفعول لأجله.

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ﴾: الواو: حرف عطف، يحذر: فعل مضارع مرفوع بالضمة الظاهرة، و "كم": ضمير مبني في محل نصب مفعول به.

﴿اللهُ﴾: لفظ الجلالة فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره.

﴿نَفْسَهُ﴾: مفعول به منصوب، والهاء: ضمير مبني في محل جر مضاف إليه.

﴿وَإِلَى اللَّهِ﴾: الواو: استئنافية، إلى الله: جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف خبر مقدم.

﴿الْمَصِيرُ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره.

وجملة "لا يتخذ المؤمنون" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافية، وجملة "من يفعل" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها اعتراضية، وجملة "ليس من الله في شيء" في محلّ جزم جواب الشرط، وجملة "تتقوا" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها صلة الموصول الحرفي "أن"، وجملة "يحذركم الله" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها معطوفة على الجملة الاستئنافية، وجملة "إلى الله المصير" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافية.

البلاغة:

{لا يتخذ المؤمنون الكافرين} أسلوب إنشائي نهي، غرضه التحذير، حيث نَهى الله المؤمنين بعد ما بيّن لهم بغي المخالفين وإعراضهم أنْ يتخذوا الكفّار أولياءَ من دون المؤمنين.

لأنّ اتّخاذهم أولياء بعد أنْ سَفَّه الآخرون دينهم وسَفَّهوا أحلامهم في اتِّباعه يعدّ ضعفاً في الدين وتصويباً للمعتدين.

وقوله: {من دون المؤمنين} (من) لتأكيد الظرفية.

فقوله: {في شيء} تصريح بعموم النفي في جميع الأحوال، لرفع احتمال تأويل نفي الاتّصال بأغلب الأحوال، فالمعنى أنّ فاعل ذلك مقطوع عن الانتماء إلى الله، وهذا ينادي على أنّ المنهي عنه هنا ضرب من ضروب الكفر، وهو الحال التي كان عليها المنافقون، وكانوا يظنّون ترويجها على المؤمنين، ففضحهم الله تعالى.

والاستثناء في {إلاّ أن تتّقوا} منقطع ناشىء عن جملة {فليس من الله في شيء} لأنّ الاتّقاء ليس ممّا تضمنه اسم الإشارة، ولكنّه أشبَه الولاية في المعاملة.

وفائدة التأكيد بالمفعول المطلق هنا: الإشارة إلى تحقّق كون الحالة حالة تَقِية، وهذه التقية مثل الحال التي كان عليها المستضعفون من المؤمنين الذين لم يَجدوا سبيلاً للهجرة.

وقوله: {ويحذركم الله نفسه} تحذير من المخالفة والتساهل في دعوى التقية واستمرارها أو طول زمانها.

وانتصاب {نفسَه} على نزع الخافض وأصله ويحذّركم الله من نفسه، وهذا النزع هو أصل انتصاب الاسمين في باب التحذير في قولهم إياك الأسدَ، وأصله أحَذِّرك من الأسد، وهذا إعذار وموعظة وتهديد بالعقاب على مخالفة ما نهاهم الله عنه.

و{المصير}: هو الرجوع، وأريد به البعث بعد الموت، وقد عَلِم مثبتو البعث لا يكون إلاّ إلى الله، فالتقديم في قوله: {وإلى الله} لمجرد الاهتمام، وهذا تعريض بالوعيد أكد به صريح التهديد الذي قبله.

جزء التشابه: يحذركم الله نفسه

1. [سورة آل عمران: 30] ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [1]

معنى الآية:

وفي يوم القيامة يوم الجزاء تجد كل نفس ما عملت من خير ينتظرها موفرًا لتُجزَى به، وما عملت من عمل سيِّئ تجده في انتظارها أيضًا، فتتمنى لو أن بينها وبين هذا العمل زمنًا بعيدًا. فاستعدوا لهذا اليوم، وخافوا بطش الإله الجبار. ومع شدَّة عقابه فإنه سبحانه رءوف بالعباد.

النحو:

﴿يَوْمَ﴾: مفعول به لفعل محذوف تقديره: "اذكر".

﴿تَجِدُ﴾: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره.

﴿كُلُّ﴾: فاعل مرفوع بالضمّة، وهو مضاف.

﴿نَفْسٍ﴾: مضاف إليه مجرور و علامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿مَا﴾: اسم موصول مبنيّ في محلّ نصب مفعول به.

﴿عَمِلَتْ﴾: فعل ماض، والتاء: تاء التأنيث والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هي.

﴿مِنْ خَيْرٍ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف حال من مفعول "عملت" المقدر.

[1] مُحْضَرًا: مشاهدًا لها في صحف الأعمال.

﴿مُحْضَرًا﴾: حال منصوبة بالفتحة الظاهرة.

﴿وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ﴾: الواو: حرف عطف، "ما عملت من سوء"، مثل "ما عملت من خير" في الإعراب.

﴿تَوَدُّ﴾: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هي.

﴿لَوْ﴾: حرف شرط غير جازم، ﴿أَنَّ﴾: حرف للتوكيد مشبّه بالفعل.

﴿بَيْنَهَا﴾: ظرف مكان منصوب متعلّق بمحذوف خبر مقدم، و "ها": ضمير مبنيّ في محلّ جرّ مضاف إليه.

﴿وَبَيْنَهُ﴾: الواو: حرف عطف، بين: مثل "بين" الأولى، والهاء: ضمير متّصل مبنيّ في محلّ جرّ مضاف إليه.

﴿أَمَدًا﴾: اسم "أن" مؤخر منصوب بالفتحة، ﴿بَعِيدًا﴾: نعت لـ "أمدًا" منصوب بالفتحة.

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ﴾: الواو حرف استئناف، يحذّر: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره، و "الكاف" ضمير متصلّ مبنيّ في محلّ نصب مفعول به أول، و "الميم": علامة جمع الذكور.

﴿اللهُ﴾: لفظ الجلالة فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره.

﴿نَفْسَهُ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، و "الهاء": ضمير متّصل مبنيّ في محلّ جرّ مضاف إليه.

﴿وَاللَّهُ﴾: الواو: حرف استئناف، الله: لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره.

﴿رَءُوفٌ﴾: خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿بِالْعِبَادِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ "رؤوف".

وجملة "تجد كل نفس" في محلّ جرّ مضاف إليه، وجملة "عملت" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها صلة الموصول "ما"، وجملة "عملت" الثانية لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها معطوفة على الجملة الأولى الصلة، وجملة "تود" في محلّ نصب حال، والعامل "تجد"، وجملة "ثبت حصول" المقدرة في محلّ نصب مفعول به للفعل "تود"، وجملة "يحذركم الله نفسه" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافية، وجملة "الله رؤوف بالعباد" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافية.

البلاغة:

الآية الكرية جملة مستأنفة، أصل نظم الكلام فيها: تَوَدّ كل نفس لَوْ أنّ بينهَا وَبيْن ما عملت من سوء أمداً بعيداً يومَ تَجِدُ مَا عملت من خير مُحْضراً. فقُدم ظرفها على عامله على طريقة عربية مشهورة الاستعمال في أسماء الزمان، إذا كانت هي المقصود من الكلام، قضاء لحق الإيجاز بنسج بديع.

وقوله: {ويحذركم الله نفسه} يجوز أن كون تكريراً للتحذير الأول لِزيادة التأكيد، ويجوز أن يكون الأول تحذيراً من موالاة الكافرين، والثاني تحذيراً من أن يجدوا يوم القيامة ما عملوا من سوء محضراً.

وفي قوله تعالى: {والله رؤوف بالعباد} للتذكير بأنّ هذا التحذير لمصلحة المحذّرين، والتعريف في العباد للاستغراق: لأنّ رأفة الله شاملة لكلّ الناس مسلمهم وكافرهم.

المسألة رقم 6:

[سورة آل عمران: 40] ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [1]

معنى الآية:

قال زكريا فرحًا متعجبًا: ربِّ أنَّى يكون لي غلام مع أن الشيخوخة قد بلغت مني مبلغها، وامرأتي عقيم لا تلد؟ قال: كذلك يفعل الله ما يشاء من الأفعال العجيبة المخالفة للعادة.

النحو:

﴿قَالَ﴾: فعل ماضٍ، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿رَبِّ﴾: منادى مضاف منصوب، وعلامة النصب الفتحة المقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة.

والياء المحذوفة ضمير مبني في محل جر مضاف إليه.

﴿أَنَّى﴾: اسم استفهام مبنيّ في محلّ نصب حال، أو ظرف بمعنى: من أين متعلّق بـ"يكون" التام.

﴿يَكُونُ﴾: فعل مضارع تام مرفوع بالضمّة.

﴿لِي﴾: اللام: حرف جرّ والياء: ضمير في محلّ جرّ، والجارّ والمجرور متعلّقان بـ"يكون".

﴿غُلَامٌ﴾: فاعل "يكون" مرفوع بالضمّة، ﴿وَقَدْ﴾: الواو: حالية، قد: حرف تحقيق.

﴿بَلَغَنِيَ﴾: بلغ: فعل ماضٍ، والنون للوقاية، والياء: ضمير مبني في محل نصب مفعول به.

﴿الْكِبَرُ﴾: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره.

﴿وَامْرَأَتِي﴾: الواو: حرف عطف، امرأة: مبتدأ مرفوع، وعلامة الرفع الضمة المقدرة على ما قبل ياء المتكلّم، والياء: ضمير متصل في محل جر مضاف إليه.

[1] أنّى يكون؟: كيف أو منْ أين يكون؟

﴿عَاقِرٌ﴾: خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿قَالَ﴾: فعل ماضٍ، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿كَذَلِكَ﴾: كذا: جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف مفعول مطلق عامله "فعل"، و"اللام": حرف للبعد. حرف و"الكاف" للخطاب.

﴿اللَّهُ﴾: لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿يَفْعَلُ﴾: فعل مضارع مرفوع، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿مَا﴾: اسم موصول مبنيّ في محلّ نصب مفعول به.

﴿يَشَاءُ﴾: فعل مضارع مرفوع، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو، أي الله.

وجملة "قال" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافيّة، وجملة النداء في محلّ نصب "مقول القول"، وجملة "أنى يكون لي غلام" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها جواب النداء، وجملة "بلغني الكبر" في محلّ نصب حال. وجملة "امرأتي عاقر" في محلّ نصب معطوفة على جملة الحال، وجملة "قال" الثانية لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافيّة، وجملة "الله يفعل" في محلّ نصب "مقول القول"، وجملة "يفعل" في محلّ رفع خبر المبتدأ "الله"، وجملة "يشاء" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها صلة الموصول "ما".

البلاغة:

وقوله: {أنى يكون لي غلام} استفهام مراد منه التعجّب، قَصَد منه تعرُّف إمكان الولد، لأنّه لما سأل الولد فقد تهيّأ لحصول ذلك، فلا يكون قوله أنّى يكون لي غلام إلاّ تطلباً لمعرفة كيفية ذلك على وجه يحقّق له البشارة، وليس من الشك في صدق الوعد، و(أنّى) فيه بمعنى كيف أو بمعنى المكان، لتعذّر عمل المكانين اللذين هما سبب التناسل وهما الكِبَر والعَقْرَة، وهذا التعجّب يستلزم الشكر على هذه المنّة فهو كناية عن الشكر، وفيه تعريض بأن يكون الولد من زوجه العاقر دون أن يؤمر بتزوّج امرأة أخرى وهذه كرامة لامرأة زكرياء.

وقوله: {وقد بلغني الكبر} جاء على طريق القلب، وأصله وقد بلغتُ الكبرَ، وفائدته إظهار تمكّن الكبر منه كأنّه يتطلبه حتى بلغه.

قوله: {كذلك الله يفعل ما يشاء} أي كهذا الفعل العجيب، وهو تقدير الحمل من شيخ هرِم لم يسبق له ولد وامرأةٍ عاقر كذلك، ولعلّ هذا التكوين حصل بكون زكرياء كان قبل هرمه ذا قوة زائدة لا تستقرّ بسببها النطفة في الرحم، فلما هرم اعتدلت تلك القوة فصارت كالمتعارف، أو كان ذلك من أحوال في رحم امرأته، ولذلك

عبر عن هذا التكوين بجملة {يفعل ما يشاء} أي هو تكوين قدّره الله وأوجد أسبابه ومن أجل ذلك لم يقل هنا يخلق ما يشاء كما قاله في جانب تكوين عيسى.

أ. جزء التشابه: أنى يكون لي غلام، بلغني الكبر، وامرأتي عاقر

1. [سورة آل عمران: 47] ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [1]

معنى الآية:

قالت مريم متعجبة من هذا الأمر: أنَّى يكون لي ولد وأنا لست بذات زوج ولا بَغِيٍّ؟ قال لها المَلَك: هذا الذي يحدث لكِ ليس بمستبعد على الإله القادر، الذي يوجِد ما يشاء من العدم، فإذا أراد إيجاد شيء فإنما يقول له: "كُن" فيكون.

النحو:

﴿قَالَتْ﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح، والتاء: تاء التأنيث الساكنة، والفاعل ضمير مستتر جوازًا تقديره: هي.

﴿رَبِّ﴾: منادى بحرف نداء محذوفة "يا" منصوب بالفتحة المقدّرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة، والياء المحذوفة ضمير متّصل مبنيّ في محلّ جرّ مضاف إليه وجملة "رب" في محلّ نصب مفعول به "مقول القول".

﴿أَنَّى﴾: اسم استفهام مبنيّ على السكون في محلّ نصب على الظرفيّة المكانيّة متعلّق بخبر "يكون".

﴿يَكُونُ﴾: فعل مضارع ناقص مرفوع بالضمّة، ﴿لِي﴾: جار ومجرور متعلّقان بخبر "يكون" في محلّ نصب.

﴿وَلَدٌ﴾: اسم "يكون" مرفوع بالضمّة.

﴿وَلَمْ﴾: الواو: حالية، لم: حرف نفي وجزم وقلب.

﴿يَمْسَسْنِي﴾: فعل مضارع مجزوم، وعلامة جزمه السكون، والنون: نون الوقاية، والياء: ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ نصب مفعول به مقدم.

﴿بَشَرٌ﴾: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة، وجملة "لم يمسسني" في محلّ نصب حال.

﴿قَالَ﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

[1] قضى أمرًا: أراد شيئًا أو أحكمهُ وحتَّمه.

﴿كَذَلِكِ﴾: الكاف: اسم بمعنى "مثل" مبنيّ على الفتح في محلّ رفع مبتدأ، و "ذا": اسم إشارة مبنيّ على السكون في محلّ جرّ بالإضافة، اللام: حرف للبعد، و"الكاف": حرف للخطاب.

﴿اللَّهُ﴾: لفظ الجلالة خبر المبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره، وجملة "كذلك الله" في محلّ نصب "مقول القول".

﴿يَخْلُقُ﴾: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو، والجملة الفعلية من الفعل والفاعل في محلّ نصب حال.

﴿مَا﴾: اسم موصول مبنيّ على السكون في محلّ نصب مفعول به.

﴿يَشَاءُ﴾: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو، وجملة "يشاء" صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب.

﴿إِذَا﴾: ظرف زمان متضمن معنى الشرط مبنيّ على السكون في محلّ نصب مفعول فيه متعلّق بـ"يقول".

﴿قَضَى﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الفتحة المقدّرة على الألف للتعذّر، والفاعل ضمير مستتر جوازًا تقديره: هو.

﴿أَمْرًا﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

وجملة "قضي أمرًا" في محلّ جرّ بالإضافة.

﴿فَإِنَّمَا﴾: الفاء واقعة في جواب الشرط، إنما: إنّ: حرف توكيد بطل عمله، "ما": حرف كافّ.

﴿يَقُولُ﴾: تعرب إعراب "يشاء"، وجملة "يقول" جواب شرط غير جازم لا محلّ لها من الإعراب.

﴿لَهُ﴾: جار ومجرور متعلّقان بـ"يقول".

﴿كُنْ﴾: فعل أمر مبنيّ على السكون، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره: أنت.

﴿فَيَكُونُ﴾: الفاء: حرف عطف، يكون: فعل مضارع تام معطوف على "يقول" وجملة "يكون" تعرف إعراب "يشاء"، وجملة "كن فيكون" في محلّ نصب مفعول به "مقول القول".

البلاغة:

قوله: {قالت رب} جملة معترضة، من كلامها، بين كلام الملائكة، والنداء للتحسر وليس للخطاب: لأنّ الذي كلمها هو الملك، وهي قد توجهت إلى الله.

والاستفهام في قولها {أنى يكون لي ولد} للإنكار والتعجّب، ولذلك أجيب جوابين أحدهما كذلك الله يخلق ما يشاء فهو لرفع إنكارها، والثاني إذا قضى أمراً إلخ لرفع تعجّبها.

وجملة {قال كذلك الله يخلق ...} جواب استفهامها ولم تعطف، لأنّها جاءت على طريقة المحاورات، والقائل لها هو الله تعالى بطريق الوحي.

واسم الإشارة في قوله: {كذلك} راجع إلى معنى المذكور في قوله: {إن الله يبشرك بكلمة منه ...} إلى قوله تعالى: {... وكهلًا} [سورة آل عمران: 45-46]، أي مثل ذلك الخلق المذكور يخلق الله ما يشاء، وتقديم اسم الجلالة على الفعل في قوله: {الله يخلق} لإفادة تقوى الحكم وتحقيق الخبر.

وعبر عن تكوين الله لعيسى بفعل يَخْلق: لأنّه إيجاد كائن من غير الأسباب المعتادة لإيجاد مثله، فهو خلْق أُنُفٌ غيرُ ناشىء عن أسباب إيجاد الناس، فكان لفعل يخلُق هنا موقعٌ متعين، فإنّ الصانع إذا صنع شيئاً من موادّ معتادة وصنعة معتادة، لا يقول خلَقْت وإنما يقول صَنَعت.

2. [سورة مريم: 5] ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ [1]

معنى الآية:

وإني خفت أقاربي وعصبتي مِن بعد موتي أن لا يقوموا بدينك حق القيام، ولا يدعوا عبادك إليك، وكانت زوجتي عاقرًا لا تلد، فارزقني مِن عندك ولدًا وارثًا ومعينًا.

النحو:

وَإِنِّي: الواو: حرف عطف.

إني: حرف توكيد مشبّه بالفعل، و "الياء": ضمير متّصل مبنيّ في محلّ نصب اسم "إنّ".

﴿خِفْتُ﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على السكون، و "التاء": ضمير متّصل مبنيّ على الضم في محلّ رفع فاعل.

﴿الْمَوَالِيَ﴾: مفعول به منصوب بالفتحة المقدرة على الألف.

﴿مِن وَرَاءِي﴾: جار ومجرور متعلّقان بحال من "الموالي"، و "الياء": مضاف إليه.

﴿وَكَانَتِ﴾: الواو: حالية، كان: فعل ماض ناقص مبنيّ على الفتح، و "التاء": حرف للتأنيث.

﴿امْرَأَتِي﴾: اسم "كان" مرفوع بالضمة المقدّرة على ما قبل الياء، و "الياء": ضمير مبنيّ في محلّ مضاف إليه.

﴿عَاقِرًا﴾: خبر "كان": منصوب بالفتحة.

﴿فَهَبْ﴾: الفاء: حرف رابط لجواب شرط مقدر، هب: فعل أمر مبني على السكون، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره: أنت، ﴿لي﴾: جارّ ومجرور متعلقان بـ "هب".

[1] خفت الموالي: أقاربي العَصبَة وكانوا شرار اليهود؛ وليًّا: ابناً يلي الأمر بعدي.

﴿مِنْ لَدُنْكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ "هب"، و "الكاف": ضمير متصل مبنيّ في محلّ مضاف إليه.

﴿وَلِيًّا﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

وجملة "إني خفت" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها معطوفة على جملة جواب النداء، وجملة "خفت الموالي" في محلّ رفع خبر "إنّ"، وجملة "كانت امرأتي عاقرًا" في محلّ نصب حال، وجملة "هب لي" في محلّ جزم جواب شرط مقدر، أي: إن كان هذا حالي "فهب لي".

البلاغة:

{وإني خفت الموالي من ورائي} عطف على جملة {واشتعل الرأس شيبًا} أي قاربت الوفاة وخفت الموالي من بعدي، والالتفات من الغَيبة إلى الخطاب في أول الآية، يتحدث زكريا عليه السلام بصيغة الغيبة: "وإني خفت..."، ثم ينتقل فجأة إلى مناجاة مباشرة بقوله: "فهب لي من لدنك وليا"، والغاية منه شد الانتباه، نقل الانفعال العاطفي، إظهار الخشوع والرجاء عندما توجّه مباشرة بالدعاء إلى الله.

وفي قوله: {من ورائي} فيه تصوير بلاغي بديع، كأن زكريا عليه السلام ينظر إلى المستقبل بعد رحيله، تُوحي بأنه يتأمل ما سيكون بعد غيابه عن الدنيا، وهذا يعظّم من شدة خوفه على الرسالة والدين، وليس على مجرد الميراث الدنيوي.

الإيجاز في قوله: {وكانت امرأتي عاقرا}، فهي جملة قصيرة، لكنها تحمل عذرًا قويًا ظاهرًا لطلب الولد، و{عاقرًا} جاءت بصيغة اسم فاعل للدلالة على الثبات والاستمرار في حال العقم، وهذا التعبير البلاغي يُعظّم من معجزة استجابة الدعاء لاحقًا، لأن المرأة عاقر وزكريا شيخ كبير، ورغم ذلك يرجو الولد.

وفي قوله تعالى: {فهب لي من لدنك} ولم يقل: أعطني، والمقصود: أعطني عطاءً خالصًا بلا مقابل، وهذا تعبير عن شدة الفقر إلى فضل الله. ثم قال: "من لدنك"، أي عطاء خاصّ من عندك، ليس من الأسباب المعتادة، وهذا يدل على اعتراف ضمني بعجز الأسباب الطبيعية (الشيخوخة والعقم)، وطلب لطف الله وقدرته فوق الأسباب.

3. [سورة مريم: 8] ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [1]

معنى الآية:

[1] أنّى يكون؟: كيف أو من أين يكون؟؛ عِتِيًّا: حالةً لا سبيل إلى مُداواتها.

قال زكريا متعجبًا: ربِّ كيف يكون لي غلام، وكانت امرأتي عاقرًا لا تلد، وأنا قد بلغت النهاية في الكبر ورقة العظم؟

النحو:

﴿قَالَ رَبِّ﴾: تقدم إعرابها.

﴿أَنَّى﴾: اسم استفهام مبنيّ على السكون في محلّ نصب على الظرفية المكانية متعلّق بحال من غلام، أو من الياء في "لي".

﴿يَكُونُ﴾: فعل مضارع ناقص مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿لِي﴾: جار ومجرور متعلّقان بمحذوف خبر "كان".

﴿غُلَامٌ﴾: اسم "يكون" مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾: وَكَانَتِ: الواو: حالية، كان: فعل ماض ناقص مبنيّ على الفتح، و"التاء": حرف للتأنيث.

﴿امْرَأَتِي﴾: اسم "كان" مرفوع بالضمة المقدّرة على ما قبل الياء، و "الياء": ضمير متّصل مبنيّ في محلّ مضاف إليه، ﴿عَاقِرًا﴾: خبر "كان": منصوب بالفتحة.

﴿وَقَدْ﴾: الواو: حالية، قد: حرف تحقيق.

﴿بَلَغْتُ﴾: فعل ماض مبني على السكون، و"التاء": ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل.

﴿مِنَ الْكِبَرِ﴾: جار ومجرور متعلّقان بـ "بلغت".

﴿عِتِيًّا﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

وجملة "قال" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافيّة، وجملة النداء "رب" في محل نصب "مقول القول"، وجملة "يكون لي غلام" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها جواب النداء، وجملة "كانت امرأتي عاقرًا" في محلّ نصب حال من الياء في "لي"، وجملة "بلغت" في محلّ نصب حال، أو معطوفة على جملة الحال.

البلاغة:

جملة {قَالَ رَبِّ} جواب للبشارة، و{أنى} استفهام مستعمل في التعجب، والتعجب مكنى به عن الشكر، فهو اعتراف بأنها عطية عزيزة غير مألوفة.

لأنّه لا يجوز أن يسأل الله أن يهب له ولداً ثمّ يتعجب من استجابة الله له، ويجوز أن يكون قد ظن الله يهب له ولداً من امرأة أخرى بأن يأذنه بتزوج امرأة غير عاقر.

وجملة {امرأتي عاقرًا} حال من ياء التكلّم. وكرّر ذلك مع قوله في دعائه {وكَانَتِ امرأتي عاقِرًا}، وهو يقتضي أنّ زكرياء كان يظن أن عدم الولادة بسبب عقر امرأته، وكان الناس يحسبون ذلك، إذا لم يكن بالرجل عُنّةٌ ولا خصاء ولا اعتراض، لأنهم يحسبون الإنعَاظ والإنزال هما سبب الحمل إن لم تكن بالمرأة عاهة العُقر.

و{من} في قوله {من الكبر عُتِيّاً} للابتداء، وهو مجاز في معنى التعليل، والكِبر: كثرة سني العمر ، لأنه يقارنه ظهور قلّة النشاط واختلال نظام الجسم.

و {عُتِيًّا} مفعول {بَلَغْتُ}، والبلوغ: مجاز في حلول الإبان، وجعل نفسه هنا بالغاً الكبر، وفي آية آل عمران (40) قال: {وقد بلغني الكبر}، لأن البلوغ لما كان مجازاً في حصول الوصف صح أن يسند إلى الوصف وإلى الموصوف، وفي هذه الجملة استعارة مكنية، حيث شبه عظامه بالأعواد اليابسة على طريقة المكنية، وإثباتُ وصف العُتي لها استعارة تخيلية.

4. [سورة مريم: 20] ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [1]

معنى الآية:

قالت مريم للمَلَك: كيف يكون لي غلام، ولم يمسسني بشر بنكاحٍ حلال، ولم أكُ زانية؟

النحو:

﴿قَالَتْ﴾: "قال": فعل ماضٍ مبنيّ على الفتحة، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ "أَنَّى": اسم استفهام مبنيّ على السكون في محلّ نصب على الظرفية المكانية متعلّق بحال من غلام، أو من الياء في "لي".

﴿يَكُونُ﴾: فعل مضارع ناقص مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿لِي﴾: جار ومجرور متعلّقان بمحذوف خبر "كان".

﴿غُلَامٌ﴾: اسم "يكون" مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿وَلَمْ﴾: الواو: حالية، لم: حرف جزم ونفي وقلب، ﴿يَمْسَسْنِي﴾: فعل مضارع مجزوم بالسكون، و "النون": للوقاية، و "الياء": ضمير متّصل مبنيّ في محلّ نصب مفعول به.

﴿بَشَرٌ﴾: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿وَلَمْ﴾: الواو: حرف عطف، لم: حرف نفي وجزم وقلب.

[1] بغيًّا: فاجرة تبغي الرّجال.

﴿أَكُ﴾: فعل مضارع مجزوم وعلامة الجزم السكون المقدر على النون المحذوفة للتخفيف، واسمه: ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره: أنا.

﴿بَغِيًّا﴾: خبر "أك" منصوب بالفتحة.

وجملة "قالت" لا محل لها من الإعراب، لأنّها استئنافية، وجملة "يكون لي غلام" في محلّ نصب "مقول القول"، وجملة "لم يمسسني بشر" في محلّ نصب حال، وجملة "لم أك بغيًا" في محلّ نصب؛ لأنّها معطوفة على جملة "يمسسني".

البلاغة:

هذه الآية الكريمة تبرئة لنفسها من البغاء بما يقتضيه فعل الكون من تمكن الوصف الذي هو خبر الكون، والمقصود منه تأكيد النفي، وقولها {ولم يَمْسَسني بَشَر} أي لم يَبْنِ بي زوج، لأنها كانت مخطوبة ومراكنة ليوسف النجار، ولكنه لم يبن بها فإذا حملت بولد اتهمها خطيبها وأهلها بالزنى.

وأما قولها {ولَمْ أكُ بَغِيًّا} فهو نفي لأن تكون بغياً من قبل تلك الساعة، فلا ترضى بأن ترمى بالبغاء بعد ذلك. فالكلام كناية عن التنزه عن الوصم بالبغاء بقاعدة الاستصحاب، والمعنى: ما كنت بغيًّا فيما مضى أفأعدّ بغيًّا فيما يستقبل.

المسألة رقم 7:

﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [سورة آل عمران: 51]

معنى الآية:

إن الله الذي أدعوكم إليه هو وحده ربي وربكم فاعبدوه، فأنا وأنتم سواء في العبودية والخضوع له، وهذا هو الطريق الذي لا اعوجاج فيه.

النحو:

﴿إِنَّ﴾: حرف للتوكيد مشبّه بالفعل، ﴿اللَّهَ﴾: لفظ الجلالة اسم "إنّ" منصوب بالفتحة.

﴿رَبِّي﴾: رب: خبر "إنّ" مرفوع، وعلامة الرفع الضمة المقدرة على الباء لاشتغال المحلّ بالحركة المناسبة للياء، والياء: ضمير متصل في محل جر مضاف إليه.

﴿وَرَبُّكُمْ﴾: الواو: حرف عطف، "رب": اسم معطوف مرفوع بالضمّة.

"كم": ضمير متّصل مبنيّ في محلّ جرّ بالإضافة.

﴿فَاعْبُدُوهُ﴾: الفاء: حرف رابط لجواب شرط مقدر، اعبدوا: فعل أمر مبنيّ على حذف النون، لأنّه مشتّق من الأفعال الخمسة، و"الواو" فاعل، والهاء: ضمير متصل في محل نصب مفعول به.

﴿هَذَا﴾: ها: حرف تنبيه، ذا: اسم إشارة مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ.

﴿صِرَاطٌ﴾: خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿مُسْتَقِيمٌ﴾: نعت لصراط مرفوع بالضمّة.

وجملة "إن الله ربي" لا محلّ لها من الإعراب، لأنها استئنافيّة، وجملة "اعبدوه" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها جواب شرط مقدّر، أي: إذا أردتم الفوز والنجاح، فاعبدوه، وجملة "هذا صراط مستقيم" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافيّة.

البلاغة:

وقوله: {إن الله ربي وربكم فاعبدوه} إنّ مكسورة الهمزة لا محالة، وهي واقعة موقع التعليل للأمر بالتقوى والطاعة كشأنها إذا وقعت لِمجرّد الاهتمام.

ولذلك قال: {ربي وربكم} فهو لكونه ربّهم حقيق بالتقوى، ولكونه ربّ عيسى وأرسله تقتضي تقواه طاعةَ رسوله، وقوله: {فاعبدوه} تفريع على الرُّبوبية، فقد جعل قولَه إنّ الله ربي تعليلاً ثم أصلا للتفريع.

وقوله تعالى: {هذا صراط مستقيم} الإشارة إلى ما قاله كلّه أي أنّه الحق الواضح، فشبهه بصراط مستقيم لا يضلّ سالكه ولا يتحير.

جزء التشابه: إن الله ربي وربكم

1. [سورة مريم: 36] ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾

معنى الآية:

وقال عيسى لقومه: وإن الله الذي أدعوكم إليه هو وحده ربي وربكم فاعبدوه وحده لا شريك له، فأنا وأنتم سواء في العبودية والخضوع له، هذا هو الطريق الذي لا اعوجاج فيه.

النحو:

﴿وَإِنَّ﴾: الواو: حرف استئناف، إنّ: حرف توكيد مشبّه بالفعل.

﴿الله﴾: لفظ الجلالة اسم "إنّ" منصوب بالفتحة.

﴿رَبِّي﴾: خبر "إن" مرفوع، وعلامة الرفع الضمة المقدرة على ما قبل الياء، و "الياء": ضمير متّصل مبنيّ في محلّ مضاف إليه.

﴿وَرَبُّكُمْ﴾: الواو: حرف عطف، ربكم: اسم معطوف على "ربي" مرفوع وعلامة رفعه الضمة، و "كم": ضمير متّصل مبنيّ في محلّ مضاف إليه، و "الميم" للجماعة.

﴿فَاعْبُدُوهُ﴾: الفاء: حرف رابط لجواب شرط مقدر، اعبدوه: فعل أمر مبنيّ على حذف النون، و "الواو" ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، و "الهاء": ضمير متّصل مبنيّ في محلّ نصب مفعول به.

﴿هَذَا﴾: اسم إشارة مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ.

﴿صِرَاطٌ﴾: خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿مُسْتَقِيمٌ﴾: نعت للخبر "صراط" مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

وجملة "إن الله ربي" في محلّ نصب "مقول القول" لفعل مقدر، أي: "قل ..." وجملة القول المقدر لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافيّة، وجملة "اعبدوه" في محلّ جزم جواب شرط مقدر، أي: "إن كنتم مقرين بربوبيته فاعبدوه"، وجملة "هذا صراط" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها تعليلية.

البلاغة:

يجوز أن يكون هذا بقيةً لكلام جرى على لسان عيسى تأييداً لبراءة أمّه وما بينهما اعتراض كما تقدم آنفًا، والمعنى: تعميم ربوبية الله تعالى لكل الخلق، لما اشتمل مدخول لام التعليل على اسم الجلالة أضمر له فيما بعد، وتقدير النظم هكذا: فاعبدوا الله لأنه ربّي وربكم.

وجملة {هَذا صِراطٌ مسْتَقِيم} تذييل وفذلكة لما سبقه على اختلاف الوجوه، والإشارة إلى مضمون ما تقدّم على اختلاف الوجوه، والمراد بالصراط المستقيم اعتقاد الحق، شُبه بالصراط المستقيم على التشبيه البليغ، شُبه الاعتقاد الحق في كونه موصولاً إلى الهدى بالصراط المستقيم في إيصاله إلى المكان المقصود باطمئنان بال، وعُلم أن غير هذا كبنَيّات الطريق مَن سلكها ألقت به في المخاوف والمتالف.

2. [سورة الزخرف: 64] ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾

معنى الآية:

إن الله سبحانه وتعالى هو ربي وربكم جميعًا فاعبدوه وحده، ولا تشركوا به شيئًا، هذا الذي أمرتكم به من تقوى الله وإفراده بالألوهية هو الطريق المستقيم، وهو دين الله الحق الذي لا يقبل من أحد سواه.

النحو:

مثل الآية السابقة، (إِنَّ اللَّهَ) إن ولفظ الجلالة اسمها، (هُوَ) مبتدأ، (رَبِّي) خبره والجملة خبر إن وجملة إن الله مستأنفة لا محل لها، (وَرَبُّكُمْ) معطوف على ربي، (فَاعْبُدُوهُ) الفاء الفصيحة وأمر وفاعله ومفعوله والجملة جواب شرط غير جازم لا محل لها، (هذا صِراطٌ) مبتدأ وخبره، (مُسْتَقِيمٌ) صفة والجملة الاسمية تعليلية لا محل لها.

البلاغة:

وجملة {إن الله هو ربّي وربّكم} تعليل لجملة {فاتقوا الله وأطيعون}، لأنه إذا ثبت تفرده بالربوبية توجه الأمر بعبادته إذ لا يَخاف الله إلا مَن اعترف بربوبيته وانفرادِه بها.

وضمير الفصل أفاد القصر، أي الله ربّي لا غيره، وهذا إعلان بالوحدانية، وإن كان القوم الذين أرسل إليهم عيسى موحِّدين، لكن قد ظهرت بدعةٌ في بعض فرقهم الذين قالوا: عزيرُ ابنُ الله، وتأكيد الجملة بِـ{إنَّ} لمزيد الاهتمام بالخبر فإن المخاطبين غير منكرين ذلك.

وتقديم نفسه على قومه في قوله: {ربّي وربّكم} لقصد سدّ ذرائع الغلوّ في تقديس عيسى، وذلك من معجزاته، لأن الله علم أنه ستغلو فيه فِرق من أتباعه، فيزعمون بنوَّتَه من الله على الحقيقة، ويضلّون بكلمات الإنجيل التي يَقول فيها عيسى: أبي، مريداً به الله تعالى.

وفرع على إثبات التوحيد لله الأمر بعبادته بقوله: {فاعبدوه} فإن المنفرد بالإلهية حقيق بأن يعبد.

والإشارة بـ{هذا صراط مستقيم} إلى مضمون قوله: {فاتقوا الله وأطيعون}، أي هذا طريق الوصول إلى الفوز عن بصيرة ودون تردد، كما أن الصراط المستقيم لا ينبهم السير فيه على السائر.

المسألة رقم 8:

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [1] [سورة آل عمران: 52]

معنى الآية:

فلما استشعر عيسى منهم التصميم على الكفر نادى في أصحابه الخُلَّص: مَن يكون معي في نصرة دين الله؟

[1] أحسَّ: عَلِمَ بِلا شُبهةٍ؛ الحواريّون: أصدقاء عيسى و خواصُّه و أنصاره.

قال أصفياء عيسى: نحن أنصار دين الله والداعون إليه، صدَّقنا بالله واتبعناك، واشهد أنت يا عيسى بأنا مستسلمون لله بالتوحيد والطاعة.

النحو:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: استئنافيّة، لما: ظرف بمعنى "حين" متضمن معنى الشرط، متعلّق بـ"قال" في محلّ نصب مفعول فيه.

﴿أَحَسَّ﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح.

﴿عِيسَى﴾: فاعل مرفوع، وعلامة الرفع الضمة المقدرة على الألف للتعذّر.

﴿مِنْهُمُ﴾: من: حرف جرّ، "هم" ضمير متّصل مبنيّ في محلّ جرّ بحرف الجرّ، والجارّ والمجرور متعلّقان بمحذوف حال من "الكفر".

﴿الْكُفْرَ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

﴿قَالَ﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿مَنْ﴾: اسم استفهام مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ.

﴿أَنْصَارِي﴾: أنصار: خبر مرفوع، وعلامة الرفع الضمة المقدرة على ما قبل الياء، منع من ظهورها اشتغال المحلّ بالحركة المناسبة للياء، والياء: ضمير متصل في محل جر مضاف إليه.

﴿إِلَى اللَّهِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف حال من ضمير المتكلم في "أنصاري"، أي: ملتجئًا إلى الله.

﴿قَالَ﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح.

﴿الْحَوَارِيُّونَ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة الرفع الواو، لأنّه جمع مذكّر سالم.

﴿نَحْنُ﴾: ضمير منفصل مبنيّ على الضمّ في محلّ رفع مبتدأ.

﴿أَنْصَارُ﴾: خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره، وهو مضاف.

﴿اللَّهِ﴾: لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿آمَنَّا﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على السكون، و"نا": ضمير فاعل.

﴿بِاللَّهِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"آمنا".

﴿وَاشْهَدْ﴾: الواو: حرف عطف، أشهد: فعل أمر مبنيّ على السكون، وفاعله ضمير مستتر جوازًا تقديره: هو.

﴿بِأَنَّا﴾: أنّ: حرف توكيد مشبّه بالفعل و"نا": ضمير في محلّ نصب اسم "أن".

﴿مُسْلِمُونَ﴾: خبر "أنّ" مرفوع، وعلامة الرفع الواو، لأنّه جمع مذكّر سالم.

والمصدر المؤول من "أنا مسلمون" في محلّ جرّ بالباء، والجارّ والمجرور متعلّقان بـ"أشهد"، وجملة "أحس عيسى" في محلّ جرّ مضاف إليه، وجملة "قال" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها جواب شرط غير جازم، وجملة "من أنصاري إلى الله في محلّ نصب "مقول القول"، وجملة "قال الحواريون" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافيّة، وجملة "نحن أنصار الله" في محلّ نصب "مقول القول"، وجملة "آمنا بالله" في محلّ نصب حال من "أنصار"، وجملة "أشهد" في محلّ نصب معطوفة على جملة "نحن أنصار".

البلاغة:

وقوله: {قال من أنصاري إلى الله} لعله قاله في ملإ بني إسرائيل إبْلاغاً للدعوة، وقطعاً للمعذرة، والنصر يشمل إعلان الدين والدعوة إليه.

ووصل وصْفَ {أنصاري} بـ{إلى} إما على تضمين صفة أنصار معنى الضم أي مَن ضامُّون نصرهم إياي إلى نصر الله إياي، الذي وعدني به؛ إذ لا بدّ لحصول النصر من تحصيل سببه كما هي سنّة الله.

وفي قوله تعالى: {نحن أنصار الله} ما يفيد حصراً لأنّ الإضافة اللفظية لا تفيد تعريفًا، فلم يحصل تعريف الجزأين، ولكنّ الحواريين بادروا إلى هذا الانتداب.

جزء التشابه: واشهد بأنا مسلمون

1. [سورة المائدة: 111] ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾[1]

معنى الآية:

واذكر نعمتي عليك، إذ ألهمتُ، وألقيتُ في قلوب جماعة من خلصائك أن يصدقوا بوحدانية الله تعالى ونبوتك، فقالوا: صدَّقنا يا ربنا، واشهد بأننا خاضعون لك منقادون لأمرك.

النحو:

﴿وَإِذْ﴾: الواو: حرف عطف، إذ: اسم مبنيّ في محلّ نصب مفعول به لفعل مضمر تقديره: اذكرْ.

﴿أَوْحَيْتُ﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على السكون، والتاء: ضمير فاعل.

﴿إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ "أوحيت"، وعلامة الجرّ الياء.

﴿أَنْ﴾: حرف تفسير، ﴿آمِنُوا﴾: فعل أمر مبنيّ على حذف النون، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل.

[1] الحواريين: أنصار عيسى عليه السلام وخواصّه.

﴿بِي﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ "آمنوا"، ﴿وَبِرَسُولِي﴾: الواو: حرف عطف، برسول: جارّ ومجرور متعلّقان بـ "آمنوا"، والياء ضمير مبني في محل جر مضاف إليه.

﴿قَالُوا﴾: قال: فعل ماض مبني على الفتح المقدر، وواو الجماعة في محل رفع الفاعل، الألف فارقة

﴿آمَنَّا﴾: فعل ماض مبنيّ على السكون، و"نا": ضمير فاعل.

﴿وَاشْهَدْ﴾: الواو: حرف عطف، اشهد: فعل أمر مبنيّ على السّكون، وفاعله ضمير مستتر وجوبًا تقديره: أنت.

﴿بِأَنَّنَا﴾: الباء: حرف جرّ، وأن: حرف توكيد مشبّه بالفعل، و"نا": ضمير مبنيّ في محلّ نصب اسم "أن".

﴿مُسْلِمُونَ﴾: خبر "أنّ" مرفوع، وعلامة الرفع الواو.

والمصدر المؤول من "أننا مسلمون" في محلّ جرّ بالباء متعلّقان بـ "اشهد"، وجملة "أوحيت" في محلّ جرّ مضاف إليه، وجملة "آمنوا بي"، لا محلّ لها من الإعراب، لأنها تفسيرية، وجملة "قالوا" لا محلّ لها من الإعراب، لأنها استئنافيّة، وجملة "آمنا" في محلّ نصب "مقول القول"، وجملة "اشهد" في محلّ نصب معطوفة على جملة "مقول القول".

البلاغة:

والمراد بالوحي إلى الحواريّين إلهامهم عند سماع دعوة عيسى للمبادرة بتصديقه، فليس المراد بالوحي الذي به دعاهم عيسى، ويجوز أن يكون الوحيَ الذي أوحي به إلى عيسى ليدعو بني إسرائيل إلى دينه.

وخُصّ الحواريّون به هنا تنويهاً بهم حتّى كأنّ الوحي بالدعوة لم يكن إلاّ لأجلهم، لأنّ ذلك حصل لجميع بني إسرائيل فكفر أكثرهم.

العطف بـ{آمنوا بي وبرسولي} لم يكتفِ بالإيمان بالله فقط، بل قرنه بقوله: {وبرسولي}، وهذا ربط بين التوحيد والرسالة، فلا يصح إيمان بأحدهما دون الآخر، فيه تأكيد بلاغي على أن اتباع الرسول جزء أصيل من الإيمان بالله.

وفَصْل جملة {قالوا آمنَّا} لأنّها جوابُ ما فيه معنى القول، وهو {أوحينا}، والجواب الفوري فيه استجابة مباشرة وسريعة، تدل على سرعة التصديق والإذعان، حذف العاطف (ف) بين الأمر والجواب، يوحي بأن إيمانهم جاء فورًا بلا تردد، وهذا تصوير رائع لصدق الحواريين وعلو مقامهم في الطاعة.

والتعبير بطلب الشهادة: {واشهد بأننا مسلمون} لم يكتفوا بقول {آمنا}، بل طلبوا من الله أن يكون شهيدًا على إيمانهم، و{مسلمون} تدل على الاستسلام التام والانقياد، وهو أعلى درجات الإيمان، وهذا أبلغ في الإقرار، لأن الإيمان القلبي تُتبعه شهادة وطلب توثيق من الله نفسه.

والجمع بين {آمنا} و{مسلمون} يُظهر كمال الإيمان نظريًا وعمليًا، حيث إن {آمنا} تعبير عن الإقرار القلبي والعقلي و{مسلمون} تعبير عن الانقياد العملي والتسليم التام.

المسألة رقم 9:

﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [1][سورة آل عمران: 60]

معنى الآية:

الحق الذي لا شك فيه في أمر عيسى هو الذي جاءك -أيها الرسول- من ربك، فدل على يقينك، وعلى ما أنت عليه من ترك الافتراء، ولا تكن من الشاكّين، وفي هذا تثبيت وطمأنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

النحو:

﴿الْحَقُّ﴾: مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿مِنْ رَبِّكَ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف خبر، و"الكاف": ضمير مبني في محل جر مضاف إليه.

﴿فَلَا﴾: الفاء: حرف رابط لجواب شرط مقدر، لا: حرف نهي وجزم.

﴿تَكُنْ﴾: فعل مضارع ناقص مجزوم، واسم "تكن" ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره: أنت.

﴿مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف خبر "تكون"، وعلامة الجرّ الياء، لأنّه جمع مذكر سالم والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد.

وجملة "الحق من ربك" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافيّة، وجملة "لا تكن" لا محلّ لها من الإعراب، لأنها جواب شرط مقدر غير جازم، أي: إذا كان الأمر كذلك، فلا تكن من الممترين.

البلاغة:

والخطاب في {فلا تكن من الممترين} للنبيء ﷺ، والمقصود التعريض بغيره، والمعرَّض بهم هنا هم النصارى الممترُون الذين امتروا في الإلهية بسبب تحقق أن لاَ أبَ لِعيسى.

التقديم والتوكيد في {الحق من ربك}، حيث بدأ الجملة باسم مرفوع {الحق} للدلالة على الاهتمام والتوكيد، تقديمه على {من ربك} فيه تخصيص وحصر، أي: "الحق لا يأتي إلا من ربك"، يدل على أن ما جاء من عند الله هو المعيار الوحيد للحق، كما يدل على الثقة الكاملة بالوحي وصدق مصدره.

[1] المُمْتَرين: الشّاكّين في أنه الحقّ.

و{ربك} فيها إضافة خاصة للنبي ﷺ، توحي بالعناية والتربية والرعاية، وتُطمئن قلب النبي ﷺ بأن ما وصله هو من ربه الذي يتولى أمره ويعلم مصلحته.

والفاء في {فلا تكن من الممترين} تفيد الترتيب والتعليل، أي ما دام ما جاءك هو الحق من ربك، فليس لك أن تشك فيه أبدًا. كما أنَّ أسلوب النهي بلطف في {فلا تكن} ولم يقل "لا تمترِ" فيه تجنّب مباشر لتوجيه الاتهام للنبي ﷺ، وهو في الحقيقة تحذير لغيره من الناس، بصيغة الخطاب للنبي، تواضعًا وتشريفًا له، كما أنه تعالى لم يقل "فلا تكن من الكافرين"، بل قال: {من الممترين} أي الشاكّين، يشمل أي لون من ألوان الشك، ويُرغّب في اليقين المطلق.

جزء التشابه: الممترين

1. [سورة البقرة: 147] ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [1]

معنى الآية:

الذي أنزل إليك -أيها النبي- هو الحق من ربك، فلا تكونن من الشاكين فيه. وهذا وإن كان خطابًا للرسول ﷺ فهو موجهٌ للأمة.

النحو:

﴿الْحَقُّ﴾: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة.

﴿مِنْ﴾: حرف جرّ مبنيّ على السكون لا محلّ له من الإعراب.

﴿رَبِّكَ﴾: اسم مجرور بـ" من"، وعلامة جره الكسرة الظاهرة، وهو مضاف، و"الكاف" ضمير متّصل مبني على الفتح في محلّ جرّ مضاف إليه، والجارّ والمجرور متعلّقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة من المبتدأ والخبر استئنافيّة لا محلّ لها من الإعراب.

﴿فَلَا﴾: الفاء: حرف استئناف مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد لا محلّ له من الإعراب، لا: حرف نهي مبني على السكون لا محلّ له من الإعراب.

﴿تَكُونَنَّ﴾: فعل مضارع ناقص مبني على الفتح في محلّ جزم بـ"لا" الناهية، ونون التوكيد حرف مبنيّ على الفتح لا محلّ له من الإعراب، واسم "تكون" ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره: أنت.

﴿مِنَ﴾: حرف جرّ مبني على السكون لا محلّ له من الإعراب.

[1] المُمترين: الشّاكّين في كتمانهم الحقّ مع العلم به.

﴿الْمُمْتَرِينَ﴾: اسم مجرور بمن وعلامة جره الياء؛ لأنَّه جمع مذكر سالم، والجارّ والمجرور متعلّقان بمحذوف خبر "تكون"، وجملة "فلا تكونن ..." لا محلّ لها من الإعراب؛ لأنّها استئنافيّة.

البلاغة:

هذه الآية الكريمة تذييل لجملة: {وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق} [سورة البقرة: 146]، على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا الحق، وحَذفُ المسند إليه في مثل هذا مما جرى على متابعة الاستعمال في حذف المسند إليه بعد جريان ما يَدل عليه، وقوله: {فلا تكونن من الممترين} نهي عن أن يكون من الشاكّين في ذلك والمقصود من هذا.

تعريف {الحق} تعريف الجنس، وهذا التعريف لجزئي الجملة الظاهر والمقدَّر يفيد قصر الحقيقة على الذي يكتمونه وهو قصر قلب أي لا ما يظهرونه من التكذيب وإظهار أن ذلك مخالف للحق.

والامتراء افتعال من المِراء وهو الشك، والافتعالُ فيه ليس للمطاوعة ومصدر المِرْية لا يعرف له فعل مجرَّد، بل هو دائماً بصيغة الافتعال.

والمقصود من خطاب النبي ﷺ في قوله: {ولئن اتبعت} [سورة البقرة: 120]، وقوله: {فلا تكونن من الممترين} تحذير الأمة وهذه عادة القرآن في كل تحذير مُهِم ليكون خطاب النبي بمثل ذلك وهو أقرب الخلق إلى الله تعالى وأولاهم بكرامته، دليلاً على أن من وقع في مثل ذلك من الأمة قد حقت عليه كلمة العذاب، وليس له من النجاة باب، ويجوز أن يكون الخطاب في قوله: {من ربك} وقوله: {فلا تكونن} خطاباً لغير معيَّن من كل من يصلح ها الخطاب.

2. [سورة الأنعام: 114] ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [1]

معنى الآية:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: أغير الله إلهي وإلهكم أطلب حَكَمًا بيني وبينكم، وهو سبحانه الذي أنزل إليكم القرآن مبينًا فيه الحكم فيما تختصمون فيه من أمري وأمركم؟ وبنو إسرائيل الذين آتاهم الله التوراة والإنجيل يعلمون علمًا يقينًا أن هذا القرآن منزل عليك -أيها الرسول- من ربك بالحق، فلا تكونن من الشاكّين في شيء مما أوحينا إليك.

[1] الممترين: الشاكّين في أنّهم يعلمون ذلك.

النحو:

﴿أَفَغَيْرَ﴾: الألف: حرف استفهام، الفاء: حرف زائد، غير: مفعول به منصوب بفعل محذوف يفسره بعده.

﴿اللَّهِ﴾: لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور للتعظيم بالكسرة.

﴿أَبْتَغِي﴾: فعل مضارع مرفوع بالضمة المقدرة على الياء، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره: أنا.

﴿حَكَمًا﴾: تمييز أو حال أو مفعول به ثانٍ منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

والجملة في محل نصب مفعول به لفعل محذوف.

﴿وَهُوَ﴾: الواو: حرف استئناف، هو: ضمير منفصل مبنيّ على الفتح في محل رفع مبتدأ.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول مبنيّ على السكون في محل رفع خبر.

والجملة استئنافية لا محل لها من الإعراب.

﴿أَنْزَلَ﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح، والفاعل: ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿إِلَيْكُمُ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ "أنزل".

﴿الْكِتَابَ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

﴿مُفَصَّلًا﴾: حال من "الكتاب" منصوب بالفتحة، والجملة صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.

﴿وَالَّذِينَ﴾: الواو: حرف استئناف، الذين: اسم موصول مبنيّ على الفتح في محل رفع مبتدأ.

﴿آتَيْنَاهُمُ﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على السكون لاتصاله بـ "نا"، و"نا": ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محل رفع فاعل، و"هم": ضمير مبنيّ في محل نصب مفعول به أول.

﴿الْكِتَابَ﴾: مفعول به ثانٍ منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

وجملة "آتيناهم الكتاب" صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.

﴿يَعْلَمُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو ضمير متّصل مبنيّ في محل رفع فاعل.

والجملة في محل رفع خبر المبتدأ.

﴿أَنَّهُ﴾: أنّ: حرف توكيد مشبّه بالفعل، والهاء: ضمير متّصل مبنيّ على الضم في محل نصب اسم "إنّ".

﴿مُنَزَّلٌ﴾: خبرها مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، والمصدر المؤول من "أنّ" وما بعدها سدّ مسدّ مفعولي "يعلم"، بتقدير: يعلمون تنزيله.

﴿مِنْ رَبِّكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ "منزل"، و"الكاف": ضمير متّصل مبنيّ على الفتح في محل جرّ بالإضافة.

﴿بِالْحَقِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بحال من "الكتاب"، أو بنعت لمصدر محذوف تقديره: منزل تنزيلًا متلبسًا بالحق.

﴿فَلَا﴾: الفاء: حرف استئناف، لا: حرف نهي وجزم.

﴿تَكُونَنَّ﴾: فعل مضارع ناقص مبنيّ على حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة في محلّ جزم بـ "لا"، وسبب حذف النون اتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والواو ضمير متّصل مبنيّ في محل رفع اسم "تكون"، ونون التوكيد الثقيلة لا محل لها من الإعراب.

﴿مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾: جارّ ومجرور في محل نصب متعلق بخبر "تكون"، وعلامة جرّه الياء، لأنه جمع مذكر سالم، والجملة استئنافية لا محل لها من الإعراب.

البلاغة:

الفاء لتفريع الجواب عن مجموع أقوالهم ومقترحاتهم، فهو من عطف التّلقين بالفاء، وتقديم {أفغير الله} على {أبتغي} لأنّ المفعول هو محلّ الإنكار، فهو الحقيق بموالاة همزة الاستفهام الإنكاري، وقد صيغت جملة الحال على الاسميّة المعرَّفةِ الجزأيْن لتفيد القصر مع إفادة أصل الخبر.

والمراد بالكتاب القرآن، والتعريف للعهد الحضوري، والضمير في {إليكم} خطاب للمشركين، فإنّ القرآن أُنزل إلى النّاس كلّهم للاهتداء به.

وجملة {والذين أتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل} معطوفة على القول المحذوف، فتكون استئنافاً مثله، أو معطوفة على جملة {أفغير الله أبتغى} أو على جملة {وهو الذي أنزل إليكم الكتاب}، فهو عطف تلقين عُطف به الكلام المنسوب إلى الله على الكلام المنسوب إلى النبي ﷺ تعضيدًا لما اشتمل عليه الكلام المنسوب إلى النبي ﷺ من كون القرآن حقًّا، وأنّه من عند الله.

3. [سورة يونس: 94] ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [1]

معنى الآية:

فإن كنت -أيها الرسول- في ريب من حقيقة ما أخبرناك به فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك من أهل التوراة والإنجيل، فإن ذلك ثابت في كتبهم، لقد جاءك الحق اليقين من ربك بأنك رسول الله، وأن هؤلاء

[1] الممترين: الشّاكّين المتزلزلين.

اليهود والنصارى يعلمون صحة ذلك، ويجدون صفتك في كتبهم، ولكنهم ينكرون ذلك مع علمهم به، فلا تكونَنَّ من الشاكّين في صحة ذلك وحقيقته.

النحو:

﴿فَإِنْ﴾: الفاء: حرف استئناف، إن: حرف شرط جازم.

﴿كُنْتَ﴾: فعل ماضٍ ناقص مبنيّ على السكون في محلّ جزم فعل الشرط، و "التاء": ضمير مبنيّ في محلّ رفع اسم "كان".

﴿فِي شَكٍّ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر "كنت".

﴿مِمَّا﴾: من: حرف جر، ما: اسم موصول مبنيّ في محلّ جرّ، والجار والمجرور متعلقان بنعت لـ "شك".

﴿أَنْزَلْنَا﴾: فعل ماضٍ مبني على السكون، و "نا": ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل.

﴿إِلَيْكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ "أنزلنا".

﴿فَاسْأَلِ﴾: الفاء: حرف رابط لجواب الشرط، اسأل: فعل أمر مبني على السكون، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره: أنت.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني في محل نصب مفعول به.

﴿يَقْرَءُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل.

﴿الْكِتَابَ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

﴿مِنْ قَبْلِكَ﴾: من قبل: جار ومجرور متعلقان بـ "يقرؤون"، و "الكاف": ضمير مبني في محل جر مضاف إليه.

﴿لَقَدْ﴾: اللام: حرف توكيد، قد: حرف تحقيق.

﴿جَاءَكَ﴾: فعل ماض مبني على الفتحة، و "الكاف": ضمير مبني في محل نصب مفعول به.

﴿الْحَقُّ﴾: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿مِنْ رَبِّكَ﴾: من رب: جار ومجرور متعلقان بـ "جاء"، و "الكاف": ضمير مبني في محل جر مضاف إليه.

﴿فَلَا﴾: الفاء: حرف رابط لجواب شرط مقدر، لا: حرف نهي وجزم.

﴿تَكُونَنَّ﴾: فعل مضارع ناقص مبني على الفتح في محل جزم، والنون نون التوكيد واسمه ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره: أنت.

﴿مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر تكونن، وعلامة الجر الياء.

وجملة "كنت في شك" لا محل لها من الإعراب، لأنها استئنافية، وجملة "أنزلنا" لا محل لها من الإعراب، لأنها صلة الموصول "ما"، وجملة "اسأل" في محل جزم جواب الشرط، وجملة "يقرؤون" لا محل لها من الإعراب، لأنها صلة الموصول "الذين"، وجملة "جاءك الحق" لا محل لها من الإعراب، لأنها جواب قسم مقدر، وجملة "لا تكونن من الممترين" لا محل لها من الإعراب، لأنها جواب شرط مقدر، أي: "إذا وعيته، فلا تكونن".

البلاغة:

تفريع على سياق القصص التي جعلها الله مثلاً لأهل مكة وعظة بما حل بأمثالهم، وانتقل بهذا التفريع من أسلوب إلى أسلوب كلاهما تعريض بالمكذبين، فالأسلوب السابق تعريض بالتحذير من أن يحل ما حل بالأمم المماثلة لهم، وهذا الأسلوب الموالي تعريض لهم بشهادة أهل الكتاب على تلك الحوادث، وما في الكتب السابقة من الأنباء برسالة محمد ﷺ فالمراد من {ما أنزلنا إليك} هو المنزل الذي تفرع عليه هذا الكلام وهو ما أنزل في هذه السورة من القصص.

وجملة: {لقد جاءك الحق من ربك} مستأنفة استئنافاً بيانيًا لجواب سؤال ناشئ عن الشرط وجوابه، كأنّ السامع يقول: فإذا سألتهم ماذا يكون، فقيل: لقد جاءك الحق من ربك. ولما كان المقصود من ذلك علم السامعين بطريق التعريض لا علم الرسول ﷺ، لأنه ليس بمحل الحاجة لإعلامه بأنه على الحق قرنت الجملة بحرفي التأكيد، وهما: لام القسم وقد، لدفع إنكار المعرّض بهم.

وبذلك كان تفريع {فلا تكونن من الممترين} تعريضاً أيضاً بالمشركين بأنهم بحيث يُحذر الكون منهم.

المسألة رقم 10:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [1][سورة آل عمران: 99]

معنى الآية:

[1] تبغونها عِوجًا: تطلبونها مُعْوجّة أو ذات اعوجاج.

قل -أيها الرسول- لليهود والنصارى: لِمَ تمنعون من الإسلام من يريد الدخول فيه تطلبون له زيغًا وميلا عن القصد والاستقامة، وأنتم تعلمون أن ما جئتُ به هو الحق؟ وما الله بغافل عما تعملون، وسوف يجازيكم على ذلك.

النحو:

﴿قُلْ﴾: فعل أمر، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره: أنت.

﴿يَاأَهْلَ﴾: يا: حرف نداء، أهل: منادى منصوب بالفتحة.

﴿الْكِتَابِ﴾: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿لِمَ﴾: اللام: حرف جرّ، وما: اسم استفهام مبنيّ على السكون في محلّ جرّ باللام.

والجارّ والمجرور متعلّقان بـ"تكفرون".

﴿تَكْفُرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو: فاعل».

﴿عَنْ سَبِيلِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"تصدّون".

﴿اللَّهِ﴾: لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿مَنْ﴾: اسم موصول مبنيّ في محلّ نصب مفعول به.

﴿آمَنَ﴾: فعل ماضٍ، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿تَبْغُونَهَا﴾: تبغون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، و "الواو" فاعل، والهاء: ضمير متصل في محل نصب مفعول به.

﴿عَوَجًا﴾: حال منصوب بالفتحة.

﴿وَأَنْتُمْ﴾: الواو: حالية، أنتم: ضمير منفصل مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ.

﴿شُهَدَاءُ﴾: خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف، ما: حرف نفي عامل عمل "ليس".

﴿اللَّهُ﴾: لفظ الجلالة اسم "ما" مرفوع بالضمّة.

﴿بِغَافِلٍ﴾: الباء: حرف جرّ زائد، غافل: مجرور لفظًا منصوب محلًّا على أنه خبر "ما".

﴿عَمَّا﴾: عن: حرف جرّ، ما: اسم موصول مبنيّ في محلّ جرّ بحرف الجرّ، والجارّ والمجرور متعلّقان بـ"غافل".

﴿تَعْمَلُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، و "الواو" ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل.

وجملة: "آمن لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها صلة الموصول "من"، وجملة "تبغونها" في محلّ نصب حال من فاعل "تصدون" أو من "السبيل" أو لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافيّة، وجملة "أنتم شهداء" في محلّ نصب حال من فاعل "تبتغون"، وجملة "ما الله بغافل" في محلّ نصب معطوفة على جملة الحال، وجملة: "تعملون" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها صلة الموصول "ما".

البلاغة:

قوله تعالى: {قل يا أهل الكتاب لم تصدون} توبيخ ثان وإنكار على مجادلتهم لإضلالهم المؤمنين بعد أن أنكر عليهم ضلالهم في نفوسهم، وفُصِل بلا عطف للدلالة على استقلاله بالقصد، ولو عطف لصحّ العطف.

والصدّ يستعمل قاصراً ومتعدّياً: يقال صدّه عن كذا فصدّ عنه. وقاصرُه بمعنى الإعراض. فمتعدّيه بمعنى جعل المصدود مُعرضاً أي صَرْفُه، ويقال: أصدّه عن كذا، وهو ظاهر.

وسبيل الله مجاز في الأقوال والأدلّة الموصلة إلى الدّين الحقّ. والمراد بالصدّ عن سبيل الله إمّا محاولة إرجاع المؤمنين إلى الكفر بإلقاء التشكيك عليهم.

وقوله: {تبغونها عوجًا} أي تبغون السبيل فأنّث ضميره لأنّ السّبيل يذكّر ويؤنث، البغي الطلب أي تطلبون، والعوج بكسر العين وفتح الواو ضدّ الاستقامة وهو اسم مصدر عَوِج كفَرِح، ومصدره العَوَج كالفرح. وقد خصّ الاستعمال غالباً المصدر بالاعوجاج في الأشياء المحسوسة، كالحائط والقناة. وخصّ إطلاق اسم المصدر بالاعوجاج الّذي لا يشاهد كاعْوجاج الأرض والسطح، وبالمعنويات كالدِّين.

وهذه الآية بدأت بـ {قل} صيغة أمر للنبي ﷺ بأن يواجههم مباشرة، بصيغة خطابية، فيه إظهار للقوة والتحدي والوضوح، ينزع عنهم الغطاء ويوجه إليهم خطابًا إنكاريًا مباشرًا.

وأسلوب النداء بـ {يا أهل الكتاب} فيه تذكير بمقامهم العلمي ومصدرهم الإلهي، مما يجعل انحرافهم أشد جرمًا، وهو أسلوب توبيخي: أنتم أولى الناس باتباع سبيل الله، فكيف تصدّون عنه؟!

والاستفهام الإنكاري في {لِمَ تصدّون عن سبيل الله؟} أسلوب بلاغي قوي، يُنكر عليهم فعلهم ويُبكّتهم، الاستفهام ليس للجواب، بل للتقريع والتوبيخ، كأنه يقول: "لا مبرر لفعلتكم الشنيعة".

وفي قوله تعالى: {تبغونها عوجًا} أسلوب بلاغي مركب، ففيه كناية عن تزييفهم للدين والحقائق، وتحريفهم سبيل الله لتناسب أهواءهم، و{عوجًا} نكرة للتقليل: أي أنهم لا يرضون بالاستقامة، بل يطلبون أدنى انحراف.

وفي قوله تعالى: {وأنتم شهداء} جملة حالية تفيد التوبيخ الشديد، أي: أنكم تعرفون الحق، وتشهدون بالصدق، ومع ذلك تصدّون عنه عمدًا، وهذا أبلغ في البيان من أن يقال "وأنتم تعلمون"، لأن "شهداء" تدل على أنهم يعرفون الحق من كتبهم ويكتمونه.

وفي قوله تعالى: {وما الله بغافل عما تعملون} تهديد خفي ووعيد بليغ، "بغافل": نفي الغفلة، وفيه إثبات العلم التام والمراقبة الدقيقة، و"عما تعملون": عموم يشمل كل أفعالهم السيئة، لا مجرد الصدّ، ختم الآية بذكر علم الله يجعلها مؤثرة ومزلزلة للنفوس.

جزء التشابه: تبغونها عوجًا

1. [سورة الأعراف: 45] ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾

معنى الآية:

هؤلاء الكافرون هم الذين كانوا يُعْرِضون عن طريق الله المستقيم، ويمنعون الناس من سلوكه، ويطلبون أن تكون السبيل معوجة حتى لا يتبينها أحد، وهم بالآخرة -وما فيها- جاحدون.

النحو:

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبنيّ على السكون في محلّ جرّ صفة للموصوف "الظالمين" الواردة في الآية الكريمة السابقة أو بدل منه.

﴿يَصُدُّونَ﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون لأنه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، والجملة الفعلية "يصدون" صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب.

﴿عَنْ سَبِيلِ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ "يصدون".

﴿اللهِ﴾: لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور بالإضافة، وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿وَيَبْغُونَهَا﴾: معطوفة بالواو على "يصدون"، وتعرب إعرابها، و "ها" ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ نصب مفعول به.

﴿عِوَجًا﴾: حال منصوب بالفتحة الظاهرة، ﴿وَهُمْ﴾: الواو: حرف استئناف، "هم": ضمير منفصل مبنيّ على السكون في محل رفع مبتدأ.

﴿بِالْآخِرَةِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالخبر.

﴿كَافِرُونَ﴾: خبر "هم" مرفوع بالواو، لأنه جمع مذكر سالم.

وجملة "يصدون" صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب، وجملة "يبغونها" معطوفة على جملة "يصدون" لا محلّ لها من الإعراب، وجملة "وهم بالآخرة كافرون" استئنافية لا محلّ لها من الإعراب.

البلاغة:

إجراء الصّلة عليهم بالفعلين المضارعين في قوله: {يَصدّون} وقوله: {ويَبغونها} وشأنُ المضارع الدّلالة على حدث حاصل في زمن الحال، وهم في زمن التّأذين لم يكونوا متّصفين بالصدّ عن سبيل الله، ولا ببغي عوج السّبيل، فذلك لقصد ما يفيده المضارع من تكرّر حصول الفعل تبعاً لمعنى التّجدّد، والمعنى وصفهم بتكرّر ذلك منهم في الزّمن الماضي، وهو معنى قول علماء المعاني استحضار الحالة.

وورد وصفهم بالكفر بطريق الجملة الاسميّة في قوله: {وهم بالآخرة كافرون} للدّلالة على ثبات الكفر فيهم وتمكّنه منهم، لأنّ الكفر من الاعتقادات العقليّة التي لا يناسبها التّكرّر، فلذلك خولف بينه وبين وصفهم بالصدّ عن سبيل الله وبغي إظهار العِوَج فيها، لأنّ ذَيْنك من الأفعال القابلة للتّكرير.

2. [سورة الأعراف: 86] ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [1]

معنى الآية:

ولا تقعدوا بكل طريق تتوعدون الناس بالقتل، إن لم يعطوكم أموالهم، وتصدُّون عن سبيل الله القويم من صدَّق به عز وجل، وعمل صالحًا، وتبغون سبيل الله أن تكون معوجة، وتميلونها اتباعًا لأهوائكم، وتنفِّرون الناس عن اتباعها. واذكروا نعمة الله تعالى عليكم إذ كان عددكم قليلا فكثَّركم، فأصبحتم أقوياء عزيزين، وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين في الأرض، وما حلَّ بهم من الهلاك والدمار؟

النحو:

﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف، لا: حرف نهي وجزم.

﴿تَقْعُدُوا﴾: فعل مضارع مجزوم بـ "لا"، وعلامة جزمه حذف النون، والواو ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، و "الألف": فارقة.

﴿بِكُلِّ﴾: جار ومجرور متعلّقان بـ"تقعدوا".

﴿صِرَاطٍ﴾: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

[1] صراط: طريق؛ تبغونها عوجًا: تطلبونها معوجّة أو ذات اعوجاج.

وجملة "لا تقعدوا" معطوفة على جملة "لا تبخسوا" لا محلّ لها من الإعراب.

﴿تُوعِدُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل.

وجملة "توعدون" في محلّ نصب حال.

﴿وَتَصُدُّونَ﴾: معطوفة بالواو على "توعدون"، وتعرب إعرابها.

﴿عَنْ سَبِيلِ﴾: جار ومجرور متعلّقان بـ"تصدون".

﴿اللَّهِ﴾: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿مَنْ﴾: اسم موصول مبنيّ على السكون في محلّ نصب مفعول به.

﴿آمَنَ﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿بِهِ﴾: جار ومجرور متعلّقان بـ "آمن".

وجملة "آمن به" صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.

﴿وَتَبْغُونَهَا﴾: معطوفة بالواو على "تصدون"، وتعرب إعرابها.

الجمل الثلاث: توعدون، تصدون، تبغون: في محلّ نصب حال، و"ها" ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ نصب مفعول به.

﴿عِوَجًا﴾: مفعول به ثان منصوب بالفتحة.

﴿وَاذْكُرُوا﴾: الواو: حرف استئناف، اذكروا: فعل أمر مبنيّ على حذف النون، لأن مضارعه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، و "الألف": فارقة.

﴿إِذْ﴾: اسم مبنيّ على السكون في محلّ نصب مفعول به لفعل محذوف تقديره: "اذكر"، وهو مضاف.

﴿كُنْتُمْ﴾: فعل ماضٍ ناقص مبنيّ على السكون، لاتصاله بضمير الرفع المتحرك، و "تم": ضمير مبنيّ على السكون في محلّ رفع اسم "كان".

﴿قَلِيلًا﴾: خبر "كان" منصوب بالفتحة، وجملة "كنتم قليلًا" في محلّ جرّ بالإضافة.

﴿فَكَثَّرَكُمْ﴾: الفاء: حرف عطف، كثَّر: فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو، و"كم": ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ نصب مفعول به، وجملة "فكثركم" معطوفة على الجملة "كنتم" في محلّ جرّ.

﴿وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾: الواو: حرف عطف، انظر: فعل أمر مبنيّ على حذف النون، لأن مضارعه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، و "الألف": فارقة

﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام مبنيّ على الفتح في محلّ نصب خبر "كان" مقدم.

﴿كَانَ﴾: فعل ماضٍ ناقص مبنيّ على الفتح،

﴿عَاقِبَةُ﴾: اسم "كان" مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿الْمُجْرِمِينَ﴾: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الياء، لأنه جمع مذكر سالم، وجملة كيف كان عاقبة المجرمين" في محلّ نصب مفعول به للفعل.

البلاغة:

قوله: {ولا تقعدوا بكلّ صراط توعدون} هذا الأصل الثّالث من دعوته، وهو النّهي عن التّعرّض للنّاس دون الإيمان، فإنّه بعد أن أمرهم بالإيمان بالله وما يتطلّبه من الأعمال الصّالحة، وفي ذلك صلاح أنفسهم، أي أصلحوا أنفسكم ولا تمنعوا من يَرغب في إصلاح نفسه ذلك أنّهم كانوا يصدّون وفودَ النّاس عن الدّخول إلى المدينة التي كان بها شعيب عليه السّلام لئلا يؤمنوا به. فالمراد بالصّراط الطريق الموصلة إلى لقاء شعيب عليه السّلام.

والقعود مستعمل كناية عن لازمه وهو الملازمة والاستقرار.

و {كُلّ} للعموم وهو عموم عُرفي، أي كلّ صراط مبلغ إلى القرية أو إلى منزل شعيب عليه السّلام، ويجوز أن تكون كلمة {كلّ} مستعملة في الكثرة.

والتّعبير بالماضي في قوله: {مَن آمن به} عوضًا عن المضارع، حيث المراد بمن آمن قاصدُ الإيمان، فالتعبير عنه بالماضي لتحقيق عزم القاصد على الإيمان فهو لولا أنّهم يصدّونه لكان قد آمن.

و {سبيل الله} الدّين لأنّه مِثل الطريق الموصل إلى الله، أي إلى القرب من مرضاته.

ومعنى {تبغونها عوجًا} تبغون لسبيل الله عوجاً إذ كانوا يزعمون أن ما يدعو إليه شعيب باطل، يقال: بغاه بمعنى طلب له، فأصله بغى له فحذفوا حرف الجر لكثرة الاستعمال أو لتضمين بغى معنى أعطى.

فلذلك أعقبه بقوله: {وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين}، وفي هذا الكلام جمع بين طريقي التّرغيب والتّرهيب.

و{قليل} وصْف يلزم الإفرادَ والتّذكير، مثل {كثير}، وبينهما تضاد يبرز المعنى ويوضحه.

والمراد {بالمفسدين} الذين أفسدوا أنفسهم بعقيدة الشّرك وبأعمال الضّلال، وأفسدوا المجتمع بخالفة الشّرائع، وأفسدوا النّاس بإمدادهم بالضّلال وصدّهم عن الهدى، ولذلك لم يؤت: لـ {المفسدين} بمتعلّق لأنّه اعتبر صفة، وقطع عن مشابهة الفعل، أي الذين عرفوا بالإفساد. وهذا الخطاب مقصود منه الكافرون

من قومه ابتداء، وفيه تذكير للمؤمنين منهم بنعمة الله، فإنّها تشملهم وبالاعتبار بمن مضَوا فإنّه ينفعهم، وفي هذا الكلام تعريض بالوعد للمسلمين وبالتّسلية لهم على ما يلاقونه من مفسدي أهل الشّرك لانطباق حال الفريقين على حال الفريقين من قوم شُعيب عليه السّلام.

3. [سورة هود: 19] ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾

معنى الآية:

هؤلاء الظالمون الذين يمنعون الناس عن سبيل الله الموصلة إلى عبادته، ويريدون أن تكون هذه السبيل عوجاء بموافقتها لأهوائهم، وهم كافرون بالآخرة لا يؤمنون ببعث ولا جزاء.

النحو:

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبنيّ في محلّ جرّ نعت للظالمين.

﴿يَصُدُّونَ﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو: فاعل.

﴿عَنْ سَبِيلِ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ "يصدون".

﴿اللَّهِ﴾: لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿وَيَبْغُونَهَا﴾: الواو: حرف عطف، يبغون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، و "ها": ضمير مبني في محل نصب مفعول به.

﴿عِوَجًا﴾: حال منصوب بالفتحة.

﴿وَهُمْ﴾: الواو: حرف عطف، هم: ضمير منفصل مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ.

﴿بِالْآخِرَةِ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ "كافرون".

﴿هُمْ﴾: ضمير مبنيّ في محلّ رفع توكيد لفظي للأول.

﴿كَافِرُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع بالواو.

وجملة "يصدون" لا محلّ لها من الإعراب، لأنها صلة الموصول "الذين"، وجملة "يبغونها" لا محلّ لها من الإعراب، لأنها معطوفة على جملة الصلة، وجملة "هم كافرون" لا محلّ لها من الإعراب، لأنها معطوفة على جملة الصلة.

البلاغة:

اختصت هذه الآية على نظيرها في الأعراف بزيادة (هم) في قوله: {هم كافرون}، وهو توكيد يفيد تقوّي الحكم، لأنَّ المقام هنا مقام تسجيل إنكارهم البعث وتقريرِه إشعاراً بما يترقبهم من العقاب المناسب، فحكي به من

كلام الأشهاد ما يناسب هذا، وما في سورة الأعراف حكاية لما قيل في شأن قوم أُدخلوا النار وظهر عقابهم فلا غَرض لحكاية ما فيه تأكيد من كلام الأشهاد، وكلا المقالتين واقع وإنما يحكي البليغ فيما يحكيه ما له مناسبة لمقام الحكاية.

4. [سورة إبراهيم: 3] ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [1]

معنى الآية:

وهؤلاء الذين أعرضوا ولم يؤمنوا بالله ويتبعوا رسله هم الذين يختارون الحياة الدنيا الفانية، ويتركون الآخرة الباقية، ويمنعون الناس عن اتباع دين الله، ويريدونه طريقًا معوجًا ليوافق أهواءهم، أولئك الموصوفون بهذه الصفات في ضلال عن الحق بعيد عن كل أسباب الهداية.

النحو:

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبنيّ على السّكون في محلّ جرّ نعت "الكافرين" في الآية السّابقة.

﴿يَسْتَحِبُّونَ﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النّون، لأنه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متّصل مبنيّ على السّكون في محلّ رفع فاعل، والجملة من الفعل والفاعل صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب.

﴿الْحَيَاةَ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظّاهرة على آخره.

﴿الدُّنْيَا﴾: نعت لـ "الحياة" منصوب بالفتحة المقدّرة على الألف منع من ظهورها التعذّر.

﴿عَلَى﴾: حرف جرّ مبنيّ على السّكون.

﴿الْآخِرَةِ﴾: اسم مجرور بعلىٰ وعلامة جره الكسرة الظاهرة، والجارّ والمجرور متعلّقان بالفعل "يستحبون".

﴿وَيَصُدُّونَ﴾: الواو: حرف عطف مبنيّ على الفتح، "يصدون": فعل مضارع مرفوع بثبوت النّون، لأنه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متّصل مبنيّ على السّكون في محلّ رفع فاعل، والجملة معطوفة على الجملة "يستحبون" لا محلّ لها من الإعراب.

﴿عَنْ﴾: حرف جرّ مبنيّ على السّكون.

﴿سَبِيلِ﴾: اسم مجرور بـ "عن" وعلامة جره الكسرة الظّاهرة، والجارّ والمجرور متعلّقان بالفعل "يصدون".

﴿اللَّهِ﴾: مضاف إليه مجرور بالكسرة الظّاهرة.

[1] يستحبّون: يختارون ويؤثرون.

﴿وَيَبْغُونَهَا﴾: الواو: حرف عطف مبنيّ على الفتح، "عون": فعل مضارع مرفوع في محلّ رفع فاعل، و "ها": ضمير متّصل مبنيّ على السّكون في محلّ نصب مفعول به، والجملة يبغونها من الفعل والفاعل معطوفة على الجملة "يستحبّون" لا محلّ لها من الإعراب.

﴿عِوَجًا﴾: حال منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظّاهرة على آخره.

﴿أُولَئِكَ﴾: "أولَاءِ": اسم إشارة مبنيّ على الكسر في محلّ رفع مبتدأ، و "الكاف": حرف خطاب مبنيّ على الفتح لا محلّ له من الإعراب.

﴿فِي﴾: حرف جرّ مبنيّ على السّكون.

﴿ضَلَالٍ﴾: اسم مجرور بـ"في" وعلامة جرّه الكسرة الظّاهرة، والجارّ والمجرور متعلّقان بمحذوف خبر مرفوع. والجملة استئنافيّة لا محلّ لها من الإعراب.

﴿بَعِيدٍ﴾: نعت لـ"ضلال" مجرور بالكسرة الظّاهرة.

البلاغة:

{يستحبون} بمعنى يحبون، فالسين والتاء للتأكيد مثل استقدم واستأخر، وضمن {يستحبون} معنى يؤثرون، لأن المحبة تعدّت إلى الحياة الدنيا عقب ذكر العذاب الشديد لهم، فأنبأ ذلك أنهم يحبون خير الدنيا دون خير الآخرة إذ كان في الآخرة في شقاء، فنشأ من هذا معنى الإيثار، فضُمّنه فعُدّي إلى مفعول آخر بواسطة حرف {على} في قوله: {على الآخرة} أي يؤثرونها عليها.

والإشارة في قوله: {أولئك في ضلال بعيد} للتنبيه على أنهم أحرياء بما وصفوا به من الضلال بسبب صدّهم عن سبيل الحق وابتغائهم سبيل الباطل، ودلّ حرف الظرفية على أن الضلال محيط بهم فهم متمكنون منه. ووصف الضلال بالبعيد يجوز أن يكون على وجه المجاز العقلي، وإنما البعيد هم الضالّون، أي ضلالاً بعدوا به عن الحق فأسند البعد إلى سببه.

المسألة رقم 11:

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [سورة آل عمران: 126]

معنى الآية:

وما جعل الله هذا الإمداد بالملائكة إلا بشرى لكم يبشركم بها ولتطمئن قلوبكم، وتطيب بوعد الله لكم. وما النصر إلا من عند الله العزيز الذي لا يغالَب، الحكيم في تدبيره وفعله.

النحو:

﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف، ما: حرف نفي.

﴿جَعَلَهُ﴾: جعل: فعل ماض، والهاء: ضمير متصل في محل نصب مفعول به.

﴿اللَّهُ﴾: لفظ الجلالة فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿إِلَّا﴾: حرف حصر، ﴿بُشْرَى﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة النصب الفتحة المقدرة على الألف للتعذّر.

﴿لَكُمْ﴾: اللام: حرف جرّ، و "كم": ضمير في محلّ جرّ بحرف الجرّ.

والجارّ والمجرور متعلّقان بمحذوف نعت لبشرى.

﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾: الواو: حرف عطف، اللام: حرف للتعليل، تطمئن: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام.

﴿قُلُوبُكُمْ﴾: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة، و "كم": ضمير مبني في محل جر مضاف إليه.

﴿بِهِ﴾: الباء: حرف جرّ، والهاء: ضمير مبنيّ في محلّ جرّ بحرف الجرّ.

والجارّ والمجرور متعلّقان بمحذوف حال من "القلوب"، والمصدر المؤول من "أن تطمئن قلوبكم" في محلّ جرّ باللام متعلّق بفعل محذوف دل عليه الفعل "جعل" المذكور.

﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف، ما: حرف نفي.

﴿النَّصْرُ﴾: مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿إِلَّا﴾: حرف حصر، ﴿مِنْ عِنْدِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف خبر المبتدأ.

﴿اللَّهِ﴾: لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿الْعَزِيزِ﴾: نعت لله مجرور بالكسرة، ﴿الْحَكِيمِ﴾: نعت ثاني مجرور بالكسرة.

وجملة "ما جعله الله" لا محلّ لها من الإعراب، لأنها معطوفة على الاستئنافيّة في الآية السابقة، وجملة "تطمئن قلوبكم" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها صلة الموصول الحرفي "أن"، وجملة "جعل" المقدرة لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها معطوفة على جملة "جعله" الظاهرة، وجملة "ما النصر إلا" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافيّة.

البلاغة:

{لكم} متعلّق بـ{بشرى}، وفائدة التصريح به مع ظهور أن البشرى إليهم هي الدلالة على تكرمة الله تعالى إيّاهم بأنْ بَشَّرهم بشرى لأجلهم.

والبشرى اسم لمصدر بَشَّر كالرُّجعى، والبشرى خبر بحصول ما فيه نفع ومسرّة للمخبر به، فإنّ الله لمَّا وعدهم بالنَّصر أيقنوا به، فكان في تبيين سببه وهو الإمداد بالملائكة طَمْأنة لنفوسهم، لأنّ النفوس تركن إلى الصّور المألوفة.

والطمْأنة والطُّمأنِينة: السكون وعدم الاضطراب، واستعيرت هنا ليقين النَّفس بحصول الأمر تشبيهاً للعلم الثابت بثبات النفس أي عدم اضطرابها.

وعُطف {ولتطمئنّ} على {بُشرى} فكانَ داخلًا في حيّز الاستثناء، فيكون استثناء مِن عللٍ، أي ما جعله الله لأجل شيء إلاّ لأجل أن تطمئن قلوبكم به.

وجملة {وما النصر إلا من عند الله} تذييل، أي كلّ نصر هو من الله لا من الملائكة. وإجراء وصفي العزيز الحكيم، لأنَّهما أولى بالذكر في هذا المقام، لأنّ العزيز ينصر من يريد نصره، والحكيم يعلم من يستحق نصره وكيف يُعطاه.

جزء التشابه: الآية

1. [سورة الأنفال: 10] ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

معنى الآية:

وما جعل الله ذلك الإمداد إلا بشارة لكم بالنصر، ولتسكن به قلوبكم، وتوقنوا بنصر الله لكم، وما النصر إلا من عند الله، لا بشدة بأسكم وقواكم. إن الله عزيز في ملكه، حكيم في تدبيره وشرعه.

النحو:

﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف، ما: حرف نفي.

﴿جَعَلَهُ﴾: جعل: فعل ماض مبني على الفتح، و "الهاء": ضمير مبني في محل نصب مفعول به.

﴿اللَّهُ﴾: لفظ الجلالة فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿إِلَّا﴾: حرف حصر، ﴿بُشْرَى﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة النصب الفتحة المقدرة على الألف.

﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾: الواو حرف عطف.

اللام: للتعليل، تطمئن: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، وعلامة النصب الفتحة.

﴿بِهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ"تطمئن".

﴿قُلُوبُكُمْ﴾: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة، و "كم": ضمير مبني في محل جر مضاف إليه.

والمصدر المؤول من "أن تطمئن" في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف تقديره: هيا أو فعل أو يسر.

﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف، "ما" حرف نفي مهملة.

﴿النَّصْرُ﴾: النصر: مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿إِلَّا﴾: حرف حصر، ﴿مِنْ عِنْدِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ.

﴿اللَّهِ﴾: لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿إِنَّ﴾: حرف توكيد مشبّه بالفعل، ﴿اللَّهَ﴾: لفظ الجلالة اسم "إن" منصوب بالفتحة.

﴿عَزِيزٌ﴾: خبر "إن" مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿حَكِيمٌ﴾: خبر ثان مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

وجملة "جعله الله" لا محل لها من الإعراب، لأنها استئنافية، وجملة "تطمئن به قلوبكم" لا محل لها من الإعراب، لأنها صلة الموصول الحرفي "أن" المضمر، وجملة "ما النصر إلا من عند الله" لا محل لها من الإعراب، لأنها استئنافية، وجملة "إن الله عزيز" لا محل لها من الإعراب، لأنها تعليلية.

البلاغة:

قال الله تعالى في سورة آل عمران (126): {إلا بشرى لكم} وحُذف (لكم) هنا دفعاً لتكرير لفظه لسبق كلمة {لكم} قريباً في قوله: {فاستجاب لكم} [سورة الأنفال: 9]، فعلم السامع أن البشرى لهم، فأغنت {لكم} الأولى، بلفظها ومعناها، عن ذكر {لكم} مرة ثانية.

لأنَّ آية آل عمران سيقت مساق الامتنان والتذكير بنعمة النصر في حين القلة والضعف، فكان تقييد {بشرى} بأنها لأجلهم زيادة في المنة أي: جعل الله ذلك بشرى لأجلكم، وأما آية الأنفال فهي مسوقة مساق العتاب على كراهية الخروج إلى بدر في أول الأمر، وعلى اختيار أن تكون الطائفة التي تلاقيهم غير ذات الشوكة، فجرد {بشرى} عن أن يعلق به {لكم} إذ كانت البشرى للنبيء ﷺ ومن لم يترددوا من المسلمين.

وتقديم المجرور هنا في قوله: {به قلوبكم} وهو يفيد الاختصاص، فيكون المعنى: ولتطمئن به قلوبكم لا بغيره.

أنه قال في سورة آل عمران (126) {العزيز الحكيم} فصاغ الصفتين العَلِيتَيْن في صيغة النعت، وجعلهما في هذه الآية في صيغة الخبر المؤكد، إذ قال : {إن الله عزيز حكيم} فنزّل المخاطبين منزلة مَن يتردد في أنه تعالى موصوف بهاتين الصفتين: وهما العزة، المقتضية أنه إذا وعَد بالنصر لم يُعجزه شيء، والحكمةُ، فما يصدر من جانبه غوصُ الإفهام في تبيّن مقتضاه، فكيف لا يهتدون إلى أن الله لما وعدهم الظَفَر بإحدى الطائفتين وقد فاتتهم العير أن ذلك آيل إلى الوعد بالظفَر بالنفير، وجملة: {إن الله عزيز حكيم} مستأنفة استئنافاً ابتدائياً جعلت كالإخبار بما ليس بمعلوم لهم.

المسألة رقم 12:

﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [سورة آل عمران: 136]

معنى الآية:

أولئك الموصوفون بتلك الصفات العظيمة جزاؤهم أن يستر الله ذنوبهم، ولهم جنات تجري من تحت أشجارها وقصورها المياه العذبة، خالدين فيها لا يخرجون منها أبدًا. ونِعْمَ أجر العاملين المغفرة والجنة.

النحو:

﴿أُولَئِكَ﴾: أولاء: اسم إشارة مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ، و "الكاف": حرف خطاب.

﴿جَزَاؤُهُمْ﴾: جزاء: مبتدأ ثان مرفوع وعلامة رفعه الضمة، و "هم": ضمير مبني في محل جر مضاف إليه.

﴿مَغْفِرَةٌ﴾: خبر المبتدأ "جزاء" مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾: من رب: جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف نعت لمغفرة، و "هم": مضاف إليه.

﴿وَجَنَّاتٌ﴾: الواو: حرف عطف، جنات: معطوف على "مغفرة" مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة.

﴿تَجْرِي﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة الرفع الضمة المقدرة على الياء للثقل.

﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾: من تحت: جارّ ومجرور متعلّقان بتجري"، و "ها": ضمير مبني في محل جر مضاف إليه.

﴿الْأَنْهَارُ﴾: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿خَالِدِينَ﴾: حال من الضمير في "جزاؤهم" منصوب بالياء، ﴿فِيهَا﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"خالدين".

﴿وَنِعْمَ﴾: الواو: استئنافيّة، نعم: فعل ماض جامد لإنشاء المدح.

﴿أَجْرُ﴾: فاعل "نعم" مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿الْعَامِلِينَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة الجر الياء.

وجملة "أولئك جزاؤهم" لا محلّ لها من الإعراب، لأنها استئنافيّة، وجملة "جزاؤهم مغفرة" في محلّ رفع خبر المبتدأ "أولئك"، وجملة "تجري من تحتها الأنهار": في محلّ رفع نعت لجنات، وجملة "نعم أجر العاملين" لا محلّ لها من الإعراب، لأنها استئنافيّة.

البلاغة:

الآية الكريمة استئناف للتنويه بسداد عملهم: من الاستغفار، وقبول الله منهم.

وجيء باسم الإشارة لإفادة أنّ المشار إليهم صاروا أحرياء بالحكم الوارد بعد اسم الإشارة، لأجل تلك الأوصاف الَّتي استوجبوا الإشارة لأجلها.

هذا الجزاء وهو المغفرة وعدٌ من الله تعالىٰ، تفضّلًا منه بأن جعل الإقلاع عن المعاصي سببًا في غفران ما سلف منها. وأمَّا الجنّات فإنَّما خلصت لهم لأجل المغفرة، ولو أخذوا بسالف ذنوبهم لما استحقّوا الجنَّات فالكلّ فضْل منه تعالى.

وقوله تعالىٰ: {ونعم أجر العاملين} تذييل لإنشاء مدح الجزاء، والمخصوص بالمدح محذوف تقديره هو. والواو للعطف على جملة {جزاؤهم مغفرة}، فهو من عطف الإنشاء على الإخبار، وهو كثير في فصيح الكلام، وسمِّي الجزاء أجراً، لأنَّه كان عن وعد للعامل بما عمل. والتَّعريف في (العاملين) للعهد أي: ونعم أجر العاملين هذا الجزاء، وهذا تفضيل له والعمل المجازي عليه أي إذا كان لأصناف العاملين أجور.

جزء التشابه: ونعم أجر العاملين

1. [سورة الزمر: 74] ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [1]

معنى الآية:

وقال المؤمنون: الحمد لله الذي صدَقنا وعده الذي وعدَنا إياه على ألسنة رسله، وأورثَنا أرض الجنة نَنْزِل منها في أيِّ مكان شئنا، فنِعم ثواب المحسنين الذين اجتهدوا في طاعة ربهم.

النحو:

﴿وقالوا﴾: الواو: حرف عطف على محذوف بتقدير: دخلوا الجنة وقالوا.

[1] صَدَقنا وَعده: أنجزنا ما وعَدَنا من النّعيم؛ نتبوأ: ننزل.

قالوا: فعل ماضٍ مبنيّ على الضم، لاتصاله بواو الجماعة، و "الواو" ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، و "الألف": فارقة.

﴿الْحَمْدُ﴾: مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿لِلَّهِ﴾: خافض ومخفوض متعلّقان بخبر المبتدأ.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول مبنيّ على السكون في محلّ جرّ صفة للفظ الجلالة.

﴿صَدَقَنَا﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا: هو.

و "نا": ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ نصب مفعول به أول.

﴿وَعْدَهُ﴾: مفعول به ثان منصوب بالفتحة، و "الهاء": ضمير متّصل مبنيّ في محلّ جرّ بالإضافة.

﴿وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ﴾: معطوفة بالواو على "صدقنا وعده"، وتعرب إعرابها.

﴿نَتَبَوَّأُ﴾: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره: نحن.

﴿مِنَ الْجَنَّةِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ "نتبوأ".

﴿حَيْثُ﴾: اسم مبنيّ على الضم في محلّ نصب مفعول فيه متعلّق بـ "نتبوأ"، وهو مضاف.

﴿نَشَاءُ﴾: تعرب إعراب "نتبوأ".

﴿فَنِعْمَ﴾: الفاء: حرف استئناف، نعم: فعل ماضٍ جامد لإنشاء المدح مبنيّ على الفتح.

﴿أَجْرُ﴾: فاعل "نعم" مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿الْعَامِلِينَ﴾: مضاف إليه مجرور بالياء، لأنه جمع مذكر سالم.

وجملة "قالوا" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها معطوفة على الجملة الاستئنافية، وجملة "صدقنا" لا محل لها صلة الموصول "الذي"، وجملة "أورثنا" لا محلّ لها من الإعراب، لأنها معطوفة على جملة الصلة، وجملة "نتبوأ" في محلّ نصب حال من الضمير المتكلم في "أورثنا"، وجملة "نشاء" في محلّ جرّ مضاف إليه، وجملة "نعم أجر" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافيّة.

البلاغة:

عطف هذا الكلام يؤذن بأن قولهم ذلك غيرُ جواب لقول الملائكة، بل حَمدوا الله على ما منحهم من النعيم الذي وعَدهم به، وإنَّما وعدهم به بعنوان الأعمال الصالحة، فلما كانوا أصحاب الأعمال الصالحة جعَلوا وعد العاملين للصالحات وعداً لهم لتحقق المعلق عليه الوعدُ فيهم. ومعنى {صدقنا} حقق لنا وعده.

وقوله: {أورثنا الأرض} كلام جرى مجرى المثل لمن ورث الملك.

ولفظ {الأرض} جار على مراعاة التركيب التمثيلي، لأنَّ الأرض قد اضمحلت أو بدلت، ويجوز أن يكون لفظ {الأرض} مستعاراً للجنّة، لأنها قرارهم، كما أن الأرض قرار الناس في الحياة الأولى.
وإطلاق الإيراث استعارة تشبيهاً للإعطاء بالتوريث في سلامته من تعب الاكتساب.

والتبؤ: السكني والحلول، والمعنى: أنهم يتنقلون في الغرف والبساتين تفنناً في النعيم.
وأرادوا بـ {العاملين} أنفسَهم، أي عاملي الخير، وهذا من التصريح بالحقائق فليس فيه عيب تزكية النفس، لأن ذلك العالم عالم الحقائق الكاملة المجردة عن شوب النقائص.

2. [سورة العنكبوت: 58] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [1]

معنى الآية:

والذين صدَّقوا بالله ورسوله وعملوا ما أُمروا به من الصالحات لننزلنَّهم من الجنة غرفًا عالية تجري من تحتها الأنهار، ماكثين فيها أبدًا، نِعْمَ جزاء العاملين بطاعة الله هذه الغرف في جنات النعيم.

النحو:

﴿وَالَّذِينَ﴾: الواو: حرف استئناف، الذين: اسم موصول مبنيّ على الفتح في محلّ رفع مبتدأ.
﴿آمَنُوا﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الضم لاتصاله بواو الجماعة، و "الواو" ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، و "الألف": فارقة.
﴿وَعَمِلُوا﴾: معطوفة بالواو على "آمنوا"، وتعرب إعرابها.
﴿الصَّالِحَاتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة بدلًا من الفتحة، لأنه جمع مؤنث سالم.
﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾: اللام: حرف للتوكيد، نبوئن: فعل مضارع مبنيّ على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره: نحن، و "نون" التوكيد الثقيلة حرف لا محلّ له من الإعراب، و "هم": ضمير متّصل مبنيّ في محلّ نصب مفعول به أول.
﴿مِنَ الْجَنَّةِ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ "نبوئن".
﴿غُرَفًا﴾: مفعول به ثان منصوب بالفتحة.

[1] لنبوئنّهم: لنُنزلنّهم على وجه الإقامة؛ غُرَفًا: منازل رفيعة عالية.

﴿تَجْرِي﴾: فعل مضارع مرفوع بالضمة المقدرة على الياء للثقل.

﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ "تجري"، أو بحال محذوفة من الأنهار، بتقدير: كائنة تحتها.

"ها": ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ جرّ بالإضافة.

﴿الْأَنْهَارُ﴾: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿خَالِدِينَ﴾: حال من "المؤمنين" منصوب، وعلامة نصبه "الياء"، لأنه جمع مذكر سالم.

﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ "خالدين".

﴿نِعْمَ﴾: فعل ماضٍ لإنشاء المدح مبنيّ على الفتح.

﴿أَجْرُ﴾: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿الْعَامِلِينَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره "الياء"، لأنه جمع مذكر سالم.

وجملة "الذين آمنوا" لا محلّ لها من الإعراب، لأنها استئنافية، وجملة "آمنوا" لا محلّ لها من الإعراب، لأنها صلة الموصول "الذين"، وجملة "عملوا" لا محلّ لها من الإعراب، لأنها معطوفة على جملة الصلة، وجملة "نبوئنهم" لا محلّ لها من الإعراب، لأنها جواب القسم المقدر وجملة القسم وجوابه في محلّ جرّ خبر المبتدأ "الذين"، وجملة "تجري" في محلّ نصب نعت لـ "غُرَفًا"، وجملة "نعم أجر العاملين" لا محلّ لها من الإعراب، لأنها استئنافية.

البلاغة:

وجيء بالموصول للإيماء إلى وجه بناء الخبر، أي نُبَوِّئَنهم غرفاً لأجل إيمانهم وعملهم الصالح.

والآية الكريمة بدأت بالأسـلوب الإنشـائي المؤكد في قوله: {لنبوئنهم}، وذلك بلام التوكيد مع نون التوكيد الثقيلة، وهذا من أقوى أسـاليب التوكيد في اللغة العربية، للدلالة على أن هذا الوعد ثابت لا شـك فيه، وأن الله سيوفيه لعباده المؤمنين.

والتعبير بـ {غرفًا} فيه تصوير جميل لدرجات الجنة العالية، فالغرف تدل على الرفعة والعلو، وفيه تلميح إلى الكرامة والمنزلة الرفيعة، فهي ليست مجرد بيوت، بل منازل مرتفعة، مما يعزز المعنى بالسمو والفضل.

وقوله تعالى: {تجري من تحتها الأنهار} تعبير مكرّر في القرآن الكريم، وهو غاية في الإيجاز والبيان، ففيه وصف للنعم الدائمة والمتدفقة، دون حاجة للتفصيل، فالسامع يتخيل البهاء والجمال والراحة تلقائيًا.

وجمع بين الإيمان والعمل الصـالح، ثم أعقب ذلك بالجزاء: {لنبوئنهم من الجنة غرفًا}، مما يعكس العدل والكرم الإلهي في مكافأة أهل الطاعة.

وتقديم الإيمان والعمل الصالح قبل ذكر الثواب فيه اهتمام بالأسباب قبل النتائج، وتشريف للعمل الصالح وتعظيم لمكانة الإيمان.

وجملة: {نَعْمَ أجر العَامِلِين} أسلوب إنشاء ثناء وتعجيب على الأجر الذي أعطُوه، فلذلك قطعت عن العطف.

المسألة رقم 13:

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾[1] [سورة آل عمران: 184]

معنى الآية:

فإن كذَّبك -أيها الرسول- هؤلاء اليهود وغيرهم من أهل الكفر، فقد كذَّب المبطلون كثيرًا من المرسلين مِن قبلك، جاءوا أقوامهم بالمعجزات الباهرات والحجج الواضحات، والكتب السماوية التي هي نور يكشف الظلمات، والكتابِ البيِّن الواضح.

النحو:

﴿فَإِنْ﴾: الفاء: حرف عطف، إنْ: حرف شرط جازم.

﴿كَذَّبُوكَ﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الضم في محلّ جزم، و "الواو" ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل، و "الكاف": ضمير مبني في محل نصب مفعول به.

﴿فَقَدْ﴾: حرف رابط لجواب الشرط، وقد: حرف تحقيق.

﴿كُذِّبَ﴾: فعل ماضٍ مبنيّ للمجهول.

﴿رُسُلٌ﴾: نائب فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره.

﴿مِنْ قَبْلِكَ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بنعت لرسل" و "الكاف": مضاف إليه.

﴿جَاءُوا﴾: مثل "كذبوا".

﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ "جاؤوا".

﴿وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ﴾: الواو: حرف عطف في الموضعين.

الزبر والكتاب: اسمان معطوفان بحرفي العطف على "البينات" مجروران بالكسرة.

﴿الْمُنِيرِ﴾: نعت للكتاب مجرور بالكسرة.

---

[1] الزُّبُر: كتب المواعظ والزواجر.

وجملة "كذبوك" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها معطوفة على جملة "قل" في الآية السابقة 183 في سورة آل عمران، وجواب الشرط محذوف تقديره، فاصبر كما صبر رسل من قبلك، وجملة "قد كذب رسل" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها تعليلية، وجملة "جاؤوا" لا محلّ لها من الإعراب رفع نعت لـ "رسل".

البلاغة:

ثم سلى الله نبيه ﷺ بقوله: {فإن كذّبوك فقد كُذّب رسل من قبلك}.

والمذكور بعد الفاء دليل الجواب لأنّه علّته، والتقدير: فإن كذّبوك فلا عجب أو فلا تخزن لأنّ هذه سُنّة قديمة في الأمم مع الرسل مثلك، وليس ذلك لنقص فيما جئت به.

والمراد بالكتاب المنير: إن كان التعريف للجنس فهو كتب الشرائع مثل التوراة والإنجيل، وإن كان للعهد فهو التوراة، ووصفه بالمنير مجاز بمعنى المبيِّن للحق.

جزء التشابه: الزبر

1. [سورة النحل: 44] ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [1]

معنى الآية:

وأَرْسَلْنا الرسل السابقين بالدلائل الواضحة وبالكتب السماوية، وأنزلنا إليك -أيها الرسول- القرآن؛ لتوضح للناس ما خفي مِن معانيه وأحكامه، ولكي يتدبروه ويهتدوا به.

النحو:

﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"ما أرسلنا".

﴿وَالزُّبُرِ﴾: معطوفة بالواو على "البينات" مجرورة مثلها بالكسرة.

﴿وَأَنْزَلْنَا﴾: الواو: حرف عطف، أنزل: فعل ماضٍ مبنيّ على السكون لاتصاله بضمير الرفع المتحرك، و"نا": ضمير متّصل مبنيّ على السكون في محلّ رفع فاعل.

﴿إِلَيْكَ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"أنزلنا".

﴿الذِّكْرَ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

﴿لِتُبَيِّنَ﴾: اللام: حرف جرّ للتعليل، تبين: فعل مضارع منصوب بـ"أنْ" مضمرة بعد اللام وعلامة نصبه الفتحة، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره: أنت.

[1] بالبيّنات: أرسلناهم بالمعجزات؛ الزّبُر: كتب الشّرائع والتكاليف.

﴿لِلنَّاسِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"تبين"، وأن وما بعدها بتأويل مصدر في محلّ جرّ باللام، والجارّ والمجرور متعلّقان بـ"أرسلنا"، وجملة "تبين" صلة "أنْ" المضمرة لا محلّ لها من الإعراب.

﴿مَا﴾: اسم موصول مبنيّ على السكون في محلّ نصب مفعول به.

﴿نُزِّلَ﴾: فعل ماضٍ للمجهول مبنيّ على الفتح، ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿إِلَيْهِمْ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ"نزل".

وجملة "نزل" صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب.

﴿وَلَعَلَّهُمْ﴾: الواو: حرف للتعليل، لعل: حرف مشبّه بالفعل، و"هم" ضمير الغائبين مبنيّ في محلّ نصب اسم "لعلّ"، ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل.

وجملة "يتفكرون" في محلّ رفع خبر "لعل".

البلاغة:

قوله {بالبينات} متعلّق بمستقر صفةً أو حالًا من {رجالًا}، والباء للمصاحبة، أي مصحوبين بالبينات والزبر، فالبينات دلائل الصّدق من معجزات أو أدلّة عقلية، وقد اجتمع ذلك في القرآن وافترق بين الرسل الأوّلين، كما تفرّق منه كثير لرسولنا ﷺ.

ولعل عطف {الزبر} على {بالبينات} عطف تقسيم بقصد التوزيع، أي بعضهم مصحوب بالبينات وبعضهم بالأمرين، لأنَّه قد تجيء رسلٌ بدون كتب، مثل حنظلة بن صفوان رسول أهل الرّسّ، وخالد بن سنان رسول عبس، ولم يذكر الله لنوح عليه السلام كتابًا.

والتبيين إيضاح المعنى، والتعريف في الناس للعموم.

والإظهار في قوله تعالى: {ما نزل إليهم} يقتضي أن ما صدق الموصول غير الذكر المتقدم، إذ لو كان إيّاه لكان مقتضى الظاهر أن يقال لتبيّنه: للناس، وإسناد التبيين إلى النبي ﷺ باعتبار أنه المبلِّغُ للناس هذا البيانَ، واللّام على هذا الوجه لذكر العِلّة الأصلية في إنزال القرآن.

{لعلهم يتفكرون} حكمة أخرى من حِكَم إنزال القرآن، وهي تهيئة تفكّر الناس فيه وتأمّلهم فيما يقرّبهم إلى رضى الله تعالى، فعلى الوجه الأول في تفسير {لتبين للناس} يكون المراد أن يتفكّروا بأنفسهم في معاني القرآن وفهم فوائده، وعلى الوجه الثاني أن يتفكّروا في بيانك ويعوه بأفهامهم.

2. [سورة فاطر: 25] ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [1]

معنى الآية:

وإن يكذبك هؤلاء المشركون فقد كذّب الذين مِن قبلهم رسلهم الذين جاؤوهم بالمعجزات الواضحات الدالة على نبوتهم، وجاؤوهم بالكتب المجموع فيها كثير من الأحكام، وبالكتاب المنير الموضح لطريق الخير والشر.

النحو:

﴿وَإِنْ﴾: الواو: حرف استئناف، حرف شرط جازم.

﴿يُكَذِّبُوكَ﴾: فعل مضارع مجزوم بإن، وعلامة جزمه حذف النون، و "الواو" ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، و "الكاف": ضمير متّصل مبنيّ على الفتح في محلّ نصب مفعول به.

﴿فَقَدْ﴾: الفاء: حرف واقع في جواب الشرط، قد: حرف تحقيق.

﴿كَذَّبَ﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبنيّ على الفتح في محلّ رفع فاعل.

﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بصلة الموصول المحذوفة، و "الهاء": ضمير متّصل مبنيّ في محلّ جرّ بالإضافة، و "الميم": للجماعة.

﴿جَاءَتْهُمْ﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح، و "التاء": للتأنيث و "الهاء": ضمير متّصل مبنيّ في محلّ نصب مفعول به مقدم، "الميم": للجماعة.

﴿رُسُلُهُمْ﴾: رسل: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، و "الهاء": ضمير متّصل مبنيّ في محلّ جرّ بالإضافة، "الميم": للجماعة.

﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ "جاءتهم".

﴿وَبِالزُّبُرِ﴾: معطوفة بالواو على "البينات"، وتعرب مثلها.

﴿وَبِالْكِتَابِ﴾: تعرب إعراب "وبالزبر.

﴿الْمُنِيرِ﴾: نعت لـ "الكتاب" مجرور بالكسرة.

وجملة "يكذبوك" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافية، وجملة "قد كذب الذين" في محلّ جزم جواب الشرط، وجملة "جاءتهم رسلهم" في محلّ نصب حال من الاسم الموصول.

---

[1] بالزّبر: بالكتب المكتوبة كصحف إبراهيم وموسى عليهما السلام.

البلاغة:

قد خولف أيضاً في هذه الآية أسلوب آية آل عمران إذ قرن كل من {الزبر والكتاب المنير} هنا بالباء، وجُرّدا منها في آية آل عمران وذلك لأنَّ آية آل عمران جرت في سياق زعم اليهود أن لا تقبل معجزة رسول إلا معجزة قُربان تأكله النار، فقيل في التفرد ببهتانهم: قد كُذّبت الرسل الذين جاء الواحد منهم بأصناف المعجزات مثل عيسى عليه السلام، ومن معجزاتهم قرابين تأكلها النار فكذبتموهم، فترك إعادة الباء هنالك إشارة إلى أن الرُسل جاءوا بالأنواع الثلاثة.

ولما كان المقام هنا لتسلية الرسول ﷺ ناسب أن يذكر ابتلاء الرسل بتكذيب أممهم على اختلاف أحوال الرسل؛ فمنهم الذين أتَوا بآيات، أي خوارق عادات فقط مثل: صالح وهود ولوط، ومنهم من أتوا بالزبر وهي المواعظ التي يؤمر بكتابتها وزَبرها، أي تخطيطها لتكون محفوظة وتردد على الألسن كزبور داود وكتب أصحاب الكتب من أنبياء بني إسرائيل مثل أرمياء وإيلياء، ومنهم من جاءوا بالكتاب المنير، يعني كتاب الشرائع مثل: إبراهيم وموسى وعيسى، فذكر الباء مشير إلى توزيع أصناف المعجزات على أصناف الرسل.

الضمير في {جاءوا} للرسل وهو على التوزيع، أي جاء مجموعهم بهذه الأصناف من الآيات، ولا يلزم أن يجيء كل فرد منهم بجميعها.

والفاء في قوله تعالى: {فقد كذب الذين من قبلهم} فاء فصيحة أو تفريع على المحذوف.

وجملة {جاءتهم} صلة {الذين}، و{من قبلهم} في موضع الحال من اسم الموصول مقدّم عليه أو متعلق بـ {جاءتهم}.

المسألة رقم 14:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [سورة آل عمران: 190]

معنى الآية:

إن في خلق السماوات والأرض على غير مثال سابق، وفي تعاقُب الليل والنهار، واختلافهما طولا وقِصَرًا لدلائل وبراهين عظيمة على وحدانية الله لأصحاب العقول السليمة.

النحو:

﴿إِنَّ﴾: حرف توكيد مشبّه بالفعل.

﴿فِي خَلْقِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف خبر مقدم لـ"إن".

﴿السَّمَاوَاتِ﴾: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿وَالْأَرْضِ﴾: الواو: حرف عطف، الأرض: معطوف على "السماوات" مجرور بالكسرة.

﴿وَاخْتِلَافِ﴾: الواو: حرف عطف، اختلاف: اسم معطوف على خلق مجرور بالكسرة.

﴿اللَّيْلِ﴾: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿وَالنَّهَارِ﴾: حرف عطف، النهار: اسم معطوف على الليل مجرور بالكسرة.

﴿لَآيَاتٍ﴾: اللام: لام التوكيد، آيات: اسم "إن" منصوب، وعلامة النصب الكسرة، لأنه جمع مؤنث سالم.

﴿لِأُولِي﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف نعت لآيات، وعلامة الجرّ الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم.

﴿الْأَلْبَابِ﴾: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

والجملة "إن" واسمها وخبرها لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها استئنافيّة.

البلاغة:

بدأت الآية الكريمة بـ {إن} المؤكّدة، ودخلت اللام على خبرها في: {لآياتٍ}، هذا يدل على أن مضمون الآية أمر عظيم يحتاج إلى تثبيت في النفس والعقل، والمقصود أنه لا مجال للشك أن هذه الظواهر الكونية فيها علامات قاطعة على وجود الله ووحدانيته.

وذكر {خلق السماوات والأرض} قبل {اختلاف الليل والنهار}، وهذا الترتيب من الأعظم إلى العظيم، حيث إنَّ خلق السماوات والأرض أعظم دليل على قدرة الله وإبداعه، واختلاف الليل والنهار دليل على نظام دقيق متجدد، وفيه تدرج في العرض يزيد التأمل والتأثير في المتلقي.

إنَّ كلمة {اختلاف} وفي قوله تعالى: {اختلاف الليل والنهار} جمعت معاني كثيرة بلفظ واحد، وهي: تعاقب الليل والنهار، تفاوت الطول والقصر، اختلاف الضوء والظلمة، تفاوت درجات الحرارة، وهذا من الإيجاز البلاغي المعجز، حيث اجتمعت ظواهر متعددة في كلمة واحدة موجزة.

والتنكير في {لآياتٍ} يفيد التعظيم والتنوّع، فكل مخلوق فيها آية عظيمة، وكل اختلاف فيها حكمة.

وأسلوب قصر في {أولي الألباب} ولم يقل "لجميع الناس"، ويقصد بذلك أصحاب العقول الصافية الواعية، هذا يدل على أن الانتفاع بالآيات لا يكون إلا لمن يملك عقلاً متفكرًا.

جزء التشابه: اختلاف الليل والنهار

1. [سورة يونس: 6] ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾

معنى الآية:

إن في تعاقب الليل والنهار وما خلق الله في السماوات والأرض من عجائب الخلق وما فيهما من إبداع ونظام، لأدلة وحججًا واضحة لقوم يخشون عقاب الله وسخطه وعذابه.

النحو:

﴿إِنَّ﴾: حرف توكيد مشبّه بالفعل.

﴿فِي اخْتِلَافِ﴾: جار ومجرور متعلّقان بخبر مقدم.

﴿اللَّيْلِ﴾: مضاف إليه مجرور و علامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿وَالنَّهَارِ﴾: الواو: حرف عطف، النهار: اسم معطوف على "الليل" مجرور بالكسرة.

﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف، ما: اسم موصول مبني في محل جر اسم معطوف على اختلاف.

﴿خَلَقَ﴾: فعل ماض مبني على الفتح.

﴿اللَّهُ﴾: لفظ الجلالة فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ"خلق".

﴿وَالْأَرْضِ﴾: الواو: حرف عطف، الأرض: اسم معطوف على "السماوات" مجرور بالكسرة.

﴿لَآيَاتٍ﴾: اللام: لام الابتداء للتوكيد، آيات: اسم "إن" منصوب مؤخر وعلامة النصب الكسرة.

﴿لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾: لِقَوْمٍ: جار ومجرور يعلمون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو: فاعل، والجار والمجرور لـ"قوم" نعت لـ"آيات".

وجملة "إن في اختلاف ... لآيات" لا محل لها من الإعراب، لأنها استئنافيّة، وجملة "خلق الله" لا محل لها من الإعراب، لأنها صلة الموصول "ما"، وجملة "يتقون" في محل جر نعت لـ"قوم".

البلاغة:

هذه الآية الكريمة استدلال آخر على انفراد الله تعالى بالخلق والتقدير، وهو استدلال بأحوال الضوء والظلمة وتعاقب الليل والنهار وفي ذلك عبرة عظيمة. وهو بما فيه من عطف قوله: {وما خلق الله في السماوات والأرض} أعم من الدليل الأول، لشموله ما هو أكثر من خلق الشمس والقمر، ومن خلق الليل والنهار، ومن كل ما في الأرض والسماء، مما تبلغ إليه معرفة الناس في مختلف العصور وعلى تفاوت مقادير الاستدلال من عقولهم.

وتأكيد هذا الاستدلال بحرف {إنَّ} لأجل تنزيل المخاطبين به الذين لم يهتدوا بتلك الدلائل إلى التوحيد منزلة من ينكر أن في ذلك آيات على الوحدانية بعدم جريهم على موجب العلم.

والآية الكريمة مؤكدة بـ"إن" واللام المزحلقة في "لآيات" تزيد هذا التوكيد، هذا يعزز في النفس أن هذه الظواهر الكونية ليست عبثًا، بل فيها دلائل قاطعة على وجود الله وقدرته وحكمته.

لتقديم والتخصيص حيث بدأ بـ "اختلاف الليل والنهار"، ثم ثنّى بـ "ما خلق الله في السماوات والأرض"، و هذا الترتيب من الملموس المشهود (تعاقب الليل والنهار) إلى الأوسع والأشمل (المخلوقات)، وفيه تشويق وتدرّج من الخاص إلى العام.

والتعبير بـ {ما خلق الله} يعطي إيحاء بالفعل والقدرة، لا فقط بالوصف، وهذا أدلّ على الخلق المستمر، والقدرة الفاعلة، وفيه تذكير بالفاعل (الله)، وترسيخ لمقام الربوبية والخلق.

التنكير في "لآياتٍ" يدل على التعظيم: أي فيها آيات عظيمة الشأن، والتنوع: كل شيء في الكون آية في حد ذاته، وكل اختلاف فيه دلالة.

وقصر الهداية على "قوم يتقون" ولم يقل: "لجميع الناس" لأنه يقصد الذين يخافون الله ويخشونه ويتفكرون في آياته، فالآيات لا تنفع إلا من كان له قلب حي وتوجه صادق لله.

2. [سورة المؤمنون: 80] ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

معنى الآية:

وهو وحده الذي يحيي من العدم، ويميت بعد الحياة، وله تعاقب الليل والنهار وتفاوتهما، أفلا تعقلون قدرته ووحدانيته؟

النحو:

﴿وَهُوَ الَّذِي﴾: الواو: حرف استئناف، هو: ضمير منفصل مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول مبنيّ على السكون في محلّ رفع خبر "هو".

﴿يُحْيِي﴾: فعل مضارع مرفوع بالضمة المقدّرة على الياء للثقل، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿وَيُمِيتُ﴾: معطوفة بالواو على "يحيي" وتعرب إعرابها، وعلامة رفع الفعل "يميت" الضمة الظاهرة.

﴿وَلَهُ﴾: الواو: حرف عطف، له: جارّ ومجرور متعلّقان بخبر مقدم.

﴿اخْتِلَافُ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿اللَّيْلِ﴾: مضاف إليه مجرور بالإضافة، وعلامة جره الكسرة.

﴿وَالنَّهَارِ﴾: معطوفة بالواو على "الليل" مجرورة مثله وتعرب إعرابها.

﴿أَفَلَا﴾: الهمزة: حرف توبيخ واستفهام، الفاء: زائدة - تزيينية -، لا: حرف نفي لا عمل له.

﴿تَعْقِلُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، و "الواو" ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل.

وجملة "وهو الذي يحيي ويميت ... " معطوفة على جملة استئنافية لا محلّ لها من الإعراب، وجملة "يحيي ..." صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب.

البلاغة:

الآية الكريمة تسير على نفس أسلوب {وهو الذي أنشأ لكم السمع} [سورة المؤمنون: 78]، وأعقب ذكر الحشر بذكر الإحياء، لأن البعث إحياء إدماجًا للاستدلال على إمكان البعث في الاستدلال على عموم التصرف في العالم، وأما ذكر الإماتة فلمناسبة التضاد، ولأن فيها دلالة على عظيم القدرة والقهر، ولما كان من الإحياء خلْق الإيقاظ ومن الإماتة خلق النوم.

واللام في {له اختلاف الليل والنهار} للملك، أي بقدرته تصريف الليل والنهار، فالنهار يناسب الحياة ولذلك يسمى الهبوب في النهار بعثا، والليلُ يناسب الموت، ولذلك سمى الله النوم وفاةً، وتقديم المجرور للقصر، أي له اختلاف الليل والنهار لا لغيره، أي فغيره لا تحق له الإلهية.

ولما كانت هذه الأدلة تفيد من نظر فيها علماً بأنَّ الإله واحد، وأنَّ البعث واقع، وكان المقصودون بالخطاب قد أشركوا به ولم يهتدوا بهذه الأدلة جُعلوا بمنزلة غير العقلاء، فأنكر عليهم عدم العقل بالاستفهام الإنكاري المفرع على الأدلة الأربعة بالفاء في قوله {أفلا تعقلون} .

3. [سورة الجاثية: 5] ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [1]

معنى الآية:

وفي اختلاف الليل والنار وتعاقبهما عليكم وما أنزل الله من السماء من مطر، فأحيا به الأرض بعد يُبْسها، فاهتزت بالنبات والزرع، وفي تصريف الرياح لكم من جميع الجهات وتصريفها لمنافعكم، أدلةٌ وحججٌ لقوم يعقلون عن الله حججه وأدلته.

[1] تصريف الرياح: تقليبها في مهابّها وأحوالها.

النحو:

﴿وَاخْتِلَافِ﴾: الواو: حرف عطف، اختلاف: معطوفة على الآية السابقة أي وفي اختلاف الليل والنهار.

﴿اللَّيْلِ﴾: مضاف إليه مجرور و علامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

﴿وَالنَّهَارِ﴾: معطوفة على الليل، وتعرب إعرابها، ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف، مَا: اسم موصول مبنيّ على السكون في محلّ جرّ لأنه معطوف على مجرور.

﴿أَنْزَلَ﴾: فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح.

﴿اللهُ﴾: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ "أنزل".

﴿مِنْ رِزْقٍ﴾: من حرف جرّ، رزق: اسم مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره، والجار والمجرور متعلّقان بحال محذوفة من الاسم الموصول "ما".

﴿فَأَحْيَا﴾: الفاء: حرف عطف، أحيا: فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح المقدّر على الألف للتعذّر، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره: هو.

﴿بِهِ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ "أحيا".

﴿الْأَرْضَ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

﴿بَعْدَ﴾: ظرف زمان متعلّق بـ "أحيا" منصوب بالفتحة، وهو مضاف.

﴿مَوْتِهَا﴾: موت: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره، وهو مضاف و "ها": ضمير متّصل و مبنيّ على السكون في محلّ جرّ بالإضافة.

﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾: الواو: حرف عطف، تصريف الرياح: معطوفة على "اختلاف الليل" وتعرب إعرابها.

﴿آيَاتٌ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع بالضمة وخبره المقدم "في خلقكم" أو تكون خبر مبتدأ محذوف تقديره: هي آيات.

﴿لِقَوْمٍ﴾: جارّ ومجرور متعلّقان بـ "صفة محذوفة من "آيات".

﴿يُوقِنُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، و"الواو" ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل.

وجملة "في اختلاف الليل والنهار آيات" لا محلّ لها من الإعراب، لأنَّها معطوفة على جملة في "خلقكم ... آيات"، وجملة "أنزل الله" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها صلة الموصول "ما" الثاني، وجملة "أحيا" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها معطوفة على جملة "أنزل"، وجملة "يعقلون" في محلّ جرّ نعت لـ "قوم" الثاني.

البلاغة:

ذكر {اختلاف الليل والنهار} أولًا لأنه من الظواهر اليومية القريبة للمشاهد، وهو يشمل: تعاقب الليل والنهار، وتفاوت طولهما، وتباين الضياء والظلمة، وهذا فيه تشويق وتمهيد لما بعده من آيات أعظم في التأمل.

{رزق} كناية عن المطر الذي هو سبب كل رزق، وهذا من الكناية البلاغية التي تحمل معاني أوسع، لأن المطر ليس الرزق وحده، بل سبب للرزق (نبات، زرع، طعام...)، وفيه تحفيز للتأمل في العلاقة بين المطر والحياة.

التعبير بالفعل {فأحيا به الأرض بعد موتها} تصوير بلاغي مؤثر، حيث إن موت الأرض تصوير لانعدام النبات والجدب والقحط، و{أحياها} فيه تشبيه بليغ، حيث شبه الأرض بكائن حي ينبض بالحياة بعد الغيث، وهذا من التشخيص، وهو من أرقى فنون البلاغة.

وقوله تعالىٰ: {تصريف الرياح} وليس مجرد {هبوبها}، لأن التصريف يدل على التنوع في الاتجاه، والتغيير في الشدة واللطف، والتحكم في وقت الإرسال، وهذا أدق تعبير عن قدرة الله في تسيير الرياح بحكمة، لا عشوائية.

قصر دلالة الآيات على {قوم يعقلون} وهو ربط الانتفاع بالآيات بوجود العقل الواعي المتدبر، ويدل على تحفيز الإنسان على التفكر والتعقل لا مجرد النظر السطحي.

الخاتمة

بحمد الله وتوفيقه، يُختتم هذه الرسالة التي تناولت ظاهرة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وبالأخص سورتي البقرة وآل عمران. أن التشابه اللفظي في القرآن الكريم هي من أدقّ الظواهر القرآنية وأجملها أثرًا في البيان، لما تحمله من تنوّعٍ تعبيري محسوب، ودقةٍ في توجيه الدلالة بحسب المقام والسياق، واتساقٍ مع النَّظم القرآني في مستوياته التركيبية والدلالية.

وكانت أسئلة البحث تتمحور حول أربعة محاور:

أولًا - معنى التشابه اللفظي في اللغة والقرآن الكريم، وأهميته خلال تراث أهل العلم في توجيه المتشابه، وهذه النقطة تم دراستها بالتفصيل في الفصل الأول من الرسالة.

ثانيًا - دراسة ذاتية لمشايخ التفسير واللغة، وهذه الدراسة تركزت على حياة ثلاثة علماء، وهم: بن جماعة، والزمخشري، والزجاج، حيث تضمنت التعريف بهم، ومولدهم، ونشأتهم، وطلبهم للعلم، وشيوخهم، وتلاميذهم، ومؤلفاتهم، وأقوال العلماء عنهم مع برز جوانب من شخصيهم، وهذا المحور أجاب عن ثلاثة أسئلة من إشكاليات البحث وأسئلته.

ثالثًا - المحور الثالث هو دراسة عن أهمية الكتب الثلاثة المختارة في الاستعانة عن متشابهات القرآن، وهم: كشف المعاني في المتشابه من المثاني لابن جماعة، والكشاف للزمخشري، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج، حيث دُرِسَت هذه الكتب من خلال المنهج الذي اتخذه المؤلف في تفسير القرآن الكريم وتأليف الكتب، وتأثره بالسابقين، وتأثيره على من بعده من علماء الأمة الإسلامية، وهذا المحور أجاب عن الإشكال الرابع للبحث، والتي تم دراسته في الفصل الثالث.

رابعًا - وهو المحور الأخير الذي يتركز عليه عنوان الرسالة والذي هو لب الرسالة وهو استخراج الألفاظ المتشابهة من سورتي البقرة وآل عمران مع متشابهاتها من سور القرآن الكريم، وقد تم دراسة المتشابهات سورة البقرة في الفصل الرابع، ودراسة متشابهات سورة آل عمران في الفصل الخامس، وذلك للإجابة عن الإشكالين الخامس والسادس من إشكاليات البحث، حيث تم في هذين الفصلين عرض فضائل سورتي البقرة وآل عمران بما يتفق مع القرآن الكريم والسنة الشريفة، وتتبع الآيات المتشابهة في القرآن الكريم من خلال حصر وعدد المسائل المتشابهة، ثم دراسة هذه المسائل مرتبة حسب ترتيب الآيات في

السـورتين، ودراسـة كل مسـألة من الناحية اللغوية والمعنى، ومن الناحية النحوية والإعرابية، وأخيرًا من الناحية البلاغية.

ففي الفصـل الرابع، حصرنا متشـابهات سـورة البقرة مع باقي سـور القرآن الكريم في ثمان وعشرين مسألة افتراضية نتيجةً لتتبع أكثر من كلمة متشابهة في الآية الواحدة مع متشابهات الآيات الأخريات. أما في الفصـل الخامس، فقد تم حصر أربع عشرة مسـألة وذلك لتفقد أكثر من متشـابه في الآية الواحدة، وكان الاختلاف في جلي في التقديم والتأخير، والحذف والإضافة، والوصل والفصل، واختيار لفظٍ غير المذكور في الآية الأصلية في سورتي البقرة وآل عمران.

لم يكن الكتب الثلاث التي اعتمدت عليه في البحث كافيًا، ولكن كان خير بداية في تفقد الآيات المتشابهة كما في كشف المعاني لابن جماعة، وتفقد الحالات الإعرابية كما في معاني القرآن وإعرابه للزجاج، والحالات البلاغية في تفسير القرآن الكريم مع تجنب الأفكار الاعتزالية في تفسير الكشاف للزمخشري.

ونختم بقولنا إنّ القرآن لا تقتضي عجائبه ولا تنحصر معانيه، ولا يزال المتبحر فيه يصـيب منه الخير والحكمة، ولذلك فإننا نقول بأن ما وصـل له هذا البحث هو غيضٌ من فيض، وأن ما تم ذكره من المتشـابهات هو على سـبيل المثال، لا الحصر، ولا يزال الباب مفتوحًا للبحث عن الكثير من المعاني المتشابهة لما ذكرنا من الآيات وغيرها من آيات الكتاب الحكيم.

والله وليّ التوفيق.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أمين، أحمد. ضحى الإسلام. (الطبعة الأولى). المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، 2017م. https://www.hindawi.org/books/30536269/.

الأنصاري، أبو يحيى زكريا. فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن. تحقيق: محمد علي الصابوني. (الطبعة الأولى). الرياض: دار القرآن الكريم، 1403هـ.

البحيري، ريم عبج الفتاح مصطفى. "توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم بين تفسير الرازي والألوسي - دراسة مقارنة". الماجستير، جامعة المنوفية-كلية الآداب-قسم اللغة العربية، مصر، 2020م.

البركة، محمد بن راشد. "المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وتوجيهه - دراسة موضوعية". الماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية-كلية أصول الدين-قسم القرآن وعلومه، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1425هـ.

البغدادي، عبد القادر بن عمر (1030-1093هـ). خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. (الطبعة الرابعة). القاهرة: مكتبة الخانجي، 1402هـ. خزانة الأدب.

أبو بكر، محمد بن الحسن بن عبيد الله مذحج الزبيدي الأندلسي الإشبيلي. *طبقات النحويين واللغويين*. (الطبعة الثانية)، سلسلة ذخائر العرب (50). القاهرة: دار المعارف، 1401هـ.

بللو، آدم. "توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم - دراسة مقارنة بين الزمخشري وعبد الله بن فوزي". الماجستير، جامعة جوس-كلية الأديان والفلسفة، نيجيريا، 2014م.

بوزيان، هاجر؛ وخولة بن قاوقاو. "المتشابهات في القرآن الكريم دراسة دلالية- سورة البقرة أنموذجًا". الماجستير، جامعة أحمد دراية-كلية الآداب واللغات-قسم اللغة العربية والأدب العربي، أدرار، الجزائر، 2023م.

البيضاوي، ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد السيرازي الشافعي. *أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي*. (الطبعة الأولى). بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1418هـ.

ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم. مقدمة في أصول التفسير. (الطبعة الأولى)، بيروت: دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، 1980م.

الجبالي، محمد رجائي أحمد. "توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين، أحمد الغرناطي وفاضل السامرائي - دراسة مقارنة". الدكتوراه، جامعة ملايا-أكاديمية الدراسات الإسلامية-قسم القرآن والحديث، كوالالمبور، 2012م.

ابن جماعة، أبو عبد الله بدر الدين محمد إبراهيم بن سعد الله (ت: 733هـ). *كشف المعاني في المتشابه من المثاني*. تحقيق: عبد الجواد خلف. (الطبعة الأولى). منشورات جامعة الدراسات الإسلامية. المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، 1410هـ-1990م.

حميد، سرمد طه. "التقديم والتأخير في آيات القرآن المتشابهة لفظًا - دراسة لغوية دلالية". الماجستير، جامعة العلوم الإسلامية العالمية-كلية الدراسات العليا-قسم الدراسات اللغوية، الأردن، 2012م.

الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت: 626هـ). *معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب*. تحقيق: إحسان عباس. (الطبعة الأولى). بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1414 هـ.

الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت: 626هـ). *معجم البلدان*. (بدون طبعة). بيروت: دار صادر، 1397هـ.

أبو حيان الأندلسي، أثير الدين محمد بن يوسف بن على بن يوسف. *تفسير البحر المحيط*. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. (الطبعة الأولى). بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1423هـ.

ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد (732-808هـ). *تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر*. ضبط المتن ووضع الحواشي: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار. (بدون طبعة)، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1421هـ.

ابن خَلّكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر (608-681هـ). *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*. (بدون طبعة)، بيروت: دار صادر، 1398هـ.

خليفة، أرياف غازي جمال. "تحول البنى النحوية بين التذكير والتأنيث في الآيات المتشابهة في القرآن الكريم". الماجستير، جامعة الشرق الأوسط-كلية الآداب-قسم اللغة العربية وآدابها، الأردن، 2011م.

الخطيب الإسكافي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت: 420هـ). *درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز*. رواية: ابن أبي الفرج الأردستاني، تحقيق: دار الآفاق الجديدة. (الطبعة الرابعة). بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1401. هـ-1981م.

الدرويش، محي الدين. *إعراب القرآن الكريم وبيانه*. (الطبعة السابعة) دمشق وبيروت: دار اليمامة ودار ابن كثير، 1420هـ.

الذنيبات، باسم حسين احمد. "المتشابه اللفظي في القرآن الكريم تصنيفه وعلله". الماجستير، جامعة مؤتة-قسم اللغة العربية وآدابها، الأردن، 2004م.

الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (673-748هـ). *سير أعلام النبلاء*. ترتيب وتحقيق: حسان عبد المنان. (الطبعة الأولى). لبنان: بيت الأفكار الدولية، 2004م.

الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المضل (ت: 425هـ). *مفردات ألفاظ القرآن*. تحقيق: صفوان عدنان داوودي. (الطبعة الرابعة). دمشق، بيروت: دار القلم والدار الشامية، 1430هـ-2009م.

الرويلي، ريم بنت سكران بن فيض. "توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم عند ابن الزبير الغرناطي (ت: 708هـ) وابن جماعة الدمشقي (ت: 733هـ) - دراسة مقارنة من سورة الدخان إلى سورة الناس". الماجستير، جامعة الملك فيصل-كلية الدراسات الإسلامية، الأحساء، المملكة العربية السعودية، 2017م.

الزجاج، أبي إسحاق إبراهيم بي السَّرِي (ت: 311هـ). *معاني القرآن وإعرابه*. تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي. (الطبعة الأولى). بيروت: عالم الكتب، 1408هـ.

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (745-794هـ). *البرهان في علوم القرآن*. تحقيق: أحمد علي. (الطبعة الأولى). القاهرة: دار الحديث، 1427هـ.

الزركلي، خير الدين. *الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء والمستعربين والمستشرقين*. الخامسة عشرة. 8 .vols دار العلم للملايين، 1422.

الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي (467-538هـ). *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في جودة التأويل*. (الطبعة الأولى). تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، عليّ محمد معوّض، فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي. الرياض: مكتبة العبيكان، 1418هـ-1998م.

الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي (467-538هـ). *أطواق الذهب في المواعظ والخطب*. تحقيق أحمد عبد التواب عوض. (الطبعة الأولى). القاهرة: دار الفضيلة، 1418. هـ-1997م.

الزيد، إبراهيم بن عبد العزيز. "البلاغة القرآنية في الآيات المتشابهات من خلال كتاب "ملاك التأويل" لابن الزبير الغرناطي". الماجستير، الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1414هـ.

السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي. *معيد النعم ومبيد النقم*. تحقيق: محمد على النجار، أبو زيد شلبي، محمد أبو العيون. (الطبعة الأولى). القاهرة: دار الكتاب العربي بمصر، 1367هـ.

السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيري المصري الشافعي (911هـ). *التحبير في علم التفسير*. تحقيق: فتحي عبد القادر فريد. (الطبعة الأولى)، القاهرة: دار العلوم للطباعة والنشر، 1403هـ.

السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيري المصري الشافعي (911هـ). *الإتقان في علوم القرآن*. تحقيق: مركز الدراسات القرآنية. (بدون الطبعة). الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، (بدون تاريخ).

السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيري المصري الشافعي (911هـ). *تحفة الأديب في نحاة مُغني اللبيب*. تحقيق: حسن الملخ، سهى نعجة. (الطبعة بدون). عمان: عالم الكتب الحديث، الأردن: جدار للكتاب العالمي، 1429هـ.

السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيري المصري الشافعي (911هـ). *حسن المحاضرة في تاريخ مصر ـ والقاهرة*. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (الطبعة الأولى). حلب: دار إحياء الكتب العربية، سوريا: عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1387هـ.

السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيري المصري الشافعي (911هـ). *الدر المنثور في التفسير المأثور*. (بدون طبعة). بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1433هـ.

الشثري، صالح بن عبد الله بن محمد. "المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية". الدكتوراه، جامعة أم القرى-كلية اللغة العربية-قسم الدراسات العليا-فرع البلاغة والنقد، المملكة العربية السعودية، 2001م.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الحنكي. *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*. إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد. (الطبعة الأولى). آثار الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي: 1، مكة المكرمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، 1426هـ.

الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (ت: 548هـ). *مجمع البيان في تفسير القرآن*. تحقيق: مكتب دار العلوم. (الطبعة الأولى). بيروت: دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، 1426هـ-2005م.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (224-310هـ). *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، عبد السند حسن يمامة. (الطبعة الأولى). الجيزة: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، 1422. هـ-2001م.

عبد اللطيف، عبد الشافي محمد. *موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي*. (بدون طبعة). سلسلة: العصر العباسي في العراق والشام (132هـ-656هـ) (96). القاهرة: مكتبة سفير، 1996م.

العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد. *الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة*. (بدون طبعة) بيروت: دار الجيل، 1414هـ.

ابن العماد، شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي (1032-1089هـ). *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*. تحقيق: محمود الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، (الطبعة الأول)، بيروت، دمشق: دار بن كثير، 1406هـ.

الغرناطي، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي. *ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل*. تحقيق: سعيد الفلاح. (الطبعة الثانية). بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1428هـ.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا بن الحسين (ت: 395هـ). *معجم مقاييس اللغة*. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. (بدون طبعة). بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1399هـ-1979م.

الفراهيدي، أبو عبد الرحمن بن أحمد. *كتاب العين*. تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي. (الطبعة الأولى). سلسلة: المعاجم والفهارس. بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، دار رشيد، 1980م.

الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت: 817هـ). *القاموس المحيط*. تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة. (الطبعة الثامنة). بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 1426. هـ-2005م.

القِفطي، الوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف. *إنباه الرواة على أنباه النحاة*. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (الطبعة الأولى). القاهرة وبيروت: دار الفكر العربي والكتب الثقافية، 1406هـ.

ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن أيوب. *أعلام الموقعين عن رب العالمين*. (الطبعة الأولى)، سلسلة: آثار الإمام ابن قيم الجوزية وما لحقها من أعمال (28). القاهرة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، 1437هـ.

كحالة، عمر رضا (ت:1408هـ). *معجم المؤلفين: تراجم مصنفي الكتب العربية*. (بدون طبعة). القاهرة: مؤسسة الرسالة، 1376هـ.

الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر (ت: 505هـ). *البرهان في توجيه متشابه القرآن*. تحقيق: عبد القادر أحمد عطا. (الطبعة الأولى). بيروت: دار الكتب العلمية، 1406هـ-1986م.

مجمع اللغة العربية بالقاهرة. *معجم ألفاظ القرآن الكريم*. (الطبعة الثانية). القاهرة: مجمع اللغة العربية، 1409هـ.

مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي بلبنان. *موسوعة التفسير المأثور*. إشراف: مساعد بن سليمان الطيار، نوح بن يحيى الشهري. (الطبعة الأولى). بيروت: دار ابن جزم، 2017م.

مشاهرة، مشهور موسى مشهور. "المتشابه اللفظي في القرآن الكريم - دراسة نقدية بلاغية". الدكتوراه، جامعة بير زيت، الضفة الغربية، فلسطين، 2009م.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري الإفريقي المصري. *لسان العرب*. تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي. (الطبعة الأولى). القاهرة: دار المعارف، 1980م.

ابن المنير، شهاب الدين أحمد بن محمد بن منصور. "الانتصاف من الكشاف". مخطوطة كتاب. تركيا: القسطنطينية، 1112هـ. اسم التصنيف: التفسير، ديوي العشري: 212، رقم: 545. https://app.alreq.com/ar/AuthoredBooks/AuthoredBook/

نخبة من كبار العلماء. *المختصر في تفسير القرآن الكريم*. (الطبعة الرابعة). الرياض: مركز تفسير للدراسات القرآنية، 1439هـ.

النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود. *تفسير النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل*. تحقيق: يوسف علي بديوي، محي الدين ديب مستو. (الطبعة الأولى) دمشق: دار الكلم الطيب، 1419هـ.

النصر، منى بنت فهد أحمد. "بلاغة التشابه اللفظي في سورة آل عمران". *مجلة العلوم العربية والإنسانية* مجلد (10)، عدد (3)، 2017م: https://doi.org/10.12816/0048825

النعيمي، عبد القادر بن محمد. *الدارس في تاريخ المدارس*. أعد فهارسه: إبراهيم شمس الدين. (الطبعة الأولى). بيروت: دار الكتب العلمية، 1410هـ.

أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد (ت: 395هـ). *الفروق في اللغة*. تحقيق: جمال عبد الغني مدغمش. (الطبعة الأولى). بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 1422هـ-2002م.

نويهض، عادل. *معجم المفسرين: من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر*. (الطبعة الثالثة). بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، 1409هـ-1988م